أحـــاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

حسن بن موسى الصفار

أحـــاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

المجلد الثامن

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل:الآية ١٢٥]

الحمد الله ربّ العالمين اللهم صل على محمد
خاتم الأنبياء وتمام عدة المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين

تقديم

بقلم آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي[1]

عرفت سماحة الشيخ حسن الصفار (حفظه الله) شابًّا يتدفق حيوية ونشاطاً... وها هو اليوم في سن الكهولة وعلى أبواب الشيخوخة، وقد حقق الله تعالى له طموحاته الكثيرة في شبابه، ورزقه من فضله ما لم يدركه بطموحاته واهتماماته.

ومنذ أن عرفت فضيلة الشيخ الصفار، عرفت فيه حالة الاعتدال، والتعقّل، والقدرة على الترفع عن الأمور الصغيرة، التي تحجب الناس عن نيل الأمور الكبيرة.

ولا بدّ للذي يعمل في ساحة المجتمع أن يمتلك هذه المواهب ويكسبها. فإن تفاعلات الساحة تدفع الناس كثيراً إلى حالة التطرّف في الفهم والعمل، وإلى الحالة الشعارية الانفعالية، البعيدة عن حالة التعقّل، وإلى التوقف عند الأمور الصغيرة

(١) أستاذ البحث الخارج في النجف الأشرف. ومن مؤسسي الحركة الإسلامية في العراق، له مؤلفات كثيرة في الفقه والثقافة الإسلامية.

والانشغال بها مما تحجب الناس عن الاهتمامات الكبيرة ونيلها.

وفي قراءتي السريعة لطرف من الخطب والمقالات والرسائل والأبحاث الموجودة في موسوعة (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) وجدت علماً نافعاً في متناول الجمهور، وخير العلم ما وضعه صاحبه في متناول الناس، ووجدت رؤى صافية نابعة من معين الثقلين (القرآن وأهل البيت عليهم السلام)، ووجدت اهتماماً بأمور المسلمين، وحضوراً في الساحة الإسلامية، ووجدت تعقّلاً واعتدالاً وقدرة على الترفع عن صغائر الأمور في التعامل مع هموم العالم الإسلامي وعلاقات المسلمين بعضهم ببعض.

فهو يدعو إلى الانفتاح والتفاهم والحوار بين المسلمين للوصول إلى القناعات المشتركة، وحتى إن لم يتحقق هذا الحد من القناعات الدينية والعلمية والسياسية المشتركة، فإنها تحقق التقارب بين وجهات النظر العلمية والسياسية والاجتماعية بلا شك، وتملأ الكثير من فجوات الخلاف بين المسلمين.

إن البحث العلمي في المسائل الدينية، والحوار، والتفاهم في المسائل الاجتماعية والسياسية يُمكّننا أن يفهم بعضنا بعضاً أوّلاً، وهذا هو (التعارف) الذي يحبه الله وهو شوط على الطريق الصحيح.

ويُمكّننا من أن نتراشد ونتكامل ثانياً، وهذا يدخل في مقولة اتباع الأحسن الذي يمدحه الله تعالى في كتابه، ويصف به الصالحين من عباده، وهو شوط ثان على الطريق.

ويُمكّننا أن نتآلف ونتعايش ونتعاشر ثالثاً، وكل ذلك يحبه الله تعالى ورسوله، وهذا شوط ثالث على الطريق الصحيح.

لقد جرّبنا كثيراً فوجدنا أن الله تعالى قد جعل في اللقاء، والحوار، والتفاهم، خيراً كثيراً لهذه الأمة، وبعكس ذلك وجدنا في التباعد، والانكفاء على الذات، والانغلاق أسباب الضعف، والانحطاط، والضمور، والنفور، والبغضاء، والتقاطع، والتراشق، بل التكفير والتقاتل.

ونحن اليوم نواجه تحديات صعبة، سياسية، وثقافية، واقتصادية، وليس بوسعنا أن ندفع هذه التحديات، ونواجهها بتحديات مكافئة لها، ما لم نحقق الحدّ الأدنى من اللقاء والتفاهم والحوار الذي لا بدّ منه في الأمة الواحدة فيما بيننا.

وبعد، فهذه المجموعة من المقالات والخطب تُعَدّ واحدة من الهتافات الكثيرة التي ترتفع هنا وهناك في شرق العالم وغربه، من جانب العلماء العاملين الصالحين الواعين من هذه الأمة، الذين يُدْركون عمق الأخطار السياسية والثقافية والاقتصادية التي تهدّد هذه الأمة، ويجدون في اللقاء والتفاهم والحوار بين أطراف الأمة الإسلامية العلاج والدفاع من هذه الأخطار، وأسباب القوة في هذا المعترك الحضاري، السياسي، الثقافي، القائم اليوم بين المسلمين وخصومهم في الشرق والغرب.

نسأل الله تعالى أن يحقق أهداف هذه النداءات وغاياتها، بالتفاهم، والتقارب، والتواصل، والتعاون، والتآلف في هذه الأمة التي جعلها الله أمة وسطاً، لتكون شاهدة وقيمة على سائر الناس، ولتكون خير أمة أخرجت للناس.

محمد مهدي الآصفي

النجف الأشرف/ ٧ شوال ١٤٢٩هـ

أول الحديث

يبدو أن عدداً غير قليل من العلماء والدعاة يجدون أنفسهم مضطرين لمسايرة بعض الأفكار والآراء والممارسات السائدة في الساحة الدينية، رغم عدم قناعتهم بصحتها لأنها لا تنطلق من دليل معتبر، أو لمنافاتها مع الموازين الشرعية ومصالح الأمة.

لكنهم يمتنعون عن إبداء رأيهم نحوها، بل قد يظهرون الموافقة عليها والتأييد لها، خلافاً لقناعاتهم، وما يؤمنون به في قرارة أنفسهم. ويبوحون بذلك للمقرّبين منهم، وفي المجالس الخاصة والمغلقة.

ولهذه الظاهرة أسباب ومبررات لعلّ من أبرزها ما يلي:

١. مراعاة الجانب السياسي فيما يرتبط بالآراء التي تعارض توجهات السلطة الحاكمة، فيخشى العالم والمبلِّغ طرح الرأي المخالف لتوجهات السلطة، أو الإنكار على الرأي المتبنى من قبلها، تجنباً للصدام معها، وما قد ينتجه من أخطار وأضرار.

٢. الحذر من القوى التقليدية التي ترفض أيَّ مراجعة للأفكار العقدية والآراء الفقهية السائدة، وتواجه أيَّ تطوير وتغيير في التقاليد والممارسات الدينية القائمة.

وإذا ما تجرأ عالم على المخالفة والنقد، فإنهم يشهرون أمامه سلاح الفتوى التي تشكك في دينه وتحكم عليه بالابتداع والضلال، لاغتيال شخصيته، وتحجيم دوره، ومحاصرة تأثيره.

٣. الخشية من رد فعل الجمهور، الذي يتمسك في الغالب بموروثاته، وما نشأ عليه من أفكار، وأَلِف من عادات وتقاليد.

وحين يتحدث عالم بما يخالف تلك الأفكار والعائدات السائدة فإنه يغامر بموقعيته في وسط ذلك الجمهور.

خاصة إذا كان الجمهور يعيش تحدّياً من قبل الآخر الديني، فإنه يتشبث بكل خصوصياته بسبب القلق على هويته، وينظر إلى أيّ محاولة تغيير وتطوير وكأنها خطوة على طريق التنازل للآخر والذوبان فيه.

لمثل هذه العوامل والأسباب يلوذ هؤلاء العلماء والدعاة بالصمت، إيثاراً للسلامة، وتجنباً للمشاكل، وحفاظاً على الموقعية الاجتماعية.

وقد يبرّر البعض منهم بأن المضاعفات التي قد تنتجها محاولة التصحيح أضر من سلبيات الواقع القائم، فهي قد تؤدي إلى الاختلاف وتمزيق وحدة المجتمع، وقد تفتح الباب أمام المناوئين للنيل من الثوابت والأصول.

ثم إن عالم الدين إذا فقد ثقة الجمهور فسينتهي دوره وينعدم تأثيره.

كما أنهم قد يشككون في إمكانية الإصلاح والتغيير، وفي القدرة على إنجاز اختراق إصلاحي لواقع الساحة، ويستشهدون بمعاناة بعض العلماء المصلحين وكيف دفعوا الثمن الباهظ من سمعتهم ومكانتهم، وبفشل بعض المحاولات الإصلاحية في المجال الفكري والاجتماعي.

ومع وجاهة بعض هذه المبررات، إلا أن هناك أبعاداً يجب أخذها بعين الاعتبار، عند معالجة هذا الموقف.

أولاً: المسؤولية الشرعية التي تحمّل العلماء والدعاة وظيفة تبيين الأحكام والمفاهيم الصحيحة للدين، حيث تحذّر عدة آيات من القرآن الكريم، وعدد كبير من الأحاديث والنصوص الشريفة، من كتمان العلم، وسكوت العلماء عن مظاهر الانحراف والفساد، وأن عليهم أن ينهضوا بواجب التبليغ والإرشاد والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك الدور خشية من الناس، أو حفاظاً على المصالح

المادية والمكاسب الاجتماعية.

ويبدو أن ما يعترض هذا الدور من مصاعب وعوائق قد تقعد بالعالم عن القيام به، هو ما أوجب شدة التحذير الإلهي، وعنف الوعيد والتهديد للمتقاعسين عنه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٧٤].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٩]

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيّما رجل أتاه الله علماً فكتمه، لقي الله يوم القيامة ملجماً بلجام من نار».

وعنه ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

إن إحجام العلماء عن تبيين المفاهيم الصحيحة، وسكوتهم على الأخطاء السائدة في الأفكار والممارسات لدى الجمهور، يكرّس الواقع السيئ الذي تعيشه الأمة، ويغري الناس بالجهل والانحراف، ويعطي عن الإسلام نظرة سلبية أمام الرأي العام الداخلي والخارجي. وهذا ما أنتج تشويه سمعة الإسلام في العالم، وحدوث ردّات فعل تجاه الدين لدى بعض الأوساط من أبناء الأمة.

ثانياً: إدراك طبيعة التدافع الاجتماعي السارية في مختلف جوانب حياة الناس ينبغي أن تحفّز المصلحين على الثبات والاستقامة، ففي كل جانب هناك صراع قوى وإرادات، لكن من يتهيّب المواجهة، أو يسارع إلى الفرار والانسحاب، فإنه سيعطي الطرف الآخر فرصة الغلبة والتقدم بسهولة ويسر.

إن القوى المهيمنة على ساحة الجمهور، تستفيد كثيراً من تهيّب قوى الإصلاح

والتجديد، ومن سرعة انسحاب بعض جهاتها.

وإنه يمكن القول بثقة: إن حملة الأفكار الإصلاحية، ليسوا قلة في أوساط العلماء والدعاة، لكن حالة التكتم وعدم الجهر بالرأي، لا يمكّنهم من اكتشاف بعضهم بعضاً، فيشعر كل مؤمن بالتغيير والإصلاح وكأنه وحيد تستفرد به الجهات الأخرى.

كما أن الرعب من القوى المهيمنة يمنع معظم الإصلاحيين من التضامن مع بعضهم بعضاً، فإذا اتجهت سهام التجريح والطعن صوب أحدهم، فإن الآخرين ممن يحملون الأفكار والتوجهات ذاتها، يلوذون بالصمت، وينأون بأنفسهم، ويظهرون عدم علاقتهم بالمصلح المستهدف، حتى لا يصيبهم شيء من سهام المعركة، أو شرر نارها.

إن الحراك الفكري واختلاف الرأي حالة صحية، وليست خطأً أو ذنبا يُتورع عنه، ويُتسامى عليه، كما قد يتصور البعض، والآثار السلبية التي قد تنشأ من معارك الصراع الفكري واختلاف الرأي، هي إفراز لسلوك خطأ في التعامل مع الرأي الآخر، ناتج من روح الوصاية والاستبداد.

وعلى المشتغلين بالعلم والفكر، أن يعملوا لتعزيز حرية البحث العلمي، والتعبير عن الرأي، ولن يتحقق ذلك إلا بممارسة هذا الحق والدفاع عنه.

ثالثاً: هناك تطور واضح في مستوى الثقافة والوعي عند أبناء الأمة، فقد اتسعت رقعة التعليم، وانتشرت وسائل المعرفة، وتفتحت عقول الناس، وأصبحوا يواجهون تحديات الانفتاح على العالم، وأصبحت بعض الأفكار والممارسات السائدة تشكل عبئاً وعائقاً أمام مسيرة تفاعلهم مع تطورات الحياة، مما صيّر التجديد والإصلاح مطلباً يدرك أهميته قطاع واسع من أبناء الأمة.

وهذا ما يجب أن يدركه الإصلاحيون، وأن يراهنوا على تقدم مستوى الوعي في المجتمع وتنامي الشعور بالحاجة إلى التغيير والتطوير في الساحة الدينية.

لكن أيّ تطوير وتغيير ينال بعض ما ألفه الناس وتوارثوه من أفكار وممارسات،

يحتاج إلى قدر من الاستعداد وللتضحية وبذل الثمن، وإلى مستوى من الثبات والصمود، مع التزام الحكمة وترشيد أساليب المعالجة والطرح.

بقي أن نشير إلى أن ما نتحدث عنه من تطوير وإصلاح إنما يتجه صوب المتغيرات، وموارد البحث والنقاش في المعارف الدينية، وصوب التقاليد والممارسات، وكذلك ما يتعلق بالوسائل والأساليب، أما الثوابت الدينية، وما عليه إجماع الأمة، أو إجماع الطائفة، فتلك خطوط حمراء لا يسمح الالتزام الديني بتجاوزها.

وإني إذ أصنّف نفسي ضمن دعاة الإصلاح والتجديد، ليسعدني أن أقدم شيئاً من تجربتي لإخواني الخطباء والدعاة، عبر أجزاء هذا الكتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) حيث يضم كل جزء منه معظم خطاباتي ومشاركاتي الثقافية والاجتماعية لسنة إعداده.

أرجو أن يجدوا فيه ما يكون مفيداً لهم، وأن يفيدوني بملاحظاتهم وآرائهم.

وإني لأشكر الله سبحانه وتعالى على ما أولاني من نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وفي طليعتها توجهي وتفرغي لخدمة الدين والمجتمع، لقد واجهتني صعوبات كثيرة، ونالني أذى بالغ، وخاصة ممن لا يرضيهم طرح ما يخالف آراءهم وتوجهاتهم، أو ممن يزعجهم تقدم وبروز غيرهم، لكن الله تعالى شملني بلطفه وفضله وتوفيقه، فتجاوزت الكثير من العقبات بثقة واطمئنان، وتحمّلت الكثير من الأذى بصبر وثبات، ووجدت في أبناء المجتمع مستوى كبيراً من التفاعل والتجاوب، مع ما أطرح من آراء وبرامج ومشاريع، رغم كل الضغوطات والإشكالات.

وكأيّ جهد بشري لا يمكن تبرئته من النقص والخطأ والضعف، فالكمال لله وحده، والعصمة لمن اختصهم الله بها. أسأل الله العفو والمغفرة، والثبات والاستقامة، ودوام النعمة والتوفيق.

ولا يفوتني التوجه بالشكر للإخوة الأعزاء في مكتبي لما بذلوه من جهد في إعداد

وإخراج هذا الكتاب: الأخ عبد الباري الدخيل، والأستاذ حسين الشيخ، والأستاذ علي الأصيل، والأستاذ محمد حريز، والأخ ميثم الفردان، والأخ مبارك الطيب، جزاهم الله جميعاً خيراً، ووفقني وإياهم للمزيد من العطاء والبذل في خدمة المعرفة والأمة.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

٢٦ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

٢٤ نوفمبر ٢٠٠٨م

احترام مقدّسات الديانات

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ صفر ١٤٢٧هـ

أدان سماحة الشيخ حسن الصفار الاعتداء الغاشم على مقام الإمامين العسكريين في سامراء، وردود الفعل الغاضبة بالتعرض لبعض المساجد، مؤكداً أن هذه الأعمال هدفها زرع الفتنة وإيقاف العملية السياسية في العراق. مشيراً أن نشاطات هذه الحركة تخدم إسرائيل واليمين المتطرف في أمريكا اللذَينِ استفادا منها في التسريع في احتلال الدول الإسلامية وبسط نفوذهما في المنطقة. ودعا سماحته في الكلمة التي ألقاها ظهر الجمعة ٣ صفر ١٤٢٧هـ إلى احترام مقدسات الأديان لارتباطها بحق الإنسان في توجّهه الروحي والديني، وللدور الأخلاقي للحالة الدينية في حياة الإنسان.

وهذا نص الكلمة:

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾[سورة الحج: الآية ٤٠].

الحالة الدينية في كل المجتمعات البشرية تقتضي وجود مراكز ورموز تتمحور حولها هذه الحالة الدينية.

صحيح أن الدين في الأصل اعتقاد قلبي وارتباط عبادي مع الله القوّة الخالقة والمهيمنة على الكون، ولكن هذا الاعتقاد لا بدّ له من مظهر ورمز خارجي يتمحور حوله الناس. فمن الملاحظ في كل التاريخ البشري أن الحالة الدينية لها بعد اجتماعي، فالإنسان

مع أنه يستطيع أن يتعبّد بمفرده في بيته، إلاَّ الحالة الدينية لا تكون ضمن الوضع الفردي غالبًا، ففي كل المجتمعات هناك مركز أو محور يجتمع حوله المتدينون بذلك الدين، فيكون مظهرًا لتدينهم ومحورًا لارتباطهم بهذا الدين، وأيضًا يشجعون بعضهم بعضاً ويتواصون فيه على الثبات على دينهم الذي يسيرون عليه.

ولهذا أثبتت الحفريات وعلم الآثار أنه في كل المجتمعات هناك معابد، أي أماكن يجتمع فيها الناس للعبادة على اختلاف الديانات التي يتدين بها هؤلاء الناس.

قال (بلوتارك) المؤرخ الإغريقي الشهير منذ نحو من ألفي سنة: (وقد نجد مدناً بلا أسوار، أو بدون ملوك، أو حضارة أو مسرح ولكن لم يرَ إنسان مدينة بدون أماكن للعبادة والعبّاد) .

وجود المراكز الدينية أمر مهم، وأمر يؤكد الالتزام الديني في كل مجتمع من المجتمعات، كما أن هذه الأماكن الدينية بسبب قداسة الدين في نفوس الناس تصبح لها قداسة، وتصبح لها مكانة واحترام، بحيث يكون الاعتداء عليها اعتداءً على أهم ما يقدِّسه الإنسان ويحترمه، ولذلك تهتم كل المجتمعات باحترام مقدساتها الدينية وأماكن عبادتها، وتجتهد وتتفانى في الدفاع عنها، لأن الإساءة إلى المقدسات الدينية في أيِّ مجتمع من المجتمعات هو أسوأ وأخطر من الاعتداء على المصالح المادية لذلك المجتمع، باعتبار أن الأماكن الدينية ترتبط بأعماق ومشاعر الإنسان، والاعتداء عليها يعني الاعتداء على ما في عمق الإنسان من مشاعر وأحاسيس، ولهذا تحدثت الآية الكريمة ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾ عن ضرورة وجود التوازن في الحياة الاجتماعية الذي يردع كل فئة أن تعتدي على الفئات الأخرى، هذا التوازن قوامه غريزة الإنسان في الدفاع عن ذاته والقوة التي منحها الله للإنسان.

ولو تركت المسألة من دون ردع ومن دون وجود حماية اجتماعية، فإن هناك من

الأشرار والظلمة وحالات الاختلاف بين المجتمعات البشرية، ما يدفع كل طرف للاعتداء على الطرف الآخر والنيل من مقدساته.

شرح مفردات الآية:

الصوامع: جمع صومعة، وهي المكان الصغير الذي يُنْشَأ في الأصل للراهب المتفرغ للعبادة. وغالبًا ما يبنى بطريقة خاصة يكون أعلاه محددًا كالمئذنة. وهو مكان العبادة الفردية للمسيحيين وغيرهم.

البِيَع: جمع بِيعَة، وهي الكنيسة، التي يجتمع فيها المسيحيون لأداء طقوسهم وعباداتهم.

صلوات: أماكن العبادة لليهود.

المساجد: مساجد المسلمين.

يُذْكر فيها اسم الله كثيرًا: اختلف المفسرون في المراد من الضمير في كلمة (فيها)، فبعضهم أرجعه للمساجد، باعتبار قرب الكلمة من الضمير، ولأن المسلمين أكثر من غيرهم ارتيادًا للمسجد، فالمسيحيون مثلاً يرتادون الكنيسة كل يوم أحد فقط، بينما المسلمون يرتادون المسجد كل يوم خمس مرات. والبعض الآخر من المفسرين رجّح أن يكون الضمير عائدًا على كل أماكن العبادة، باعتبار أن هذه الأماكن يذكر فيها اسم الله كثيرًا بالمقارنة مع الأماكن الأخرى.

نقل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام في طريقه إلى صفين، لما وصل إلى المدائن طلب ماءً ليغتسل به، فدخل إلى مكان مهجور فإذا صور في الحائط، قال: كأن هذه كانت كنيسة؟ قالوا: نعم! كان يشرك فيها الله كثيراً. فقال عليه السلام: وكان يذكر الله فيها كثيراً. وأبى أن يغتسل فحولوا له إلى موضع آخر فاغتسل[1].

(١) البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب/ تاريخ بغداد، ج٩ ص ٢١٣، دار الكتب العلمية – بيروت.

الإسلام يحترم أماكن العبادة:

هذه الآية الكريمة تدلّ على أن الإسلام يحترم أماكن العبادة لجميع الأديان، والثابت عندنا في الفقه الإسلامي أن الإسلام يحترم معابد أهل الذمة أتباع الديانات الأخرى، فلا تُمَسّ ولا يُتَعَرَّض لها بإساءة، رغم ما نعتقد به من أن هذه الديانات شابها التحريف، وأن الدين الحقيقي إنما هو الإسلام، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٤]، ويقول في آية أخرى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨] . ولكن هذا لا يعني أن نعتدي على حقوق الآخرين ونسيء إلى معابدهم وأماكن عبادتهم.

وذلك لأسباب، أذكر منها اثنين:

الأول: أن المعابد ترتبط بحق الإنسان في توجهه الروحي والديني، وما دام الله قد أعطى الحرية للإنسان في اختيار معتقده ودينه الذي يطمئن إليه ويريد اعتناقه كما تبين ذلك الآية الكريمة التي تقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: الآية٢٥٦] فمن مستلزمات ذلك حريته في التعبّد وأن لا تتعرّض أماكن تعبّده للخطر والاعتداء، فمن غير المنطقي أن يُعطى الإنسان الحرية في المعتقد ويُمنع بعد ذلك من ممارسة طقوسه وعباداته.

فاحترام أماكن العبادة لهذه الديانات إنما هو ناتج عن احترام إرادة الإنسان وحريته في قراره الديني.

الثاني: الحالة الدينية لها دور أخلاقي في حياة الإنسان، بغض النظر عن أحقية ذلك الدين، وخاصة الأديان السماوية، فالأديان السابقة كاليهودية والنصرانية شابها التحريف، ولكن أن يكون الإنسان مرتبطًا بدين ولديه معبد يتعبّد فيه فهذا أمر يساعد على تشذيب غرائز الإنسان وسلوكه، إذ إن من المفترض أن المتديّن المسيحي ـ مثلاً ـ أفضل من غير المتديّن من الناحية الأخلاقية والسلوكية، لأن حالة التديّن يفترض أن تنبهه إلى أن هناك قوة تسيطر على الكون، وأن هناك جزاءً وعقابًا، فغالب الأديان السماوية ـ مع تحريفها ـ

إلا أنها تحتوي على تعاليم أخلاقية وسلوكية، ولهذا نجد في المجتمعات المتقدمة من يدعم النشاط الديني لمختلف الأديان، وذلك لأن التقارير والدراسات أثبتت أن النشاط الديني له دور في تقليل نسبة الجرائم والانحرافات والمفاسد في المجتمع، فالإنسان المرتبط بالحالة الدينية لا تسيطر الشهوات والرغبات والمادة على كل نفسه وتفكيره، فهناك حالة أخرى في نفسه تدفعه إلى الوقاية من المفاسد.

ولهذا، فإن الإسلام يأمر بالمحافظة والاحترام لمعابد الديانات الأخرى، كما بيّنت ذلك الآية الكريمة حيث ذكرت إلى جانب المساجد أماكن العبادة في ديانتي اليهودية والنصرانية، وأشارت إلى أنها ـ جميعاً ـ يُذكر فيها اسم الله (بناءً على القول الثاني في تفسير الآية) .

كما أن الآية سياقُها سياقُ الاحترام، بمعنى أنها تقول: لولا التوازن الاجتماعي فإن الخطر قد يصيب حتى هذه الأماكن، مما يستبطن أن هذه الأماكن لها مكانة، ولذلك اعتُبر التعرض لها بالهدم أعلى مظهر من مظاهر العدوان والظلم.

مسلسل الاعتداءات على المقدسات:

في الآونة الأخيرة واجهنا حالتين على صعيد الاعتداء على مقدساتنا: رموزنا الدينية وأماكن تعبدنا، أولاها حالة خارجية والأخرى داخلية.

أما الخارجية منهما فتمثلت فيما رأيناه من اعتداء على مقام الرسول ﷺ حصلت من قبل بعض الصحف الدنماركية ثم انتقلت إلى بلدان أخرى.

إن الإساءة لرسولنا الكريم ﷺ اعتداء على رمزنا الديني الأول، وعلى قائدنا وملهمنا وأغلى شيء عندنا في هذه الحياة.

وعندما رأى المسلمون الإساءة إلى نبيهم ﷺ كان لابدّ أن يدافعوا عنه. فالآية الكريمة تقول: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، أي لا نراهن ـ كمسلمين ـ على أن يحترم الطرف الآخر مشاعرنا أو مقدّساتنا إلا عندما يجد من يدفعه في هذا الاتجاه،

وهذا الدفع ليس بالضرورة أن ينحصر في السلاح والقوّة العسكرية، وإنما وجود ضغوط متبادلة ورادعة تمثل عملية التدافع.

وقد كان ردّ المسلمين على هذه الحادثة ردًّا بالغًا وواضحًا، فإن المسلمين في مختلف البلدان أعلنوا عن غضبهم وسخطهم على كافّة المستويات: الإعلامية والجماهيرية والاقتصادية، فحصلت المظاهرات والبيانات والمقاطعة الاقتصادية التي عبّرت بشكل واضح عن هذا الغضب.

وما حصل من بعض التجاوزات من حرق السفارات وردّات الفعل الانفعالية غير المنضبطة أخطاء يجب أن تدان، لأن الانفعال في هذا الموقف يفقدنا التأييد العام ويشوّه سمعتنا كأصحاب دين وكأمة.

وبشكل عام، فإن الأمة أبرزت دفاعها عن أهم مقدساتها، وهو الرسول ﷺ وأعادت هذه الحالة للمسلمين هويتهم وتمسكهم بمبادئهم الإسلامية، لقد كانت هذه القضية وسيلة لبعث الحمية الدينية في نفوس المسلمين.

أما الحادثة الثانية فقد أتت في غمرة هذه الحالة، فحصل ما هو أفظع، حيث قامت فئة مجرمة بالاعتداء على مقام الإمامين العسكريين في سامراء، هذا المقام المبارك والمقدس بوجود هذين الإمامين العظيمين فيه وما حول قبريهما من قبور الأولياء والصالحين، والقبة الشامخة التي تعلوه والتي مضى على وجودها مئات السنين، إنه مقام ما فتئ يرتاده المتعبّدون والضارعون إلى الله عزّ وجلّ، فهو مكان من أماكن العبادة التي يذكر فيها اسم الله كثيراً.

ولكن فئة مجرمة، تخدم مصالح الأعداء، قامت بعدوانها الظالم والجبان ففجرت هذه القبّة المقدسة، الأمر الذي فجّر ـ بالتالي ـ مشاعر المؤمنين في كل مكان، ويجب أن يفجّر مشاعر المسلمين جميعًا.

وقد حصلت بعض ردود الفعل الانفعالية كما في القضية الأولى، فقام بعض

المنفعلين في العراق بالاعتداء على بعض المساجد وحصلت بعض الأضرار، وهذا أمر مُدان نهى عنه المراجع، فالمرجع السيد السيستاني أصدر بيانه من اليوم الأول وحرّم فيه الاعتداء على المساجد أو المؤسسات الدينية لأبناء المذاهب الإسلامية.

وهذه هي قيم الشرع ومبادئه، لأن الشرع يأمر باحترام هذه الأماكن المقدسة، ولأن المسجد ليست له هوية مذهبية، وفي فقهنا الإسلامي أن المساجد تتساوى في الأحكام الشرعية، فلا يجوز دخول المسجد للمجنب بغض النظر عن الهوية المذهبية للمصلين في المسجد، وكذلك الأمر بالنسبة لفضل الصلاة فيه، وعلى المسلم أن يستشعر في نفسه قداسة المسجد بغض النظر عن مذهب أصحابه.

فقد سمع الإمام جعفر الصادق عليه السلام أحد أصحابه، يقول: إني لأكره الصلاة في مساجدهم (مساجد المخالفين)، فردّ عليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (لا تكره، فما من مسجد بني إلاّ على قبر نبي أو وصي نبي قتل فأصاب تلك البقعة رشة من دمه، فأحب الله أن يذكر فيها، فأدِّ فيها الفريضة والنوافل) [1].

إن ما حدث في سامرّاء كان المراد منه خلق فتنة طائفية بين السنة والشيعة في العراق، حيث تخطِّط هذه الجماعة لأن تهجم على مساجد الشيعة، وفي مقابل ذلك تهجم جماعة أخرى من الشيعة على مساجد السنة، وتستمر دوّامة العنف وحرب المقدسات والعدوان المتبادل وتنفجر حالة الفتنة الطائفية في العراق وتنعكس على العالم الإسلامي كله.

فهذا ما يريده الأعداء، ويساعدهم في تنفيذه أولئك المجرمون الحمقى الذين وجهوا للإسلام أسوأ الأضرار بنشاطهم الإرهابي في أنحاء العالم، فهم لا يستثنون بلدًا ولا يستثنون أحدًا، فهؤلاء الجماعة الذين يفجّرون ويقومون بعملياتهم في كل مكان، فيصلون إلى أمريكا وإسبانيا وبريطانيا والمملكة العربية السعودية والأردن ومصر إلاّ

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة، ج٥ ص٢٢٥ حديث ٦٣٩٦/ الطبعة الأولى ١٩٩٣م/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث-بيروت.

إسرائيل فإنها في مأمن منهم، ألا يستطيعون أن يصلوها فعلاً أم أن هناك أمرًا آخر؟!

إنه سؤال يجب أن يطرح ويناقش ويحلّل. إن نشاطات هذه الحركة تخدم إسرائيل واليمين المتطرف في أمريكا، اللذَينِ استفادا منها في التسريع في احتلال الدول الإسلامية وبسط نفوذهما في المنطقة.

إن هذه الأعمال الأخيرة في سامرّاء هدفها زرع الفتنة وإيقاف العملية السياسية في العراق، ومنع قيام حكم تعددي جماهيري فيه.

والفتنة إذا ظهرت في العراق فإنها ستنتشر في كل المنطقة، وللأسف فإن النفوس مهيأة لتقبل هذه الفتنة والاستجابة لها، فغالب المناطق الإسلامية لا تخلو من تمييز طائفي، ومن تعبئة وتعبئة مضادّة، ومن مشاكل قائمة بين الأطياف وأتباع المذاهب المختلفة، وهذا هو الذي يخلق أرضية للفتنة ومناخًا لها، وهنا نكون جميعًا أمام امتحان صعب، علينا أن نعود فيه إلى العقل والقيم الدينية والتعاليم الإسلامية لا إلى حالات الغضب والانفعال، فمهما تألمنا لما أصاب مقدساتنا ومقامات أئمتنا ﷺ فلن نكون أكثر تألماً من مراجعنا الكرام الذين أمروا بضبط النفس وحسن التصرف قي مثل هذه المواقف.

إذ إنه لا يصح لأحد أن يسترسل مع العواطف والانفعالات غير المحسوبة، في العراق وخارجه. وما يهمنا الآن بالذات هو ما يحدث خارج العراق من ردّات فعل. فنحن كمواطنين في بلدنا يجب علينا أن نعرب عن سخطنا وألمنا لما حصل، ولكن لا يصح أبدًا أن يتحوّل هذا الغضب والتألّم لمشكلة بيننا وبين من نعيش معهم من إخواننا المواطنين.

لأن السنة لا يتحمّلون هذه الجريمة، فمن قام بها مجرمون متطرّفون يرفضهم جميع العقلاء والواعين، ولا يصحّ أن ننقل هذه الصراعات إلى مناطقنا.

وقد وجدنا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي إدانة وشجبًا واستنكارًا لما حصل، ذلك لأن الأئمة من أهل البيت ﷺ موضع احترام من جميع المسلمين، ثمّ إن الجميع يدرك

فداحة وخطورة الاعتداء على هذه الأماكن، وقد بادر الواعون والمسؤولون في هذا البلد بإدانته والإعلان عن مشاركتهم لنا الألم والشعور بالأسى، ولهذا علينا أن نكون حكماء ومتعقلين فيما نقوم به إزاء هذا الحادث الأليم.

وقد أبدى أبناء مجتمعنا ـ والحمد لله ـ حسن تصرّف عقب الحادث المؤلم رغم فداحته وشدة وقعه على النفوس.

نسأل الله تعالى أن ينقذ الأمة من الفتن وأن يردّ كيد الأعداء إلى نحورهم، وأن يوفق لنهج الوعي والوحدة والوئام.

الفتنة الطائفية .. رؤية وموقف

كلمة الجمعة بتاريخ ١٠ صفر ١٤٢٧هـ

حذّر سماحة الشيخ حسن الصفار في كلمة الجمعة التي ألقاها ظهر الجمعة ١٠صفر١٤٢٧هـ من نُذُر الحرب الطائفية التي يخطّط الأعداء لإيقادها في العراق لينتشر حريقها ويطال كل المنطقة، وأشار قبل ذلك إلى أن المجتمع قد يكون مهيأً لتقبّل هذه الفتنة إذا مارس أفراده الاعتداء على بعضهم البعض بسبب الانتماء الديني والمذهبي والفكري ومورس هذا الاعتداء وشُرّع باسم الدين. ودعا سماحته في هذه الكلمة إلى تكريس مفهوم الوحدة بين أبناء الأمة للوقوف سويًّا في وجه ما يُرسم لها من مخططات.

وهذا نص الكلمة:

قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٨].

تنشأ في المجتمعات بعض الظواهر والممارسات التي ينكرها العقل إن درسها وبحثها بموضوعية، فالمجتمعات السوية عادةً ما تتوقف أمام الظواهر والممارسات التي تحصل في أوساطها، فتخضعها للبحث والدراسة، وذلك من خلال مراكز البحوث والدراسات والاستبانات التي تنتشر فيها، والتي ترصد أيّ ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، وأي عادة من العادات، حيث يدرسون تأثيرها وظروف نشأتها، ثم يعطون الرأي حولها، فإذا

كانت هذه الممارسة صالحة يتداعون لتشجيعها ونشرها، أما إذا كانت سيئة وضارّة فإنهم يفكرون في طرق تجاوز المجتمع لها.

وهذا ما نراه في مختلف المجتمعات المتحضرة من وجود مراكز للأبحاث والدراسات الميدانية لمختلف الظواهر، لكن بعض المجتمعات تستعصي العادات والتقاليد الاجتماعية فيها على البحث والدرس، فما دامت العادة فيها قائمة وموجودة فإن الناس يبقون مسترسلين معها، ويرفضون حتى مجرّد بحثها ودراستها، ويعتبرون أيّ تساؤل أو إثارة حولها كأنه نوع من الخدش في هويتهم أو التغيير في منهجهم، وغالبًا ما تكون هناك مقاومة لأي تغيير، وهذه سمة المجتمعات المتخلفة.

ويتعجّب الإنسان من التقارير التي تصدر في تلك المجتمعات وكيف أنهم يرصدون بالأرقام والتحقيق كل الجوانب التفصيلية في حياتهم. فيشيرون في بعض تقاريرهم إلى مستوى استهلاكهم للآيسكريم ـ مثلاً ـ وعلاقة انخفاض أو ارتفاع هذا المستوى بالأمور الأخرى المرتبطة به.

وهذه الدراسات والأرقام تستثير ذوي الرأي لاتخاذ الموقف تجاه أيّ حالة من حالات المجتمع. ولكن في المجتمعات غير المتقدّمة فإنه في الغالب لا يكون هناك اهتمام بدراسة الظواهر ولا بدراسة الحالات، وإنما يترك التقويم لأيّ حالة من الحالات للاجتهاد الفردي والمزاجي.

فحينما تريد أن تسأل عن جانب من جوانب هذه المجتمعات لا تجد هناك جهة مهتمة برصد ذلك الجانب، سواءً الاقتصادي أو التعليمي أو الثقافي، فمختلف الجوانب لا يكون هناك رصد لها في الغالب ولا يكون هناك استعداد لمناقشتها أو معالجتها.

تبرير الممارسات السيئة:

يتحدث القرآن الكريم عن بعض المجتمعات التي ترفض محاكمة ممارساتها على

ضوء المنطق والعقل، وتلجأ إلى بعض التبريرات الخاطئة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. الفاحشة من الفحش، وهو الأمر القبيح المذموم الشديد في مذموميته وقبحه. ويشمل كل ما هو مذموم عقلاً وشرعًا، ولكن اصطلح إطلاقه على الجرائم الجنسية. ولكنه في الأصل اللغوي وفي الاستخدام القرآني لا ينحصر في هذا الأمر، وإنما يشمل كل التجاوزات المذمومة والقبيحة، وذلك واضحٌ في آيات القرآن الحكيم: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: الآية٩٠]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [سورة الأعراف: الآية٣٣] .

إذًا، كل ما هو مذموم وقبيح هو في نطاق الفاحشة حسب التعبير القرآني.

ولذا، فيكون معنى الآية أنهم إذا فعلوا شيئًا يذمّه العقل بحيث لو ناقشناه من الناحية العقلية لما وجدناه وجيهًا، وكذلك لو ناقشناه من الناحية الشرعية لما وجدناه ثابتًا، ولكنهم يعلِّلون أفعالهم بأحد أمرين تذكرهما الآية:

الأول: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا﴾: أي أمر ورثناه مما سار عليه السابقون، ولا مجال للتغيير والتجديد فيه.

ولو بسطنا الحديث في هذه النقطة لوجدنا أن مختلف العادات والتقاليد لو ناقشناها مع الناس من الناحية العقلية لكان الجواب أنهم يمارسونها من باب التوارث، حيث يعتبر السير على نهج الماضين هو المبرِّر والملزم للإنسان على الاستمرار في هذه الحالة.

الثاني: ﴿وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، وهذا التعليل أسوأ من الأول، ففي كثير من الأحيان تبرِّر بعض الأعمال بالتبرير الديني، بحيث يقال بأن الدين هو الذي أمر بها، إن منطلق هذا النوع من التبريرات في غالبه يكون منطلقًا مصلحيًّا، حيث تكون هناك جهات سياسية معينة تريد أن تستفيد من هذه الحالة فتعطيها صبغة دينية، وقد تكون هناك جهات دينية

مصلحية تحاول تعزيز موقفها ومصالحها فتكرّس بعض الممارسات أو تسكت وتتغاضى عن بعضها الآخر، وتكون مثل هذه التبريرات وسيلتها في تمرير مثل هذه الأمور. وفي بعض الأحيان تكون هناك شبهة بحيث يعتقد البعض أن الدين هو مَنْ شرّع هذا الواقع.

والآية الكريمة تردّ على مثل هذه الادعاءات فتقول: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، أي كيف تنسبون شيئًا مذمومًا إلى الله؟!، إن هذا محض ادّعاء نابع من الجهل.

الاعتداء باسم الدين:

في كثير من الأحيان عندما تناقش بعض الأمور مع بعضهم، ولا يملك هذا البعض أي دليل فإنه لا يجد بدًّا من أن يقول لك بأن هذا أمر ديني، ليوصد باب النقاش العقلي ويفرّ من المواجهة؛ لأنه لا يملك منطقًا عقليًّا يسند رأيه. وهذا تبرير خطير يبيّن أن الدين خارج منطق العقل وخارج منطق الفطرة.

ونرى مثل هذه الحالة في أمور كثيرة، ولعلّ أسوأها موضوع الظلم والعدوان، فحينما يكون هناك اعتداء باسم الدين، فهذا من أسوأ أنواع تحميل الدين مما ليس فيه.

فعندما نختلف مع الآخرين في الدين أو المذهب أو الرأي فهذا لا يبرِّر الاعتداء عليهم أو مصادرة بعض حقوقهم.

ومن المؤسف أن نجد بعضهم يعطي الصبغة الشرعية على ما يقوم به من تجريح وتسقيط للآخرين ويعتبره تكليفه الشرعي.

لقد اعترضت مرة على أحد الأشخاص وهو ينال من إحدى الشخصيات المرموقة ويوجه لها اتهامات باطلة، فقال مبرِّراً ذلك بأنه يعمل بواجبه وتكليفه الشرعي، فقلت في الردّ على فكرته: في بعض الأحيان لا يُمكن لنا رؤية الحقيقة واضحة إلا عندما نضع مكبراً عليها، تماماً كالصورة الصغيرة التي لا يُمكن رؤية أبعادها إلا بعد تكبيرها. وضربت له

مثالاً على ذلك فقلت: لو أن شخصاً تبنى رأياً مّا، وخالفه آخر، فهل يحق له أن يمدّ يده عليه لإيذائه؟ فردّ بأن هذا اعتداء، ولا يجوز الاعتداء على الآخرين، فذكّرته بأن تسقيط الآخرين هو نوع من الاعتداء المعنوي، ولا يوجد عندنا في الشرع ما يجيز الاعتداء على الآخرين سواءً المادي منه أو المعنوي.

فإنه كما يحرم الاعتداء بالضرب على الآخرين يحرم الاعتداء على كرامتهم وسمعتهم كذلك.

الأسلوب الصحيح في مسألة الاختلاف في الرأي أن يدافع الإنسان عن رأيه ويبيّن الخلل في وجهات النظر الأخرى، أما أن يتجاوز ذلك بالاعتداء على كل مَنْ لا يوافقه في الرأي فهو أحد مصاديق الآية: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، إذ إن الله لا يأمر أحدًا بالاعتداء على الآخرين من دون مبرر، إن الاعتداء مشرّع في الإسلام في حالة واحدة، يقول تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة: الآية ١٩٤].

الأعداء يوجهون المسلمين إلى حرب طائفية

في هذه الظروف تواجه أمتنا الإسلامية نُذُرَ الاحتراب الطائفي، حيث يريد الأعداء أن يصنعوا من ساحة العراق ساحةً لحرب أهلية طائفية، وهذه الحرب إذا نشبت لاسمح الله فإنها ستطال كل البقاع وكل البلدان الإسلامية، فالأعداء يرون الآن كيف أن الإسلام يشق طريقه، وكيف أن المجتمعات الإسلامية تلتفّ حول دينها، ففي الانتخابات الفلسطينية وقبلها في الانتخابات المصرية، وفي كل مرة تحصل فرصة ليعلن الناس ولاءهم وانتماءهم، فإنهم يعلنون ذلك للجهات التي يرونها ممثلة لتوجههم الديني.

وفي الآونة الأخيرة حينما حصلت الإساءة إلى شخص رسول الله ﷺ هبّ

المسلمون في كل مكان ينتصرون لنبيهم.

إن الأعداء يريدون أن يدخلوا إلى الأمة الإسلامية من خلال هذه الفتنة، فإنهم من خلال الدين يريدون تفريق الأمة الإسلامية ويُنشِئون حالة من الاحتراب المذهبي الطائفي، حيث يحصل اعتداء على مراقد مقدسة في العراق، تعقبه اعتداءات مشبوهة على مساجد وجهات دينية، وهكذا تستمر هذه الدوامة، وكأنها معركة مقدسات، ومعركة دينية بين أتباع هذا المذهب وذلك المذهب. بينما هي في الواقع مسألة مصالح وتوجهات متطرّفة تسعى لتخريب أمن الأمة في كل مكان من أجل تمكين الأعداء من الأمة، والصهاينة هم المستفيد الأول والمستبشر بما يحصل وكذلك الاحتلال الأجنبي في العراق، فهذا يمكنه من البقاء أطول، ويبرِّر تواجده.

ومن هذا المنطلق نحن نحتاج ـ وخاصة في هذه المرحلة الخطيرة ـ إلى درجة عالية من الوعي، علينا أن ندرك أن لا مذهب يستفيد من هذه الفتنة ولا دين، وإذا كانت هناك فائدة فهي لأعداء الأمة، يقول الإمام علي عليه السلام: «إن الله سُبحَانَهُ لَم يُعطِ أَحداً بِفُرقَةٍ خَيراً مِمَّن مَضَى، وَلاَ مِمَّن بَقِيَ»[1]، فلا يمكن أن يكون الاحتراب سَبَبَ خيرٍ أو مكسباً حقيقيًّا لأيّ طرف من الأطراف، ولذلك على الواعين من الأمة أن يقوموا بدورهم المسؤول، ففي بعض الحالات تكون العواطف هي المسيطرة، وكأن الإنسان من أجل أن ينتصر لطائفته ومذهبه يجب أن يؤيد هذا الطرف على حساب ذلك الطرف، وفي الواقع هذا ليس انتصارًا لأيّ مذهب وأيّ طائفة، لأن الحرب الآن ليست بين مذاهب وطوائف، وإنما هي بين قوى تريد أن تهيمن على المنطقة وتؤمّن مصالحها فيها، وذلك حسبما صرّح به أكثر من مسؤول أمريكي، ومن بينهم وزيرة الخارجية الأمريكية التي كانت تبشّر بما أطلقت عليه «الفوضى الخلاّقة»، فتقول بأن المنطقة تحتاج إلى «فوضى خلاّقة» لأن هذه الفوضى هي

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة/ خطبة رقم ١٧٦/ الطبعة الأولى ١٩٦٧ / دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

التي تصنع وضعًا جديدًا في الشرق الأوسط يخدم مصالحهم.

إنهم يتحدّثون عن الديمقراطية وحقوق الإنسان كغطاء للتغيير في هذه المنطقة بما يخدم مصالحهم ويتناسب مع توجّهاتهم، فقبل أيام صدر تقريرهم السنوي حول وضع الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم، ووزعوا فيه الاتهامات على هذا البلد وذاك البلد، وتناسوا وأغفلوا الفضائح والفظائع التي شاهدها العالم على مرأى ومسمع في غوانتنامو وسجن أبي غريب وسجن البصرة، وما يحصل يوميًّا في فلسطين، إنهم يتناسون كل ذلك ويتحدثون عن حقوق الإنسان هنا وهناك.

إننا ـ كمسلمين ـ لا نرفض مبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية، ولا ننكر حاجتنا إلى ذلك، ولكننا في الوقت نفسه ندرك أنه ليست هناك مصداقية وحسن قصد بمقدار ما هناك رغبة في السيطرة على المنطقة، والحفاظ على قوّة التفوّق الصهيوني.

إنهم يغضون الطرف عن قوّة إسرائيل النووية، ويعقدون اتفاقًا استراتيجيًّا نوويًّا مع الهند، ويسكتون عن كل الأبحاث النووية للدول التي تدور في فلكهم، وإذا ما أرادت دولة مستقلة مثل إيران أن تواصل أبحاثها النووية السلمية تقوم قيامتهم في العالم. إنه الكيل بمكيالين، فأين هي المصداقية؟ كيف للشعوب أن تثق بمثل هذا الأسلوب في التعامل، ومثل هذا الحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان؟!

ولهذا، تحتاج الأمة إلى يقظة ووعي حتى لا تمرر هذه المخططات، وحتى لا نعطي الفرصة لنشوب هذه الفتن، فإنه لا دين ولا مذهب ولا عقل يسمح بالقتل على الهوية، إن الإسلام لا يقرّ استهداف الأبرياء والمدنيين والناس بسبب الانتماء المذهبي.

ولا شكّ أن من يقوم بمثل هذه الأعمال يكون قد جمّد ضميره وباع عقله للشيطان، وإلا فإن القيادات الدينية ـ بشكل لا لبس فيه ـ أكّدت عدم جواز قتل الأبرياء، وقد عبّر عن ذلك السيد السيستاني وبقية المراجع في النجف الأشرف.

وسبق أن نقلت وسائل الإعلام عن المرجع السيستاني قوله: حتى لو أبيد نصف

الشيعة في العراق فإنه يرفض الانجرار لحرب طائفية.

الموقف تجاه بوادر الفتنة الطائفية:

وهذا يمثل الموقف الديني الواعي، أما الممارسات خارج هذا السياق فهي مدانة عقلاً وشرعًا، ونحن من واجبنا في هذه المرحلة أمور:

الأمر الأول: أن ندعو الله ونضرع إليه بأن يقي إخوتنا في العراق، كل أبناء العراق بعربهم وكردهم، بشيعتهم وسنتهم، بمسلميهم وغير مسلميهم أن يقيهم شرور الفتنة، لأنها إذا وقعت ستقع على الجميع، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[سورة الأنفال: الآية ٢٥]. وأن ندعو الله أن يفرّج عنهم ويتجاوزوا هذه المحنة.

الأمر الثاني: أن نبذل جهودنا على مستوى الكلمة الطيبة، وعلى مستوى النصح لكل الأطراف، بأن يتجاوزوا هذا المأزق الذي أوقعهم فيه الظلمة.

الأمر الثالث: السعي لمحاصرة هذا الحريق، فهناك من يحاول نشره في كل مكان، بحيث تعمم هذه المحنة، ويراد تصويرها وكأنها حرب بين الشيعة في مقابل السنة أو بالعكس، وبالتالي تنتشر أجواء متشنجة ومتوتّرة في كل البلدان والمناطق.

إننا مطالبون بأن نكون واضحين في مواقفنا، فالمسألة في العراق ليست مسألة صراع بين السنة والشيعة، وإنما هي صراع مصلحي ومؤامرات مشبوهة، لذلك لا ينبغي أن يؤثر على علاقة المسلمين مع بعضهم البعض في المناطق الأخرى، وأن لا يكون ما يحدث في العراق سببًا للتشنج في بلداننا.

ففي بعض الأوقات يُستفزّ الإنسان عندما يسمع كلامًا تحليليًّا سيئًا عن الوضع في العراق، ولكن ينبغي أن نحافظ على حكمتنا وهدوئنا ولا يستفزنا مثل هذا الكلام وأن لا نستفزّ الآخرين بموقف مضاد، لأنه ليس من مصلحة أحد أن ينتشر الحريق ـ لا سمح الله ـ، وواجبنا أن نخمده لا أن نساعد على انتشاره، وهذه مسؤولية العلماء والخطباء الذين يخطبون في كل أنحاء المملكة، وخاصة المواقع المهمة كالحرمين الشريفين وفي كل

مواقع المملكة، عليهم أن يتقوا الله في الشعب العراقي وفي الأمة الإسلامية بشكل عام حتى لا تنتقل هذه التشنجات والتوترات من تلك الساحة إلى كل الساحات، فلا بدّ أن يكون الطرح عامًّا وأن يطلب النصر لكل الشعب العراقي، أما إذا انجررنا وتحيّزنا بحيث يعبئ الخطيب الشيعي للدفاع عن الشيعة في العراق، والخطيب السني يتحدث وكأنه يدافع عن السنة في العراق، هذا يعني أننا مهّدنا لأن تنتقل المعركة إلى مناطقنا، بينما الذي ينبغي فعله هو أن يتحدث الجميع للدفاع عن كل الشعب العراقي، وأن يُدان أيّ خلل واعتداء من أيّ طرف كان، حيث يجب علينا جميعًا أن ندعو الشعب العراقي للوحدة، خاصة نحن في المملكة، فالمملكة تتحمل مسؤولية كبيرة، لموقعها الإسلامي والعربي، فيتوقّع منها أن يكون دورها دور توجيه الساحة العراقية نحو الوئام والوحدة، والتفكير في مصلحة كل العراقيين بمختلف طوائفهم وانتماءاتهم.

وهذا ما نسمعه من القيادة في هذا البلد، ونأمل من الخطباء والدعاة والكتّاب وغيرهم أن يسيروا في هذا الاتجاه، في اتجاه الحديث عن الشأن العراقي باعتباره شأناً واحدًا يهمّنا جميعًا، لا أن ينتصر كل منّا للطرف الذي يعتبر نفسه أنه امتداد له، لنجد أنفسنا بعد ذلك في ساحة تشنّج وتوتّر جديد.

نسأل الله سبحانه أن يفرّج عن المسلمين ويردّ كيد أعدائهم على نحورهم وأن يقطع أيادي الفتنة والإرهاب عن بلاد المسلمين.

والحمد لله ربّ العالمين.

منطلقات الوحدة في سيرة أهل البيت عليهم السلام

كلمة الجمعة بتاريخ ١٧ صفر ١٤٢٧ هـ

حدّد سماحة الشيخ حسن الصفار في كلمة الجمعة التي ألقاها ظهر الجمعة ١٧صفر ١٤٢٧هـ في ذكرى استشهاد الإمام الرضا عليه السلام المنطلقات التي من خلالها انطلق الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، في اتجاه تحقيق الوحدة بين المسلمين، وذكر أن من أهم الأسباب التي تقف وراء تفرّق المسلمين وتشتت أمرهم هو عدم اهتمامهم بدرس الآليات والطرق لتحقيق الوحدة بينهم، وكذلك مما يطرح بين فترة وأخرى على لسان بعض العلماء من أن السبيل لتحقيق الوحدة هو فرض رأي على الجميع كطريق سليم لتحقيق هذه الوحدة... وهذا نص الكلمة:

سئل الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام : لماذا سمي أبوك بِـ (الرضا) ؟ فأجاب عليه السلام : «لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه» [1] .

الإمام الرضا عليه السلام تنفتح عليه كل الأمة

شخصية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ الذي تمر علينا اليوم ذكرى شهادته ـ شخصية عظيمة وجليلة، أجمعت الأمة على فضلها ومكانتها، وحتى في حياته نال مكانة مرموقة من التقدير والاحترام عند خاصة الأمة وجماهيرها، وقلّ أن توفرت مثل هذه

(١) العطاردي: الشيخ عزيز الله/ مسند الإمام الرضا ج١ ص١٠/ الطبعة الثانية ١٩٩٣م/ دار الصفوة ـ بيروت.

الفرصة لأحد من أئمة أهل البيت.

فعلى الصعيد السياسي أتيحت للإمام عليه السلام فرصةٌ لأن يشق طريقه في وسط الأجواء السياسية، حيث إن الحاكم آنذاك، وهو المأمون العباسي بايعه بولاية العهد، ضمن تفصيل وملابسات تحدث عنها المحققون والباحثون، ولكن بالنتيجة فتحت هذه البيعة للإمام الرضا عليه السلام أن يتواجد في الوسط السياسي، وحينما يتواجد عليه السلام في وسط كهذا لا بدّ أن يفرض احترامه وتأثيره عليه بشكل أو بآخر.

وجماهير الأمة من جهة أخرى كانت أمامها الفرصة للتعرّف إلى الإمام والاستفادة منه، لأن العائق السياسي الذي كان يمنعهم من الانفتاح على الأئمة تقلّص في عهد الإمام الرضا عليه السلام في السنوات التي كان فيها وليًّا للعهد، فلم يعد الوصول للإمام والاستماع إليه والاستفادة منه أمرًا محظورًا كما كان عند أكثر أئمة أهل البيت عليهم السلام.

كما أتيحت فرصة اللقاء لخاصّة الأمة من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين غالبًا ما يكونون عارفين بفضل ومكانة الأئمة عليهم السلام ولكن العائق السياسي والاجتماعي قد يمنع بعضهم من الانفتاح على الأئمة عليهم السلام، غير أن هذا العائق لم يكن موجوداً في عهد الإمام الرضا عليه السلام.

ولذلك أتيحت الفرصة للإمام أن ينفتح على كل الأمة، خاصّتها وعامّتها، وأن يطلّ على جميع الأوساط الدينية والاجتماعية بشكل عام، وهذا ما نلحظه مما ينقله التاريخ من مواقف، من ذلك ما تنقله لنا كتب السِّير عند مرور الإمام الرضا عليه السلام بأرض نيسابور، فالمؤرخون يذكرون كيف أن أهل نيسابور ـ وكانت بلدًا علميًّا، فيه عدد كبير من العلماء والحفّاظ والفقهاء ـ خرجوا كلّهم لاستقبال الإمام الرضا عليه السلام، وحينما أطلّ عليهم واستجاب لطلبهم في أن يحدثهم حيث ذكر لهم الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب الذي تمتدّ سلسلة سنده منه عليه السلام إلى أجداده إلى الرسول صلى الله عليه وآله إلى جبريل عن الله

سبحانه وتعالى: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي» [١]، إن المؤرخين يذكرون أن العلماء الذين كتبوا هذا الحديث القدسي في ذلك اليوم أكثر من عشرين ألفًا من العلماء والحفّاظ والفقهاء، وهذا يكشف عن مكانة الإمام واتساع الظروف لكي تعبّر جماهير الأمة وخاصّتها عن احترامها للإمام وتقديرها له ورغبتها في الاستفادة منه.

وهناك موارد كثيرة تشير إلى هذا الأمر وتوضح كيف أن الإمام أتيحت له هذه الفرصة للموافِق والمخالف، فحتى مَن في قلبه شيء على الإمام ما كان يستطيع أن يظهره، لأن مكانة الإمام فرضت نفسها، ولذلك يقول الإمام الجواد عليه السلام أن العلّة في تسميته بالرضا أنه (قد رضي به المخالفون من أعدائه) من الوسط السياسي ومن العلماء الذين كانوا يدورون في فلك الحاكم حين وجدوا أنفسهم في وضع لا بدّ أن يحترموا فيه الإمام ويظهروا هذا الاحترام، (والموافقون من أوليائه)، فقد كان الموالون للأئمة عليهم السلام لا تساعدهم الظروف على إظهار هذا الولاء والاحترام والتقدير لأهل البيت عليهم السلام، بل كانت الظروف عكس ذلك، فقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه يقول: «أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ويَطْلُبُ مَا لا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ ولَنْ تَقْتُلُوهُ أَلا وإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي والْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ ولَكُمْ نَجَاةٌ وأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي» [٢].

وكذلك في زمن الإمام الكاظم عليه السلام والد الإمام الرضا عليه السلام كان صعبًا على شيعته أن يصلوا إليه أو يتقرّبوا منه، فضلاً عن أن يظهروا احترامهم وإجلالهم له.

بينما في عهد الإمام الرضا عليه السلام كان هناك انفراج يشير إليه الإمام الجواد في هذه الرواية.

---

(١) الصدوق القمي: محمد بن علي بن الحسين/ عيون أخبار الرضا ج٢ ص ١٤٤/ الطبعة الأولى ١٩٨٤م/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٥٧.

لقب الإمام عليه السلام وكُناه

والرضا هو أبرز ألقاب الإمام عليه السلام، أما كنيته فله اثنتان، كان يكنى بأبي الحسن، ولكن لأن والده الإمام الكاظم عليه السلام، كان يكنى كذلك بأبي الحسن فلتمييزه يقال أبو الحسن الأول للإمام الكاظم، وأبو الحسن الثاني للإمام الرضا عليهما السلام.

وذكر الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه (حياة الإمام الرضا) (ج١، ص٢٥) ـ نقلاً عن بعض المصادر ـ أن الإمام الرضا عليه السلام له كنية أخرى كانت تطلق عليه في بعض الأحيان وإن كان ذلك نادرًا، حيث كان يطلق عليه أبو بكر.

وأهل البيت عليهم السلام لم يكن لديهم تلك الحساسية أو العداء في مسألة الأسماء، فهذه الحساسية نشأت فيما بعد بفعل الظروف السياسية والاجتماعية، فأصبح هناك فرز مذهبي بين المسلمين امتد حتى للأسماء، حيث هناك أسماء تستخدم في هذا الوسط ولا تستخدم في ذلك الوسط وبالعكس. بينما لو قرأنا حياة الأئمة عليهم السلام لما وجدنا هذه الحساسية قائمة، فالشيخ المفيد في الإرشاد حينما يتحدث عن أولاد الأئمة يذكر كيف كان الأئمة يسمون أبناءهم بمختلف الأسماء، فأمير المؤمنين عليه السلام كان له ولد اسمه أبو بكر وآخر اسمه عمر وله ولد اسمه عثمان، وأبو بكر وعثمان ابنا علي كانا من شهداء كربلاء. ويذكر الشيخ المفيد أن الإمام الحسن عليه السلام لديه ولد اسمه عمرو وآخر اسمه عبد الرحمن وثالث اسمه طلحة. والإمام السجّاد عليه السلام له ولد اسمه عمر وآخر اسمه عبد الرحمن، والإمام الكاظم عليه السلام له ولد اسمه هارون وآخر اسمه عبيد الله وله بنت اسمها عائشة. ولو قرأنا كتب التراجم، ككتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين رحمه الله واطلعنا على فهرست الكتاب لوجدنا العشرات في أولاد الأئمة وأسماء الشخصيات الشيعية لهم مثل هذه الأسماء بل وحتى اسم معاوية ويزيد.

وقد ولد الإمام الرضا عليه السلام سنة ١٤٨ هـ وكانت شهادته عليه السلام ٢٠٣ هـ، فعمره الشريف ٥٥ سنة.

منطلقات الوحدة عند أهل البيت عليهم السلام

الإمام عليه السلام أتيحت له الفرصة في اللقاء بالناس، وهذا هو منهج الأئمة عليهم السلام، الذي هو منهج توحيد الأمة والتعامل مع كل أبنائها، فما كانت سيرتهم أن يحتجبوا عن بعض شرائح الأمة أو فئاتها، كانوا يعانون حصارًا وعوائق مفروضة عليهم، أما في طبيعتهم وسيرتهم وتوجههم فإنهم يمارسون الأبوة للجميع، فكانت قلوبهم عامرة بحب الناس ومتطلعة إلى وحدة هذه الأمة، وأن تكون أمة واحدة كما أمرها الله تعالى.

فما كان شيء يزعجهم أكثر من حالة الخلاف والفرقة في وسط الأمة، فقد كانوا حريصين على وحدتها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « ولَيْسَ رَجُلٌ – فَأَعْلَمْ– أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأُلْفَتِهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وكَرَمَ الْمَآبِ وسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي »[1] .

ولم يكن ذلك مجرّد شعار يرفعه عليه السلام، بل كان موقفًا مبدئيًا ورؤية يحملها عليه السلام، وما كان هذا خاصًّا بالإمام علي عليه السلام بل كان الأئمة يسيرون على النهج نفسه، نهج الحرص على الوحدة الإسلامية الجامعة، وتقديم كل ما يمكن من تضحيات وأثمان من أجل الإبقاء على هذه الوحدة.

وهناك ثلاثة منطلقات أساس تدفع الأئمة عليهم السلام إلى الحفاظ على هذه الوحدة:

المنطلق الأول: الديني المبدئي:

فالأئمة عليهم السلام هم أعرف الناس بأغراض الدين ومبادئ الشريعة ومقاصدها، وبالتالي هم أحرص الناس على تحقيق تلك الأغراض والوصول إلى هذه المقاصد. والوحدة الإسلامية من أهم مقاصد الدين ومن أهم أهداف الرسالة المقدسة، فهي ليست مسألة تكتيكية أو عملاً وقتياً، وإنما هي مبدأ يتعبّد الإنسان من خلاله إلى الله، وآيات القرآن

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٣٣ ص٣٠٤ حديث ٥٥٤/ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م/ دار إحياء التراث العربي– بيروت.

الكريم شاهدة على ذلك، فهناك الكثير من الآيات التي تؤكد هذا الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[سورة المؤمنون: الآية ٥٢] وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٩٢]، ويقول في آية ثالثة: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٥]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تصبّ في هذا المجال.

والخطاب الموجود في الآيات موجّه لكل الأمة ومختلف الشرائح والمستويات، ولكن المشكلة أن البعض يقرأ هذه الآيات والنصوص الشريفة وكأنها تخاطب غيره، فيتصوّر أنها تخاطب الآخرين بعدم التفرقة ولا تعنيه، والمفترض أن يلزم كل منّا نفسه أولاً قبل الآخرين.

ومن المفارقات أن تجد الجميع يتحدّث عن الوحدة ويرفع شعارها، ولكن على الأرض ليس هناك أمة تعاني الصراعات والتشرذم كما تعانيه الأمة الإسلامية، فأين هي نداءات القرآن وأوامر الشرع؟ وأين ذهبت هذه القيمة؟

والذي يبدو لي أن السبب هو عدم وجود اهتمام بآليات تحقيق الوحدة وكيفية تطبيقها على الأرض.

فالمجتمعات التي حققت وحدتها حققتها عن طريق الاعتراف بالتعددية واحترام الرأي الآخر واختيار النهج الديمقراطي، فحققوا وحدتهم عن طريق هذه الآليات، بينما في واقعنا الإسلامي ـ للأسف ـ يتحدث الواحد منّا عن الوحدة وكأنها تعني أن يخضع الناس لرأيه وأنها لا تتحقق إلاّ بهذا الطريق، فنجد بعض العلماء من إخواننا السنة يصرح بأن الأمة لا تتّحد إلاّ على مذهب أهل السنّة والجماعة، وهذا مكمن الإشكال، لأنّه يشرّع للطرف الشيعي بأن يقول أن الأمة لا تتّحد إلا على مذهب أهل البيت عليهم السلام، ونستمر على هذا النقاش والصراع العقيم ولا نتقدّم خطوة واحدة في اتجاه الوحدة.

إنما تقوم الوحدة إذا استطعنا ـ كمسلمين ـ الوصول إلى إطار عام يجمعنا، بحيث يبقى كل منّا على رأيه ومذهبه، ولكن هناك قواسم مشتركة تجمعنا، أما أن نسعى لتحقيق الوحدة عن طريق خضوع الجميع لرأي واحد واتجاه واحد، فهذا لا يمكن أن يكون، وما دامت لم تتحقق الوحدة بهذا الطريق في تلك العصور التي كان فيها للقوّة الدور الأوّل، فلن تتحقق في هذا العصر وقد أصبحت نسائم التحرر والديمقراطية وحقوق الإنسان تعمّ أرجاء العالم.

وإن من يطرح هذا المبدأ لا يفهم الوحدة، أو أنه لا يمتلك الإخلاص الحقيقي للوحدة، فمن يخلص لمبدأ الوحدة عليه أن يطرح إطارًا عامًّا للجميع ويخلق فضاءً يتّسع للجميع، وإلاّ فالدعوة حينئذٍ لا تكون صادقة وحقيقية.

المنطلق الثاني: الوعي الحضاري

الوعي الحضاري هو الذي يجعل الإنسان يفكر في بناء حضارة وليس في تحقيق هدف جزئي معيّن، وهذا ما أراده الإسلام، فالديانة الإسلامية تهدف لبناء حضارة إسلامية، تقول الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[سورة البقرة: الآية ١٤٣].

أهل البيت عليهم السلام كانوا يمتلكون الوعي الحضاري، ومعنى ذلك أن الوحدة والاجتماع هي التي تنفع الجميع، بينما الفرقة والصراع يضرّ بالجميع ولا توصل إلى المستوى المناسب.

ولأن أهل البيت عليهم السلام كانوا يمتلكون هذا الوعي وهذا الفهم كان إصرارهم على الوحدة كبيرًا، يقول الإمام الحسن عليه السلام : «إنه لم يجتمع قومٌ قطّ على أمرٍ واحدٍ إلا اشتدّ أمرهم واستحكمت عقدتهم» [1] ، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَد امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ، ...لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ

(١) بحار الأنوار ج٣٢ ص٤٠٥ حديث٣٦٩.

وأَجَلٌّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ» [١]، ويقول في كلام آخر: «وإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى ولا مِمَّنْ بَقِيَ» [٢].

هذا هو الوعي الذي يقدّمه أهل البيت عليهم السلام ويطرحونه، حيث يُشعرون الجميع بأن الوحدة مصلحة وأن التفرقة مضرّة، ففي بعض الأحيان تسيطر على الإنسان المصالح الجزئية والمصالح الآنية فيتجه في اتجاه الفرقة والخلاف، ولكن من يمتلك الوعي الحضاري هو الذي يتجه في اتجاه الوحدة ويحرص عليها.

المنطلق الثالث: طهارة نفوس الأئمة عليهم السلام

من العوائق التي قد تكون عقبة في تحقيق الوحدة بين أبناء الأمة أن بعض أبنائها قد يدرك أبعاد وأهداف الوحدة، ولكن الطموح إلى بعض المطامع والمصالح كفرد أو كمجموعة هي التي تجعله يميل عن طريق الوحدة، ويسلك طريق الصراع والخلاف من أجل أن يحقق مصلحة مّا ومكسبًا معينًا، أما أهل البيت عليهم السلام فإن نفوسهم كانت طاهرة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[سورة الأحزاب: الآية ٣٣]، فلم يكن في نفوسهم حبّ لمنصب أو لموقع أو مصلحة أو مكسب.

وهذه المطامع والمصالح والمكاسب الفردية هي التي تجعل البعض يسير في طريق الانشقاق والخلاف والصراع، لأن هناك مصالح يرتجيها من هذا الأمر. أما أهل البيت كانت نفوسهم طاهرة من هذه الأنجاس والأرجاس، ولذلك كانوا أحرص الناس على وحدة المسلمين.

فقدّموا التنازلات والتضحيات، وقدّموا أغلى الأثمان من أجل أن يحافظوا على وحدة الأمة الإسلامية، فجزاهم الله عن أمة جدّهم صلى الله عليه وآله خير الجزاء.

وبالطبع، يمكن الحديث عن موقفهم السياسي، وكيف كانوا حريصين على إبعاد

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، خطبة١٧٦.

الأمة عن الانقسام المذهبي والفكري، ولكن الحديث حول هذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل حتى يتبيّن أن الوحدة كانت نهجًا وسلوكًا وممارسة في حياة أهل البيت عليهم السلام.

ونحن ـ كموالين لأهل البيت عليهم السلام ـ إذ تمرّ علينا ذكرى شهادة الإمام الرضا عليه السلام نجدِّد له العهد على المحبة والولاء، ونسأل الله أن يثبّتنا على ولايتهم والسير على طريقهم، ونسأله سبحانه أن يرزقنا شفاعتهم وأن يحشرنا في زمرتهم، وأن يوحّد كلمة المسلمين وأن يردّ كيد أعدائهم ويقطع أيادي مثيري الفتن والاحتراب بين المسلمين.

والحمد لله ربّ العالمين.

استهدافات الحوار المذهبي

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٤ صفر١٤٢٧ هـ

الحوار في المسألة الدينية تحيط به عوامل مختلفة ولا يعتمد على الجانب العقلي وحده، فالبعض من الناس قد يتصوّر ببساطة، أن المنطق والعقل كفيل بأن يحلّ أيّ نزاع في القضايا الدينية، عن طريق الدليل والبرهان، بين الأديان أو المذاهب، وكذلك بين الأطياف داخل المذهب الواحد حينما تتعدّد المدارس والتوجّهات، ولكن الصحيح أن العقل هو بُعد وجانب من المسألة الدينية، وهناك أبعاد أخرى غالبًا ما يكون تأثيرها أكثر من الجانب العقلي، فهناك البعد النفسي، لأن الدين يتحوّل في أعماق نفس الإنسان إلى قضية ذاتية ترتبط بأحاسيسه ومشاعره، وتختلط بها، ولذلك فإن هذه المشاعر والأحاسيس لا تدع المجال للعقل دائمًا لأن يفصل في المسألة الدينية، وإنما تتدخل لكي تشوّش على عمل العقل ودوره، بسبب انشداد الإنسان إلى الوضع الديني الذي تربّى ونشأ عليه.

وهناك بُعد آخر هو البعد الاجتماعي، فالإنسان يعيش ضمن مجتمع ديني، المسلم يعيش ضمن مجتمع المسلمين، والمسيحي ينشأ ويتربّى ضمن مجتمعه المسيحي، وهكذا الأمر في بقية المذاهب، فالسني يعيش ضمن البيئة السنية، والشيعي يعيش داخل بيئته الشيعية.

لذلك، فإنه في المسألة الدينية غالباً ما لا يكون التعامل مع الإنسان كفرد، بل مع

بيئة اجتماعية كاملة، لأن الإنسان عادة لا يفكّر في المسألة الدينية بمفرده: هل هي حقّ أم باطل، وإنما يأخذ بعين الاعتبار انتماءه الاجتماعي البيئي، ويكون هذا الانتماء مؤثرًا وضاغطًا عليه، ولذلك نجد في القرآن الكريم أن الله سبحانه أمر نبيه محمداً ﷺ أن يدعو المشككين في رسالته إلى التأمل الانفرادي حتى لا يكونوا تحت سيطرة ما يطلق عليه العقل الجمعي، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾[سورة سبأ: الآية ٤٦].

والنبي ﷺ هنا يطلب منهم أن يقوم كل شخص بمفرده، وينزوي عن جماعته وبيئته، ويتفكّر في الأمر بموضوعية بعيداً عن تأثير العقل الجمعي.

وهذا أمر صعب على أكثر الناس، ولهذا تجدون أن الحوار بين أتباع الأديان والمذاهب غالبًا لا يوصل إلى نتيجة حاسمة، لأن المسألة ليست مسألة عقلية فقط، بحيث يوضح الدليل فيها فلا يجد الطرف الآخر مفرًّا من الإيمان، ولو كانت المسألة كذلك فإن نبينا محمداً ﷺ عنده الدليل والمنطق، والفصاحة والبيان، فهو القائل: «أنا أفصح من نطق الضاد»، عنده كل هذه المقوّمات، ولكنه لم يستطع أن يغيّر المجتمعات الدينية التي كانت في عصره، فالمسيحي ظلّ على مسيحيته، وكذلك اليهودي. نعم، هناك بعض المجاميع منهم قبلت الدعوة الإسلامية، ولكن بقي كيان اليهود كيهود وبقي كيان النصارى كنصارى، فإذا كان رسول الله ﷺ مع وضوح الحق عنده ومع قدرته البالغة التي لا توازيها أيّ قدرة في معرفة الحقّ والتعريف به، ومع ذلك لم يستطع تغيير الكيانات الدينية في مجتمعه فكيف بغيره؟، وذلك لا لقصور أو تقصير من قبله ﷺ، وإنما لعجز خارجيّ موضوعيّ، ولهذا يذكر القرآن الكريم حادثة المباهلة، وذلك حينما جاء وفد نصارى نجران وحاوروا الرسول ﷺ حول نبي الله المسيح عليه السلام فأوضح لهم الرسول ﷺ بالأدلة والبراهين ما يعتقده في المسيح عليه السلام، وناقشهم وحاورهم وأثبت لهم خطأ قولهم، لكن الوفد تمسّك برأيه فلجأ الرسول ﷺ كحلٍّ نهائي إلى المباهلة، لأن طريق الحوار العقلي والمنطقي لم يوصل إلى نتيجة

فاتجه معهم إلى صوب طريق آخر، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[سورة آل عمران: الآية ٦١].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾[سورة البقرة: الآية ١٤٥].

حسم الخلاف الديني يوم القيامة

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن أن كلمة الفصل والإلزام في الخلاف الديني مرجوّة ومؤخرة إلى يوم القيامة، فلو أراد أهل الأديان والمذاهب أن يحسموا الخلاف فيما بينهم في الدنيا فلن يصلوا إلى نتيجة. ليس لأن الحقّ متعدّد، ولا لأن الأدلة والبراهين قاصرة عن إثبات الحقّ، ولكن لأن عوامل أخرى غير المسألة العقلية والمنطقية تحيط بالمسألة الدينية. ولهذا تتحدث الآيات القرآنية بصراحة حول تأجيل الفصل في الخلافات الدينية، منها قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ * وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[سورة الحج: الآيات ٦٧ – ٦٩].

والمراد بالنُّسك في الآية الممارسات العبادية، فكل أمة لها عباداتها وطريقتها وطقوسها، والمراد بالجعل الإلهي أن الله خلق البشر أحرارًا ومختارين ولهم الإرادة فيما يفعلون، ونتيجة لذلك تتنوع اختياراتهم الدينية.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[سورة المائدة: الآية ٤٨].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ

الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[سورة البقرة: الآية ١١٣].

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[سورة آل عمران: الآية ٥٥] .

هذه الآيات الكريمة وأمثالها تقدم للإنسان المسلم صورة حول طبيعة المسألة الدينية، حتى يكون متوازنًا وموضوعيًّا في رؤيته وعرض دينه على الآخرين، وليستوعب مواقفهم الرافضة.

وهي لا تعني أن يتوقف الإنسان عن التبشير بما يعتقده حقًّا، وإنما تعني أن يضع الإنسان في اعتباره أنه ليس بالضرورة أن يتقبّل الآخرون رأيه فيما يخص دعوته الدينية، مهما كان بارعاً في عرض أدلته وبراهينه. وهناك آيات وروايات تنهى الإنسان عن الجدل في الدين إلا بالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة العنكبوت: الآية ٤٦]. لأن الإنسان إذا أطلق العنان للرغبة في مجادلة الناس في أديانهم قد ينجرّ إلى أساليب ملتوية، وتعامل غير سويّ مع الآخرين، والله تعالى لا يريد ذلك للإنسان المسلم، فقد ورد عن أئمتنا من أهل البيت ﷺ روايات كثيرة يحذِّرون فيها تلامذتهم وأتباعهم من المجادلة والمخاصمة في الدين، منها رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ يقول: «... فلا تخاصموا الناس لدينكم، فإن المخاصمة مَمْرَضَةٌ للقلب، إن الله قال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾[سورة القصص: الآية ٥٦]، وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس: الآية ٩٩]... ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس» [1] . وفي قوله «فإن الناس أخذوا عن الناس» إشارة إلى أن مصدر الاعتقادات الدينية قد يكون الأخذ عن الآخرين وتقليدهم واتباعهم، وليس نتيجة تفكير عقليٍّ منطقيٍّ، وقد يتضح للإنسان خطأ فكرة ما لكنه يتمسك بها

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٣٣ حديث ٢٤.

اطمئناناً بمن يقلِّده ويتبعه.

بالطبع، فإن الحديث هنا عن توصيف الواقع، بعيداً عن تقويمه من حيث الصحة والخطأ، إذ من الواضح أنه يجب على الإنسان أن يفكر في المعتقدات والأمور الدينية بموضوعية وتعقّل، وأن يستند إلى الدليل والبرهان، وليس التقليد والاتباع الأعمى، ولا الاستجابة للمؤثرات العاطفية والضغوط الاجتماعية، فالقرآن الكريم يحارب هذه الحالات التي كانت تمنع المجتمعات من القبول برسالات الأنبياء. ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية ٢٢].

الدعوة للحوار المذهبي

نقطة أحببت أن أثيرها على ضوء ما نشرته وسائل الإعلام من تصريحات لبعض العلماء في المملكة العربية السعودية وهم يتحدّثون عن استعدادهم للحوار مع بقية المذاهب الإسلامية، كالمذهب الشيعي. كما نقلت ذلك جريدة الشرق الأوسط عن الشيخ عبدالله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء في عددها (٩٩٧١) الصادر بتاريخ (١٦ صفر ١٤٢٧هـ - ١٧ مارس ٢٠٠٦م) وقد ثنى على طرحه مؤيداً الشيخ صالح السدلان عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العدد (٩٩٧٧) الصادر بتاريخ (٢٢ صفر ١٤٢٧هـ - ٢٣ مارس ٢٠٠٦م)، ومثل ذلك ما أعلنه الشيخ عبدالمحسن العبيكان المستشار القضائي في وزارة العدل وعضو مجلس الشورى في مكاشفاته مع جريدة المدينة ملحق الرسالة بتاريخ (١٧ صفر ١٤٢٧هـ - ١٧ مارس ٢٠٠٦م) .

وقد سمعتُ تصريحات أخرى في لقاءات ثنائية مع العديد من العلماء في المملكة العربية السعودية بهذا الاتجاه، وعندما يتحدّث هؤلاء بأنهم موافقون على الحوار ويرغبون فيه فهذا تقدّم وحالة إيجابية، بعد أن كان الموقف السائد للمدرسة السلفية هو التحفظ تجاه اللقاء والحوار مع الشيعة.

وهنا لا بدّ أن أشير إلى أن مبادرة خادم الحرمين الشريفين منذ أن كان وليًّا للعهد بتبنِّيه للحوار الوطني هي التي فتحت المجال وشقّت الطريق، وهكذا يكون للمبادرة السياسية دور مهم في إصلاح الكثير من الواقع الذي تعاني منه مجتمعات الأمة الإسلامية، كما أن مختلف الأوضاع الإقليمية والدولية لها تأثير في الدفع بهذا الاتجاه، فنحن نشعر بتفاؤل كبير، ونستقبل هذه الدعوات الإيجابية بالتقدير والترحيب، فهذا ما كنّا نطمح إليه ويتطلع إليه كل مواطن حريص على مصلحة الوطن، وكل مسلم غيور على وحدة الأمة.

أهداف الحوار المذهبي

بخصوص مسألة الحوار في المسألة الدينية المذهبية أريد أن أركّز على أنها مسألة شائكة، ولذلك يشترط قبل بدء هذا الحوار أن يتحدّد الهدف منه، أما إذا لم يتحدّد هدف الحوار وآلياته فإنه لا يصل إلى النتيجة المرجوّة.

ويبدو لي أن بوصلة الحوار المذهبي ينبغي أن تتجه نحو ثلاثة أهداف:

الأول: التعارف والفهم المتبادل:

فنحن نتحاور حتى يعرف كل منّا الآخر على حقيقته، ذلك لأن الحقبة السابقة أوجدت الكثير من الغبش والتشويش، فأصبحت نظرتنا إلى بعضنا البعض غير موضوعية، فكل طرف قد يتصوّر عن الآخر أشياء ليست واقعية، ويحاسبه عليها ويبني الموقف تجاهه على أساسها دون أن يتأكد ويتبيّن، والحوار يعطي الفرصة لأن يعرض كل مذهب رأيه بوضوح.

الثاني: التعايش ومنع الإساءات:

بأن ندرس صيغة التعايش بيننا على أساس الاحترام المتبادل، وعدم إساءة أيّ طرف للآخر، أو انتقاصه لشيء من حقوقه.

الثالث: خدمة المصالح المشتركة:

فنحن نعيش في وطنٍ واحدٍ، وهناك مصالح مشتركة تجمعنا في هذا الوطن، ونحن أبناء أمة واحدة، وهذه الأمة لها مصالح مشتركة وتواجه أخطاراً كبيرةً تستهدف الجميع.

ولذلك يجب أن نتحاور من أجل تحقيق هذه الأهداف الثلاثة، أما إذا كان الحوار بهدف أن يُغيّر أحدنا الآخر، فنتحاور حتّى يغير الشيعة شيئاً من مذهبهم، ويتنازلوا عن بعض مبادئهم، أو أن يتخلى السلفيون عن شيء من مذهبهم ويتركوا بعض قناعاتهم، فهذا الهدف لا يوصل إلى نتيجة، والحوار يكون عقيمًا وضارًّا ولا يكون نافعًا، وذلك للأسباب التي ذكرناها في بداية الحديث، كما أن المسألة الدينية المذهبية ليست منحصرة في أشخاص المتحاورين، فمن الممكن أن يتحاور شخصان بمفردهما فيقتنع أحدهما بفكرة الآخر وينتهي الخلاف، ولكن المذاهب تؤمن بها مجتمعات وكيانات، فكيف تقتنع هذه المجتمعات وتغير قناعاتها؟.

هذا مجمل تصورنا لأهداف الحوار، ونرجو أن يتبلور هذا التوجه، وأن يتعاون الجميع من أجل مصلحة الجميع، فالفائدة للدين والوطن ولنا جميعًا، حيث رأينا أن الصراع والفرقة لا نتيجة فيها إلا الدمار، كما حدث في لبنان والصومال وفي العراق الآن، وفي كل مجتمع دبّت وتصاعدت فيه الخلافات كانت نتائج ذلك خطيرة ومدمّرة للجميع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوحّد كلمة المسلمين وأن يجمع شملهم وأن يردّ كيد أعدائهم، وأن يحمي وطننا وبلاد المسلمين من كل مكروه.

والحمد لله ربّ العالمين.

أمن المجتمع في خطر

كلمة الجمعة بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بروايته عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال صلى الله عليه وآله: الذي لا ينهى عن المنكر»[1].

المنكر هو كل شيء ينكره الناس ويكرهونه، فكل ما يرفضه الناس الأسوياء فإنه منكر.

والمنكرات يمكن تقسيمها إلى قسمين: منكرات يرفضها كل أبناء البشر بما هم عقلاء، ومنكرات ترفضها بعض المجتمعات لمنافاتها لدينها أو تقاليدها.

فمثلاً نحن المسلمين نرفض بعض الممارسات لأنها تتنافى مع ديننا، لكن في مجتمعات أخرى لا تدين بديننا لا تعتبرها منكرات، فالأكل جهاراً في نهار شهر رمضان أمر مستنكر في مجتمع المسلمين، لكنه ليس مستنكرًا في مجتمع المسيحيين أو اليهود أو سائر المجتمعات الأخرى، وإنما نستنكره لأنه يتنافى مع تعاليم ديننا، بينما هم لا يدينون بهذا الدين.

وفي بعض الأحيان قد يكون هناك منكر لخصوصية مذهبية، ففي المجتمع الشيعي مثلاً نحترم ليالي المناسبات الدينية، التي تصادف ذكرى استشهاد أحد الأئمة عليهم السلام، فلو أن إنسانًا أقام في إحدى ليالي هذه المناسبات، كليلة وفاة الزهراء عليها السلام أو وفاة الإمام

---

(١) وسائل الشيعة ج١٦ ص ١٢٢ حديث ٢١١٣٩.

علي عليه السلام حفلة زواج فهذا يعتبر في مجتمعنا منكرًا، لأنه يتنافى مع شعيرة أو حالة دينية، أما في المجتمعات الأخرى ممن لا يرون مثل هذا الرأي لا يعتبر ذلك في مجتمعهم منكرًا، لذلك يوجد تفاوت في مسألة المنكرات من مجتمع لآخر بسبب الاعتبارات الدينية والتقاليد الاجتماعية.

العدوان من أبرز المنكرات

وهناك منكرات يتفق أبناء البشر بمختلف أديانهم ومذاهبهم وأعرافهم على إنكارها ورفضها بما هم عقلاء، ومن أبرزها العدوان على الأموال والأعراض، وهذا أمر ينكره كل البشر بالإضافة إلى تحريم الأديان له، لأن ذلك أمر ترفضه الفطرة الإنسانية والعقل السليم، ويتنافى مع مصلحة أمن الناس واستقرارهم.

وفي الشريعة الإسلامية فريضتان مهمتان تحدّان من انتشار المنكرات، وعلى رأسها العدوان على الآخرين بكافّة أشكاله، هما فريضتا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ورد عن إمامنا الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر» [1] أي إن لهما دورًا محوريًّا، فهما فريضتان واجبتان كوجوب الصلاة والصوم والحج وسائر العبادات والفرائض، لكنهما يقومان بدور الحماية والحصانة لبقية الفرائض والواجبات.

وقد جاء في القرآن الكريم وورد في السنّة الشريفة آيات وأحاديث تشدّد على هاتين الفريضتين، وأن المجتمع المسلم ينبغي أن توجد فيه حالة عامّة لرفض المنكر وللدفع باتجاه المعروف، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[سورة آل عمران: الآية ١١٠]. حيث توضّح هذه الآية أن مصدر الخيرية

(١) وسائل الشيعة ج١٦ ص ١١٩ حديث ٢١١٣٢.

في الأمة الإسلامية هو قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مما تتميّز به عن سائر الأمم.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة آل عمران: الآية ١٠٤].

النصوص الداعية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة، منها ما روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وهو على المنبر، فقال الرجل: «يا رسول الله مَنْ خير الناس؟» فقال ﷺ: «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأرضاهم» (١).

ومنها ما جاء عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «ومَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا والْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الأمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إلا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» (٢).

هذه النصوص وأمثالها يجب أن تكون حاضرة في ذهن كل مسلم ونصب عينيه، ويجب أن يرفض جميع أشكال المنكرات، وبشكل خاص أسوأها، وهو ما يرتبط بالعدوان على الناس، فهناك بعض المنكرات قد يكون أثرها شخصيًّا ولا يتعداه للآخرين، من قبيل أن يستمع أحدهم إلى الغناء، أو ألاّ يؤدي فريضة الصوم، فهذه المنكرات وأمثالها لا يستهين المسلم بانتشارها، لكن أثرها غالبًا ما يكون على الشخص نفسه، أما الاعتداء على أمن المجتمع وعلى أعراض الناس وأموالهم، فهذه منكرات عظيمة وكبيرة جدًّا، وهي المصداق الأبرز لعنوان الإفساد في الأرض: يقول تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[سورة المائدة: الآية ٣٣].

---

(١) الشيرازي: ناصر مكارم، تفسير الأمثل ج٢ ص ٤٨١/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ مؤسسة البعثة - بيروت.

(٢) وسائل الشيعة ج١٦ ص١٣٤ حديث ٢١١٧٠.

اختلال الأمن الاجتماعي:

في السنوات الأخيرة أصبحنا نعيش ظاهرة مرعبة، هي تفشّي الاعتداء على النفوس والأموال والأعراض.

وهذا أمر طارئ على مجتمعنا، حيث كنّا نفتخر بأننا مجتمع يسوده الأمن والاستقرار، فمجتمعنا محافظ، والناس فيه ملتزمون بالأحكام والأخلاق الإسلامية، وهناك مؤسسات رسمية ترعى هذا الجانب الأمني، وعندما نسمع أخبارًا عن المجتمعات الأخرى وما يحصل فيها من حالات العدوان والسرقة والقتل والخطف نتّجه إلى الله سبحانه بالحمد والشكر لأننا نعيش في مجتمع آمن ولا تتفشّى فيه مثل تلك الظواهر المرعبة.

ولكن يبدو أننا بدأنا نفقد هذه الميزة أخيرًا، فقد أصبحتْ بعض مناطقنا وشوارعنا وأسواقنا التجارية وحتّى الأحياء السكنية عرضة لحالات الاعتداء السافر والواضح على الأموال والأعراض. ومن المؤلم أن يكون مصدر هذه الحالة هم بعض العناصر من أبنائنا وشبابنا، حيث تكونت مجاميع وعصابات يسرقون وينهبون ويعتدون على الأعراض في واضحة النهار، وفي شكل سافر. فيعتدون على أصحاب المحلاّت التجارية في بعض الأحيان، ويشهرون عليهم السلاح وينهبون ما تمتدّ إليه أيديهم، خصوصًا عندما يكون العامل في المحل أجنبيًّا.

والصحف تطالعنا بين فترة وأخرى بأخبار بعض الجرائم من هذا النوع، ومن الطبيعي أن الصحف لا تنشر كل ما يجري، بل ما يقع تحت يديها من معلومات.

إن حالات الاعتداء واستخدام العنف كانت نادرة في مجتمعنا، ولكنها أصبحت اليوم منتشرة وكثيرة.

فقد حدثني أحد العاملين في المحكمة الشرعية الكبرى بالقطيف أنه في السابق كان يمرّ العام ولا تحصل في محافظة القطيف إلا حادثة أو حادثتين من حوادث القتل أو العنف، بينما في السنة الماضية وحدها وصلت المحكمة أكثر من ٢٦ حالة قتل وعنف،

ولأسباب تافهة.

وربما قرأتم ما حصل عصر يوم الأربعاء (٢٩ صفر ١٤٢٧هـ) في مدينة سيهات حيث أقدم رجل في الثلاثينيات من عمره على إطلاق النار من مسدسه باتجاه رأس مطلقته لنزاع بينهما على حضانة طفلتهما الرضيعة، ذات السبعة أشهر، حيث انتزعها ولاذ بالفرار تاركاً أمها تسبح في بركة من دمائها.

كيف وصلنا إلى هذا الحدّ وهذا المستوى؟!

لقد أصبح كثير من العمّال الأجانب يخافون أن يسيروا في الليل وحدهم، وقد رأيت بنفسي كيف أن أحد العاملين جاءني والدم ينزف من أنحاء متفرّقة من جسمه لأن بعض الأولاد رموه بالحجارة، لأجل التسلية والضحك ولمجرّد العبث!!

الاعتداء على الأعراض

كنّا في الماضي نعيش حالة من الغيرة الاجتماعية، بحيث إن كل شابّ ورجل في البلد يشعر بالغيرة على كل نساء وبنات المجتمع، ومستعدّ لأن يذود عن شرف مجتمعه، فيرى كل بنت تمشي في الطريق أخته أو أمه أو ابنته، فيدافع عنها ويحميها ويحترمها.

نعم، كانت هناك بعض الحالات الشاذّة، فنحن لسنا مجتمعًا ملائكيًّا، ولكنها كانت قليلة، وفي حدود ضيقة.

بينما الآن يمرّ بعض شبابنا على الفتاة فيرونها تتأبّط حقيبة، فيعتدون عليها ويغصبونها حقيبتها، وقد تتعرّض للاعتداء أو تسقط جرّاء سحب الحقيبة، ويفرّ هؤلاء وكأنهم لم يفعلوا شيئًا!!

فقبل أيام ـ فقط ـ نشرت الصحف أن حافلةً تُقلّ مجموعة من طالبات الثانوية إلى منازلهنّ اعترضه أربعة من الشباب بسياراتهم وحاصروه، إلى أن اضطر السائق إلى التوقّف، وأرادوا الهجوم والدخول على البنات في داخل الحافلة، فأغلقه السائق، فقاموا

بكسر نوافذه لاقتحامه.

إلى أي حالة وصل الأمر بمجتمعنا؟!!

إنني هنا لا أريد أن أرسم صورة سوداء قاتمة، ولا أريد أن أدّعي بأن هذا يحصل في كل شارع وفي كل حيّ ومن قبل كل شابّ وعلى كل فتاة، ولكن هذه الظاهرة أصبحت موجودة وبين ظهرانينا، وإن لم تكن هناك وقفة صارمة تجاهها فهي ستزداد بدليل أن هذه الحالة قبل سنة أو سنتين لم تكن بهذا الحجم والانتشار، ولكنها الآن أصبحت هكذا، وإذا لم يكن هناك معالجة سيكون الوضع أسوأ وأخطر، لذلك يجب أن ندقّ جرس الإنذار، ونعلن حالة الطوارئ الاجتماعية والأخلاقية في مجتمعنا.

إننا لكي نواجه هذه الظاهرة لا يمكننا أن نكتفي بالجلوس في المجالس ونُظهر تألمنا وحسرتنا، فهذا لا يجدي ولا يحلّ المشكلة، بل بالعكس، فإن ذلك ينشر الرعب أكثر في النفوس، وهذا الرعب هو الذي يمكّن هؤلاء أكثر ويوسع هذه الظاهرة، إن علينا أن نفكّر ونتعاون ونجتهد في استيعاب هذه الظاهرة الخطيرة.

دور الأجهزة الأمنية

تتحمّل الأجهزة الأمنية المسؤولية الأكبر في معالجة هذه الظواهر، حيث ينبغي أن تضاعف جهدها ودورها، ففي الماضي كان دور الأجهزة الأمنية واضحًا ومشهودًا، كانت هناك حالة من الردع والرقابة، التصرّف الفوري تجاه أيّ اعتداء.

ولكننا في الآونة الأخيرة افتقدنا ذلك المستوى الذي تعوّدنا عليه من الاهتمام من قبل بعض الأجهزة الرسمية، لماذا؟ هل لأن قدرات وإمكانات هذه الأجهزة ما عادت قادرة على مواكبة توسّع هذه المشاكل والقضايا؟

لاشكّ أن كل جهاز يحتاج إلى رفد بالإمكانات كلما دعت الحاجة، هل هناك نقص في القدرات والإمكانات عند الأجهزة الأمنية؟!

إن ما نعلمه أن حكومتنا تجعل الأمن في رأس الأولويات، فإذا كان هناك نقص فلا أعتقد أن الحكومة ستبخل على هذه الأجهزة في تقديم ما تحتاجه من الدعم والإمكانات.

أم أن اشتغال أجهزة الدولة بمواجهة الإرهاب شَغَلَها عن حفظ أمن المجتمع؟ وعن مواجهة الجرائم؟

لاشكّ أن الإرهاب خطر كبير على البلد، ولاشكّ أن مواجهته تستلزم جهودًا كبيرة، وأجهزة البلد الأمنية -بحمد الله- تقوم بدور فعّال على هذا الصعيد، وقد رأينا كيف أحبطت هذه الأجهزة ما كان الإرهابيون ينوون فعله تجاه المنشآت النفطية في بقيق، وهو أمر يثلج قلب كل مواطن، لأن هذه ثروة البلد وإمكاناته وأمنه.

وسمعنا أيضًا كيف أن الأجهزة الأمنية ألقت القبض على مجموعة من المطلوبين ومن المرتبطين بالجهات الإرهابية قبل أيام في مناطق مختلفة من البلاد.

إن مواجهة الإرهاب تستنزف جهودًا كبيرة من الأجهزة الأمنية، ولكننا نتساءل: هل سبب ما نشهده من التراخي تجاه هذه الجرائم في المجتمع هو انشغال هذه الأجهزة الأمنية بمواجهة الإرهاب؟

إنه من المهم مواجهة الإرهاب، فهو أمر مطلوب، ولكنّ أمن المجتمع الداخلي هو الآخر لا يمكن التساهل تجاهه، ولا التفريط فيه.

ونتمنى أن تكون أجهزتنا الأمنية قادرة على القيام بالدورين معًا، وبتعاون المواطنين معها.

ونتساءل ثالثًا: هل هذا التساهل الذي نجده بسبب تراخٍ عند بعض الموظفين؟ إذا كان كذلك فإنه لا يصحّ السكوت أمام هذا التساهل، وعلينا جميعًا أن نتوجه إلى أجهزة الدولة، فهي المعنية بحفظ أمن المجتمع، فلا يصحّ لنا أن نسكت، لأن المستويات العليا من المسؤولين قد لا يعرفون بكل هذه التفاصيل، وقد لا يكون هناك وضوح بمستوى تفشّي

هذه الظاهرة، ولذلك على المواطنين أن يتواصلوا مع المسؤولين ويوصلوا إليهم ما يجري، وأن يكون هناك تعاون بين المواطنين ومختلف أجهزة الدولة لمواجهة هذه الظاهرة.

فنحن لا نشكك في دور الأجهزة الأمنية ولا نقلّل من تأثيرها وفاعليتها، ولا نشكّ في اهتمام المسؤولين في أمن البلد والمجتمع، لكننا نقول: إن المواطن يجب أن يتحمّل المسؤولية في إيصال الأمر إلى المسؤولين والحديث معهم على مختلف المستويات، لكي تأخذ هذه الظاهرة حقها من المعالجة والاهتمام.

دور الأسرة

من يرتكب هذه الجرائم ومن يقف وراءها هم من أبنائنا وشبابنا، فأين هو دورنا؟ فالدولة ـ مهما أوتيت من قوّة ـ لن تستطيع أن تضع حارسًا لكل بيت ومحلّ وفتاة لحمايتهم من أي اعتداء، ولا أن تجعل على رأس كل شاب شرطياً يمنعه من أي انحراف، فالأسرة يجب أن تتحمّل مسؤوليتها، فهؤلاء الذين يمتطون الدراجات النارية ويرتكبون كثيرًا من الاعتداءات على المحلاّت والفتيات والأجانب، مَنِ الذي أعطاهم ثمن هذه الدراجات النارية؟ أليس آباؤهم ومن يعولهم؟!

هل يعرف آباؤهم عنهم شيئًا؟ هل يتفقدونهم؟ هل يسعون لضبطهم؟

في بعض الحالات يفقد الأب السيطرة على أبنائه، ولكن الوقاية مطلوبة، والاهتمام والمحاسبة، وللأسف إن ما يحصل هو العكس، فحينما يضبط أحد الأبناء يأتي أبوه لطلب الوساطة للإفراج عن ابنه، مدعيًّا أنه اتّهم باطلاً ولم يفعل شيئًا.

إننا في هذا الوقت نحتاج إلى الحزم في مثل هذه الأمور وأن لا نخضع للعاطفة، فعندما نرى تفشيًّا لظاهرة القتل يجب أن نحزم في عدم العفو ليرتدع المجرمون، فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة: الآية ١٧٩].

إن العفو مطلوب والشفاعة من أجل الخير مطلوبة، ولكن ليس في كل الأحيان، ففي أحيان أخرى نأخذ بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[سورة النور: الآية ٢].

فنحن نحتاج إلى الردع، أما إذا وجد الشباب الطائشون والمجرمون بأن القضية ليست سوى أيام قلائل ويخرجون من السجن، فهذا يشجّع على الاعتداء والاستمرار في العدوان، فالأسرة مسؤولة عن أبنائها، بحيث تهتم بهم أكثر، وكذلك بناتها، فالخروج من غير داعٍ والتمشي في الأسواق واصطحاب الحقيبة دائماً بشكل ظاهر مع معرفة ما يجري الآن في المجتمع قد يشكّل خطرًا على الفتاة، وقد تنزلق بسببها في مهاوٍ خطرة.

دور المجتمع

المجتمع بكل فئاته: العلماء والخطباء والوجهاء والأثرياء، ومن لهم حضورهم بين شريحة الشباب أمثال المعلمين مطالبون بالقيام بدور بارز للحفاظ على مجتمعنا من هذه الظواهر السلبية، على هذه الجهات أن تتوجه لمحاربة هذه الظواهر السلبية، ينبغي ألا ينحصر دورهم في خطاب وعظي مستهلك، بل عليهم أن يؤسّسوا لجاناً لتطويق هذه الظواهر، نحن بحاجة إلى لجان تنشأ في المجتمع لحماية الأخلاق، تنسّق مع أجهزة الدولة، فلماذا نسكت على تسلل وانتشار المخدرات بين شبابنا وأبنائنا؟!

في تاريخ (٢٠ محرم ١٤٢٧هـ الموافق ١٩ فبراير ٢٠٠٦م) نشرت جريدة الوطن مقابلة مع مدير مستشفى الأمل بالدمام ذكر فيها أنه يراجع المستشفى يوميًّا ١٦٠ مدمناً على المخدِّرات، وهنا لنا الحق أن نتساءل: هؤلاء أبناء مَنْ؟ وينتمون لأيّ مجتمع؟ أليس هؤلاء أبناؤنا؟

ينبغي أن تكون عندنا لجان لمكافحة المخدِّرات، لنرصد هذه الظاهرة ونتحدّث مع المتورطين فيها والمبتلين بها، لنوعي ونثقف ونحاول السيطرة على هذه الظاهرة.

وكذلك لجان لتطويق ظاهرة التفحيط، ألا نعرف من يمارسها؟ ألا نعرف عوائلهم؟ لماذا نسكت إذًا؟

من المفترض أن تتكون لجان لهذه المشاكل الاجتماعية، وعلينا في هذه النقطة أن نبذل ما نستطيع.

فالمجتمع مطلوب منه أن يؤدِّي دوره في حلّ هذه القضايا والمشاكل، وأتوجه إلى المعلمين ـ وبالخصوص من هم في المرحلتين المتوسطة والثانوية ـ وأطالبهم بالقيام بدورهم في التربية والتوجيه والإرشاد، فعلى المعلم أن يخلص في أداء دوره وعمله كما على العالم الديني أن يؤدي دوره، ويشاركهم في ذلك الوجهاء والأثرياء، وجميع الجهات المؤثرة في المجتمع.

دعم مشاريع التوعية

في ليلة ذكرى وفاة الرسول ﷺ (٢٨ صفر ١٤٢٧هـ) أقامت لجنة الإمام الحسن عليه السلام بالقطيف برنامجًا لإحياء المناسبة، ومن فقرات البرنامج عرض فيلم من إنتاج شباب المنطقة حول كربلاء، بعنوان (حلم الرمال) لمدة ٩٠ دقيقة، وكان هناك توجّه كبير لمشاهدة الفيلم، بحيث طُلِب عرضه أكثر من مرّة وفي أكثر من مكان، هذه البرامج والأنشطة التوعوية التي يتجمّع فيها شبابنا يجب أن تدعم، هذه المجاميع من الشباب الذين يتوقون للعمل الاجتماعي والثقافي المثمر كثيراً ما لا يجدون من يدعمهم.

إن المجتمع مطالب بأن يدعم هذه الأنشطة الإيجابية، لأنه إذا لم يقم بذلك فإن المجال سيكون مفتوحًا أمام تلك الأنشطة المنحرفة والمشبوهة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[سورة هود: الآية ١١٤].

يجب علينا أن نعلن حالة طوارئ أخلاقية واجتماعية، وأن تتسع القوانين لاستيعاب هذه الأنشطة للقضاء على الظواهر السلبية في المجتمع، فمن الأنظمة القائمة التي نفّذت

في بعض المناطق «مراكز الأحياء»، حيث يؤسَّس في كل حيّ مركز بالتنسيق مع الأجهزة الرسمية، يتعاون فيه الأهالي مع أجهزة الدولة لمكافحة المخدِّرات ـ مثلاً ـ أو السرقات، وذلك للقيام بواجبنا جميعًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فنحن نعيش الآن خطرًا حقيقيًّا على أمننا وأخلاقنا وأعراضنا، ولا يصحّ أن نتساهل.

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين، وأيّد حماة الدين، واجعلنا في بلادنا آمنين.

والحمد لله ربّ العالمين.

من توجيهات الإمام الحسن العسكري عليه السلام

كلمة الجمعة بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

جاء في وصية للإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام وجَّهها لأتباعه وشيعته، قال فيها: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى مَنِ ائتمنكم من بَرٍّ أو فاجر، وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله . صلُّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى الأمانة وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتقوا الله وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرُّوا إلينا كل مودّة وادفعوا عنا كل قبيح» [1] .

الإمام الحسن العسكري عليه السلام عاش كآبائه الطاهرين حياة صعبة قاسية، ولعلّ الصعوبة في حياته أشدّ من حياة آبائه وأجداده في بعض الجوانب والظروف.

ومن ذلك قصر عمره الشريف، فولادته عليه السلام كانت سنة ٢٣٢ هـ، وشهادته سنة ٢٦٠ هـ، مما يعني أن عمره عليه السلام كان ٢٨ سنة فقط، فهو عليه السلام وجدّه الإمام الجواد عليه السلام من أقصر الأئمة عمرًا، فقد استشهد الإمام الجواد وعمره ٢٥ سنة، وهذا مما يدعم القول بأن رحيلهما عليهما السلام عن الدنيا لم يكن بشكل طبيعي، وإنما بعامل الاغتيال والقضاء على حياتهما بالسم، وإن كانت الآجال بيده سبحانه، خصوصًا مع ملاحظة الظروف والأجواء التي

(١) الحراني: أبو محمد الحسن بن علي/ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ص٣٦٢، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

كان الأئمة عليهم السلام يعيشونها في ظل السلطة المناوئة لهم.

وبالإضافة إلى قصر عمر الإمام العسكري عليه السلام فإنه عاش حالة الحصار طوال حياته، وهذا أمر لم يعانِ منه آباؤه عليهم السلام بمثل ما عاناه، فبعض الأئمة كانت تتاح لهم الفرصة بحيث لا يكون فيها تحت رقابة السلطة، كأن تكون حياته في بدايتها بعيدة عن مركز السلطة، فيكون في المدينة مثلاً والخليفة في بغداد أو دمشق، لكن الإمام العسكري عليه السلام عاش حالة لحصار والرقابة المشدّدة من صغره.

فحينما رُحِّلَ مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام بأمر المتوكّل العباسي من المدينة إلى سامراء (سُرَّ مَن رأى) كان عمره سنتين أو أربع سنوات فقط، وكانت المنطقة التي أُسكنوا فيها منطقة الجيش والجند، ولذلك كانت تسمّى (عسكر)، ومَنْ يقيم فيها يسمى (عسكري) نسبة إلى هذه المنطقة، ولذلك أطلق على الإمام هذا اللقب.

وفي سامرّاء لم يكن هناك جمهور الأمة ولا نخبتها العلمية من الذين قد يختلط بهم الإمام أو يلتفّون ويتعاطفون معه، بل كانت عاصمة الدولة آنذاك، فكان سكّانها الحاكم مع جنوده وحاشيته والمقربين إليه.

وقد أبقى الخليفة العباسي الإمام الهادي وابنه العسكري فيها وشدّد عليهما الرقابة، وبقي الإمام العسكري فيها إلى أن استشهد.

لذلك يمكننا أن نتصوّر صعوبة الظروف التي قاساها الإمام، لدرجة أن بعض الروايات التاريخية تنقل أن الإمام عليه السلام كان مفروضًا عليه أن يحضر إلى ديوان الحاكم مرّتين في الأسبوع ليثبت تواجده وحضوره.

وهذا كلّه يبيِّن أن فرصة اللقاء الإمام بالناس كانت ضعيفة، والفرصة الوحيدة كانت حينما يكون الإمام في الطريق عندما يخرج عليه السلام لبعض شؤونه أو إلى قصر الخليفة، وإلا فإن التردّد على الإمام وزيارته كانت محفوفة بالمخاطر.

وحتى اللقاء به في الطرقات العامّة لم يكن آمنًا، وهذا ما نستشفّه من رواية تنقل

عنه عليه السلام أنه كتب إلى بعض شيعته يقول لهم: «ألا لا يُسَلِّمَنَّ عليَّ أحد، ولا يشير إليَّ بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تُؤمَنون على أنفسكم» [١] .

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «ما مُنِيَ أحدٌ من آبائي بمثل ما مُنيتُ به» [٢] .

هذه الرقابة المشدّدة على الإمام ما تركت الفرصة لأن تستفيد الأمة منه كثيرًا، وبالرغم من ذلك، نجد عددًا لا بأس به روى عن الإمام، حيث ترجم السيد محمد كاظم القزويني في كتابه (الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد) لـ ٢٤٢ ممن استفادوا من علمه ورووا عنه، وهو عدد لا بأس به بالمقارنة مع الحالة التي كان يعيشها الإمام عليه السلام.

لكن ما وردنا عن حياته كان محدودًا جدًّا، فلذلك نجد أن أكثر من يكتبون عن سيرته عليه السلام يشيرون من البداية إلى شحّ المصادر، يقول السيد محمد كاظم القزويني في مقدمة كتابه (الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد) : « لا أستطيع أن أعرف كيف يتّم تأليف هذا الكتيّب مع قلّة المواد التاريخية الموجودة في التراجم والسّير، وفي بطون التواريخ والأحاديث؟ »[٣].

ومن الغريب أن نجد في المقابل من يضيف إلى حياته عليه السلام أشياء تحتاج إلى تحقيق وتثبّت.

وهذه مشكلة نواجهها مع معظم سِيَر الأئمة عليهم السلام .

من ذلك أنك تجد معظم من كتب عنه عليه السلام في كتب الروايات يذكر هذه المكرمة والفضيلة، التي لو تأمل فيها الإنسان يشك في أساس صحتها، حيث يذكرون أن المعتمد العباسي، وهو الذي يروى أنه دسّ السم للإمام العسكري عليه السلام، والذي قد عاش فترة

(١) بحار الأنوار ج٥٠ ص ٢٦٩ حديث ٣٤.

(٢) القزويني: السيد محمد كاظم/ الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد ص ٢٩٧، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

(٣) المصدر السابق ص٦.

كثرت فيها الصراعات السياسية بين العباسيين وبين الأخ وأخيه أو الأب وابنه من أجل الحصول على السلطة، مما سبَّب عدم استقرار الحكم، بحيث لا يبقى الخليفة إلا شهورًا أو سنوات محدودة. فقد نقل (أن المعتمد تضرع إلى الإمام العسكري عليه السلام وسأله أن يدعو له أن يبقى في الحكم عشرين سنة، لأنه رأى من سبقه من أسلافه من الحكام العباسيين كيف كانت أيام حكمهم قصيرة، وكيف خلعوا وقتلوا شرَّ قتله؟! فدعا له الإمام العسكري عليه السلام واستجاب الله دعاء الإمام) [1] .

هذه الرواية تريد أن تبرز أمرين، هما:

الأول: أن الإمام مستجاب الدعاء من الله تعالى.

الثاني: أن الإمام يُحْسِن حتى مع أعدائه ويدعو لهم.

وما يدعو للتشكيك في هذه الرواية أنه من غير المتصوّر أن يدعو الإمام عليه السلام لطاغية ظالم وغير شرعي، ولو كانت استجابة الإمام ودعاؤه اضطرارًا وتقية لن يكون دعاء الإمام نابعًا من قلبه وعن قصد وإرادة، وبالتالي لا يستجيب الله تعالى دعوة ليست من القلب وغير مقصودة.

ولهذا فإن هذه الرواية تحتاج إلى تحقّق وتثبّت.

الإمام يملك شخصية مؤثرة

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يملك شخصية مؤثرة ومهيمنة على من يلتقي به ويتعامل معه، وفي هذه النقطة تروى العديد من الروايات، منها ما ينقل عن أن السجّانين ـ أو الموكلين به عندما يأمر الخليفة بسجنه ـ كانوا يتأثرون به ويتغيرون سلوكيًّا، وذلك كما ينقل أنه في زمن المهتدي العباسي عندما جاء بعض العباسيين لمسؤول السجن الذي وضع فيه الإمام عليه السلام واسمه (صالح بن وصيف) وقالوا له: ضَيِّقْ عليه ولا توسّعْ. فقال

(١) الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد ص ٥٨.

صالح: ما أصنع به، قد وكَّلْتُ به رجلين شرَّ مَنْ قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم. ثم أمر بإحضار الموكَّلَيْن فقال لهما: ويحكما، ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا أرعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا فلما سمع العباسيّون ذلك انصرفوا خائبين [١] .

وفي حادثة أخرى تنقل كتب التاريخ أنه: حبس أبو محمد عليه السلام عند (عليٍّ بن اوتامِش) ـ وكان شديد العداوة لآل محمّد عليه وعليهم السلام غليظاً على آل أبي طالب ـ وقيلَ له: افعل به وافعل. قال: فما أقام إلا يوماً حتى وضع خدَّيه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحنهم قولاً فيه [٢] .

وهذه المواقف تكشف عن مدى قوّة وهيمنة شخصية الإمام على قلوب الناس، وهكذا ينبغي أن يكون سلوك الإنسان المسلم قويًّا في شخصيته ومؤثرًا وفاعلاً بسلوكه أكثر من كلامه ووعظه.

وصايا الإمام العسكري عليه السلام

الإمام العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ووالد الإمام المهدي عليه السلام الذي سيغيب عن شيعته مدة ممتدّة من الزمن، ولذلك فما ورد في الوصية التي افتتحنا بها الحديث عبارة عن منهج عام للشيعة يتعاملون وَفْقَهُ ويسيرون على هديه في عصر الغيبة.

ويمكننا أن نستخرج من هذه الوصية ثلاثة محاور:

---

(١) أعلام الهداية، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ج١٣ ص ١١٣/ الطبعة الأولى ٢٠٠٤م/ مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

(٢) العكبري البغدادي: الشيخ المفيد الإمام أبي عبدالله محمد بن محمد النعمان/ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ج٢ ص٣٢٩-٣٣٠/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم.

المحور الأول: الالتزام بالمبادئ والقيم

التشيّع ليس انتماءً قلبيًّا فقط، وإنما هو انتماء قيمي سلوكي، وبالتالي فإن مَنْ ينتمي إلى هذا الخط والتيار يجب أن يكون ملتزمًا بالقيم والمبادئ، ولا يكفي الانتماء العاطفي، من إعلان الحبّ لأهل البيت عليهم السلام والموالاة لهم، فالكثير من الروايات والنصوص تؤكّد أن هذا لا يحقق العنوان ولا يجدي، فمجرّد المحبّة والولاء القلبي والانتماء العاطفي لا يجدي، وإنما يجب الالتزام بالقيم، ولذلك فإن أول ما يركّز عليه الإمام في هذه الوصية هو مسألة القيم والسلوك الملتزم، يقول عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى مَنِ ائتمنكم».

المحور الثاني: الاندماج في مجتمع الأمة

السلطات العباسية والأموية وجميع السلطات المعادية لأهل البيت عليهم السلام حاولت أن تحاصر أهل البيت عليهم السلام وتبعدهم عن شيعتهم وأتباعهم وعن الناس عمومًا، حتّى لا يتفاعلوا مع جمهور الأمة ويؤثروا فيهم.

ولذلك يوجّه الإمام خطابًا عامًّا لشيعته بأن لا ينعزلوا عن الأمة، وأن يندمجوا مع جماهيرها وعامّة المسلمين، فالبعض من الناس يرى في الاندماج والتداخل مع الآخرين نوعاً من الذوبان فيهم على حساب المبادئ. وفي الواقع، إن المؤمن الحقيقي الذي يحمل الوعي والبصيرة لا يخشى عليه من الذوبان والتأثّر، بل هو في موقع التأثير في الآخرين.

ولذلك فالأئمة يوجّهون شيعتهم إلى الاندماج والتداخل مع الناس في مجتمعاتهم وأوطانهم، وألا يكونوا فئة معزولة محاصرة، وألاَّ يعيشوا حالة الانطواء والانكفاء على أنفسهم.

لأن أيّ مجتمع ينعزل ويبتعد عن الجمهور يسهل اتّهامه بأي تهمة، وتشوَّه سمعته، بينما إذا اختلط مع الناس فإنهم يرونه ويتأكدون من وضعه ولا تنطلي عليهم تلك التهم والشبهات التي من الممكن أن تلقى من هنا وهناك.

ومن جهة ثانية، إن الانعزال لأيّ مجتمع يخلق أجواء معادية ضدّه، وسيكون على العكس من ذلك لو كان هناك اختلاط وتداخل فإنه تنشأ حالة من المودّة والألفة والعلاقة الجيّدة بين الجميع.

وثالثًا: إن الابتعاد عن الناس لا يوصل إليهم الفكرة بشكل جيد، وتصبح أفكار ومعتقدات وآراء ذلك المجتمع المنعزل مشوشة وغير مفهومة لدى الآخرين، بينما لو كان هناك اندماج بين المجتمعات على اختلافها ستكون أفكار كل مجتمع معروفة بشكل أوضح.

ولذلك نحن نؤكّد ـ وخاصّة في هذا العصر الذي حدثت فيه تغيرات تجعل الإنسان أكثر ثقة بنفسه وأكثر أمنًا واطمئنانًا على وضعه ـ أهمية مسألة الاندماج والانفتاح، وقد رأينا الآثار الطيبة الكثيرة، فوجدنا كيف أن البعض من المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام حينما اندمجوا مع الآخرين استطاعوا أن يعطوا صورة مشرقة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعه، وأن يتركوا انطباعًا حسنًا لدى الآخرين، وهذا الأمر في مصلحة المجتمع المؤمن وفي مصلحة الرسالة التي نؤمن بها.

إن الاندماج أمر مطلوب، وخاصّة على المستوى الوطني، وعلى مستوى المؤسسات الوطنية والعلاقات الاجتماعية.

ولذلك فإن ما نراه من حالة سلبية عند بعض الطلبة من مجتمعنا حينما يتوجَّهون للدراسة في الجامعات، فتراهم يتكتّلون وينطوون على بعضهم، بحيث لا تكاد تجد لهم علاقات مع الآخرين من أبناء المجتمعات الأخرى إن هذه الظاهرة غير جيدة، فنحن لا نخاف من إبداء ما عندنا حتّى نبدو بهذه الانطوائية والانعزال، وخاصة مع هذه التطورات الإيجابية، بل نحاول أن نتعرّف إلى الآخرين ونترك الفرصة للآخرين ليتعرّفوا إلينا.

وقد رأينا أن من فوائد انفتاح البعض على الآخرين أن دعاهم ذلك لتعرف مبدئهم ومذهبهم والقراءة والاطّلاع حوله بشكل أفضل، لأنهم حينما يلتقون الآخرين فيسألونهم

عن عقائدهم وممارساتهم يجدون أنفسهم أمام تحدّي الإجابة عن هذه الاستفسارات، فيقرأون ويبحثون، وهذه ثمرة جيدة.

وبهذا، فإن الانفتاح على الآخر يكون من أسباب البصيرة بالمبدأ، ووسيلة للتعريف بهذا المجتمع وإيصال هذه الأفكار والآراء للآخر.

ومن الخطأ الكبير أن يبقى شبابنا في الجامعات أو موظفونا في المناطق المختلفة منكفئين على أنفسهم.

والإمام في هذه الوصية يحثّ على مسألة الاندماج والتداخل مع الآخرين، يقول عليه السلام: «صلُّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، إن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى الأمانة وحَسُنَ خلقه مع الناس، قيل هذا شيعي فيسرّني ذلك»، وهذا معناه أن الإمام يريد أن يعوّد أتباعه بالالتزام بالقيم والسلوك الطيب بين الناس.

المحور الثالث: حسن السمعة

هناك على طول التاريخ من يحاول أن يشوّه ويرسم صورة خاطئة عن أتباع أهل البيت عليهم السلام، لأغراض سياسية، أو لجهله بهم، أو لقناعة خاطئة، وعلينا أن نعمل لتحسين الصورة، وأن تكون صورة هذا المجتمع حسنة أمام الآخرين، فهذه مسؤوليتنا.

يقول في ذلك الإمام العسكري عليه السلام: «اتقوا الله، وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا»[1].

إن البعض في مجتمعنا حينما يسمع حديثًا عن الاهتمام بانطباع الآخرين تجاه المذهب والمجتمع، يفهم ذلك فهمًا خاطئًا ويقول ـ إما عن جهل أو حماقة ـ: وما يهمّنا ما يقوله عنّا الآخرون. أو يستشهد بالآية القرآنية: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٠]، وهذا خلط للأوراق، فليس صحيحاً أن نقول إن السمعة

(١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ص٣٦٢.

الحسنة لدى الآخرين ليست مهمّة، فالإنسان المسلم كفرد ينبغي له أن يحسّن سمعته، والمجتمع المسلم كمجتمع ينبغي له ـ كذلك ـ أن يعطي الصورة المشرقة عنه كمجتمع.

وبشأن الآية الكريمة: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ فإن معناها أن يلتزم كل إنسان بدينه ومبدئه ولا يكون هناك مداهنة ومداراة على حساب المبادئ والقيم. ومعناها أن اليهود والنصارى لن يكفوا عن الضغوط عليكم حتى تتراجعوا عن دينكم.

وهذا المعنى لا إشكال أو اعتراض عليه.

ولكن حينما لا ترتبط المسألة بأصول المبدأ والمذهب، فتكون أمام أمرٍ جائزٍ أو فيه شبهة استحباب، وفي مقابل القيام بهذا الأمر نخسر السمعة والنظرة الطيبة عند الآخرين، فعلى العاقل أن يرجّح أيهما أولى، والترجيح يقتضي في هذه الحالة الحفاظ على السمعة الحسنة.

فحينما يطلب من بعض متشددّي المسلمين عدم القيام ببعض الأعمال حتى لا يكون انطباع المجتمعات الغربية وغير المسلمة انطباعًا سيئًا يجيبون بالآية الكريمة: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾، وهذا موقف خطأ وغير واعٍ.

والأمر نفسه موجّه لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين من المفترض بهم أن يهتمّوا بسمعتهم كمذهب وكمجتمع أمام الرأي العامّ الإسلامي والعالمي.

إن مَنْ يبدي اهتمامًا بهذا الأمر يعني أنه مهتمّ بمصلحة هذا المذهب وهذا المجتمع، ولا يعني ذلك أنه نوع من التنازل أو الخضوع، وإنما يعني الحرص على سمعة هذا المجتمع، ولذلك نرى نصوصاً كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تحثّ على هذا الجانب، منها ما أوردناه من وصية الإمام العسكري في قوله عليه السلام: «كونوا زينًا ولا تكونوا شينًا».

وفي رواية أخرى عنهم عليهم السلام: «لا تحدّثوا الناس بما لا يعرفون»[1]، أي بما يستنكرونه

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٧٧ حديث٦١.

منكم من أعمال وممارسات إذا لم تكن هذه الممارسات من أصول المبدأ.

ورواية ثالثة تقول: «رحم الله عبداً استجرّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا»[1].

إن الحفاظ على السمعة وتحسين الصورة عند الآخر هدف سامٍ ينبغي الاهتمام به، إذا لم يكن على حساب الأسس والمبادئ، ولكنه من الممكن أن يكون على حساب بعض الأعراف والتقاليد والأمور الجائزة، لأن هناك ما يكون أرجح وأفضل، ولهذا نجد مثل هذه الروايات والنصوص وردت عن أهل البيت عليهم السلام.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على ولايتهم وأن يحشرنا في زمرتهم.

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين وأيّد حماة الدين واحفظنا واحفظ أوطاننا من شرور المعتدين إنك أرحم الراحمين.

والحمدلله ربّ العالمين.

(١) بحار الأنوار ج٢ ص٧٧ حديث ٦٢.

مرجعية العقل

كلمة الجمعة بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يواجه رسوله ﷺ بلاءً ومعاناة عظيمة من قبل قومه الذين بعثه اللّه إليهم لهدايتهم وإرشادهم.

وفي ذلك درس وعبرة لجميع المصلحين والرساليين بأنَّ مَنْ يحمل رسالة الإصلاح فعليه أن يتوقّع الأذى والمعاناة، فإذا كان رسول الله ﷺ على عظمة قدره ورسالته واجه ما واجه، حتى ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما أوذي أحدٌ ما أوذيت»[1] فهل يحق لأيّ مصلح أن يتوقّع سير دعوته دون صعوبة ومعاناة.

وقد كانت أوجه المعاناة التي عاناها الرسول ﷺ كثيرة في مسيرة دعوته، ومن مفرداتها اتهام قومه له بالجنون، والرسول ﷺ لولا ما حباه الله من خلق عظيم وحلم كبير لما تحمّل أن تكال ضده مثل هذه التهمة، وذلك لأنه حينما يقال لإنسان إنه مجنون فإن ذلك يعني إلغاءه، وأنه لا قيمة له ولا لحديثه، فالمسألة ليست تهمة يمكن النقاش حولها، ولقد تحدّث القرآن في أكثر من آية عن اتهام قريش للرسول ﷺ بهذه التهمة، يقول تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [سورة القلم: الآيتان ١ – ٢]، وفي آية ثانية يقول سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [سورة التكوير: الآية ٢٢]، وفي سورة أخرى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [سورة الدخان: الآية ١٤]، وآيات أخرى تشير إلى رواج

(١) الهندي: علي المتقي/ كنز العمال ج١١ ص ٤٦١ حديث رقم ٣٢١٦٠/ الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

هذه التهمة وسعة انتشارها.

حينما يتّهم الإنسان بمثل هذه التهمة التي يكون الغرض منها إسقاط قيمته واعتباره وإثارة انفعاله وغضبه لا يجد منطقًا عقليًّا يمكن أن يواجه به هذا الاتهام، لكن رسول الله ﷺ بما أعطاه الله من عقل راجح وحلم كبير تعامل مع هذه التهمة بهدوء وانفتاح، فيقول لهم: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سورة سبأ: الآية ٤٦]، فيدلّهم على نهج وأسلوب لمناقشة هذه التهمة التي من المفترض أنها لا قيمة لها.وهذا بحدّ ذاته درس لكل مصلح وصاحب رسالة ومشروع أن يتمسّك بضبط الأعصاب والهدوء، وأن يكون منفتحًا وهادئًا مهما كان الطرف الآخر مستفِزًّا ومتوترًا، إذ لا خيار له ليوصل الرسالة لجميع العقول والأذهان إلا أن يتعامل مع جميع مواقع الناس. إن الرسول ﷺ أُمِرَ من قبل الله سبحانه في هذه الآية أن يوجه هؤلاء الناس إلى أن يعودوا إلى عقولهم وأن يفكروا بهدوء بعيدًا عن الأجواء التي تحيط بهم، لأن الإنسان إذا كان يعيش ضمن جوّ انفعالي وجوّ عام فإنه يسوقه ويضغط عليه باتجاه معيّن. والآية تشير إلى هذه النقطة، لذلك تطلب منهم أن يقوموا ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ ويفكروا بعيدًا عن الضوضاء والضغوط والأجواء المصنوعة، فالله وهب الإنسان عقلاً ليُعْمِلَه ولا يعطله.

القرآن يركّز على مرجعية العقل

وهذه نقطة أساس يركّز عليها القرآن، ألا وهي «مرجعية العقل»، ففي آياته الكثيرة استنهاض للعقل وتأكيد لدوره، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾. فالله تعالى وهب الإنسان هذا العقل ليفكر به ولا يجمّده، فلا قيمة للعقل إذا كان الإنسان يترك للآخرين في أكثر المواقف أن يفكروا بدلاً عنه.

إن النصوص الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة توجّه الإنسان أن يثق بعقله ثقة تامّة، فالعقل حجّة باطنة للإنسان.

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له» [١]، وفي رواية ثانية عنه ﷺ : «استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا»[٢]، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «العقل رسول الحق» [٣] ، وقال عليه السلام : «لا يغش العقل من استنصحه» [٤] .

لكن المشكلة أن أكثر الناس يجمّدون عقولهم، ولا يستخدمونها في أكثر القضايا، وربما يرجع ذلك لأسباب، أذكر منها أربعة:

١. **عدم المبالاة وعدم الثقة بالعقل:**

حيث يعتبر البعض أنه لا يستطيع أن يرجح فكرة على أخرى؛ لأنها فوق إدراكه ولا رأي له فيها، فيستهين بعقله، ولا يثق بقدرته العقلية، فيأخذ برأي الآخرين.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن بعض القضايا تحتاج إلى تخصص، كالمسائل الطبية والعلمية البحتة، والعقل هو من يرشدنا إلى الرجوع إلى المتخصص فيها، وهذا لا خلاف عليه. لكن الحديث حول ما إذا كانت هناك فكرة حول شأن عام يمكن للإنسان أن يعطي رأيه حولها، ومع ذلك لا يبادر أو يستصغر عقله، بينما الأصل أن الإنسان يستطيع أن يفكّر في كل قضية، بشرط أن يتوفر على معرفة جوانبها وأبعادها.

٢. **اتّباع السلف**

البعض يجمّد عقله اعتمادًا على مَنْ سلفه من الآباء والأجداد، يقول تعالى: ﴿بَلْ

---

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٨ حديث ١٤٣.

(٢)الريشهري: محمدي/ ميزان الحكمة ج٦ ص٤٠١ حديث ١٣٠٧٧/ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم.

(٣)الآمدي التميمي: عبدالواحد/ غرر الحكم ودرر الكلم ج١ ص٢١ حديث رقم٣٢٦/ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٤) نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٨٣.

قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية ٢٢]، فتجد البعض يقفل أمامك النقاش بحجة أن السلف قالوا في هذه النقطة كذا وكذا، وهذا منطق خاطئ، لأن المطلوب من الإنسان أن يفكّر كما فعل ذلك السلف، فإن وجد ما قاله السلف صحيحًا اتبعه، وإلا خالفهم، فقد لا يكون السلف مصيباً في مسلكه، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٠٤].

٣. اتِّباع الزعامات

بعض الناس يبتلون باتِّباع زعاماتهم السياسية أو الاجتماعية أو الدينية اتِّباعاً أعمى، فيجمّد عقله لصالح رأي تلك الزعامات، وهذا أمر أشار إليه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٦٧].

إنه لا يصحّ للإنسان أن يجمّد عقله اتِّباعاً لزعامة معينة، وإنما عليه أن يكون واعيًا ومنتبهًا.

لقد جاء الحارث بن حوط إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد معركة الجمل يقول له: «أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟!»، فأصحاب الجمل من الشخصيات المعروفة أيام الرسول صلى الله عليه وآله، ففيهم أم المؤمنين عائشة وهي زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيهم الصحابيان المعروفان طلحة والزبير، فكيف يكون مثل هذه الشخصيات المعروفة في الاتجاه الخاطئ؟

فأجابه الإمام علي عليه السلام : «إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» [١] .

وهذه نقطة ينبغي أن يتنبه إليها عامّة الناس عندما يتخذون شخصًا معينًا زعيمًا أو

---

(١) بحار الأنوار ج٣٤ ص٣١١ حديث١٠٨١.

قدوة، فليس من الضروري أن تكون القيادات في جميع قراراتها مصيبة، فعلى الناس ألا يعطّلوا عقولهم، فيتبعون قياداتهم اتباعًا أعمى من دون وعي وبصيرة وتفكّر.

والنصوص الشريفة تشير إلى هذا المعنى، حيث يروى عن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ـ وهي رواية موجودة في كتب الفريقين ـ أنه قال: «خذوا الحق من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقّاد الكلام». وقد أوردها السيوطي في الدر المنثور (ج٢ ص٣١٠ دار المعرفة – جدة ١٣٦٥هـ)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج٤٧ ص ٤٤٠ دار الفكر ١٤١٥هـ) والبرقي في المحاسن (ج١ ص ٢٢٩، دار الكتب الإسلامية) والمجلسي في بحار الأنور (ج٢ ص ٩٦).

فإذا كان هناك أناس في مسار منحرف وقالوا كلمة حقّ، فَلْنَقبلْها منهم، والعكس صحيح، فلو أن أناسًا من أهل الحق صدر منهم ما هو باطل فيجب ألا نقبله منهم، إذْ على المسلم الواعي أن يزن الحديث وما يعرض عليه من آراء وأفكار. وكما وصف القرآن الكريم المؤمنين العقلاء بأنهم ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر: الآية ١٨].

وفي هذا المعنى يقول الإمام علي عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو من المشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها» (١)، وفي رواية ثانية: «الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق» (٢).

٤. الانسياق مع التيار:

قد ينتمي الإنسان إلى جماعة أو قبيلة فيأخذ بأقوالهم وما يدور في أوساطهم دون أي تفكير أو تمحيص، وهذه النقطة من المشاكل التي يعاني منها كثير من شبابنا وأبنائنا، فيتأثرون بأجواء الصداقة والصحبة (الشلّة)، فيقومون بكثير من الأعمال الطائشة بسبب

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص ٣٤ حديث ١١٥.
(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم ٨٠.

تواجدهم في هذه الأوساط السيئة.

بينما لو أخذنا أحدهم جانبًا وسألناه عن رأيه فيما يقومون به لاستنكره، وأجابك بأنه يقوم به جريًا مع الجماعة.

إن علماء الاجتماع المعاصر يتحدثون عن «نظرية العقل الجمعي»، ويعنون بها أن الإنسان حينما يكون ضمن جمع تسيطر عليه العقلية الجمعية السائدة. وذلك لأن الإنسان ضمن الجمع يلقي بالمسؤولية عن كاهله، وعلى العكس فيما لو كان فردًا، حيث يتردّد في اتخاذ الموقف ويحسب له حسابات من جهات متعدّدة، أما إذا كان مع الجماعة فلا يشعر بثقل المسؤولية، لأن الحالة الجمعية تشعر الإنسان بأنه معذور، فالمسؤولية لا يتحملها بمفرده، وإنما الجماعة ككل، وكذلك بسبب وجود العدوى النفسية التي تنتقل في الجوّ الذي يحيط بالأفراد، فالإنسان يجد نفسه مندفعًا مع الجماعة.

وبالإضافة إلى هذين السببين يوجد جانب الإيحاء، حيث إن الحالة العامّة والسائدة توحي بأن ما يقومون به صحيحًا.

وقد يكون في الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ [سورة سبأ: الآية ٤٦]، إشارة إلى تجاوز تأثيرات العقل الجمعي.

وهذه الحالة عند العرب في الجاهلية كانت مشكلة حقيقية واجهها الرسول ﷺ، ولذلك قد يلتقي الرسول ﷺ أحد الأفراد، ويتحدّث معه بشأن الرسالة، وقد يقتنع، ولكن يتذكّر هذا الفرد أنه جزء من قبيلة، ومن يقرّر لأفراد القبيلة انتماءهم الديني والمبدئي هو شيخ القبيلة، ولذلك كان الكثيرون يتردّدون في قبول الإسلام، ليس لعدم اقتناعهم به بقدر ما هو انقياد للجوّ العامّ السائد.

وللأسف، قد نعيش في بعض مجتمعاتنا العربية هذه الروح القبلية إلى الآن، فالقبيلة تنتخب من يراه شيخها مؤهلاً لدخول البرلمان.

وقد لا يكون الانتماء القبلي وحده هو المعطّل للعقل، فهناك الانتماء الفكري أو

الحزبي، فالانتماء إلى الطائفة والحزب والجماعة ذات التوجّه المعيّن فيه إيجابيات كثيرة، ولكنّه يحمل بعض السلبيات، وبالذات إذا كان المنتمي غير واعٍ، بحيث يسير في مسار هذه الجماعة دون أن يتفكّر فيما يقوم به وما تتخذه هذه الجماعة من قرارات ومواقف.

وفي هذه النقطة أشير إلى أن مسألة التقليد لا تخلو من الوقوع في بعض الأخطاء من قبل البعض، إذ من المفترض أننا حينما نقلّد مرجعًا جامعًا للشرائط يجب أن تكون مسألة التقليد عملية واعية، فنقلّده في مجال الخبرة والاختصاص، وهذا ما يشير إليه الفقهاء في رسائلهم العملية، فيذكرون أن التقليد مورده الأحكام الشرعية الفرعية، ولا تقليد في أصول الدين، ولا تقليد في تحديد الموضوعات الخارجية.

وفي هذا المجال، لو تواجد مثلاً شخص والمرجع الذي يقلِّده في مكان لا يعرفان بالدقّة جهة القبلة فيه، فرجّح المرجع جهة معينة أنها اتجاه القبلة بينما رجّح المكلف جهة أخرى، فلا يجب في هذه الحالة على المكلّف الذي يقلّده أن يتّبعه في هذه المسألة، لأنها من الموضوعات الخارجية التي لا تقليد فيها.

وكذلك في مسألة رؤية الهلال، إذا رأى المكلف هلال شهر رمضان أو اطمأن من شاهدين عادلين، ولم يثبت الهلال لدى مرجعه، فإنه يجب عليه العمل برؤيته واطمئنانه وإن خالف المرجع.

ومن المفترض أن هذه المسألة واضحة للجميع، ولكن المشكلة أن الكثير من الناس لا يأخذون لأنفسهم هذه الصلاحية، فينتظر كل شيء من المرجع، وهذا بالضبط ما رأيناه في الأسبوع الماضي بخصوص ما أثير حول جواز الاكتتاب في أسهم إحدى الشركات، حيث يسأل أكثر الناس: ما فتوى المرجع في الاكتتاب في هذه المؤسسة؟

وقد أجاب أكثر المراجع وفقًا للسؤال الذي وُجِّهَ إليهم، فإذا كتب في صياغة السؤال أنها شركة لها أنشطة تحرّض على الفساد والإفساد، سيكون الجواب بالحرمة، وإذا صيغ السؤال أنها شركة لها أنشطة عادية، كأي مؤسسة أخرى، سيكون الجواب بالجواز.

إن بعض القضايا والموضوعات قد يحتاج تشخيصها وتحديد شرعية ممارساتها إلى نوع من الخبرة، ولذلك يحتاج كل مجتمع إلى أن يكون فيه مجموعة من أهل الخبرة وذوي الاختصاص يحددون الموضوعات الخارجية ذات الطابع العام، لأن المرجع لا يمكنه أن يشخّص ويحدد بالنيابة عن أهل البلد موضوعاتهم الخارجية.

إن الموضوعات الواضحة يستطيع كل مكلّف بنفسه أن يحدِّد موقفه الشرعي منها، كتشخيص حالة الضرر التي تجيز الإفطار في الصوم. ولكن الموضوعات التي تحتاج إلى خبرة ومعرفة بالقواعد الشرعية ذات العلاقة تحتاج إلى مجموعة من نفس المجتمع تحدِّدها، بحيث يوثق بتحديدهم وتشخيصهم للموضوع، ويأتي في هذا السياق دور الوكلاء والممثلين للمراجع في مجتمعاتهم، حيث يمكنهم أن يحدِّدوا موضوعات الفتاوى، ويشخصوا الظروف في مجتمعاتهم، وقد تنطبق على بعض الموضوعات عناوين ثانوية، فما يكون جائزاً أو مستحباً في مكان وزمان، قد لا يكون كذلك في مكان وزمان آخر.

نسأل الله تعالى أن يمنحنا البصيرة في دينه والتزام العمل بأحكامه إنه ولي التوفيق.

والحمد لله ربّ العالمين.

نحو مبادرات لخدمة المجتمع

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

في أعماق نفس الإنسان نوازع وميول كثيرة، بعضها باتجاه الشر، وأغلبها باتجاه الخير، يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: الآيتان ٧ – ٨] .

وأي نازع وميل في نفس الإنسان يحتاج إلى اكتشاف وتنمية ورعاية. فنجد أن بعض الناس تنبثق مواهبهم الفنية أو الأدبية، أو العلمية، أو غيرها، وهي في الأصل استعدادات موجودة في عمق الإنسان، لكن هناك من يكتشفها وهناك من يهملها.

فمثلاً الاندفاع إلى خدمة الناس والقيام بعمل الخير موجود في أعماق نفس كل إنسان، لكن بعض الناس يكتشفون هذا النازع فينمّونه ويستجيبون له، فيصبحون كما عبّر عنهم الحديث الشريف مفاتيح للخير، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إنَّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشرّ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»، وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الخير خزائن، لتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير» [1] ، وجاء في دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين ﷺ:

(١) الألباني: محمد ناصر الدين/ صحيح سنن ابن ماجة، ج١ص٩٦، حديث ١٩٥وحديث ١٩٦/ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ مكتبة المعارف – الرياض.

«وأجرِ للناس على يديَّ الخير»[١].

تنمية نوازع الخير

الاتجاه إلى فعل الخير حالة فطرية في نفس الإنسان، لكن تنمية هذه الحالة تحتاج إلى عوامل وأسباب، منها:

١. **توثيق الصلة بالله:**

فالإنسان كلما كان متصلاً بالله راجيًا لثوابه ورضاه، خائفًا من عذابه وعقابه، كان ذلك دافعًا له لعمل الخير وخدمة الناس، حيث يرجو بذلك نيل الثواب.

٢. **الوعي الاجتماعي:**

امتلاك الوعي يجعل الإنسان أكثر اندفاعًا نحو عمل الخير، لأن الوعي يرشد الإنسان إلى أن إقدامه على العمل الخيري ينفعه شخصيًا كما ينفع المجتمع الذي هو عضو فيه، وبالتالي ينعكس تقدّم المجتمع عليه وعلى أبنائه.

٣. **الأجواء الدافعة:**

هناك أجواء تدفع الإنسان لعمل الخير وتشجّع هذه النوازع في نفسه، كما إذا وفّقه الله لرفقة أهل الخير، حيث يكون ذلك دافعًا له أن يحاكيهم ويماثلهم.

٤. **التشجيع الاجتماعي:**

المجتمع الذي يشجّع على الخير يكثر فيه المقبلون على عمل الخير، بينما المجتمع الذي يثبّط ويعرقل الساعين للأعمال الخيرية تقل فيه الفعاليات الخيرية.

إننا نجد في تاريخنا الإسلامي وفي تاريخ البشرية، وفي حاضرنا كيف أن أناسًا يوفقهم الله تعالى لعمل الخير وخدمة الناس، ونجد آخرين يبخلون ولا يقدمون خدمة لأبناء مجتمعهم.

---

(١) الصحيفة السجّادية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، دعاء مكارم الأخلاق ص٩٢/ الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ أطياف للنشر والتوزيع - القطيف - السعودية.

إن الإنسان إذا نمّى حب عمل الخير في نفسه يحسّ بلذّة وارتياح، ويشعر بالسعادة والغبطة كلما أنجز شيئًا وقدّم خدمة للآخرين، كما يشعر باللذّة مَن يربح في تجارته، أو يحقق شيئاً من مصالحه ورغباته.

وهذا الشعور بالفرح والسعادة هو ما يشجّعه على الاستمرار في عمل الخير ويدفعه باتجاهه.

لكن البعض من الناس يُسلب الشعور بلذة عمل الخير، بل يثقل عليه القيام بذلك.

ولتقريب هذه الفكرة يمكن تشبيه هذا الشعور بِمَن يملك حسًّا وذوقًا أدبيًّا، حيث يطرب ويتفاعل لسماعه القصيدة الشعرية، لأنه يتذوّق الأدب، بينما لو سمع القصيدة مَن لا معرفة له بالأدب، ولا ذوق أدبيًّا لديه فإنه لن يتفاعل مع أجواء القصيدة بل قد يراها مضيعة للوقت.

وكذلك الحال في الفن التشكيلي، فالبعض قد يدخل معرضًا للفن التشكيلي فيتصفّح اللوحات المعروضة متأملاً متفاعلاً أمام كل لوحة، وعلى العكس من ذلك قد يمرّ شخص آخر على هذه اللوحات مروراً سريعاً، لأنه لا يملك الاهتمام والذوق الفنّي.

إن التفاعل مع عمل الخير من هذا النوع، فبعض الناس يشعر بلذّة إذا خدم إنسانًا أو أقام مشروعًا، بينما البعض الآخر لا يكترث بمثل هذه الأمور ولا يتفاعل معها.

والمبادرة لعمل الخير تتجلى في المظاهر التالية:

الدعوة إلى الخير

يستطيع الإنسان أن يكون باعثاً نحو عمل الخير ومشجعاً عليه، وذلك بدعوة الآخرين ودفعهم إلى القيام بما تتطلبه حاجات المجتمع.

وكم من كلمة طيبة كانت سبباً لخير كثير وانجازات كبيرة! يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبهَا وَيَضرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤-٢٥].

وقد ورد في الحديث عنه ﷺ : «الدال على الخير كفاعله» (١) ، وعنه ﷺ : «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله» (٢) ، بالطبع فإن تشجيع الآخرين على عمل الخير، لا يأتي من فراغ ولا يقوم به كل أحد، إنما يتبنّاه من يحمل تطلّعات الخير، ويهتم بقضايا المجتمع، ويكون ذهنه منشغلاً بخدمة الناس، فتنطلق الدعوة إلى الخير من أعماق قلبه، بصدق واهتمام، مصحوبة بجهد ذهني لعرضها على شكل مشروع عملي قابل للتطبيق والتنفيذ.

لقد كان المرجع الديني الراحل السيد محمد الشيرازي ﷺ أروع نموذج عرفته في مجال الدعوة إلى الخير. فلا يكاد يلتقي به شخص إلاّ ويطرح عليه مشروعاً يتناسب مع وضعه وبيئته، إما تأليف كتاب، أو إنشاء مسجد، أو إقامة مؤسسة، أو تبنّي حركة باتجاه خدمة دينية أو اجتماعية.

وسبحان الله، كان ذهنه وقاداً وكأنه مخزن أفكار ومشاريع، وكان يبذل جهداً في إقناع من يخاطبه فرداً أو مجموعة، بالتصدّي لعمل خير، عبر ذكر النصوص الدينية، واستعراض الحقائق والأرقام، واستحضار القصص والشواهد.

وقد رأيت وقرأت عن كثيرين من العاملين الذين تفاعلوا مع تشجيعه ودعوته، وتحققت على أيديهم انجازات وخدمات كبيرة في مختلف ميادين خدمة الإسلام والمسلمين.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٦ ص١٢٣ حديث ٢١١٤٥.

(٢) السجستاني: الحافظ أبو داؤد/ سنن أبي داؤد/ ج٢ ص٧٥٥ حديث ٥١٢٩/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ دار الجنان - بيروت.

السعي والمطالبة

هناك أمور كثيرة يحتاجها الناس يمكن أن تقوم بها الدولة، أو الجهات المتصدّية لأمور الدين والمجتمع، ولكن تنفيذها بحاجة إلى من يطرح الاقتراح ويطلب ويتابع التنفيذ.

إن الجهات المعنية قد لا تعرف بعض حاجات المجتمع وقضاياهم، وقد يكون هناك تقصير لدى بعض الأجهزة التنفيذية، وحين يتصدّى بعض المواطنين لإبلاغ المسؤولين، وتبيين الحاجات والنواقص، فإن قسماً منها على الأقل ستتم معالجته. وقد لاحظنا شواهد مختلفة على ذلك. وبحمد الله، فإن الوصول إلى المسؤولين والتخاطب معهم أمر ميسور في بلادنا.

ولوسائل الإعلام المحلية دور إيجابي على هذا الصعيد، حيث تنشر تحقيقات عن بعض المشاكل والنواقص التي يعانيها المواطنون في هذا المجال أو ذاك، مما يلفت نظر المسؤولين، ويكشف تقصير بعض الأجهزة والموظفين، فيتم التدارك والمعالجة.

وبعض القضايا والحاجات ترتبط بالجهات الأهلية كالمؤسسات الاجتماعية، ورجال الأعمال، وعلماء الدين، فإذا كان هناك من يلفت نظرهم ويقترح عليهم، ويقدم لهم المشاريع والبرامج، فإن في معظمهم خيراً كثيراً واستجابة طيبة.

وعلينا عندما نتحرّك في مثل هذه الأمور، أن نحرّك الآخرين معنا حتى يكثر المطالبون، وتنتشر مثل هذه الحالة الإيجابية في المجتمع.

ومما يؤسف له أن نسمع الكثيرين في المجتمع ممن يشتكون من بعض المظاهر السلبية أو من نقص في بعض الإمكانات، أو من سوء خدمة المواطنين في بعض الدوائر، ومع ذلك لا تجد من يتحرّك من أجل الإصلاح والتغيير.

إن التحرّك في هذه الأمور ذات الشأن العامّ من مصاديق دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأجرِ للناس على يديَّ الخير».

قد يقول البعض بأن هذه المساعي قليلاً ما تجدي، ولكننا في ثقافتنا الدينية نجد أن مجرّد السعي للخير فيه ثواب وأجر.

وأذكر هنا، كنموذج، أن موسوعة غينس للأرقام القياسية لعام ٢٠٠٣م تحدثت عن امرأة هندية نشرت لها الصحف في بلادها ٣٣٤ رسالة في سنة واحدة، للمطالبة بمعالجة مشاكل وقضايا ترتبط بالشأن العام، وقد نشرت السيدة (مادهواغراوال) وهي ربّة منزل رسائلها في ٢٣ صحيفة هندية مشهورة، ويصل رصيدها من الرسائل المنشورة طيلة السنوات الماضية إلى نحو خمسة آلاف رسالة.

ونجد في كثير من الأحيان عندما يكتب أحد الصحفيين في الجرائد المحلية عن حاجة إنسان مريض أو فقير ويعرض مشكلته، ما هي إلا أيام حتى يتصل أحد المحسنين بالجريدة ويتبرّع بحل مشكلة هذا المحتاج.

إن اهتمام بعض الكتّاب ببعض المشاكل الاجتماعية يؤدي في كثير من الأحيان إلى حلها، وهذا دليل قوي على أن أعمال الخير في بعض مواردها قد لا تحتاج إلى أكثر من المطالبة والمتابعة سواء مع الجهات الرسمية أو الأهلية.

المبادرة إلى عمل الخير

كل مجتمع يحتاج إلى مبادرات جادّة لعمل الخير، وقد تحدّث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن فضل المسارعة إلى فعل الخير، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٤]، وورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «عليكم بأعمال الخير فتبادروها ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم» (١).

ومن المؤسف أن نرى الشعوب الأخرى غير الإسلامية تبادر إلى تأسيس مختلف

(١) ميزان الحكمة: ج٣، ص ٢٠١.

أعمال الخير في مجتمعاتها وعلى مستوى العالم، بينما تنخفض هذه الحالة في مجتمعاتنا الإسلامية، نشرت جريدة الحياة تقريراً عن معهد هدسون للازدهار العالمي بعنوان: «مؤشر التبرعات الخيرية عبر العالم» يتحدّث هذا التقرير عن الشعب الأمريكي والتبرعات الخيرية من الأمريكيين، فيشير إلى أن السجلات المدونة تضمنت التبرع بمبلغ ٧١ مليار دولار للقضايا العالمية من قبل المنظمات الخيرية الأمريكية والمؤسسات الدينية والجامعات والشركات.

ويشير التقرير إلى أن قسمًا من هذه التبرعات هي من المهاجرين الذي هاجروا إلى أمريكا من بلدان أخرى، حيث يبعثون بالأموال إلى مناطقهم، وتبلغ ٤٧ مليار دولار، في حين تصل تبرعات الأمريكيين إلى المناطق الأخرى ٢٤ مليار دولار.

ويتحدث التقرير عن أن نصف الراشدين الأمريكيين تقريبًا يؤدون عملاً تطوعيًّا، بينما لو عملنا إحصاءً في مجتمعاتنا سنجد أن نسبة العاملين في المجال التطوعي تشكل نسبة قليلة جدًّا لا تكاد تذكر.

ومما يذكره التقرير أن المنظمات الأمريكية الخاصة والتطوعية وحدها قدّمت مبلغ ٩,٧ مليار دولار إلى الأقطار النامية. وأنه خلال العقد الماضي زادت المؤسسات الخيرية في أمريكا بنسبة ٧٧ ٪، وزاد العطاء من الناس لهذه المؤسسات بنسبة ١٠٠ ٪ [1].

إن كل واحد منّا مطالب بأن يكون جزءًا من عمل تطوعي في المجتمع، ولا يصحّ لأحد أن يقبل لنفسه أن يكون متفرّجًا على حاجات المجتمع وأوضاعه، وأن يطالب نفسه بدور وأن يكون جزءًا من أيّ مؤسسة خيرية اجتماعية، ففي ذلك كبير الثواب والأجر عند الله سبحانه وتعالى، وذلك هو السبيل لتقدّم المجتمع.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المبادرين إلى أعمال الخير، وأن نكون من أهل الخير،

---

(١) جريدة الحياة: صحيفة يومية تصدر من لندن/ العدد ١٥٧٢١، الخميس ٢٠ نيسان ٢٠٠٦م الموافق ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ، ص ٢٣.

وأن ينمّي في نفوسنا نوازع الخير. اللهم كثّر أهل الخير ووفق العاملين للخير وارزقهم الثواب والأجر الجزيل.

والحمد لله ربّ العالمين.

التربية على محبة الناس

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

من دلائل عظمة الإسلام وصدق دعوته تربية أبنائه على محبة الناس، مهما اختلفوا في أديانهم وأعراقهم وتوجّهاتهم، وهذا النهج الإسلامي يتجلّى في كثير من المظاهر، نذكر منها ثلاثة:

الأول: النظرة الإنسانية

يعطي الإسلام أبناءه رؤية وثقافة تجعلهم ينظرون إلى كل الناس نظرة احترام، ويعاملونهم على أساس المودّة ومحبّة الخير للجميع، بغضّ النظر عن انتماءاتهم وأديانهم، وهذا واضح في آيات القرآن الكريم، الذي نصّ على كرامة الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠]، وهذه الآية عامّة في دلالتها على تكريم الإنسان كإنسان دون النظر إلى انتمائه ولونه ولغته ودينه.

ورود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله»[1].

إن هذه الرؤية الدينية المتقدّمة في نظرتها للإنسان قد تشّوشها وتشّوهها بعض النظريات الخاطئة ومحاولات التحريف الذي يطال الديانات، باتجاه الازدراء للآخرين واحتقارهم والنظر إليهم بدونية، كبعض الآراء التي تنظر للمرأة باحتقار وتنسب إلى

(١) كنز العمال ج٦ ص ٣٦٠حديث ١٦٠٥٦، ومثله في وسائل الشيعة ج١٦ ص٣٤٤ حديث٢١٧٢٠.

الدين، أو الازدراء بمن ينتمي إلى دين ومذهب مخالف وينسب ذلك إلى الدين، إن هذه التوجّهات تخالف روح وتعاليم الإسلام الذي ينظر للإنسان باحترام وتكريم.

الثاني: منع الإساءة والعدوان

إذ لا يجوز في شريعة الإسلام الاعتداء على أحدٍ مهما كان لونه ودينه ومذهبه إلاّ إذا كان معتدياً ففي هذه الحالة يشرّع للمسلم الدفاع عن نفسه لردّ العدوان، يقول تعالى: ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٩٣]، ويقول تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٤]، ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٠].

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في تعريفه للمسلم: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه» [١]، فالحديث صريح بأن المسلم الحقيقي من لا يعتدي على الآخرين بأيِّ اعتداء معنوي بتجريح أو إهانة، أو اعتداء مادي من ضرب ونهب.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من آذى ذميًّا فقد آذاني» [٢].

الثالث: الإحسان إلى الناس

هناك تشجيع ودفع من الإسلام ليكون المسلم محسنًا وبارًّا بأفراد المجتمع البشري، مهما كانت دياناتهم ومذاهبهم وهوياتهم، يقول تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٨]، والحديث الشريف المروي عن رسول الله ﷺ واضح في دلالته على هذا المعنى، حيث يقول ﷺ : «الخلق عيال الله، وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله»، حيث عبّر الحديث أن الخلق جميعًا هم عيال الله. ولم يحصر ذلك في المسلمين والمؤمنين.

---

(١) ميزان الحكمة: ج٤ ص٥٢٢ حديث ٨٧٨٣.

(٢) ابن حنبل: الإمام أحمد/ مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤ ص ٣٩٥.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله : عن أحبّ الناس إلى الله؟

فقال: «أنفعهم للناس» [١] . وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «رأس العقل بعد الدين التودّد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل بَرٍّ وفاجر» [٢] .

كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «ابذلْ معروفك للناس كافّة، فإن فضيلة المعروف لا يعدلها عند الله شيء» [٣] .

وقال رجل عند الإمام الحسين بن علي عليه السلام : «إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع» فقال الإمام الحسين عليه السلام : «ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البَرَّ والفاجر» [٤] .

ومما ورد في ذلك عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «اصطنع الخير إلى من هو أهله وإلى مَنْ هو غير أهله، فإن لم تصب من هو أهله فأنت أهله» [٥] .

وهناك حادثة يرويها أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام هو معلى بن خنيس قال: «خرجت مع الإمام ليلاً ومعه جراب من خبز، فأتينا ظلة بني ساعدة، فإذا نحن بقوم نيام، فجعل الإمام الصادق عليه السلام يدسّ الرغيف والرغيفين عند رأس كل واحدٍ منهم حتّى أتى على آخرهم، ثم انصرفنا، وقلت: جعلتُ فداك يعرف هؤلاء الحق؟ فقال عليه السلام : لو عرفوه لواسيناهم بالدقّة (الملح) » [٦] .

وفي رواية عن مصادف (من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام) قال: كنتُ مع أبي

---

(١) ميزان الحكمة: ج٢ ص٢١٩ حديث ٣١٢٠.
(٢) كنز العمال: ج٨ ص ٩ حديث ٥١٧٤.
(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي/ عيون الحكم والمواعظ ص ٧٥.
(٤) تحف العقول، ص١٧٦
(٥) الصدوق: أبي جعفر محمد بن علي/ عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٣٨ حديث ٧٦.
(٦) الكليني: محمد بن يعقوب/ الكافي ج٤ ص ٨/ دار الأضواء ـ بيروت.

عبد الله عليه السلام بين مكّة والمدينة فمررنا على رجل في أصل شجرة وقد ألقى بنفسه، فقال: «مِلْ بنا إلى هذا الرجل فإني أخاف أن يكون قد أصابه العطش»، فَمِلْنا إليه فإذا برجل من الفراشين طويل الشعر، فسأله: «أعطشان أنت؟»، فقال: نعم، فقال لي: «انزل يا مصادف فاسقِهِ»، فنزلتُ وسقيته ثم ركبت وسرنا، فقلتُ: هذا نصراني، أفتتصدّق على نصراني؟! فقال عليه السلام: «نعم، إذا كان في مثل هذا الحال» [1].

من هذه النصوص الشريفة وغيرها نستنتج أن نهج الإسلام هو التربية على محبّة الناس، كل الناس.

ولهذا، فإن مما اتفق عليه فقهاء المسلمين جميعًا جواز الوقف لخدمة غير المسلمين، كأن يوقف أحد المسلمين وقفًا ليصرف على فقراء اليهود أو النصارى، أو على تعليم أولادهم أو على علاج مرضاهم، وغير ذلك من المنافع العامّة لهم.

ولا يقتصر جواز الوقف على غير المسلم المسالم بل يجوز حتّى على الحربي كما هو رأي بعض الفقهاء كالسيد اليزدي في ملحقات العروة الوثقى.

نهج التعصّب

هذه الرؤية الإسلامية للتعامل مع الآخر، نستنطقها من نصوصه الشريفة، ولكن مما يؤسف له أن هذه الرؤية والتربية الإسلامية السامية لا نجد لها رواجًا في بعض أوساط المجتمع الإسلامي، بل على العكس من ذلك أصبحنا نسمع بين فينة وأخرى تلك الصيحات التي تدعو إلى نشر الأحقاد والضغائن والكراهية بين بني البشر، وبدل أن تنتشر في أوساط المسلمين ثقافة المحبّة والتسامح سادت في بعض أوساطهم ثقافة التحريض على كراهية الآخرين، فنسمع بعض الأحيان في خطب الجمعة دعوات على كل اليهود والنصارى بالهلاك والدمار، مع أن الإسلام لا يعادي أصحاب دين بأجمعهم،

---

(١) وسائل الشيعة ج٩ ص٤٩ حديث ١٢٣٥٠.

وإنما يعادي التصرف والسلوك العدائي تجاه المسلمين.

فليس من الانصاف أن نربّي جمهور المسلمين على كراهية غير المسلم بسبب بعض المواقف التي تتبناها جهات من المنتمين لهذه الديانات. ومن جهة أخرى، كيف يعطي المسلمون صورة مشرقة عن هذا الدين للآخرين، إذا كانوا يعلنون للآخر الكراهية والحقد والدعاء عليه بالشر.

مسلمون ينشرون الأحقاد فيما بينهم

وهذه التعبئة لم تقتصر على غير المسلم، بل انجرّ الأمر إلى المخالف في المذهب، فهناك تعبئة وتحريض على الكراهية بين المسلمين مع بعضهم البعض، عبر مختلف الوسائل، كالفتاوى وخطب الجمعة والمنشورات، وفي بعض مناهج التعليم.

ولذلك أصبح المسلمون فيما بينهم يعيشون جوًّا تسوده الضغائن والأحقاد وذلك بسبب التعبئة الطائفية والمذهبية التي يمارسها كل طرف تجاه الآخر.

بل نجد أن المسألة انجرّت لتصل إلى تعبئة وتعبئة مضادّة بين أصحاب المذهب الواحد، حين تتقاسمه التوجّهات والتيارات المختلفة، والشواهد على ذلك كثيرة، وآخرها ما حدث في باكستان في مدينة كراتشي، حين تجمّع ما يقرب من ٥٠,٠٠٠ من جماعة اسمها (تحريك السنّة) ـ وهي على الطريقة البريلوية ـ في حديقة عامّة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فاقتحم الجموع شاب انتحاري يبدو أنه من التوجه الذي يرى أن مثل هذه المظاهر من البدع، فقتل في هذه الحادثة ٥٧ وأكثر من ١٠٠ جريح، وكان من بين المصابين زعيم الجماعة مولانا عباس قادري (١٢/ ٤/ ٢٠٠٦م)[1].

ونجد في الأوساط الشيعية تجري بعض الحالات من التعبئة ضد الآخر المخالف في الرأي والانتماء المرجعي، حيث تتحرك في هذا المجال الفتاوى التعبوية والمنشورات

(١) الصحف ووكالات الأنباء.

المحرّضة والخطاب المنبري المنفّر، مما يشنّج العلاقة بين أفراد المجتمع، وقد يصل الحال لأن تفسد العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة بسبب هذا الخطاب التحريضي.

التحريض الطائفي في مناهج التعليم

هذا التحريض على الكراهية يوجد أوضاعًا سلبية في مجتمع المسلمين، خصوصًا عندما يوجّه للصغار، ويكون ضمن مناهج التعليم للمراحل التعليمية المبكّرة، فننشئ أطفالنا تنشئة عنصرية طائفية.

إن هذه المناهج التحريضية مدانة، خصوصًا عندما تحتوي على عبارات التكفير والتبديع والاتهام بالشرك والضلال، فهذا يخرج لنا جيلاً معبأ طائفيًا مليئاً بالحقد والكراهية للطرف الآخر.

والأدهى من ذلك أن يمارس بعض معلمي المواد الدينية عملية التبشير المذهبي في المجتمعات التي تختلف معهم مذهبيًا، أو أن يقوموا بالتحريض على الكراهية فيما بين الطلاّب في المجتمعات المتداخلة مذهبيًا.

إن هذه التربية تنعكس على علاقة المواطنين مع بعضهم البعض بسبب انتماءاتهم المتعددة، فنجد الطلاب والطالبات في الجامعات والكليات يحذرون من أن يقيموا علاقات طبيعية مع بعضهم بسبب هذه التربية.

الجمهور هو الضحية

إن أجهزة التعليم والمؤسسات الدينية والأهالي في تربيتهم لهذا الجيل يتحمّلون مسؤولية كبيرة، لذلك على الذين يملكون مواقع خطابية وإعلامية أن يتنبهوا وألاّ يقعوا في مسألة التحريض الطائفي والمذهبي، فعندما يمارس الخطيب دور المدافع عن العقيدة ويعبئ جمهوره ضد الطرف الآخر والطائفة الأخرى، فإن هذا الجمهور هو من يصبح ضحية هذه التعبئة.

فالشاب والشابّة يتواجدون في مناطق الاحتكاك مع هذه الأطراف، سواءً في الجامعة أو أماكن العمل، فحينما يسيء أحدهم للآخر تفسد العلاقة ويعيشون حالة من الاحتقان والتشنّج الطائفي، بينما لا يتحمّل ذلك الخطيب الذي عبأ وحرّض أيّ مسؤولية أو تبعة.

يجب على المجتمع كلِّه أن يعارض أيَّ تحريض وتعبئة طائفية، سواءً في وسط السنة أو الشيعة، فذلك لا يخدم إلا العدوّ الذي يتربّص بنا الدوائر.

نسأل الله أن يوحّد كلمة المسلمين، وأن يجعلنا وإياكم من الصالحين المصلحين.

والحمد لله ربّ العالمين.

صلاة الجماعة من أعظم شعائر الدين

كلمة الجمعة بتاريخ ٧ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

الدين في الأصل حالة اعتقادية في قلب الإنسان، حيث يقرّ ويعتقد بربّه وخالقه، ويؤمن برسالاته، وبالرجوع إليه يوم القيامة، وينبثق عن هذا الاعتقاد التزام بطاعة الله وعبادته.

وهذان الأمران الاعتقاد والالتزام يدوران في إطار الشخص ذاته، لكن هناك بعداً آخر للدين هو أفقه الاجتماعي، فإن في الدين قوانين ومناهج تنظم حياة الناس ومختلف شؤونهم الاجتماعية، إلى جانب ما فيه من عبادات ومناسك يؤديها الإنسان بينه وبين الله سبحانه.

وتتمظهر بعض العبادات والمناسك على شكل حالة جمعية، يمارسها الناس مع بعضهم بعضاً، ومن أبرزها ما نراه في مناسك الحج، حيث لا يحج المسلم بمفرده، وفي أي وقت شاء، وإنما يحج مع الناس وفي الوقت الذي حدده الله سبحانه وتعالى، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾.

ومن مظاهر الحالة الدينية الجمعية ما نشهده في صلاة الجماعة، حيث شرّعها الله سبحانه ورغّب في حضورها، من خلال كثير من الآيات والأحاديث، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة آية: ٤٣]، أي صلوا مع المصلين حيث عبرت عن الصلاة بأهم أركانها وهو الركوع.

حكم صلاة الجماعة:

يتّفق جميع المسلمين على أصل تشريع صلاة الجماعة، في جميع الصلوات الواجبة، كما يتفقون على عدم صحة صلاة الجمعة والعيدين ـ في حال وجوب صلاة العيدين ـ إلاّ جماعة.

ووقع الخلاف بين الفقهاء في حكم صلاة الجماعة في الفرائض اليومية، والآراء في حكمها ثلاثة:

الأول: واجبة فرض عين:

يذهب هذا الرأي إلى القول بوجوب صلاة الجماعة على كل مسلم قادر على حضورها، ولا يصحّ أن يؤدي المسلم الفريضة اليومية منفردًا ما دام قادرًا على حضور الجماعة، وإلا فإنه يؤثم ويعزّر، وتردّ شهادته.

وهو رأي المذهب الحنبلي وبعض الأحناف [١].

وقد استدل القائلون بهذا الرأي بالآية الكريمة: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وكذلك آية صلاة الخوف، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [سورة النساء آية: ١٠٢]، بتقرير أن الأمر بها في صلاة الخوف يجعل وجوبها في الحالات العادية أولى.

وما ورد عن الرسول ﷺ ـ وهو حديث يرويه الفريقان وإن اختلف لفظه ـ أنه قال: « لقد هممت أن آمر فتياني أن يستعدّوا لي بحزم من حطب ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ثم تحرق بيوتٌ على من فيها» [٢] وفي رواية «ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن نأمر

---

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية، ج١٥ ص ٢٨١/ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - الكويت.

(٢) النيسابوري: مسلم بن الحجاج القشيري/ صحيح مسلم/ ص٣٢٧ حديث٢٥٣/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ دار المغني ـ الرياض.

بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم نار فتحرق عليهم بيوتهم»[١].

وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «لا صلاة لجار المسجد إلا في مسجده» [٢].

الثاني: واجبة فرض كفاية:

حيث يتوجّب إقامة صلاة الجماعة في كل بلد فيه مسلمون، وإن وُجد من البلاد من لا يقيم الجماعة، فعلى الحاكم الشرعي أن يأمرهم حتى يقيموها ولو استلزم ذلك منازلتهم وقتالهم.

وقال الفقهاء: (الصلاة في الجماعة معنى الدين، وشعار الإسلام، ولو تركها أهل مصر قوتلوا، وأهل حارة جبروا عليها وأكرهوا) [٣].

وهو رأي الشافعية [٤].

واستدلوا لهذا الرأي بالحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» [٥].

الثالث: سنّة مؤكّدة:

وهو رأي الجعفرية [٦] والمالكية وبعض فقهاء الحنفية [٧].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥، ص ١٩٤ حديث٦٣١١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥، ص ١٩٤ حديث ٦٣١٠، وراجع: البيهقي: السنن الكبرى/ ج٣، ص ٥٧.

(٣) الموسوعة الفقهية: ج٧ ص ١٦٥.

(٤) الزحيلي: وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته/ ج٢ ص ١٥٠/ الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ دار الفكر – دمشق، قال: في الأصح المنصوص.

(٥) سنن أبي داوُد: ج١، ص ٢٠٥ حديث ٥٤٧.

(٦) العاملي: محمد بن جمال الدين مكي/ اللمعة الدمشقية ج١ ص ٣٧٧/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، واليزدي: محمد كاظم الطباطبائي، العروة الوثقى ج١ ص٥٤٣ / الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٧) الفقه الإسلامي وأدلته : ج٢ ص١٤٩.

مكانة صلاة الجماعة:

وقد وردت أحاديث وروايات كثيرة تؤكّد أهمية صلاة الجماعة، ومنها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن مشى إلى مسجد يطلب فيه صلاة الجماعة كان له بكل خطوة يخطوها سبعين ألف حسنة» (١).

وورد عنه صلى الله عليه وآله في حديث ذكرته المصادر من الفريقين: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة» (٢) أو كما في صحيح مسلم: «صلاةٌ مع الإمام أفضل من خمس وعشرين صلاة يصليها وحده» (٣).

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علّة فلا صلاة له» (٤).

وكذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ لم يصلِّ جماعة فلا صلاة له بين المسلمين، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا صلاة لمن لم يصلَّ في المسجد مع المسلمين إلا من علة» (٥).

وقد سأل زرارة الإمام الصادق عليه السلام: عن ما يروي الناس أن الصلاة في جماعة أفضل من صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاة، فقال عليه السلام: نعم، صدقوا(٦).

وعنه عليه السلام: «إن الله يستحي من عبده إذا صلّى في جماعة ثم سأله حاجته أن ينصرف حتى يقضيها» (٧).

وفي هذا السياق ينقل الشيخ الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»: روي أن السلف كانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى، ويعزون أنفسهم سبعاً إذا

(١) ميزان الحكمة: ج٢، ص ١٢٥٩.
(٢) وسائل الشيعة: ج٨، ص ٢٨٩ حديث ١٠٦٨٨.
(٣) صحيح مسلم: ص ٣٢٦، حديث ٢٤٨.
(٤) وسائل الشيعة: ج٧، ص ٢٩٩ حديث ٩٣٩٤.
(٥) وسائل الشيعة: ج٨، ص ٢٩٣ حديث ١٠٧٠١.
(٦) وسائل الشيعة: ج٨ ص ٢٨٦ ،حديث١٠٦٧٧.
(٧) المصدر السابق: ج٨ ص٢٨٩ حديث ١٠٦٨٩.

فاتتهم الجماعة[١] .

وقد تحدث الفقيه المعروف السيد محمد كاظم اليزدي رحمة الله في العروة الوثقى عن الترغيب في صلاة الجماعة بشكل تفصيلي ومن عباراته ما يلي: (هي من المستحبات الأكيدة في جميع الفرائض، خصوصاً اليومية منها وخصوصاً في الأدائية، ولا سيّما في الصبح والعشاءين، وخصوصاً لجيران المسجد أومن يسمع النداء، وقد ورد في فضلها وذم تاركها من ضروب التأكيدات ما كاد يلحقها بالواجبات) إلى أن قال ﷺ: (وكلما كان المأمومون أكثر كان الأجر أزيد، ولا يجوز تركها رغبة عنها أو استخفافاً بها... فمقتضى الإيمان عدم الترك من غير عذر سيما مع الاستمرار عليه، فإنه كما ورد لا يمنع الشيطان من شيء من العبادات منعها) [٢] .

فوائد صلاة الجماعة:

لصلاة الجماعة فوائد جمّة في حياة المسلمين، منها:

١. تعزيز الحالة الدينية:

حينما يحضر المسلمون المسجد ويصلون مع بعضهم البعض تتعزز الحالة الدينية في نفس كل واحد منهم وتتقوّى، فمن طبيعة الإنسان أنه عندما يرى كثرة من الناس تمارس عملاً معيناً يعطيه ذلك دافعاً للقيام بهذا العمل الذي يجد الآخرين يقبلون عليه، فالعمل الجمعي له وقع وقيمة في النفوس، وبما أن صلاة الجماعة هي في الأصل أداء للواجب والتكليف الشرعي، ومظهر من مظاهر التديّن، فتعزيزها تعزيز للحالة الدينية الاجتماعية. وهذا ما أشار إليه الإمام علي الرضا ﷺ بقوله: «إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهرًا مكشوفًا مشهورًا، لأن في إظهاره

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج١ ص٢٢٦/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / دار الهادي ـ بيروت.

(٢) العروة الوثقى، فصل في الجماعة.

حجّة على أهل الشرق والغرب»[١].

٢. **التداخل بين اتصال العبد بالله وصلته بالناس:**

فالمصلي عندما يأتي للجماعة في المسجد، ينوي الصلاة مخلصًا لله سبحانه، ولكنه يؤديها مع جماعة المؤمنين، وهذا يؤكّد ـ وبشكل جليّ ـ أن للدين بعدين، البعد العبادي المتعلّق بالصلة بالله تعالى، والبعد الاجتماعي المتعلّق بعمق العلاقة بين الفرد وبني مجتمعه.

٣. **توثيق الروابط الاجتماعية:**

ففي صلاة الجماعة يلتقي المؤمنون ويتعرف بعضهم إلى بعض، وتكون فرصة للتلاقي اليومي، وتبادل الأحاديث عن الأوضاع الاجتماعية، كما يعيش المصلون حينما يقفون خلف إمام واحد وبجانب بعضهم بعضاً، حالة من المساواة، وانعدام الطبقية بين مختلف فئاتهم وشرائحهم، وهو أمر يعزز التوادّ والمحبة بين الناس.

٤. **التربية على النظام:**

صلاة الجماعة تربي الإنسان على النظام والانضباط الجماعي، فإذا واظب المصلي على الجماعة، فسينضبط في أداء الصلاة في وقتها، وعلى العكس من ذلك الصلاة فرادى، حيث لا يكون هناك أي مُلزم لأدائها في وقتها.

وفي الجماعة تعويد على النظام، حيث يكبر المأمومون بعد الإمام، ويؤدون جميع أفعال الصلاة بعده، إلى أن تنتهي الصلاة، ويقفون صفوفا منتظمة متراصة.

٥. **التوجيه والمعرفة الدينية:**

توفر صلاة الجماعة فرصة جيّدة للتوجيه والمعرفة الدينية، حيث يستفيد المصلون من حضورهم للصلاة، باستماع الخطب والمواعظ الدينية، وعرض أسئلتهم واستفتاءاتهم الدينية على إمام الجماعة، إذا كان من أهل المعرفة والعلم.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٢٨٧ حديث١٠٦٨٣.

العزوف عن صلاة الجماعة:

وقد يتساءل البعض: ما دامت لصلاة الجماعة هذه الفوائد والآثار الطيبة على المجتمع، إضافة إلى ما ورد من النصوص الدينية في الحث عليها، وتبيين عظيم ثوابها عند الله تعالى، فلماذا نجد العزوف عند الكثيرين من حضورها، حيث لا يمثل الحضور لصلاة الجماعة إلا نسبة قليلة من المجتمع؟

لا بدّ أن هناك أسباباً لعل من أبرزها ما يلي:

الأول: ضعف الاهتمام الديني:

فمن يهتم بتعاليم الدين لا يترك صلاة الجماعة، إذا كان عارفاً بقيمتها وفضلها عند الله، ومن يرغب في ثواب الله تعالى، لا يتأخر عن صلاة الجماعة، مع ما ورد فيها من الأجر العظيم والثواب الكبير.

لكن الكثيرين يفتقدون رغبة الإقبال على هذه الشعيرة العظيمة، بسبب ضعف الاهتمام الديني في نفوسهم.

الثاني: ضعف التشجيع:

حيث لا نجد في المجتمع حثاً وتشجيعاً كافياً على أداء صلاة الجماعة، فالكتابات حولها قليلة، والخطباء نادراً ما يتعرضون لفضل صلاة الجماعة ولحث الناس على المواظبة عليها.

بل إن بعض الخطباء وطلاب العلوم الدينية قلّ أن يرى الناس حضورهم في صلاة الجماعة، في ماعدا تصديهم للإمامة، وكأن طالب العلم لا صلة له بهذه الشعيرة إلا إذا كان إماماً وليس مأموماً.

الثالث: الكسل

إن قسماً من الناس يستثقل الذهاب إلى صلاة الجماعة، لأنها تأخذ جزءاً من وقته، وتصرف شيئاً من جهده، فيرى صلاته منفرداً في البيت أسهل وأيسر، مع أن الوقت

والجهد اللذين تستلزمهما صلاة الجماعة محدود ضئيل، وهو يصرف أضعاف ذلك الوقت والجهد على سائر شؤون حياته من الكماليات والرفاهيات.

الدعوة لصلاة الجماعة:

يحتاج مجتمعنا إلى حملة مكثفة من التوعية والتوجيه، لحث الناس على صلاة الجماعة، بنشر الكتب والمقالات التي تتناول فضلها وأهميتها، وينبغي أن تفتح المنتديات على مواقع الانترنت باب النقاش والبحث حول أسباب العزوف عن صلاة الجماعة في المجتمع، وطرق التشجيع على المواظبة عليها، والعلماء والخطباء عليهم أن يكرروا الدعوة إليها والحث على الاهتمام بهذه الشعيرة العظيمة.

ويمكن الاستفادة من الجوال، بإرسال رسائل قصيرة إلى الأصدقاء والأقرباء، لدعوتهم لصلاة الجماعة.

ولو تشكلت في كل مسجد لجنة للدعاية والإعلام لصلاة الجماعة، وابتكار الوسائل والأساليب المؤثرة في جذب الناس لها، فإنها ستحقق نتائج جيدة.

وعلى كل فرد منا أن يحث ويشجع أقرباءه وأصدقاءه، ولا يسأم من دعوتهم لصلاة الجماعة، فإن الدال على الخير كفاعله. وذلك مصداق من مصاديق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف.

جعلنا الله وإياكم من الدعاة إلى طاعته والمبادرين إلى عبادته إنه ولي التوفيق.

والحمد لله ربّ العالمين.

صلاة الجماعة وتجاوز العصبيات

كلمة الجمعة بتاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

صلاة الجماعة ليست مجرّد عبادة شكلية، أو عمل طقوسي، دون مردود اجتماعي، وإنما هي شعيرة ذات رسالة، تريد أن تكرّس قيمًا إسلامية في المجتمع، ولها ذلك البعد التربوي، حيث تربي المجتمع على تعاليم الإسلام وأخلاقه وقيمه، وهذا أمر يمكن ملاحظته من خلال تأمل الأحكام التفصيلية لصلاة الجماعة في مجموعها العامّ.

ومن القيم التي تغرسها صلاة الجماعة في المجتمع مسألة القيادة الاجتماعية، والالتفاف حول الرمز، حيث إن الشرع الإسلامي يضع لإمام الجماعة ـ وصلاة الجماعة هي نموذج للحالة الاجتماعية في الإسلام ـ شروطًا ومواصفات لا يقدّمه الناس ليؤمّهم إلا بعد تحققها فيه.

ومن النصوص التي تؤكّد هذا المعنى ما ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن سرّكم أن تزكوَ صلاتكم فقدّموا خياركم» [1].

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لا تصلِّ إلاَّ خلف من تثق بدينه» [2].

وجاء عن سعد بن إسماعيل عن أبيه قال: قلتُ للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

---

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٣١٥ حديث ١٠٧٧٠. المناوي/ فيض القدير شرح الجامع الصغير،/ ج٣، حديث ٢٦٦٣.

(٢) الكافي، ج٣، باب الصلاة خلف من لا يقتدى به/ ص٣٧٤ حديث ٥.

«رجل يقارف الذنوب، وهو عارف بهذا الأمر، أصلي خلفه؟ قال عليه السلام: لا» [١].

ونُقِلَ عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «إن إمامك شفيعك إلى الله، فلا تجعل شفيعك سفيهًا ولا فاسقًا» [٢].

والشرائط التي ذكرها الفقهاء في إمام الجماعة كثيرة ومعروفة، منها: البلوغ والعقل والإسلام والإيمان وغيرها.

ولكن أبرز شرطين قد يبتلى بهما المكلّف، ويحتاج إلى التأكد من توفر إمام الجماعة عليهما، هما:

أولاً: العدالة

والمقصود بالعدالة: الاستقامة على جادّة الشرع، وذلك بعمل الواجبات وترك المحرّمات. وبمعنى آخر: الاستقامة السلوكية.

والمسلمون في مذاهبهم يختلفون في اشتراط العدالة في إمام الجماعة، على ثلاثة آراء:

وجوب تحقّق العدالة في إمام الجماعة في أيّ صلاة، دون تفريق بين الفرائض اليومية والجمعة والعيدين. وهو رأي الإمامية والزيدية.

وجوب تحققها في الفرائض اليومية فقط، ويتغاضى عن هذا الشرط في صلاة الجمعة والعيدين. وهو رأي الحنابلة.

عدم اشتراطها في إمام الجماعة، فتصح الصلاة وراء كل بَرٍّ وفاجر في أيّ صلاة، وهو رأي بقية المذاهب الإسلامية الحنفي والمالكي والشافعي، أخذاً بما رواه الدارقطني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: « صلوا خلف من قال لا إله إلا الله » .

---

(١) الطوسي: محمد بن الحسن/ تهذيب الأحكام، ج٣ ص٣١ حديث٢٢/ الطبعة الثانية ١٩٥٩م/ دار الكتب الإسلامية ـ النجف الأشرف.

(٢) وسائل الشيعة، ج٨، باب عدم جواز الاقتداء بالفاسق/ ص ٣١٣ حديث ٢.

غاية الأمر كراهة تقديم الفاسق مطلقاً عند المالكية، وعند الشافعية.

والحنفية تكره إمامة الفاسق إلا إذا كان إماماً لمثله[١].

جاء في فقه السنة: روى البخاري أن ابن عمر كان يصلي خلف الحجاج. وروى مسلم أن أبا سعيد الخدري صلى خلف مروان صلاة العيد، وصلى ابن مسعود خلف الوليد ابن عقبة بن أبي معيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلى بهم يوماً الصبح أربعاً، وجلده عثمان بن عفان على ذلك. وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن عبيد، وكان متّهماً بالإلحاد، وداعياً إلى الضلال. والأصل الذي ذهب إليه العلماء، أن كل من صحت صلاته لنفسه، صحت صلاته لغيره. لكنهم مع ذلك كرهوا الصلاة خلف الفاسق والمبتدع[٢].

وتفريق الحنابلة بين الجمعة والعيدين، وبين بقية الفرائض، في اشتراط عدالة الإمام، راجع عندهم إلى أن صلاة الجمعة والعيدين تعتبران شعيرة عامة للأمّة كلها، وغالبًا ما يتولاّها الحاكم في ذلك الوقت، فإذا اشترط الفقهاء العدالة في الجمعة والعيدين، فلن تصح الصلاة خلف أولئك الحكّام في ذلك الوقت، وحينئذٍ تسقط هذه الشعيرة، أو يحصل حرج في أمر إقامتها.

لذلك لم يشترط الحنابلة في هاتين الصلاتين العدالة. قال ابن قدامة في المغني: « فأما الجمع والأعياد فإنها تصلى خلف كل برّ وفاجر... قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو يعلم أن بني العباس سيلونها، ولأن هذه الصلاة من شعائر الإسلام الظاهري، وتليها الأئمة دون غيرهم، فتركها خلفهم يفضي إلى تركها بالكلية » [٣].

---

(١) الجزيري: عبدالرحمن/ الفقه على المذاهب الاربعة ج١ ص٣٧٩/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) سابق:السيد/ فقه السنة ج١ ص٢٣٧/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٣) ابن قدامة: عبدالله بن أحمد/ المغنى ج ٣ ص ٢٢/ الطبعة الأولى ١٩٨٧م/ هجر للطباعة والنشر– القاهرة.

تحصيل العدالة

وقد أجمع فقهاء الشيعة الإمامية على اشتراط العدالة في إمام الجماعة في جميع الفرائض، وقصدوا بالعدالة ما ذكرناه من تعريف لها، وأشاروا إلى أن أيّ سبيل يحصل من خلاله الاطمئنان للمصلي بعدالة الإمام يكفي لتحقق الشرط، كالمعاشرة الشخصية، والمعرفة المباشرة، وشهادة عادلين، والشياع المفيد للاطمئنان.

قال اليزدي في العروة الوثقى ووافقه السيد السيستاني ما يلي: «بل يكفي الاطمئنان إذا حصل من شهادة عدل واحد، وكذلك إذا حصل من اقتداء عدلين به، أو من اقتداء جماعة مجهولين به»[١].

ونشير هنا إلى أن العدالة لا تعني العصمة، فقد يصدر من الإنسان ذنب ويصر عليه، ويفتقد العدالة، لكنه إذا تاب عادت إليه عدالته. يقول المرجع السيد السيستاني: «ترتفع العدالة بمجرد وقوع المعصية وتعود بالتوبة والندم»[٢].

ويجب القول أيضاً أن اختلاف الرأي لا يصح أن يعتبر خللاً في العدالة أو مسقطاً لها، فإذا كان هناك اختلاف في رأي فكري، أو موقف سياسي، أو شأن اجتماعي، فلا يعني ذلك أن يشكك أحد الطرفين في عدالة الآخر، إلا إذا ثبت له حصول مخالفة لأحكام الشرع دون مبرر مقبول.

أما اختلاف التشخيص للظروف والموضوعات، واختلاف الانتماء للمرجعيات والتجمعات، فهذا راجع لاختلاف الاجتهادات والقناعات.

ورائع جداً موقف الفقيه المحدّث الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق الناضرة) توفي سنة ١١٨٦هـ، الذي كان على خلاف شديد مع العلامة الشيخ محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني، في موضوع الأصوليين والإخباريين، فالشيخ البحراني زعيم

(١) اليزدي: السيد كاظم، العروة الوثقى، مع تعليقة السيد السيستاني رقم ١٩٧٥.

(٢) السيستاني: السيد علي، منهاج الصالحين، مسألة رقم ٣٠/ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ مدين ـ قم.

مدرسة المحدثين الإخباريين، والوحيد البهبهاني، زعيم المدرسة الأصولية، وكان يردّ آراء الشيخ يوسف بعنف، ووصل به الأمر إلى أن أفتى ببطلان الصلاة خلف الشيخ يوسف البحراني، لكن الشيخ يوسف أفتى بصحة الصلاة خلف الوحيد [١].

ثانياً: صحة القراءة

إمام الجماعة يتحمّل عن المأموم في صلاة الجماعة القراءة في الركعتين الأولى والثانية، لذلك يشترط الفقهاء في إمام الجماعة أن يكون صحيح القراءة.

والمقصود بصحّة القراءة: إخراج الحروف من مخارجها، وعدم إبدال حرف بآخر، أو نحو ذلك، حتى اللحن في الإعراب. ولا يشترط في إمام الجماعة أن يجيد تطبيق جميع التحسينات التي تدرس في علم التجويد مثلاً.

وهذا الشرط مطلوب في الائتمام في الركعة الأولى والثانية فقط، لذلك لو كان المصلي في بلد غير عربي ـ مثلاً ـ وكان إمام الجماعة لا يجيد القراءة ونطق الحروف بالعربية الصحيحة، يستطيع هذا المصلي أن ينتظر إلى أن ينتهي الإمام من القراءة في الركعة الثانية ويأتم به، فذلك أفضل من أن يخسر ثواب الجماعة، خصوصًا إذا كان عدد المصلين كبيرًا فإن الثواب يكون أكثر. جاء في العروة الوثقى بتعليقة السيد السيستاني: «لا بأس بالاقتداء بمن لا يحسن القراءة في غير المحل الذي يتحملها الإمام عن المأموم كالركعتين الأخيرتين، وكالركعة الثانية إذا التحق به في الركوع» [٢].

وجاء في مسألة أخرى: «يجوز الاقتداء بمن لا يتمكن من كمال الإفصاح بالحروف أو كمال التأدية، إذا كان متمكناً من القدر الواجب فيها وإن كان المأموم أفصح منه» [٣].

---

(١) البلادي: الشيخ علي/ أنوار البدرين ج ١ ص ٤٣٥ / تحقيق عبدالكريم البلادي/ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ مؤسسة الهداية ـ بيروت.

(٢) اليزدي: السيد كاظم، العروة الوثقى، مع تعليقة السيد السيستاني رقم ١٩٦٣.

(٣) المصدر السابق تعليقة رقم ١٩٦٣.

التعقيدات الاجتماعية

والمسألة ـ في إمامة الجماعة ـ لو اقتصرت على الحدود الشرعية، فلن تكون إقامتها بتلك الدرجة من الصعوبة التي نجدها في الممارسة الاجتماعية لإقامة هذه الشعيرة، حيث نجد أن أغلب أوساط المجتمعات الشيعية تبالغ في هذه المسألة، حيث لم تعد مسألةَ تحقّق العدالة بحدودها الشرعية وطرق تحصيلها التي يذكرها الفقهاء، فالبعض يتصورون شرط أن يكون إمام الجماعة من طلبة العلوم الدينية.

وهو أمر قد يحثّ العلماء عليه في حدود مسألة إمام المسجد الراتب، عند تعيينه ليكون إمامًا دائمًا فيه، حيث ينبغي أن يكون من علماء الدين، وذلك من باب أنه سيكون له دور أكثر من إمامة الجماعة، كأن يمارس دور التثقيف الديني والاجتماعي، بالإضافة إلى وجود روايات تؤكّد أفضلية الائتمام بالأكثر علمًا وورعًا، ولكن هذه الروايات ناظرة إلى مسألة التراتب والأفضلية في إمامة الجماعة، وليس إلى تحققها، فهي تتحقق وتصح بإمامة من عُرِفَ بعدالته.

ولكن في غير هذا الموضع يشجّع العلماء على إقامة الجماعة، بالحدود الممكنة، وليس شرطًا أن يكون الإمام من العلماء. فإذا لم يكن في المنطقة عالم ديني، فلا ينبغي أن تتعطل هذه الشعيرة، وإذا حان وقت الصلاة وهناك جمع من المؤمنين وليس فيهم عالم دين، فلماذا لا يقدّمون من يثقون به وتتوفر فيه الشروط؟

والبعض قد يبالغ أكثر، فلا يكفي في نظره أن يكون إمام الجماعة من طلبة العلوم الدينية، بل لا بدَّ أن يكون مجازًا من قبل المرجع، وهذا شرط غريب، حيث لم يرد حوله نص أو فتوى فقهية، فالمرجع لا يعيّن أئمة الجماعة في المساجد، أو في أماكن العمل والتجمّعات العامّة.

وتشتدّ المبالغة عند البعض، فيشترطون أن يكون إمام الجماعة مقلِّدًا لنفس المرجع الذي يقلِّدونه، وربما يشترطون أن يكون من نفس الانتماء والتوجّه الذي ينتمون إليه.

حيث نجد عمليًّا امتناع بعض الأصوليين من الصلاة جماعة خلف إمام من الإخباريين بحجة أنه يقلد الميت ابتداءً، وقد سئل السيد الخوئي ﵀ بالسؤال التالي: هل يصح أن أقتدي في صلاة الجماعة بإمام أثق بعدالته إلا أنه مقلد لمرجع ميت ابتداءً؟

فأجاب السيد الخوئي: إذا كنت واثقاً بعدالته جاز لك أن تقتدي به.

ووافقه الشيخ التبريزي على هذا الرأي[1].

إن التشدّد في مسألة إقامة الجماعة في غير ما اشترطه الشرع، له انعكاساته السلبية على مجتمعنا، ويمكن تصويرها في ناحيتين:

١. **التشتت والتمزّق الاجتماعي**

فعندما نبالغ في مواصفات إمام الجماعة، إلى الحدّ الذي يصل بنا إلى ألاَّ نصلي إلا خلف من يؤيدنا في توجهاتنا الفكرية والعملية، فهذا سيخلق جوًّا تصبح فيه المساجد مفروزة، كل مسجد هو لجماعة وفئة معينة، وبهذا تتكرس العصبيات والتصنيفات المرجعية والفئوية، وتتحوّل الجماعة من تجمّع عبادي يقصد منه الوحدة والتآلف إلى مصدر من مصادر تفتت المجتمع وتشتته.

٢. **انحسار إقامة الجماعة:**

مع هذه الشروط التي توضع للإمام دون مستند شرعي، ستنحصر إقامة الجماعة في بعض المساجد، وهذه ظاهرة غير جيّدة، إذ من المفترض أن لا يبقى مسجد بدون صلاة جماعة، وأن لا يكون المسجد المكان الوحيد الذي تقام فيه الجماعة، بل تستثمر أماكن التجمّع، كالعمل والمدارس، والرحلات الجماعية والأسرية، فتقام فيها الجماعة، خصوصًا البيئات التربوية كالمدرسة، فمن المفترض أن تكون مكانًا ملائمًا لتعويد الطلاب على إقامة الجماعة فيما بينهم، وأن يكون المعلمون قدوة لطلابهم في الالتزام بذلك، حيث

(١) الخوئي: السيد أبو القاسم/ صراط النجاة ج١ ص٩٨، مسألة رقم ٢٤٤/ الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ مكتبة الفقيه ـ الكويت.

يختار المعلمون أحدهم ليتقدّم ويؤمهم.

ومن المناسب إنه في حال صلاة الأب في المنزل، أن يتقدّم ويقيم الجماعة بأفراد أسرته.

ومما يساعد على انتشار هذه الثقافة والممارسة، ما يمكن أن يقوم به أئمة الجماعة، بأن يعيّن كل إمام نائبًا له فيما لو حصل له ظرف طارئ. أو أن يبادر المصلون عند غياب الإمام إلى تقديم من يثقون به من بينهم، فما يحصل في معظم المساجد من انفراط عقد الجماعة عند غياب الإمام، وأدائهم الصلاة فرادى، هو ظاهرة سلبية خاطئة، فهل يخلو الجمع من شخص موثوق؟

ومناسب أن نذكر هنا موقف العالم الكبير الشيخ جعفر النجفي المشهور بكاشف الغطاء (توفي سنة ١٢٢٧هـ) حيث أبطأ يوماً عن الذهاب إلى المسجد لصلاة الظهر، فجعل الناس يصلون فرادى، فلما دخل المسجد جعل يوبخهم ويقول: أما فيكم من تصلون خلفه؟ ثم رأى أحد التجار الأخيار يصلي، فقال: دعونا نأتم بهذا العبد الصالح فائتم به هو والجماعة، فخجل التاجر خجلاً شديداً، ولا يمكنه قطع الصلاة، ولما فرغ من الصلاة تأخر خجلاً، فقال له الشيخ: لا بد أن تؤمنا في صلاة العصر أيضاً، فامتنع، فأصر عليه، فقال التاجر: هذا لا يمكن، قال الشيخ: إذاً فافتد نفسك بمال تدفعه للفقراء، فدفع مائتي شامي أو أزيد وفرقها على الفقراء، وأعفاه من الإمامة لصلاة العصر [١].

النزاعات الشخصية والفئوية

إن ما نعيشه من تعقيدات اجتماعية بخصوص صلاة الجماعة، ناشئ من الجهل، والنزاعات التي هي في أغلبها شخصية بين الأفراد، أو الجهات الدينية الموجودة، ولا أصل لها من الناحية الشرعية، فليس هناك ما يمنع من الصلاة بين الإخباريين والأصوليين

(١) الأمين: السيد محسن/ أعيان الشيعة ج٤ ص ١٠١/ الطبعة الأولى ١٩٨٦م/ دار التعارف – بيروت.

ـ مثلاً ـ، أو مِن صلاة مَن يقلد مرجعًا خلف من يقلِّد مرجعًا آخر، فهذه التعقيدات والاشتراطات غير المبرّرة، حوّلت صلاة الجماعة من مظهر من مظاهر الوحدة والتلاقي بين المؤمنين، إلى مظهر من مظاهر التحزّب والتعصّب بين أبناء المجتمع الواحد، وكذلك حوّلت الجماعة من مظهر عبادي يجزي الله سبحانه عليه الثواب الجزيل، إلى سبب لأن تحرم شريحة كبيرة من هذا الثواب، وفي هذه النقطة يقول السيد كاظم اليزدي في «العروة الوثقى»:

«وهي (أي صلاة الجماعة) من المستحبات الأكيدة في جميع الفرائض، خصوصًا اليومية منها، وخصوصًا في الأدائية، ولاسيما في الصبح والعشاءين، وخصوصًا لجار المسجد أو من يسمع النداء، وقد ورد في فضلها وذمّ تاركها من ضروب التأكيدات ما كاد يلحقها بالواجبات».

إلى أن يقول:

«وإذا كان المأمومون أكثر كان الأجر أزيد، ولا يجوز تركها رغبة عنها أو استخفافًا بها، فمقتضى الإيمان عدم الترك من غير عذر، لاسيما مع الاستمرار عليه، فإنه ـ كما ورد ـ لا يمنع الشيطان من شيء من العبادات منعها، ويعرض عليهم الشبهات من جهة العدالة ونحوها، حيث لا يمكنهم إنكارها لأن فضلها من ضروريات الدين»[1].

ومن المظاهر المؤسفة أن تجد في بعض الحالات انقساماً في صلاة الجماعة بين المؤمنين، انطلاقاً من هذه العصبيات الفئوية، ففي بعض قوافل الحجيج، قد تقام أكثر من صلاة جماعة، وغالباً ما لا يأتم إمام جماعة بإمام جماعة آخر. وفي بعض المساجد والعتبات المقدسة، قد تقام أكثر من صلاة جماعة في أرجاء المكان الواحد، من أبناء المذهب الواحد، وكما كتب الشيخ علي الكوراني معلقاً على ذلك في كتابه فلسفة الصلاة: (ومن طريف ما يناسب أن نختم به هذا البحث ما علقة أحد الزملاء الفضلاء وقد نظرنا إلى ساحات

(١) اليزدي: السيد كاظم، العروة الوثقى، ج٣، فصل الجماعة، ص ١١١.

مشهد مقدس من مشاهد الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد تكاثرت فيها الجماعات للصلاة.

قال: إذا كان الله عزّ وجل إنما ضاعف ثواب الصلاة جماعة أضعافاً كثيرة لأن فيها اجتماع المسلمين ووحدة كلمتهم... فأي ثواب في هذه الجماعات التي هي مظهر واضح للفرقة وتشتت الكلمة؟ (١)

والأسوأ من كل ذلك، أن تجد بعض الأشخاص يصلون فرادى في مسجد تقام فيه صلاة الجماعة، في ذات الوقت، بمبرر اختلاف توجههم المرجعي مع الإمام، أو لعدم اطمئنانهم إليه، وهذا تصرف سيء، لما يمثله من إعلان التجريح في إمام الجماعة.

وقد أجاب السيد الخوئي عن سؤال حول هذا الموضوع بقوله: لا تصح الصلاة فرادى إذا استوجبت هتك حرمة الإمام، وأضاف الشيخ التبريزي: (أو تشكيك المأمومين في عدالته) (٢).

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى الخير والصلاح، وأن يمنحنا البصيرة في دينه والعمل بأحكامه، وأن يجعلنا من الصالحين المصلحين.

والحمد لله ربّ العالمين.

(١) الكوراني: علي، فلسفة الصلاة/ ص٢٤٩/ الطبعة الأولى ١٩٧٢م/ دار الزهراء ـ بيروت.
(٢) صراط النجاة ج٢ ص٩٥/ مسألة ٢٩٦.

الإمام شرف الدين رائد الإصلاح والتقريب

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٨ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

من أجل أن يفجّر الإنسان طاقاته وقدراته لا بدّ أن ينفتح مضمار السباق بين الناس، وأن تنعكس آثار تفاوت مستوياتهم على حياتهم، ليكون ذلك دافعاً للتسابق والتنافس، فحين يحظى العالم بموقع متقدم، يتحفّز الناس لطلب العلم، وحين يتنعم الثري بثروته، يندفع الآخرون للمزيد من السعي والكسب، ليرتقوا بمستوى حياتهم.

ولو عاش الناس في مستوى واحد، دون تفاوت، لانعدمت الحوافز وضعفت الدوافع نحو السباق والجد والاجتهاد.

وتشير بعض آيات القرآن الكريم إلى هذه الحكمة في التفاوت بين الناس في مستويات حياتهم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٦٥].

فحكمة التفاوت ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ هو الامتحان ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ من أجل تفجير الطاقات والقدرات التي منحها الله تعالى للإنسان ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾.

وفي آية أخرى يؤكد القرآن الكريم أن حركة الإنسان وفاعليته هي التي تحدّد درجته ومستواه في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٣٢].

إن الإيمان قيمة كبرى تمنح صاحبها الفضل والرفعة، وكذلك العلم، لكن آفاق

الإيمان وآفاق العلم واسعة رحبة، يتسابق المؤمنون والعلماء في أجوائها وأرجائها، فتتفاوت درجات رفعتهم وتحليقهم، حسب مستوى اجتهاد وعطاء كل منهم. يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١].

وتنكير ﴿دَرَجَات﴾ إشارة إلى تعدّدها وتنوعها، فبعضها أعلى من بعض، وبعضها أفضل من بعض، فالإيمان درجات، والعلم درجات، يقول تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية ٧٦] .

ومع عظيم درجة النبوة والرسالة، إلاّ أن الأنبياء والرسل ليسوا جميعاً في مرتبة واحدة، بل يتفاوتون في الفضل، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٣].

إن تأكيد حقيقة التفاضل وتفاوت الدرجات، إنما هو بغرض ترتيب الأثر على ذلك، فالأعلى درجة والأفضل كفاءة، يجب أن يحظى باحترام أكبر، وأن يُتعامل معه بما يليق بمقامه ومكانته، للاستفادة منه، وليكون نموذجاً وقدوة.

من هنا جاءت النصوص الدينية الداعية إلى تقدير العلماء، كما تحدث الفقهاء عن أولوية تقديم الأعلم في التقليد والأخذ بالفتاوى الشرعية، وعن الأولى في التقديم لصلاة الجماعة.

إن تقدير التفوق والتقدم سمة حضارية تأخذ بها المجتمعات الواعية، أما حين لا يميز المجتمع بين المستويات المختلفة، فإن الكفاءة العلمية أو القدرة العملية لا تأخذ موقعها المناسب، وقد يحظى الأقل مستوى في العلم أو العمل بالمكانة الأفضل، لسبب أو لآخر.

وبينما تتلقف المجتمعات المتقدمة الأفكار الإبداعية البناءة، وتشجّع الكفاءات الطامحة، تواجه المجتمعات المتخلفة كل فكر جديد بالتحفظات والشكوك، وتزرع العراقيل والعقبات في طريق رواد الإصلاح والتغيير. وغالباً ما لا يعرف الناس في هذه

المجتمعات قدر العاملين المصلحين إلا بعد فوات الأوان، فإذا مات العالم المصلح، أقيمت المهرجانات لتأبينه، وتحدث الشعراء والخطباء عن عظيم فضله.

شرف الدين شخصية رسالية

والإمام السيد عبدالحسين شرف الدين (١٢٩٠-١٣٧٧هـ) هو واحد من أبرز العلماء المصلحين في هذا العصر، عاش إلى جانبه في زمانه ومكانه كثير من العلماء، لكن شخصيته المتميزة صنعت له موقعية تتجاوز عصره وموطنه، رغم ما واجهه من معاناة في محيطه الاجتماعي الذي لم يعرف قدره باكراً، ولم يدرك أهمية أفكاره ومشاريعه الإصلاحية، وكان يريده مجرد عالم دين كسائر العلماء التقليديين، الذين لا يتبنون مشروعاً، ولا يتحمّلون مسؤولية تجاه الواقع السياسي والاجتماعي.

لم يقبل شرف الدين لنفسه بما يحمل من وعي رسالي وهمّة عالية، أن يقتصر دوره على ممارسة المهام التقليدية المحدودة التي كان يقوم بها غالب علماء الدين في مجتمعاتهم، بل شمّر عن ساعد جدّه، وأطلق العنان لطموحه، من أجل إصلاح واقع مجتمعه، وخدمة قضية وطنه، والمساهمة في معالجة قضايا الأمة الكبرى.

وكان عليه أن يدفع ثمن هذا التطلع والطموح، حيث واجهته الزعامات المتنفذة في مجتمعه، بإثارة الإشكالات في وجهه، وافتعال المشاكل في طريقه.

فحين سعى لإنشاء مؤسسات دينية اجتماعية لينطلق منها في عمله وحركته، استقبلته معارضة عنيفة من تلك القوى المحلية، جاء في ترجمته مايلي:

(وكلما ارتفع مدماك للتقرب إلى الله، اتسعت مع المتنفذين شقة الخلاف، وكأن إقامة حسينية، أو تأسيس مسجد، مجال لتدمير كل الأسس التي يقوم عليها نفوذهم، وكأن النفوذ لا يمكن أن يقام إلاّ على انعدام الأخلاق وفقدان الروحية في النفوس.

أسّس المسجد فعارضوه، استقطع أرضاً من أراضي الدولة بموافقة السلطان محمد

رشاد فعارضوه، أسّس مدرسة الزهراء فعارضوه، وفي مدرسة الزهراء نجحوا في خنقها بعد عمل سنة فيها، وأسّس جمعية البر والإحسان فعارضوه، وقد استعانوا على معارضته بالدولة، أثاروا الدولة العثمانية، ومن ثم الفرنسية، وبعدها الحكومة الوطنية.

وكان هو يتحيّن الفرص لتحقيق ما يصبو إليه، وبهذا يقول: كنت مع المتزعمين كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس تقحم، وقد مُنينا منهم بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، أتربص سانحة الفرصة، وأتتبع رائد النجح، حتى شممت مخائل الرجاء، بسخط الوالي العثماني عليهم، وانشغالهم عنا بأنفسهم، منصرفين إلى تدارك أمرهم معه في بيروت، فانتهزنا تغيبهم فرصة لإشادة الجامع.

ولكن هذا الجامع الذي بدأ العمل به في غياب المتزعمين توقف فيه العمل بعد أن دخلت فرنسا، ورتب المتزعمون أمرهم معها، وصار الأمر إلى المحاكم، حتى تبرّع أحد المؤمنين بدار له في البلد، واشترى الإمام داراً أخرى بجانبها، وهدم الدارين وأقام المسجد القائم حالياً في وسط البلد القديمة.

أما المسجد الذي كان قد شرع بتشييده، والذي أراده على غرار مسجد الجزار في عكا، لا تزال أسسه تحت رمال ملعب الثانوية الجعفرية.

وعند انتشار العملية التبشيرية في صور، وبروز مظاهر الانحراف في جيلها الجديد، ومن منطلق سلطان العلم لتربية الناشئة، ورفع المستوى الاجتماعي، أنشأ المدرسة الجعفرية سنة ١٩٣٨-١٩٣٩م الدراسية، مدرسة ابتدائية مجانية، واستمرت كذلك إلى أن بدأت ترتقي إلى ثانوية، وتزداد متطلباتها المادية، ولم تعد الحقوق تفي بالحاجة، وألحق بالمدرسة نادي الإمام الصادق.

ولكن المتزعمين أنفسهم، إذ أعجزهم إيقاف حركة المدرسة، أقاموا مدرسة مقابلها، ولكنها لم تستمر، ولا يمكن لمسجد ضرار أن يستمر، فتوقفت، فصادر الإمام

مبناها، وعندها افتتح مدرسة الزهراء، ولكن المتزعمين استصدروا أمراً بإقفالها وختمها بالشمع الأحمر، فأخلى منزله للمدرسة، ولكنها لم تستمر لأن الدولة لم تمنحها رخصة[1].

وقد تحدث ﷺ عن شيء من هذه المعاناة بما يظهر مدى ألمه وتأثره، في إحدى رسائله إلى بعض العلماء جاء فيها: «عرفتم ما مُنينا به من حسدة فضل الله تعالى علينا، ولاسيّما في هذه الأيام، وقد ابتليت بقومٍ لا يقدرون الرجال ونهوضها بالمشاريع الثقال، وليتهم وقفوا معنا على هذه الحال، فلم يمسخوا الحسنة فإذا هي سيّئة والجميل الجليل فإذا هو قبيح رذيل.

تبًّا وتَرَحاً للحياة مع الذين يبخسون الناس أشياءهم، ويعيثون في الأرض.

وأسفاً ولهفاً على جهودي في جبل عامل، وويلي على عمري النفيس ينقضي في هذا الحظّ التعيس –بين أناس لا سقوا صوب المزن– إنا لله وإنا إليه راجعون.

عند الله أحتسب بلائي في سبيله وما ألاقيه في نصحي لله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، وبعين الله ما نزل بي في نصرة الحق وخدمة الخلق.

بنيت مساجد في قرى من عاملة كشحور وطرفلسبة والحلوسيّة وحريفا ودير كيفا وقانا وغيرها بأموال جمعتها من خمسنا أهل البيت، فوضعتها بعد احتسابها عليّ في عمارة المساجد، وأنا في أشد الفاقة إليها لوفور عيالي وكثرتهم في صور وشحور والعراق، ووضعت في المسجد الجامع الذي أنشأته في صور نيفاً وألفي ليرة ذهباً احتسبت عليّ من حقنا المفترض في كتاب الله عزّ وجلّ، آثرت بها شعائر الله تعالى على نفسي وأولادي، فلم أكنز تبراً، ولا أحز من أرضها –غير داري المرهونة– شبراً، ولا أعددت والله لبالي ثوبي طمراً على التحقيق، ولو شئت لكنت كغيري ممّن آثروا البيضاء والصفراء والضياع والمواشي والخيل المسومة والأنعام، ولي بيت هو مأوى الطارق، ومحلّ آمال المؤمن

(١) الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين مصلحاً ومفكراً وأديباً ص ١٧/ المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية – بيروت.

والمنافق، يرد إليه الوافد، ويصدر عنه الحامد.

وأنا وحدي في جبل عامل الغصّة في صدر النواصب، والقذى في عيون الأجانب، والقائم على ساق بخدمة العامليّين في العراق، ولساني وقلمي في نصرة الحق وإزهاق الباطل سيفان لا يتكهّمان، وأدلّتي صواعق مواحق لمن أرد بالشيعة سوءاً.

أعوذ بالله من الفخر، وإنما هي نعم الله عليّ أحدِّث بها لأكون من الشاكرين، ولأنتصرنّ بذكرها على هؤلاء الباغين.

ويحهم لم تكفهم رواتبهم الضخمة ولا أشبعتهم رشاهم الوخمة، ولا ما تصيدوه بشباك المحتالين، من أموال اليتامى والأيامى والمساكين، حتى دفعهم الجشع، وقادهم النهم إلى الطمع بما هو في يدنا وتحت ولايتنا، وقد أنفقنا في سبيله شطراً وافراً من عمرنا، وبنيناه بأموالنا المقدّسة من خمسنا، ونحن بحول الله وقوته لا نخشى أن يغلبونا عليه (إن الباطل كان زهوقاً) .

لكن تجرؤهم علينا أوجب وهناً في أنظار الأغيار لا يناسب أمثالنا، ولم نر من انتصر بالله تعالى إلا العوامّ، فإنهم الذين ينتصر الله بهم لدينه، ولولاهم ما عُبد الله، فجزاهم الله عن الدين وأهله خير جزاء المحسنين. والسلام».

٢٥شوال ١٣٥١هـ

هذا مشهد واحد من مشاهد كثيرة لمعاناة الإمام شرف الدين ضمن مجتمعه المحلي في مسيرة حركته وإصلاحه.

هموم الأمة والرسالة

عالم الدين ليس كأيّ موظف يقوم بدوره في حدود اختصاصه الوظيفي، ولا صاحب هواية يسيطر عليه عشقه لها، بل هو رائد مسؤول عن مصالح الدين والأمة، بحكم اطلاعه على شريعة الله، ومعرفته بالتكاليف الإلهية، يقول تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُواْ

مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٤].

من هنا لا يمكن لعالم الدين حين يتحمّل مسؤوليته أن يكون متفرجاً على واقع الأمة، وأن يتعايش مع الفساد والتخلف الاجتماعي، بل لا بد له من تكريس جهده وحياته للقيام بدور التبليغ والإصلاح.

نعم، هناك من علماء الدين من لا يدركون هذه المسؤولية، أو يغفلون عن تحمّلها، لنقص في المعرفة والوعي، أو لضعف في الإرادة والهمة، أو ركوناً إلى الراحة والدعة.

وقد تختلف القراءة للظروف والتشخيص للواقع من عالم لآخر، كما تتنوع القدرات والاهتمامات بين العلماء، مما ينتج تنوع الأدوار والمشاريع، حيث يهتم بعض العلماء بتنمية الحالة العلمية، وبعض آخر بالإصلاح الاجتماعي، بينما يتصدى بعض العلماء للشأن السياسي، وذلك أمر طبيعي ومطلوب يؤدي إلى التكامل وسدّ الثغرات. وما ليس مقبولاً هو الركود وعدم تحمل المسؤولية، والاقتصار على المهام التقليدية المحدودة التي يمكن أن يقوم بها حتى غير عالم الدين.

وقد ينبري بعض العلماء من ذوي الهمة العالية والكفاءات المتعددة للقيام بأكثر من دور في الأبعاد المختلفة، كما هي شخصية الإمام شرف الدين.

الإصلاح الاجتماعي

فعلى الصعيد الاجتماعي تصدى الإمام شرف الدين لمعالجة مشاكل مجتمعه المحلي في مدينة صور وما حولها، فأسّس مسجداً وحسينية، لنشر الثقافة والتوجيه الديني، واهتم بالتعليم الأكاديمي، فأنشأ المدرسة الجعفرية التي بدأت بالمرحلة الابتدائية، وكان التعليم مجانياً لأبناء البلد، حيث كان يبعث ابنه السيد جعفر إلى مناطق المغتربين اللبنانيين في مختلف أنحاء العالم لطلب دعمهم ومساعدتهم لتمويل هذا المشروع التربوي

التعليمي، الذي تجاوز المرحلة الابتدائية إلى مستوى الثانوية، وتخرج في هذه المدرسة جيل متعلِّم شكّل طليعة النهوض لمجتمعه، حيث حرص الإمام شرف الدين على ضبط المسار التربوي التعليمي في المدرسة، كما يقول عن ذلك ﵀:

« كان أبناء هذه المدرسة في دوراتها المختلفة يبرزون في ميادين الامتحانات العامة، ويسجلون لمدرستهم أعلى نسب النجاح على نحو يلفت إليهم النظر، ويثير فضول الممتحنين وأشباههم فيسألونهم عن مدرستهم المجلّية السبّاقة. ولا نحيل ذلك على غيب، فمن شاء فليرجع إلى السجلات الرسمّية في مظانها من وزارة المعارف، ليضع عينه ويده على حسّ مشهود »[1].

وإلى جانب المدرسة الجعفرية، أنشأ مدرسة الزهراء للبنات، إلا أنها أقفلت بقرار من الحكومة آنذاك.

كما أقام مؤسّسات أخرى ثقافية واجتماعية مثل: نادي الإمام الصادق، وجمعية نشر العلم، والجمعية الخيرية الجعفرية، وجمعية البر والإحسان.

وإدراكاً منه لأهمية المنبر الحسيني والشعائر الحسينية في المجتمع الشيعي، فقد (حاول أن يصلح ما يتخلّلها من قصور، ويخلّصها عمّا علق بها من شوائب، لقد فرض على الخطباء في عاشوراء رقابة عسيرة تولاها بنفسه، فمنعهم من أن يسترسلوا في التهويش والتهويل، وسرد الروايات الكاذبة المضرّة، وكثيراً ما كان يتدخل فيبادر بإعطاء الملاحظات عند اللزوم، وعمد إلى تربية جيل جديد من الخطباء انتقاهم من الشباب المثقف والضليع باللغة العربية، ثم أخضعهم لرقابته، ووجههم إلى كيفية القراءة ونوعيتها وكميتها، كل ذلك بغية تلافي الأخطاء التي قد تسيء إلى فهم النص، والابتعاد عن التهويل والتضخيم في سرد الحادثة، حيث أصبح ذلك مملاً عند الخاصة والعامة على السواء، وقد وضع من

(١) سعد الدين: الدكتور محمد منير/ الجانب التربوي عند السيد عبدالحسين شرف الدين/ مجموعة مقالات المؤتمر الدولي لتكريم الإمام شرف الدين ج ١ ص ٢٣١.

أجل هذا مؤلفاً خاصاً هو المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة) [١] .

النضال السياسي

بحكم موقعيته الدينية القيادية، ووعيه العميق الشامل، لم يكن حيادياً تجاه الأحداث والأوضاع السياسية في بلده لبنان وعلى مستوى المنطقة، بل كان صاحب موقف فاعل مؤثر على صعيد الحدث السياسي، يظهر ذلك من مراسلاته مع رؤساء الجمهورية اللبنانية في عصره، التي كان يجهر فيها لهم برأيه وموقفه، ويستحثّهم على الإخلاص للشعب والدفاع عن مصالحه. كرسالته إلى الرئيس حبيب باشا السعد بتاريخ ٣/ ٥/ ١٣٤٧هـ، ورسالته إلى الرئيس بشارة الخوري إثر اعتداء الصهاينة على الجنوب اللبناني عام ١٩٤٨م، ورسالته له أيضاً احتجاجاً على إثر تجريد حملة عسكرية على عشائر الهرمل في أيلول ١٩٤٩م.

وفي أكثر من موقف سياسي يشهر الإمام شرف الدين سلاح الحشد الجماهيري، للضغط على القوى السياسية، ولتوعية الناس بواقعهم ودفعهم للمطالبة بحقوقهم، كالاجتماع الحاشد الذي عقده في صور في شهر ذي القعدة ١٣٦٠هـ/ كانون الأول ١٩٤١م، وبعث على إثره رسالة للرئيس أحمد الأسعد، تضمنت مطالب المجتمعين، التي حددها بالنقاط التالية:

أولاً: الحقوق المشروعة في الوظائف، بمختلف الدرجات، في مختلف الدوائر والمؤسسات، والظلامة أوضح من الشمس، إذ لم ينل جبل عامل عشر حقه، بينما تتمتع بعض المناطق والفئات بحقوقها كاملة، ويتمتع بعضها الآخر بحقوقه وحقوق غيره.

ثانياً: إرواء جبل عامل أرضاً وبشراً من الليطاني الذي تهدر مياهه في البحر بينما يحترق الناس عطشاً، وتبور أرضهم سغباً.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

ثالثاً: تعميم المدارس الرسمية، فإن سائر القرى العاملية محرومة منها، أما القصبات فإن فيها مسمّى مدارس، ولا تزال الكتاتيب تقوم مقام الحكومة بتعليم الناشئة كأننا في القرون الغابرة.

رابعاً: تعبيد الطرقات، فإن القرى معزولة عن الطرق العامة، فضلاً عن الطرق الرئيسة، بحيث إن المريض يموت قبل أن يصل إلى المدينة، والحامل تسقط حملها، فضلاً عن العزلة التامة التي يعانيها سكان القرى.

خامساً: اعتماد أطباء يسدّون الفراغ الصحي الفتاك، ويتلافون ما يمكن تلافيه، من الأمراض المستوطنة كالملاريا والتيفوئيد والتراخوما.

سادساً: إصلاح المحاكم الشرعية، وإسناد القضاء إلى عدول العلماء ليلوا الحكم بما أنزل الله.

ومن المشاهد التاريخية لدوره السياسي دعوته إلى مؤتمر وادي الحجير عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م لمواجهة فتنة عين ابل التي حصلت بين المسلمين والمسيحيين، فبادر شرف الدين للدعوة لمؤتمر ضم مجموعة من العلماء والأعيان والوجهاء والثائرين، واتفقوا على وثيقة وقعت من الجميع، وأقام السيد اليمين على الجميع، لحفظ الأمن، وإقرار الهدوء، والحرص على سلامة المسيحيين بوجه خاص، واستدعى السيد رؤوس الثوار ليوقفوا نشاطهم ويكفوا عمّا هم فيه، مهدداً لهم بالعقوبة والمصادرة.

وكان مما قاله شرف الدين في ذلك المؤتمر:

« ألا وإن النصارى إخوانكم في الله وفي الوطن وفي المصير، فأحبّوا لهم ما تحبونه لأنفسكم، وحافظوا على أرواحهم وأموالهم، كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم، وبذلك تحبطون المؤامرة، وتخمدون الفتنة، وتطبقون تعاليم دينكم وسنة نبيكم » .

أما موقفه الرافض للاحتلال الفرنسي، ودعوته للجهاد ضده، فهو موقف مشهود، كاد أن يدفع حياته ثمناً له، حيث حكم الاحتلال عليه بالإعدام، ووجّهوا جيشاً لمحاصرته

في بلدة (شحور) وحرقوا داره، بعد أن احتلوا داره في صور، ونهبوا مكتبته وفيها نفائس المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، وأنقذه الله منهم حيث تسلّل إلى الشام ولحقت به عائلته، وظل مطارداً متنقلاً بين الشام ومصر وفلسطين مدة من الزمن.

الحوار والتقريب بين المذاهب

اهتمامه بالإصلاح الاجتماعي في محيطه، وتصدّيه لكبريات القضايا السياسية في وطنه، لم يشغله عن الاضطلاع بالدور المسؤول على مستوى قضايا الأمة، وقد رأى أن من أشد التحديات التي تواجه الأمة، هي حالة التمزق والخلاف المذهبي، الذي أخذ منحى خطيراً، بالتباعد بين أرباب المذاهب، وتبادل التعبئة والتحريض على الكراهية بين أتباعها، حتى وصل الأمر إلى إصدار فتاوى التكفير والحكم بالقتال وسفك الدماء، كفتوى الشيخ نوح الحنفي، التي عرضها وناقشها الإمام شرف الدين في كتابه (الفصول المهمة)، والتي أبيد على أثرها أربعون ألفاً من الشيعة في حلب الشام، وانتهبت أموالهم، وبسبب هذه الفتوى هاجم الأمير ملحم بن الأمير حيدر جبل عامل سنة ١١٤٧هـ، فانتهك الحرمات، واستباح المحرمات يوم وقعة أنصار، وقتل وسلب وخرب ونهب وأسر ألفاً وأربعمائة من الشيعة، كما ذكر الإمام شرف الدين.

لقد أدرك الإمام شرف الدين أن التباعد والقطيعة يفسح المجال لسوء الظنون، ولتهريج المغرضين، واتهامات الحاقدين، ويعطي الفرصة للجهات الأجنبية المعادية، والقوى المصلحية الانتهازية في الداخل، لإيقاد شرور الفتن الطائفية والخلافات المذهبية.

فصدع برسالة الوحدة والتقريب عبر الحوار العلمي الموضوعي، الذي يكشف لكل طرف رأي الطرف الآخر على حقيقته، ويؤكد المرجعية الواحدة لمذاهب الأمة وهي الكتاب والسنة، فالخلاف هو على صعيد الفهم لمداليل آيات الكتاب العزيز، أو مدى

ثبوت النص الوارد من السنة النبوية وتحديد دلالته.

كما اهتم الإمام شرف الدين بتأكيد جامعية الإسلام لأبنائه على اختلاف مذاهبهم، فهم يشتركون في أصول الدين وأركان الإسلام، وإنما يختلفون في بعض جزئياتها وتفاصيلها.

وأرسى شرف الدين بكتبه القيمة في الحوار المذهبي، كالمراجعات والفصول المهمة ومسائل فقهية وغيرها معالم مدرسة متميزة في الحوار والتقريب، تعتمد الحجة والبرهان، واحترام الرأي الآخر، واكتشاف المشتركات، والتماس العذر في مواقع الخلاف، والحفاظ على وحدة الأمة، والتعاون لحماية مصالح الدين والمجتمع.

بقي أن نشير إلى مبادرته في التواصل مع علماء المذاهب الإسلامية حيث سافر إلى مصر والتقى شيوخ الأزهر وتحاور معهم، كما زار فلسطين ودمشق وأقام بهما مدة من الزمن، وصنع علاقة وثيقة مع العلماء هناك.

جهوده العلمية

همومه الإسلامية الكبرى، واهتماماته المعرفية، حركت قلمه ليسطِّر أروع المؤلفات الخالدة، التي تركت أثراً كبيراً في أوساط الأمة، وأعيد طبع بعضها كالمراجعات عشرات المرات، وترجم بعضها إلى الكثير من اللغات، وأصبحت بحقّ مراجع معتمدة في البحوث التي تناولتها.

ومن أهم كتبه: المراجعات، النص والاجتهاد، الفصول المهمة في تأليف الأمة، أجوبة مسائل موسى جار الله، أبو هريرة، إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، مسائل فقهية، المجالس الفاخرة في مآتم الطاهرة، فلسفة الميثاق والولاية، كلمة حول الرؤية، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين. وبحوث أخرى نشرتها بعض المجلات، وكتب مخطوطة أتلفتها الحوادث التي واجهها في حياته.

حقًّا، إن الإمام شرف الدين شخصية نموذجية لعالم الدين الرسالي، ومدرسة أصيلة في التغيير والإصلاح، وتجربة ثرية في الحوار والتقريب، تغمده الله تعالى بواسع رحمته وأسكنه الفسيح من جنته، ووفق العلماء العاملين وأبناء الأمة الواعين لتكريس نهجه، وتطوير تجربته.

والحمد لله ربّ العالمين.

حضور المسجد والمشاركة الاجتماعية للمرأة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

قضية حقوق المرأة وتكافؤ الفرص بينها وبين الرجل، والاعتراف بدورها في الحياة الاجتماعية العامة، أصبحت من التحدّيات الرئيسة التي تواجه المجتمعات الإسلامية، فالمرأة في معظم هذه المجتمعات لا تتاح لها فرص الحركة والمشاركة في الشأن السياسي والاجتماعي العام، ولا تحظى بكثير من الامتيازات والأدوار التي ينالها الرجل، وتعاني في الغالب من الحيف وهضم الحقوق، ويُتهم الإسلام بأنه وراء التمييز ضد المرأة، وتهميش دورها في الحياة، لتنحصر في الوظائف المنزلية والخدمة العائلية. في الوقت الذي تفتح المجتمعات الأخرى مجال المشاركة أمام المرأة في مختلف المواقع والمسئوليات، وقد تمكنت المرأة بالفعل من الوصول إلى رئاسة الدولة في أكثر من بلد، فضلاً عن مواقع الوزارة والسفارة والإدارة، واقتحمت ميادين العلم والعمل، وأثبتت جدارتها وكفاءتها في التصدّي لمختلف الوظائف والمهام.

ونتيجة لهذا الواقع، تستعر الحرب الثقافية الإعلامية ضد الإسلام، وضد تقاليد المجتمعات الإسلامية، كما تشتد الضغوط الدولية وخاصة من المؤسسات الحقوقية العالمية على البلدان الإسلامية، لتحسين واقع المرأة وتعزيز فرص مشاركتها الاجتماعية.

ومن الطبيعي أن تجد هذه المواقف والضغوط صدى في أوساط المرأة في المجتمعات الإسلامية، فتندفع للتجاوب مع هذه الدعوات، وللمطالبة بحقوقها، ومعالجة أوضاعها، مما يجعلها عرضة للتأثر بألوان الثقافات، وأنماط السلوك الوافدة من المجتمعات الأخرى،

على حساب القيم والتعاليم الإسلامية.

من هنا ينبغي النظر إلى المسائل المرتبطة بقضايا المرأة بأفق أوسع، يأخذ بعين الاعتبار مختلف الزوايا لشخصيتها الإنسانية، وللظروف الاجتماعية المحيطة.

ومشاركة المرأة في صلاة الجماعة واحدة من هذه المسائل، التي تحتاج إلى إعادة نظر، فرعاية الستر أمر مطلوب، لكنه لا يستلزم حرمانها من فرص كسب الثواب، والفوائد المختلفة التي يمكن تحصيلها من المشاركة في الحضور للمسجد وصلاة الجماعة.

إن مشاركة المرأة في صلاة الجماعة مظهر من مظاهر الاعتراف بحضورها الديني والاجتماعي، كما تعني تكافؤ الفرصة بينها وبين الرجل على هذا الصعيد، وعكس ذلك يعني حالة من التمييز.

وبالنظر إلى طوفان الإغراءات المادية الجارفة، التي تريد تمييع الأخلاق والقيم في مجتمعاتنا، وتستهدف الوسط النسائي بشكل أساس، فإن مشاركة المرأة في البرامج الدينية، كحضور المسجد، وصلاة الجماعة، يعزز ارتباطها بالحالة الدينية، ويتيح لها فرصة كسب المعارف الإسلامية، والاستفادة من المواعظ والتوجيه الأخلاقي والديني.

مناقشة التحفّظات:

حينما ندرس الرأي الفقهي الذي يرى أفضلية صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد، فإننا سنجده معتمداً على الأدلة التالية:

- **وجود روايات تدل على ذلك.**
- **أهمية رعاية الستر.**
- **الإجماع ورأي الأصحاب.**

أما الروايات الواردة فقد ذكرها في (وسائل الشيعة) وهي خمس روايات برقم ٦٤٣١ إلى رقم ٦٤٣٥ وهذا نصها:

محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في الدار».

قال: وقال الصادق عليه السلام: «خير مساجد نسائكم البيوت».

قال: وروي أن خير مساجد النساء البيوت.

محمد بن الحسن بإسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد بن مروان، عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «خير مساجد نسائكم البيوت».

في مكارم الأخلاق قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «صلاة المرأة وحدها في بيتها كفضل صلاتها في الجمع خمساً وعشرين درجة».

وواضح أن ثلاث روايات من الروايات الخمس مرسلة من حيث السند، وهي الثانية والثالثة والخامسة فلا يثبت بها حكم. وبقيت روايتان الأولى والرابعة وفي دلالتهما نقاش.

والرواية الأولى حول تفاضل أجزاء البيت، وليس فيها ذكر لتفضيله على المسجد. أما الرواية الرابعة فهي تدل على أن بيت المرأة خير من المسجد دون ربط ذلك بالصلاة، فهو من قبيل قولهم: الكتاب محراب العالم، فيكون ذلك تحريضاً لها في ملازمة البيت، كما احتمل السيد الشيرازي.

وحول رعاية الستر وهو المستند الثاني لهذا الرأي كما أشار إليه الشهيد الأول في (ذكرى الشيعة) بقوله: الأقرب شرعية إتيان المساجد للنساء، وقد رووه في صحاحهم. نعم، الأقرب أن البيت أفضل لهن، لما فيه من الاستتار وعدم التعرض للفتنة [1].

(١) الشهيد الأول: محمد بن مكي العاملي الجزيني/ ذكرى الشيعة ج٣ ص١٣١/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم.

فإن الدقة والموضوعية تقتضي التقييد بالظرف الخارجي، فإذا توفرت رعاية الستر، ولم تكن هناك عرضة للفتنة، فإن إطلاق أدلة فضل الصلاة في المسجد، وفضل صلاة الجماعة يشمل الرجل والمرأة.

وهذا ما لاحظه السيد السيستاني في تعليقته على ما ذكره السيد اليزدي في العروة الوثقى، من أن الأفضل للنساء الصلاة في بيوتهن. فعلق السيد السيستاني بقوله: بل الأفضل لهن اختيار المكان الأستر ويختلف حسب اختلاف الموارد.

أما الاستدلال بالإجماع كما أشار السيد السبزواري في (مهذب الأحكام) فغير متحقق، وقد نقلنا ما ذكره السيد الطباطبائي في رياض المسائل من قوله: ولم أقف على مفتٍ بها من الأصحاب عدا قليل.

كما أشار صاحب الجواهر إلى أن بعض الأصحاب أطلق، أي لم يخصِّص أفضلية الصلاة في المسجد بالرجال، وقال إنه هو مقتضى أصالة الاشتراك في الأحكام.

آراء لفقهاء معاصرين:

يرى السيد السيستاني أنه (إذا كان سترها في المسجد كسترها في البيت فالمسجد أفضل، وكذلك الأماكن المقدسة وأجرها كأجر الرجل) [١].

وسئل السيد الخامنئي: هل صلاة النساء في المساجد أفضل أم في البيوت؟ فأجاب سماحته: (فضيلة الصلاة في المسجد ليست مختصة بالرجال) [٢].

وقال الشيخ المنتظري: (الأفضل للمرأة أن تؤدي صلاتها في بيتها، بل في الغرفة التي في مؤخرة بيتها. ولكن إذا استطاعت أن تحفظ نفسها من غير المحارم بشكل كامل

---

(١) الجشي: الشيخ محمد كاظم/ الفوائد الفقهية مطابقاً لفتاوى السيد السيستاني/ ج١ ص١٥٨/ الطبعة الأولى ٢٠٠٦م/ دار الولاء ـ بيروت.

(٢) الخامنئي: السيد على الحسيني/ أجوبة الاستفتاءات ج١ مسألة رقم ٣٩٠/ الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/ منشورت كربلاء المقدسة ـ العراق.

فالأفضل لها أن تصلي في المسجد) [١].

وردًّا على سؤال: هل ثمة كراهة في مشاركة النساء في صلوات الجماعة اليومية وصلاة الجمعة؟ أجاب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بما يلي: (إن مشاركتهن في الظروف الحالية أفضل وأحياناً تكون واجبة) [٢].

وقال الشيخ يوسف الصانعي: الأفضل للنساء الصلاة في البيوت، بل في مخادعها، ولكن إذا أرادت أن تدرك فضيلة الجماعة ونحوها، كانت الصلاة في المسجد أفضل[٣].

رأي السيد الشيرازي:

وقد ناقش السيد الشيرازي المسألة في موسوعته (الفقه)، مؤكداً أفضلية وأهمية صلاة المرأة في المسجد، مفنداً أدلة الرأي الآخر، وفيما يلي مقتطفات من كلامه:

(والأفضل للنساء الصلاة في بيوتهن، وأفضل البيوت بيت المخدع، أي بيت الخزانة في البيت، هذا ما ذكره جمع من العلماء، بل بعضهم ادّعى الشهرة عليه، بل عن العلامة في التذكرة ادعاء كراهة إتيانهن المساجد، لكن عن الدروس والذكرى: أنه يستحب للنساء الاختلاف إلى المساجد كالرجال، وإن كان البيت أفضل خلافاً لإطلاق الغالب من الفقهاء حيث لم يخصص فضيلة المسجد بالرجال، كما لم يخصصوا فضيلة الجماعة وزيارة المشاهد والحج والعمرة بهم. بل هذا هو الذي يقتضيه إطلاق دليل الاشتراك. ولقد أغرب في الجواهر حيث قال: لا نعرف خلافاً بينهم بل ظاهرهم الاتفاق عليه في فضيلة صلاتها في المنزل من صلاتها في المساجد الخ، بعد أن ذكر هو أن بعض الأصحاب أطلق

---

(١) المنتظري: الشيخ حسين علي/ الأحكام الشرعية عل مذهب أهل البيت ﷺ/ مسألة رقم ٩٠٨/ الطبعة الأولى١٤١٣هـ/ مطبعة القدس ـ قم.

(٢) الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم/ الفتاوى الجديدة/ مسألة رقم ٢٦٠/ الطبعة الأولى١٤١٩هـ/ مدرسة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ـ قم.

(٣) الصانعي: الشيخ يوسف/ مصباح المقلدين/ مسألة رقم ٨٧٥/ الطبعة الثانية١٤٢٥هـ/ منشورات ميثم التمّار ـ قم.

وأنه هو مقتضى أصالة الاشتراك في الأحكام فتأمل.

وكيف كان فقد استدلّ للإطلاق بإطلاقات الأدلة، وبأنه كان المتبع من زمان الرسول ﷺ، حيث أنهن كنّ يحضرن المساجد والمشاهد في الصلوات والزيارات، من غير إنكار من الرسول أو من الأئمة ﷺ، بل تقرير منهم لهن، بل هو سيرة المتدينات والمتدينين الذين يأذنون لهن إلى هذا اليوم، ولذا ترى المشاهد والمساجد يعجّ بالنساء كما يعج بالرجال، واستدّل لما ذكره المصنف تبعاً للجواهر وغيره بأن المطلقات مقيدات، بجملة من الروايات...

هذا، ولكن شيئاً من هذه الروايات لا تصلح مقيدة للمطلقات البالغة أكبر قدر من التواتر، هذا مع إن غالب هذه الروايات مراسيل فلا تقاوم المسانيد القطعية المطلقة، ولو قيل بالتسامح فمع المطلقات لا مع هذه الروايات، بالإضافة إلى معارضتها بما رواه العوالي، عن رسول الله ﷺ، قال: إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها.

وإلى معارضتها بتقرير رسول الله ﷺ، وعلي ﷺ، حيث كن النساء يحضرن المسجد للجماعة في طول الأيام، ولم يصدر من الرسول والإمام منع أو تنبيه على المنع، والسيرة القطعية مؤيدة لذلك، ثم هل يقال مثل الكلام في المساجد بالنسبة إلى المشاهد المشرفة والحج والعمرة، إذ القول بذلك في المسجد يستلزم القول به في المشهد للتلازم العرفي بين الأمرين؟ والمسألة حسب ما وجدت من ما تعرض لها قلة من الفقهاء المتأخرين كالعلامة والشهيد ومن تبعهما، كما أني لم أجد عبارة (مسجد المرأة بيتها) في الروايات ولعله من عبارة الشهيد كما تنسب إليه، فالقول بمساواتهن للرجال في فضيلة المساجد والمشاهد أقرب) [1].

(١) الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ الفقه ـ كتاب الصلاة ج١٩ص١٩٨-٢٠١/ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/ دار العلوم ـ بيروت.

رأي السيد فضل الله:

وفي الاتجاه ذاته كان رأي السيد محمد حسين فضل الله، حيث قال في (فقه الشريعة) ما نصه:

(لا فرق في استحباب الصلاة في المسجد بين الرجال والنساء، وأما ما ورد من استحباب صلاة المرأة في بيتها، فالظاهر أن الملحوظ فيه جانب الستر، فقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في الدار».

وأما كون الصلاة في البيت أفضل من الصلاة في المسجد فلم أجده إلا بسند ضعيف، وقد يستفاد من بعض الأحاديث الضعيفة، مثل الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (صلاة المرأة وحدها في بيتها كفضل صلاتها في الجمع خمساً وعشرين درجة)، قد يستفاد منه أن الله تعالى يعطيها ثواب ذلك رعاية لها وملاحظة للخصوصيات الناتجة عن ارتباطها الغالب بأمور البيت وشؤونه. ولو فرض ثبوت هذا الحديث وصحته، فإن الذي نستقر به بضميمة أمور أخرى، أن فضل الصلاة في البيت ليس مطلقاً، وذلك بملاحظة أن صلاة المرأة في المسجد جماعة، أو للحصول على الحالة الروحية في مجالس الدعاء، أو للاستماع لأحاديث الوعظ والإرشاد، أو نحو ذلك مما لا يتسنى لها في بيتها تجعل صلاتها وحضورها في المسجد أفضل من الصلاة في البيت، لا سيما مع مراعاة الستر، بل قد يكون واجباً متعيّناً عليها في بعض الحالات، إذ لا تخفى حاجة المرأة إلى هذه الأمور كحاجة الرجل إليها، كما أن كتب السيرة قد تحدثت عن صلاة النساء جماعة مع الرسول صلى الله عليه وآله في المسجد)[1].

(١) فضل الله: السيد محمد حسين/ فقه الشريعة- الجزء الأول ص٢٧٤-٢٧٥ مسألة رقم ٦٠٥/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ دار الملاك ـ بيروت.

رأي علماء السنة:

مع أن كتب الحديث والسيرة النبوية عند أهل السنة، قد احتوت على عدد كبير من الأحاديث والنصوص، أكثر من المصادر الشيعية، حول مشاركة المرأة في الحضور إلى المساجد، وإقامة صلاة الجماعة، وبأحاديث في صحاحهم تنهى عن منع النساء من الحضور إلى المساجد، إلا أن المبالغة في الحرص على الستر والعفاف واجتناب الفتنة، دفع أكثر فقهائهم كما هو الحال عند الشيعة، للقول بكراهة خروج المرأة إلى المسجد، وأفضلية صلاتها في المنزل، استناداً إلى أحاديث وروايات واردة.

جاء في الموسوعة الفقهية:

(ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب للنساء أن تكون صلاتهن في بيوتهن، فذلك لهن أفضل من صلاتهن في المسجد، فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن)، فإن أرادت المرأة حضور المسجد مع الرجال: فإن كانت شابة أو كبيرةً يشتهى مثلها كره لها الحضور، وإن كانت عجوزاً لا تُشتهى لم يكره لها، لما روي عن ابن مسعود ﷺ قال: (والذي لا إله غيره ما صلّت امرأة صلاة قطّ خير لها من صلاتها في بيتها، إلا أن يكون المسجد الحرام أو مسجد رسول الله ﷺ إلا عجوزاً في منقلها)، وذلك حيث تقل الرغبة فيها، ولذا يجوز لها حضور المساجد كما في العيد.

وإن كانت شابة غير فارهة في الجمال والشباب جاز لها الخروج لتصلي في المسجد، بشرط عدم الطيب، وأن لا يخشى منها الفتنة، وأن تخرج في رديء ثيابها، وأن لا تزاحم الرجال، وأن تكون الطريق مأمونة من توقع المفسدة، فإن لم تتحقق فيها تلك الشروط كره لها الصلاة فيه، فقد كانت النساء يباح لهن الخروج إلى الصلوات، ثم لما صار سبباً للوقوع في الفتنة منعن عن ذلك) [1].

ونقل الدكتور وهبة الزحيلي عن فقهاء المالكية تقسيماً للنساء في حكم الخروج إلى

(١) الموسوعة الفقهية ج ٣٧ ص٢١٧.

المسجد، إلى أربعة أقسام:

عجوز انقطعت حاجة الرجال منها، ومتجالة لم تنقطع حاجة الرجال منها بالجملة، وشابة غير فارهة في الشباب والنجابة، وشابة فارهة في الشباب والنجابة...

كما نقل عن فقهاء الشافعية والحنابلة التفريق بين حكم المرأة الحسناء وغير الحسناء في الخروج إلى المسجد[١].

إن مثل هذه العبارات المستخدمة من قبل هؤلاء الفقهاء، تعطي انطباعاً سيئاً عن نظرة فقهاء الإسلام للمرأة، من حيث التركيز على البعد الجنسي وجانب الشهوة الغريزية.

لكن علماء آخرين من أهل السنة عارضوا هذا التحفّظ ورأوا فيه تشدّداً غير مبرر.

قال الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي:

« حتى المساجد منعوها من الذهاب إليها لحضور صلاة أو موعظة، مع علمهم بأن النساء في العصر النبوي كنّ يشهدن الجماعة، حتى في العشاء والفجر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال بصريح العبارة: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) رواه مسلم.

والعجيب أن بعض النساء إلى اليوم محرومات من هذا الحقّ الذي تمارسه كل من تنتسب إلى دين آخر غير الإسلام، فاليهودية تذهب إلى البيعة، والنصرانية تذهب إلى الكنيسة، والبوذية أو الهندوسية تذهب إلى المعبد، والمسلمة وحدها هي المحرومة من الذهاب إلى المسجد »[٢].

وقال الشيخ ابن دقيق العيد في شرحه لحديث (صلاة الرجل في جماعة تضعف

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته ج٢ ص١٥٤-١٥٥.

(٢) أبو شقة: عبد الحليم/ تحرير المرأة في عصر الرسالة/ ج١ ص١٠/ الطبعة الأولى ١٩٩٠م/ دار القلم ـ الكويت.

على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً...) قال: أما وصف الرجولية فحيث يندب للمرأة الخروج إلى المسجد ينبغي أن تتساوى مع الرجل، لأن وصف الرجولية بالنسبة إلى ثواب الأعمال غير معتبر شرعاً[١].

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن»[٢].

وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنّكم إليها». قال فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعهن، قال فأقبل عليه عبد الله فسبّه سبًّا سيئاً ما سمعته سبّه مثله قطّ وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن[٣].

كسب للحالة الدينية:

في الوقت الذي تسعى فيه مختلف الاتجاهات المادية، والتيارات الثقافية، للتأثير على أوساط مجتمعاتنا، وتبذل جهوداً خارقة للتبشير بأنماط السلوك وألوان الثقافات الوافدة، مستهدفة الوسط النسائي بشكل مركّز، لسعة رقعة هذا الوسط وعظيم تأثيره، عبر مختلف البرامج الإعلامية والثقافية والاجتماعية.

وفي الوقت الذي نلحظ فيه مدى التأثير والتغيير الذي تركته هذه الاتجاهات والتيارات على واقع مجتمعاتنا، فإن ذلك يجب أن يدفعنا لتحصين ساحة مجتمعاتنا، وتعزيز الانتماء الديني في صفوفها، واستقطاب مختلف شرائح المجتمع نحو الالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية والتعاليم الإسلامية، وخاصة شريحة النساء المستهدفة من قبل

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص١٧٨.

(٢) البخاري: محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري/ حديث رقم ٨٦٥/ دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ ـ بيروت.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم ١٣٥.

الاتجاهات الأخرى.

وحضور المرأة إلى المسجد هو كسب كبير للحالة الدينية، بما يعنيه هذا الحضور من تأييد والتفاف حول الاتجاه الديني، واستعداد للتفاعل مع أطروحاته وبرامجه، ويجب أن يأخذ المسجد دوره في الوسط النسائي، كمدرسة تربوية لتنمية الأخلاق والقيم، وكمنبر إعلامي للدعوة إلى الفضيلة والعفاف، وكساحة لقاء وتواصل بين المؤمنات للتعاون على البر والتقوى.

من هنا يجب أن تحتضن المساجد نساءنا وبناتنا، وأن يكون لهن في كل مسجد جانب خاص لحضورهن واجتماعهن، وأن تتاح لهن الفرصة للمشاركة في مختلف البرامج الدينية والاجتماعية، مع مراعاة كل ضوابط الستر والعفاف.

لا مبرِّر للتشدّد:

وإذا كان البحث في الأدلة الشرعية والنظر في أقوال الفقهاء، والقراءة للظروف الخارجية الاجتماعية، يقودنا إلى ترجيح الرأي القائل بأفضلية صلاة المرأة في المسجد، ويدفعنا إلى التشجيع على حضورها ومشاركتها في صلاة الجماعة، مع الالتزام برعاية الستر والعفاف. فإننا يجب أن نحترم الرأي الآخر باعتباره اجتهاداً له أدلته وقناعاته.

لكننا لا نجد مبرِّراً لمواقف التشدّد التي يمارسها بعض أتباع أهل هذا الرأي، حيث يبالغون في الإنكار على حضور المرأة للمسجد، ومشاركتها في صلاة الجماعة، وكأنه خطر عظيم، ومعصية كبيرة، ويسعون لمنع ذلك بمختلف ألوان الضغوط، مع أن أحداً من الفقهاء لم يقل بحرمته، وغاية ما يقال فيه أنه مفضول، وأن صلاة المرأة في المنزل أفضل من صلاتها في المسجد، وأنه يكره لها ذلك، بمعنى أن ثواب صلاتها في المسجد أقلّ من ثواب صلاتها في البيت.

وما دام ليس حراماً، بل إن فيه فضلاً وثواباً، وإن كان هناك ما هو أفضل وأثوب-

على رأيهم-، فما الذي يبرِّر الإنكار والمواجهة.

ثم إن من يعمل وفق الرأي الآخر القائل بأفضلية صلاة المرأة في المسجد، باجتهاد أو تقليد لمن يراه، فإنه ليس في موقع المؤاخذة ولا يصح الإنكار عليه.

وإذا كان تشدّد هؤلاء انطلاقاً من حرصهم على ستر المرأة وتجنيبها موارد الفتنة، فإن الطريق الأفضل لخدمة هذا الهدف النبيل، هو المساعدة على توفير الأجواء الصالحة ومعالجة الثغرات، ليكون حضور المرأة إلى المسجد وفق الضوابط الشرعية والأخلاقية المطلوبة.

وما يجب الالتفات إليه: أن حضور المرأة إلى المسجد في هذا الزمان ليس على حساب بقائها في منزلها، فهي حسب العرف والعادة تخرج إلى مختلف الأماكن، من المدرسة ومكان العمل والأسواق والزيارات والمناسبات الاجتماعية والأسفار الترويحية، فلماذا تتجه معارضة هؤلاء لخروجها إلى المسجد؟

إن ذلك يكشف عن ضيق أفق، وعن تشدّد وتزّمت يضر بالحالة الدينية، ويشغل الساحة بصراعات مفتعلة لا مبرر لها.

والحمد لله ربّ العالمين

التيارات الاجتماعية والتنافس الإيجابي

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

التنافس حالة إيجابية لدى الإنسان، فهي التي تدفعه باتجاه تفجير طاقاته وقدراته، كما أنها تبعث النشاط والتطور في المجتمع حيث تتحرك قواه نحو التقدم، وتتسابق على إحراز التفوق.

التنافس لغة: تفاعل من نَفِسَ، و«تنافَسَ القوم في كذا: تسابقوا فيه وتباروا دون أن يُلحق بعضهم الضرر ببعض... والتنافُس: نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التشبُّه بالعظماء واللُحوق بهم» [1].

وهي مشتقّة من: نَفِسَ عليه إذا شح به عليه. تقول: نَفِسَ بالمال على فلان: شَحَّ به عليه. وقد تكون مشتقّة من النِّفَاسة، وهي الشيء الغالي القيمة والثمن، بمعنى التسابق لكسب الفضل قبل الغير.

والتنافس حالة يعيشها الإنسان الفرد فيما بينه وبقية أفراد محيطه، كما هي حالة تعيشها الجماعات والتيارات الاجتماعية.

ففي كل مجتمع بشري تتكون وتظهر تيارات وتجمعات، إمّا بناءً على اختلافٍ في المبادئ والأفكار، بحيث تتبنّى كل جماعة فكرًا ومبادئ تختلف فيها مع الجماعة والتيار الآخر، وإما للاختلاف في المواقف والمصالح، بحيث تكون لكل مجموعة مصلحة معينة

---

(١) المعجم الوسيط، مادة: نفس.

تسعى لها في مقابل جماعة أخرى تنافسها لكسب هذه المصلحة. وإمّا بناءً على التمايزات العرقية أو القومية أو القبلية، أو التبعية لبعض الزعامات البارزة، وتكون لهذه التيارات فاعلية عند المنعطفات التي يمر بها المجتمع، وخاصة عندما يرتقي وضع المجتمع، لأنَّ تشكُّل التجمعات يعني حالة متقدّمة في واقع المجتمع.

التعدّدية حالة إيجابية

بعض المجتمعات الراكدة قد تنظر إلى نشوء وتشكّل تيارات اجتماعية نظرة سلبية، وتصوّر الأمر وكأنه انقسام يؤدي إلى الفرقة والتشتت، بينما إذا أمعن الإنسان النظر فإنه يرى أنها حالة إيجابية، وليست سلبية، لأنها تعتبر نوعًا من التقدّم الاجتماعي.

وأي تقدّم لا بدَّ أن تنتج عنه بعض المضاعفات السلبية، وهنا يأتي دور القوى الواعية في المجتمع في السيطرة على هذه المضاعفات والحدّ منها.

أما المظاهر الإيجابية لتعددية التيارات الاجتماعية فأبرزها ما يلي:

١. إثراء الفكر وتعدد الخيارات

حين تتنوع التوجهات الثقافية للتيارات في المجتمع، ويتحدّث كل تيار عن أفكار وآراء يتبنّاها، فإن ذلك يثري الساحة الفكرية ويدفع الناس إلى المقارنة بين الآراء والأفكار.

كما أن تعدّد البرامج والمشاريع، واختلاف الطّروحات بين التيارات يضع الناس أمام خيارات متعددة في معالجة قضاياهم، فتكون فرص البحث والتمحيص للآراء والخيارات أوسع وأفضل.

٢. إذكاء حالة التنافس لتطوير المجتمع

كل فئة إذا شعرت بوجود فئة أخرى تحاول أن تكون لها مساحة أوسع من الكسب والتأييد الجماهيري، فإنها ستجدّ وتنشط بكل ما تستطيع من أجل أن تكون الأكثر

والأوسع نفوذًا وتأثيرًا، وتشحذ من أجل ذلك ما عندها من طاقات وكفاءات، وهذا لصالح التقدّم الاجتماعي المستفيد من الخدمة التي تقدّمها هذه الجماعة والجماعة الأخرى المنافسة لها.

وهذا بخلاف ما لو كان المجتمع يخضع لجماعة وتيارٍ واحدٍ، حيث لن يكون هناك تنافس، كما أنه سينعكس سلباً حتى على الجماعة نفسها، لأنها ستتجمّد ولن تسعى لتطوير نفسها.

ولذلك، فإن وجود أكثر من تيار وجماعة تعمل في الشأن الاجتماعي العام يذكي حالة التنافس ويسرّع حركة التطوير في المجتمع.

٣. معالجة نقاط الضعف

لا بدّ أن يكون عند كل طرف أو تيار يعمل في الشأن الاجتماعي، نقاط قوّة، يقابلها نقاط ضعف، وعندما تتعدّد التيارات الفاعلة في المجتمع، ويكون بينها حالة من التنافس، من الطبيعي أن تستغل بعض هذه التيارات نقاط الضعف عند التيارات الأخرى، فيضطر كل طرف أن يعالج نقاط ضعفه وأن يسدّ الثغرات، وبالتالي سيكون هذا دافعًا للتكامل والتطوّر عند كل جهة من الجهات، أما إذا لم يكن هناك منافسة تبقى الثغرات والسلبيات دون تحفيز لمعالجتها.

٤. استيعاب طاقات المجتمع

كل تيار من التيارات يحاول قدر طاقته أن يستقطب من المجتمع شريحة أكبر من المؤيدين، ومن الطبيعي أن لا يستطيع استيعاب الجميع ضمن تياره، لذلك فإن وجود تيار آخر يحتوي مساحة أخرى من الجمهور، يساعد على أن تكون جميع قوى المجتمع فاعلة في تياراته المختلفة، لا أن تكون بعض القوى فاعلة، بينما تظل الأخرى معطّلة دون أن تجد من يحتضنها ويتبنّاها.

العلاقة بين التيارات الاجتماعية

العلاقة بين التيارات الاجتماعية تختلف في طبيعتها من مجتمعٍ لآخر، ويمكن تحديدها بثلاثة أشكال، هي:

١. علاقة النزاع والخصومة

في بعض الأحيان تكون العلاقة بين التيارات علاقة نزاع وخصومة، بمختلف أشكال المنازعة والخصام، وقد تصل إلى حالة الاحتراب والقتال، كما نرى ذلك في بعض البلدان حيث تتقاتل الجماعات والأحزاب والفصائل.

وفي أحيان أخرى قد لا يصل الأمر إلى مستوى التقاتل، ولكن تكثر فيما بينها حالة الفتن الاجتماعية، والتشهير الإعلامي، والتصعيد الكلامي، والتشنّج في العلاقة.

٢. علاقة التباعد والقطيعة

وفي هذه الصورة تكون كل جماعة منطوية على نفسها، ومهتمة بشأنها الخاص، وتتبع كل جماعة في علاقتها بالجماعة الأخرى سياسة المتاركة. وهذه الصورة ربما تكون أقل خطرًا من الصورة الأولى، ولكنها في كثير من الأحيان تتطور إلى أن تكون مقدّمة للحالة الأولى.

٣. علاقة التعاون والتكامل

حيث يكون هناك نوع من التواصل والتعاون والتنسيق بين هذه التيارات والجماعات داخل المجتمع، فتتكامل الجهود لمعالجة قضايا المجتمع، ويكون هناك ما يشبه تقاسم الأدوار، وهذه هي الصورة المثلى التي ينبغي الوصول إليها.

كيف يتحدّد شكل العلاقة بين التيارات؟

إن تحديد شكل العلاقة بين الجماعات والتيارات الفاعلة في أيِّ مجتمع، يعتمد على عاملين أساسين، هما:

١. مستوى الوعي عند القيادات.

حينما يكون هناك نضج ووعي عند قيادات التيارات، يكون لها دور في توجيه أتباعها وجماهيرها ومسيرة الحالة في المجتمع إلى أن تكون العلاقة بين التيارات علاقة إيجابية، وبالعكس من ذلك إذا انعدم الوعي والنضج، وسادت حالة الأنانية والتوسّل بالوسائل الملتوية من كل فئة تجاه الفئات الأخرى، أو الأسوأ من ذلك أن تسود حالة تشيع فيها النيّات السيئة بإلغاء كل طرف للأطراف الأخرى، فهنا لا تكون العلاقة بين هذه الجماعات والتيارات علاقة إيجابية.

ومسألة النضج والوعي لدى القيادات، له علاقة بمسألة التجربة والخبرة في العمل الاجتماعي، فإذا كانت التيارات لا تزال في طور النشء والحداثة في التجربة، فإن هذا ينعكس على الأسلوب المتبع في العلاقة فيما بينها، بحيث تصل في بعض الأحيان إلى حالة النزاع والخصومة والصدام.

ومن أبرز الأمثلة على هذه النقطة التجربة اللبنانية، حيث إن التيارات اللبنانية بعدما جرّبوا الحرب الأهلية وصلوا إلى حدّ من النضج والوعي السياسي، قادهم إلى أن الحل الأمثل هو التعاون والحوار والتواصل فيما بينهم كجماعات وأحزاب وقوى.

٢. مستوى البيئة الثقافي والسياسي

التيارات والجماعات هي جزء من المجتمع الذي تعيش فيه، وتتأثر بالحالة السياسية والثقافية السائدة في المجتمع، فإذا كانت تعيش في جوّ يسوده النظام والقانون، وحرّية الرأي والعمل، فهذا الوضع السياسي يجعل تلك التيارات والتجمّعات تسّير علاقاتها في الاتجاه الطبيعي والقانوني.

كما هو الحال الآن في الغرب، فهناك جماعات وأحزاب وحركات سياسية وثقافية واجتماعية، ضمن جوّ سياسي عام، يقنّن ويرشّد العلاقة فيما بين هذه التكتّلات.

أما إذا كان الوضع السياسي لا يتيح فرصة لوجود جماعات، ولا يعترف بوجود

قوى أهلية تعمل في المجتمع، وليس هناك حالة من حرّية العمل الثقافي والسياسي والاجتماعي، هذه الحالة تنعكس سلبياً على واقع الساحة الاجتماعية، وعلاقات التيارات مع بعضها.

وإذا كانت تسود في المجتمع ثقافة تسامح واحترام للرأي الآخر، فإنها تساعد على ترشيد العلاقة بين التيارات، أما إذا كانت الثقافة السائدة ثقافة إقصاء وإلغاء، خاصة ضمن العناوين الدينية، وهذا مما ابتليت به ساحتنا الدينية، فنجد من يعتبر نفسه فيها وكأنه يمثّل الله والشرع في الأرض، وبالتالي فإن أيّ طرف يختلف معه فكأنه يختلف مع الله والشرع والحقّ، ويستحق كل تُهم الضلال والابتداع والشرك والمروق من الدين، إن المجتمع الذي يعيش هذه الحالة من الثقافة لا تترشّد فيه العلاقة بين تياراته، لأن هذه التيارات تتنفّس من هذا الهواء الملوّث بهذه الأفكار الإلغائية العدوانية، وبالتالي فإن أبناء هذه التيارات يتأثرون في علاقاتهم مع بعضهم البعض بهذا الجوّ السائد.

التيارات الاجتماعية وترشيد العلاقة

ظهرت وتظهر بعض التيارات والجماعات في مجتمعنا المحلي، إمّا بعناوين مرجعية أو ثقافية، وهذه حالة إيجابية في المجتمع، لأن المجتمع الراكد لا تظهر فيه تيارات، بينما المجتمع الذي تشغله الفاعلية والحراك الاجتماعي والثقافي تتعدّد تياراته وتوجهاته.

ومجتمعنا الآن يعيش هذه المرحلة، فهناك تيارات تعبّر عن نفسها بأشكال مختلفة من التعبير، ومن المفترض أن ترشّد العلاقة بين مختلف هذه التيارات والتوجّهات، وأن توجّه باتجاه التنافس الإيجابي لخدمة المجتمع، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [سورة المطففين: الآية ٢٦].

وعندما نريد أن نطبّق هذه الآية على واقعنا اليوم، من المفترض أن نسعى لأن يكون هناك تنافس إيجابي في خدمة المجتمع، ضمن نطاق الجمعيات الخيرية، والأندية

الرياضية، والمنتديات الثقافية، وإقامة الشعائر الدينية، وضمن مختلف الأطر والأنشطة، كالانتخابات البلدية وانتخابات غرفة التجارة وسائر المجالات المتاحة.

ولتوجيه هذا التنافس في الاتجاه الإيجابي لا بدّ من توفر أربعة أمور، هي:

١. **الاعتراف والاحترام المتبادل**

إن مشكلة كثير من المجتمعات وجود قوّة أو تيار سائد، فلا يعترف بانبثاق تيار جديد ونشوء قوّة جديدة، بل لا يرى أن لها الحقّ في الظهور على الساحة والتحرّك فيها.

وهذا احتكار وتعصّب، فللجميع الحقّ في العمل، ولا يحقّ لجماعة أو فئة أو فرد أن يمنع الآخرين من ذلك.

٢. **الوسائل المشروعة للتنافس**

من الطبيعي أن تسعى كل مجموعة أو طرف لكسب أكبر قدر من الجمهور، وساحة أوسع للعمل، ولكن من المهم أن تكون الوسائل المستخدمة للكسب وسائل مشروعة، ومن المفترض أن تبتعد هذه الوسائل عن أسلوب التشهير والاتهام والتشكيك في النيّات والأهداف، وأن يكون هناك التزام بالأخلاق الفاضلة.

٣. **الانفتاح والتواصل**

مما يؤسف له أن تكون في المجتمع تيارات وجماعات فاعلة ولا يكون بينها أيّ نوع من التواصل والانفتاح.

وعندما ينعدم التواصل تكثر الشائعات بين كل فريق وآخر، بسبب حالة القطيعة.

وبخصوص هذه النقطة كثيرًا ما تتوتّر العلاقة بين التيارات المختلفة بسبب مواقف فردية.

إذ يكون لكل جماعة أتباع، وقد يتصرّف بعضهم أو أحد الأفراد منهم تصرفًا خاطئًا تجاه جماعة مقابلة، ويُحمل هذا التصرف على الجماعة ككل، وغالبًا ما تتطور الأمور

إلى حالة من الصراع والتصادم. فإذا كان هناك تواصل وانفتاح بين الأطراف، تتقلص هذه الاحتمالات.

٤. التعاون والتكامل

وهو المستوى الأرقى في العلاقة بين التيارات، فهذه التيارات والجماعات تعمل في مجتمع واحد، فمن المفترض أن يرتفع مستوى العلاقة بينها إلى نوع من التنسيق والتكامل، بحيث تحاول كل جهة أن تستفيد من الجهة الأخرى بما يرتقي بمستوى العمل. ويوحّد الجهود نحو خدمة المصلحة العامة، ويمنع حالات الصدام والنزاع الضارة بمستقبل المجتمع.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للالتزام بمكارم الأخلاق، وأن يجمع كلمة مجتمعنا وأمتنا على الخير والحق.

والحمدلله ربّ العالمين.

المرأة وصلاة الجماعة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

حين كانت المجتمعات البشرية تعيش صراعات وحـروباً تعتمد على قوة العضلات، والمواجهة المباشرة بالسلاح الأبيض، كان كثرة الرجال المقاتلين هو مورد القوة والهيبة لكل قبيلة ومجتمع، بينما كانت المرأة لنعومة جسمها، وضعف قوتها البدنية، لا تخدم معادلتهم في كسب الحرب والقتال، بل على العكس من ذلك فإن حمايتها من أن تقع في أسر العدو، كان يشكل عبئاً على جبهة المعركة.

وهذا هو سبب رئيس لتفضيل الرجل على المرأة في تلك المجتمعات السابقة، لأن معيار القوة هو العضلات المفتولة، والأجسام الخشنة.

أما حين ترتقي المجتمعات البشرية، وتخوض الصراع فيما بينها على مختلف الصور العلمية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية، فإن المعوّل لن يكون حينئذٍ على مجرد القوة البدنية التي يمتاز بها الرجل، وهنا تظهر إمكانات المرأة وقدراتها في منافسة الرجل ضمن سائر الميادين والمجالات.

وهذا ما جاء الإسلام ليبشر به، وليدّشن عهداً جديداً في تاريخ البشرية، تأخذ فيه المرأة موقعها الإنساني، ودورها الفاعل في الحياة، من خلال تفجير طاقاتها الفكرية، وقدراتها النفسية.

فالمرأة كالرجل، مخزون هائل من القدرات والطاقات، يجب أن تتاح لها الفرصة،

وتُشرع أمامها الأبواب لتثبت كفاءتها وتساهم في بناء مجتمعها.

ميدان القيم وساحات العمل:

الذكورة والأنوثة ليست كسباً اختيارياً، وإنما هي تكوين إلهي، فالإنسان لا يختار جنسه، هل يكون ذكراً أو أنثى؟ وإنما يخلقه الله كذلك، فلا فخر له بذكورته أو أنوثته، كما لا يحطّ انتماؤه لأيِّهما من قدره.

إن الفضل والفخر هو في كسب الصفات الاختيارية، التي ينالها الإنسان بإرادته وسعيه وجدّه واجتهاده، بغض النظر عن لونه وعرقه وجنسه. وهذا ما يقرِّره الإسلام ويؤكده بنصوص واضحة صريحة مطلقة لا تقييد فيها ولا تحديد.

وعلى ضوء ذلك، يجب رفض أيّ فكرة للتمييز بين أبناء البشر، على أساس العنصر أو الجنس، خارج إطار قيم التفاضل الكسبية.

فالقرآن الكريم يتحدث عن معادلة التفاضل في إطار قيمة التقوى، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات الآية: ١٣] فالأتقى، رجلاً كان أو امرأة، هو الأفضل عند الله، ولا يمكن لمسلم أن يعتبر الرجل غير التقي أفضل من المرأة التقية لذكورته، ولا أن يفضّل الرجل الأقل تقوىً باعتباره رجلاً على المرأة الأكثر درجة في التقى.

كما يتحدث القرآن الكريم عن قيمة العلم كإطار للتفاضل بين بني البشر بشكل مطلق يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر الآية:٩] ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة الآية: ١١]، وهنا لا يمكن أن يقبل عاقل بتفضيل الرجل الجاهل على المرأة العالمة، ولا الرجل الأدنى مستوىً في العلم على المرأة الأرفع منه في درجات العلم.

كذلك، فإن العمل الصالح هو الآخر معيار ومقياس في منطق القرآن لقيمة

الإنسان، وتحديد درجته ومستواه، يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١٣٢].

ويتساوى في درجات هذا المعيار الرجل والمرأة، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٩٥]، فالأكثر عملاً أعظم درجة ذكراً كان أو أنثى.

لذلك يقدّم القرآن المرأة الصالحة كمثل ونموذج للمؤمنين رجالاً ونساءً، يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة التحريم الآية: ١١].

وكما قال الشاعر العربي:

ولو كنّ النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

من هنا يُشرع الإسلام أبواب التنافس، ويفتح ميادين السباق على جميع الصُّعُد أمام الرجل والمرأة، ليتسايرا وليتسابقا على درب الفضيلة والصلاح.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب الآية: ١٣٥].

ففي الآية الكريمة إقرار لتكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة، في كسب صفات التقدم، وميزات التفوق، حيث احتوت الآية الكريمة على ذكر عشر صفات، بعضها فكرية اعتقادية كالإسلام والإيمان، وبعضها مناقبية أخلاقية كالصدق والصبر، وبعضها ممارسات عملية كالصوم والصدقة. وفي جميعها توازي المرأة الرجل وتسايره، وقد تسبقه وتتفوق عليه.

وإذا كان الإسلام قد أسقط عن المرأة بعض التكاليف والواجبات كقتال الأعداء ما لم تستدعِ الضرورة مشاركتها، وكوجوب الحضور في صلاة الجمعة، فإن رفع التكليف عنها مراعاة لظروفها الجسمية والعائلية، وحين تجد نفسها قادرة على المشاركة فيها فإن الإسلام لا يمنعها من ذلك. كما هو مقرر في فتاوى الفقهاء.

المرأة وصلاة الجماعة:

للمسجد موقعية رائدة في الاجتماع الإسلامي، ففيه تقام صلاة الجماعة، وتلقى خطب الوعظ والإرشاد، ويلتقي المسلمون ببعضهم، ويتشاورون في أمورهم، إنه ليس محراب عبادة فقط، بل مدرسة هداية وعلم، وساحة تواصل واجتماع.

ومن المتسالم عليه بين المسلمين فضل الصلاة في المساجد، وأفضلية صلاة الجماعة، ومن الثابت تاريخيًّا أن المرأة في العهود الإسلامية الأولى، بدءاً من تأسيس المسجد على عهد رسول الله ﷺ، كانت تشارك في الحضور إلى المسجد، وتشترك في صلاة الجماعة، وتصغي إلى خطب رسول ﷺ وإرشاداته.

وتحدّث الفقه الإسلامي عن أحكام مشاركة المرأة في صلاة الجماعة، حيث أجاز الفقهاء من السنة والشيعة صحة إمامة المرأة لمثلها من النساء، عدا فقهاء المذهب المالكي، جاء في الموسوعة الفقهية: (أما إمامة المرأة للنساء فجائزة عند جمهور الفقهاء – وهم الحنفية والشافعية والحنابلة – واستدل الجمهور لجواز إمامة المرأة للنساء بحديث أم ورقة «إن النبي ﷺ أذن لها أن تؤم نساء أهل دارها) ... أما المالكية فلا تجوز إمامة المرأة عندهم مطلقاً ولو لمثلها في فرض أو نفل) [1]

كما استند فقهاء الشيعة إلى روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، دالة على جواز إمامة المرأة للنساء كموثق سماعة قال: «سألت أبا عبد الله –الصادق– عليه السلام عن المرأة

(١) الموسوعة الفقهية ج٦ ص٢٠٤.

تؤم النساء؟ فقال: لا بأس به» وصحيح علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سألته عن المرأة تؤم النساء ما حدّ رفع صوتها بالقراءة والتكبير فقال: قدر ما تُسمع» ونحوهما غيرهما [١] .

ولا تصح إمامة المرأة للرجال عند فقهاء السنة والشيعة، وقد استدلّ فقهاء السنة بحديثين لمنع ذلك، أحدهما ما رواه جابر: «لا تؤمن امرأة رجلاً» أخرجه ابن ماجه، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده ضعيف [٢] .

والثاني ما ورد من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أخِّروهن من حيث أخَّرهن الله» صححه ابن حجر في فتح الباري [٣] .

أما فقهاء الشيعة فلم يرد عندهم نص صحيح في المنع من ائتمام الرجل بالمرأة، لكنهم استندوا (للإجماع، والسيرة خلفاً عن سلف، ولصحة دعوى القطع من مذاق الشرع بعدم جوازه أيضاً) [٤] .

وفي هذه المستندات مجال للبحث والنظر، كما لا يخفى على المتأمل.

وانفرد ـ فيما أعلم ـ الشيخ يوسف الصانعي (أحد الفقهاء المعاصرين في قم) بالقول بجواز ذلك معتبراً أن تساوي الإمام والمأموم في الذكورية إذا كان المأموم رجلاً مجرد احتياط استحبابي [٥] .

ولا يعترض أحد من الفقهاء على مشاركة المرأة في صلاة الجماعة بإمامة الرجل، بل تضمنت أبحاث الفقه وكتب الفتاوى تفاصيل الأحكام المرتبطة باشتراكها في صلاة الجماعة.

---

(١) السبزواري: السيد عبد الأعلى / مهذب الأحكام ج٨ ص ١٣٦/ الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ/ مؤسسة المنار ـ قم.

(٢) الموسوعة الفقهية ج٦ ص٢٠٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مهذب الأحكام ج٨ ص١٣٠.

(٥) مصباح المقلدين/ شرائط إمام الجماعة/ مسألة رقم ١٤٢٦.

الحضور إلى المسجد:

انطلاقاً من ضرورة الحفاظ على أجواء العفاف في الاجتماع الإسلامي، وصيانة لستر المرأة، وعدم تعرضها لمواقع الفتنة، يحرص علماء الإسلام وفقهاء الشريعة على التقليل من حالات الاختلاط واللقاء بين الرجال والنساء، وخفضها إلى أدنى حدٍّ ممكن ضمن حالات الضرورة والحاجة.

ومع أن السيرة النبوية الشريفة لا تؤيّد هذا المنحى من الحرص الشديد على الفصل بين الرجال والنساء، إلا أن هذا الاتجاه أصبح هو السائد بين علماء المسلمين وفقهائهم.

ففي المجتمع الإسلامي على عهد رسول الله ﷺ، كانت مشاركة المرأة واضحة مكثفة في المجالات المختلفة، حيث تحضر المسجد، وتخرج إلى المعارك، وتلتقي مع الرجال في الكثير من المشاهد والموارد، فيما يرتبط بالشأن الديني والاجتماعي، مع الحفاظ على أحكام الستر وأجواء العفاف، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال أبي: قال علي عليه السلام: «كنّ النساء يصلّين مع النبي ﷺ وكنّ يؤمرن أن لا يرفعن رؤوسهن قبل الرجال لضيق الأزر»[1].

وفي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس: سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم[2].

ونجد أن مناسك الحج تفرض حالة طبيعية من الاختلاط بين النساء والرجال، كما في الطواف والسعي ورمي الجمار وسائر المناسك والأعمال.

لكن اتجاه المبالغة في الحرص على العفاف وستر المرأة، الذي ساد في أوساط العلماء، مستنداً إلى بعض النصوص الواردة، أنتج توجّهاً متحفظاً تجاه خروج المرأة من بيتها،

---

(١) وسائل الشيعة / ج٨ ص٣٤٣حديث ١٠٨٥٥.

(٢) صحيح مسلم/ حديث ٢٩٤٢.

ومشاركتها في الحياة الاجتماعية العامة.

بالطبع، فإن البيئة التي يعيشها الفقيه، والثقافة التي يحملها، تترك أثراً على آرائه الفقهية وترجيحاته لما يراه مصلحة دينية، ولا يعني ذلك التشكيك في نزاهة الفقيه أو مصداقية استنباطه، وإنما يعني التأثير الواقعي للقناعات التي يؤمن بها على المستوى الثقافي.

لذا نجد الرأي السائد لدى الفقهاء عدم تشجيع المرأة على حضور المساجد، وقد عبّروا عن ذلك بقولهم: «الأفضل للنساء الصلاة في بيوتهن» [١] وقولهم: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد» [٢].

ويبدو من كلام السيد الطباطبائي (١١٦١هـ - ١٢٣١هـ) في رياض المسائل أن هذا الرأي لم يكن القول به سائداً بين الفقهاء، وأن المفتين به قلة وهذا نص عبارته:

«ثم إن إطلاق العبارة (ويستحب صلاة الفريضة في المسجد) كغيرها من الفتوى والرواية يقتضي عدم الفرق في استحباب المكتوبة في المسجد بين ما لو كان المصلي رجلاً أو امرأة.

وفي الفقيه: وروي أن خير مساجد النساء البيوت، وصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في صفّتها، وصلاتها في صفّتها أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها على سطح بيتها.

ولم أقف على مفتٍ بها من الأصحاب عدا قليل. ولكن في الذخيرة نسبها إلى الأصحاب، فقال: وأما النساء فذكر الأصحاب أن المستحب لهن أن لا يحضرن المساجد، لكون ذلك أقرب إلى الاستتار المطلوب منهن» [٣].

---

(١) اليزدي: السيد محمد كاظم/ العروة الوثقى/ مسألة ٤ في الأمكنة المكروهة.

(٢) المصدر السابق/ مسألة ٢ في أحكام المساجد.

(٣) الطباطبائي: السيد علي/ رياض المسائل ج٣ ص٢٣/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

وقد استند الفقهاء في رأيهم هذا إلى بعض الروايات، مرجحين لها على ما هو ثابت من سيرة المسلمين في عهد رسول الله ﷺ، من مشاركة النساء في الصلاة في المسجد جماعة، وإقرار الرسول ﷺ لذلك، بل أجاب الشيخ النراقي على هذا التعارض بقوله:

(ولا ينافيه تقرير النبي ﷺ حضورهن المسجد والصلاة معه جماعة، لأن التقرير لا يفيد الأفضلية. مع أنه لا يعارض القول، إذ لعله لإدراك فضيلة جماعة النبي ﷺ، التي هي أفضل الفضائل) [١].

لكن حضور النساء صلاة الجماعة في عهده ﷺ لم يكن مقتصراً على مسجده، والصلاة خلفه، فقد جاء في صحيحة أبي بصير عن أحدهما -الباقر أو الصادق عليهما السلام- في حديث قال: «أن بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة قد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس، فقيل لهم: إن نبيكم صرف إلى الكعبة، فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين، فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين» [٢].

فالرواية صريحة في حضور النساء للصلاة في المسجد بإمامة غير رسول الله ﷺ، مما يلغي احتمال الخصوصية التي أشار إليها الشيخ النراقي.

تحرير المسألة:

فضل صلاة الجماعة وثوابها لا يختص بالرجل، بل يشمل المرأة بالدرجة نفسها من الثواب، إذا كانت إقامة الجماعة في المكان الذي تتواجد فيه المرأة. وهذا ما لا يناقش فيه أحد من فقهاء المسلمين.

وخروج المرأة للصلاة في المسجد، والمشاركة في صلاة الجماعة، أمر جائز صحيح

---

(١) النراقي: المولى أحمد بن محمد مهدي/ مستند الشيعة ج٤ ص٤٧٥/ الطبعة الأولى١٤١٥هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم .

(٢) وسائل الشيعة / ص٢٩٧حديث ٥٢٠٠.

لا يعارضه أحد من الفقهاء.

لكن محل الخلاف هو في أفضلية خروج المرأة إلى المسجد على صلاتها في المنزل، كما هو الحال عند الرجل، حيث قال كثير من الفقهاء بأفضلية صلاتها في المنزل، وربما عبّر بعضهم عن ذلك بكراهة صلاتها في المسجد، والكراهة هنا بمعنى قلة الثواب. وبذلك تختلف عن الرجل.

لكن فقهاء آخرين لا يرون فرقاً بين الرجل والمرأة في هذه المسألة، فكما يحضّ الإسلام الرجل على قصد المساجد للصلاة فيها، والمشاركة في صلاة الجماعة، كذلك يشمل المرأة هذا الحضّ والتشجيع، وتكون صلاتها في المسجد منفردة أو في الجماعة، أفضل من صلاتها في البيت تماماً كالرجل، مع حفاظها على سترها وعفافها.

والحمد لله ربّ العالمين.

صلاة الجماعة وقيم الاتِّباع والاقتداء

كلمة الجمعة بتاريخ ٤ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

قضية الاتباع والاقتداء من القضايا المهمَّة في المجتمعات البشرية، حيث يشعر كل إنسان بحداثة تجربته في هذه الحياة، وبمحدودية إمكاناته تجاه متطلباتها وتحدياتها، فيبحث عمن يطمئن إلى كفاءته وصلاحه ليستعين بخبرته وتجربته، وعادة ما تبرز في كل مجتمع شخصيات متميزة في قدراتها أو موقعيتها الاجتماعية، فتجتذب لها الأتباع، وتأخذ في محيطها دور القدوة والزعامة.

ويتعاظم هذا الدور والتأثير كلما توفرت للشخصية مقوِّمات القيادة، وما يطلق عليه مصطلح الكرزمة.

وعلى الصعيد الديني، فإن الإسلام يدعو إلى الإلتفاف حول القادة الصالحين، والاقتداء بالصادقين المخلصين.

إن الاقتداء والاتباع إذا لم يصحبه وعي وبصيرة، قد يصبح سبباً للضياع والانحراف، على مستوى الشخص والمجتمع.

فلا بد أولاً من حسن الاختيار للقدوة، حتى لا يضل الإنسان أو ينخدع بمن لا يستحق هذا المقام.

ولا بد ثانياً من اليقظة والوعي في حال الاقتداء والاتباع، حتى لا يكون اتِّباعاً أعمى، واقتداءً دون معرفة وتفكير. فمن تقتدي به وتتبعه من البشر، ما لم يكن معصوماً

فإنه عرضة للخطأ والانحراف، كما أن بإمكانك أن تساهم في رفع مستوى أداء من تقتدي به وتتبعه، عندما تستثير عقلك، وتبذل شيئاً من طاقتك.

إن الاقتداء لا يعني تعطيل الفكر، ولا الذوبان وإلغاء الشخصية، بل يعني استفادة الإنسان من الخبرات والميزات الإيجابية لدى القدوة، كما يعني تضافر وحشد الطاقة الاجتماعية باتجاه خدمة المصلحة العليا للمجتمع.

ونقرأ في النصوص الدينية، الكثير من التعاليم والتوجيهات التي تُعنى بمعالجة موضوع القيادة والاقتداء، بدءاً من تبيين صفات القادة الصادقين، والتحذير من اتّباع غير الصالحين، وصولاً إلى تحديد قيم وضوابط الاتباع الواعي.

اختيار القدوة

إن على الإنسان أن يختار قدوة على أساس المقاييس الصحيحة، وبتحكيم عقله، فقد وهب الله تعالى للإنسان عقلاً ليهتدي به، وليرجع إليه في اتخاذ مواقفه وقراراته.

واختيار القدوة هو من أهم القرارات التي لا ينبغي أن يتخذها الإنسان اعتباطاً، وبالخضوع للتأثيرات العاطفية، والمحسوبيات الاجتماعية، وإنما بالاسترشاد بالعقل.

لقد سأل العالم الأديب ابن السكيت الكوفي الإمام علي الرضا عليه السلام: ما الحجة على الخلق اليوم؟ فأجاب الإمام عليه السلام: «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب على الله فتكذّبه»[1].

إن كثيراً من الناس يكون سبب انحرافهم وضلالهم سيرهم خلف زعامات وجهات غير صالحة، وكما ينقل القرآن الكريم عن هؤلاء الأتباع تبريرهم يوم القيامة لانحرافهم بذلك، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٦٧]. وقد لا تكون المسألة دائماً مسألة ضلال وانحراف بالمعنى المصطلح،

(١) بحار الأنوار ج١ ص١٠٥ حديث١.

وإنما قد تكون مسألة تخلف وتجميد للطاقات، حين يتبع الإنسان زعامة غير فاعلة، تثبّط عزيمته، وتشلّ فاعليته، وتجمّد قدراته بأفكارها السلبية.

الاقتداء بوعي

وحين يثق الإنسان بمن اختاره قدوة له، فإن عليه أن لا يُغمض عينيه، ويلغي عقله، بل يكون اقتداؤه واتباعه على بصيرة ووعي، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف الآية: ١٠٨].

فالرسول ﷺ على بصيرة من دعوته، ومن اتبعه أيضاً على بصيرة.

ذلك أن أي قائد أو قدوة لم يمنحه الله تعالى العصمة، فهو معرض للخطأ والانحراف، وهو بحاجة إلى إنضاج رأيه، وتعزيز قدراته بآراء وقدرات من حوله، مما يستلزم حركة عقولهم، وتفعيل أدوارهم إلى جانبه.

إن من أهم مشاكل القيادة في المجتمعات المتخلفة، إلقاء العبء عليها، وانتظار المعاجز منها، مع تقاعس من حولها، كما ينقل القرآن الكريم عن منطق قوم نبي الله موسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة الآية: ٢٤] وقد تكون الهيمنة المفرطة للقيادة سبباً في جمود القاعدة ومصادرة دورها.

كما أن الأسوأ هو الاستسلام لتوجهات الزعامة دون أي تقويم أو تفكير، مما قد يوقع الإنسان والمجتمع في كوارث الأخطاء والانحرافات.

إن القرآن الكريم يذمّ النصارى لأنهم قلدوا زعاماتهم الدينية تقليداً أعمى، واتبعوهم اتباعا مطلقاً دون أية ضوابط من دين أو عقل، فكأنهم بذلك يؤلهونهم من دون الله. يقول تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ [سورة التوبة الآية: ٣١].

قال عدي بن حاتم: قلت لرسول الله ﷺ: إنا لسنا نعبدهم. قال ﷺ: أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟ قال: قلت: بلى. قال ﷺ:

فتلك عبادتهم [١] .

وصلاة الجماعة باعتبارها تمثّل مظهراً من مظاهر الاجتماع الإسلامي، حيث يقف الجمع خلف إمام يؤدي بهم الصلاة، ضمن حالة من الانتظام والانضباط، فإننا نستطيع أن نقرأ في أحكام صلاة الجماعة، تجلّيات القيم والمبادئ التي يضعها الإسلام للاقتداء الصحيح، والاتباع الواعي، على المستوى الاجتماعي العام. حتى أطلق بعض الفقهاء المسلمين على إمامة الجماعة مصطلح الإمامة الصغرى.

جاء في الموسوعة الفقهية: أما الإمامة الصغرى (وهي إمامة الصلاة)، فهي ارتباط صلاة المصلي بمصلٍّ آخر، بشروط بيّنها الشرع. فالإمام لم يصر إماماً إلا إذا ربط المقتدي صلاته بصلاته، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الاقتداء [٢] .

من أحكام الائتمام

ذكرت الكتب الفقهية تفاصيل مسائل صلاة الجماعة وأحكام الائتمام، ونذكر فيما يلي أهم تلك الأحكام:

١. لا يعتبر في الجماعة قصد القربة إلى الله تعالى بها، ويكفي أن تكون صلاته بنية التقرب إلى الله، أما أداؤه الصلاة جماعة، فيصحّ حتى لو كان يستهدف من ذلك غرضاً دنيوياً مباحاً مثل الفرار من الشك، أو تعب القراءة، أو تعليم الآخرين طريقة الصلاة، أو غير ذلك، فالجماعة صحيحة، وتترتب عليها كل الأحكام المتعلقة بصلاة الجماعة، أما ثواب صلاة الجماعة فيكون على أساس نية القربة.

٢. اختيار الإمام لصلاة الجماعة يجب أن يتم وفق ضوابط وشروط، فلا يصح الإئتمام بمن لا تتوفر فيه المواصفات المطلوبة، وتلك الشروط هي الإيمان والعقل وطهارة

---

(١) الطبرسي: الفضل بن الحسن/ مجمع البيان ج٥ ص٤٣/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٥م ـ بيروت.

(٢) الموسوعة الفقهية: ج٦ ص٢٠١.

المولد، والرجولة إذا كان المأموم رجلاً، وتصح إمامة المرأة للمرأة، والعدالة، فلا تصح الصلاة خلف الفاسق، وأن يكون الإمام صحيح القراءة، وأن لا يكون ممن جرى عليه الحدّ الشرعي.

٣. لا يجوز الاقتداء بالمأموم فيشترط أن لا يكون إمامه مأموماً لغيره.

٤. لا ينبغي للإنسان أن يتقدم لإمامة قوم في الصلاة إلا برضاهم، ويكره له أن يؤمهم إذا كانوا كارهين لإمامته، وإن كان جامعاً لشرائط إمامة الجماعة. فقد ورد أن رسول الله ﷺ نهى أن يؤم الرجل قوماً إلا بإذنهم [١] . وورد في حديث آخر عنه ﷺ أن ممن لا يقبل الله لهم صلاة: «إمام قوم يصلي بهم وهم له كارهون» [٢]. وجاء في سنن الترمذي عن أنس بن مالك أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ ثلاثة: رجل أمّ قوماً وهم له كارهون...» [٣] .

٥. لا يشترط التطابق بين صلاة المأموم وصلاة الإمام، فيجوز اقتداء من يصلي إحدى الصلوات اليومية بمن يصلي الأخرى، وإن اختلفا بالجهر والاخفات، والأداء والقضاء، والقصر والتمام. فيجوز اقتداء مصلي المغرب بمصلي العشاء، ومصلي الظهر بمصلي العصر، والمسافر بالحاضر والعكس صحيح أيضاً.

٦. لا يتحمّل الإمام عن المأموم شيئاً من أفعال الصلاة وأقوالها، غير القراءة في الأوليين، إذا ائتم به فيهما فتجزيه قراءته.

٧. الإمام يقود حركة أداء أعمال الصلاة، ويجب على المأموم متابعته، فلا يجوز أن يسبق الإمام أو يتقدم عليه في أيٍّ من أفعال الصلاة، أما الأقوال وأذكار الصلاة فلا تجب فيها المتابعة، فيجوز للمأموم أن يأتي بذكر الركوع أو السجود أو التشهد

---

(١) وسائل الشيعة: ج٨ ص٣٤٩ حديث ١٠٨٧٢.

(٢) المصدر السابق/ ج٨ ص٣٤٨ حديث ١٠٨٧١.

(٣) الترمذي: محمد بن عيسى/ سنن الترمذي ج١ ص ٢٦٦ / الطبعة الأولى ٢٠٠٠م/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

قبل تلفظ الإمام به، عدا تكبيرة الإحرام فلا بد أن تكون بعد الإمام.

٨. إذا حصل خطأ من الإمام في الصلاة سهواً، بزيادة شيء أو نقصه، فإن المأموم لا يتبع الإمام في خطئه. وإذا بدأ الإمام الصلاة باعتقاد دخول الوقت، والمأموم لا يعتقد ذلك، لا يجوز له الدخول معه في الصلاة، إلا بعد أن يطمئن من دخول وقت الصلاة.

٩. إذا نسي الإمام شيئاً من واجبات الصلاة نبّهه المأموم ليتداركه، بأن يرفع صوته له بالتكبير أو الذكر أو بأيّ إشارة مناسبة، وإن لم يمكن ذلك، أو تجاوز الإمام محل التدارك، فإن كان المنسي ركناً من الصلاة، أو قراءة يتحمّلها الإمام عنه، انفرد المأموم بصلاته.

١٠. إذا علم المأموم بطلان صلاة الإمام من جهة من الجهات، ككونه على غير وضوء، أو متجهاً لغير القبلة اشتباهاً منه في تحديدها، أو تاركاً لركن من الصلاة، أو نحو ذلك، لا يجوز له الاقتداء به، وإن كان الإمام معتقداً صحتها من جهة الجهل أو السهو أو نحو ذلك.

بصائر وتأملات

هذه الأحكام الشرعية لها أدلتها التي استنبطها منها الفقهاء، وحين نتأمل في بعض مدلولات هذه الأحكام تربويًّا واجتماعيًّا، فهو ليس من باب تحديد علل لهذه الأحكام، وإنما هو نوع من التبصّر في الاستشهاد بها، كنموذج تطبيقي لقيم ومبادئ الاقتداء الواعي، والاتباع الصحيح.

ففي صلاة الجماعة، لا يأتمّ الإنسان إلا بمن تتوفر فيه مؤهلات الإمامة، وكذلك على الإنسان أن يختار القدوة له في حياته، والقيادة الاجتماعية التي يتبعها في حركته ونشاطه، على أسس سليمة، ووفق الضوابط الصحيحة.

ووجود قدوة للإنسان لا يعني إلغاء كل خصوصيات الإنسان وذوبانه، دون مراعاة للفوارق الموضوعية التي ربما تكون موجودة بينه وبين من يقتدي به، فالاقتداء في التوجه العام لا يلغي الخصوصيات، ونحن نجد في صلاة الجماعة احتمال الاختلاف بين الإمام والمأموم في الفريضة التي يؤديها كل منهما، فقد يصلي أحدهما الظهر والآخر العصر، وقد يصلي أحدهما قصراً بركعتين فقط، والآخر يتم صلاته أربع ركعات.

والقيادة ليست بديلاً عمّن تقودهم، وإنما هي إدارة لنشاطهم، وتوجيه لفاعليتهم، وما نجده في بعض المجتمعات من إلقاء العبء على كاهل القادة، لا ينتج إلا الضياع والتخلف، بينما المطلوب أن يقوم كل فرد بدوره في إطار المسار الذي ترسمه القيادة، وتقود حركته، وفي صلاة الجماعة يقوم كل فرد بواجبه في أداء أقوال الصلاة وأفعالها، عدا القراءة في الركعتين الأوليين، ولكن هذا الأداء منضبط بحركة الإمام حيث لا يجوز التقدم عليه في الأفعال.

والاقتداء والاتباع وإن كان لمن يتوفر على صفات الفضل والصلاح، لكنه يجب أن يكون بفكر يقظ، وعين مفتوحة، فقد يحصل خطأ من هذا القائد، ما دام ليس معصوماً، فعليك التنبيه للخطأ، وعدم المتابعة فيه. وهذا ما تؤكِّده أحكام صلاة الجماعة.

إن صلاة الجماعة نموذج لمنهجية العمل الجمعي ضمن رؤية الإسلام وتوجيهاته، وتدريب على التزام القيم والمبادئ في مجال الاقتداء والاتباع لأيِّ قيادة أو زعامة.

والحمدلله ربّ العالمين.

النظافة والأناقة في الاجتماع للصلاة

كلمة الجمعة بتاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٤٢٧ هـ

يختلف الناس في أفكارهم وآرائهم وتوجهاتهم الدينية وانتماءاتهم السياسية، ولكن فطرة البشر الواحدة تجعل هناك مقاييس مشتركة عند الناس، وخاصة فيما يرتبط في الحكم على المظاهر الخارجية، حيث تؤكّد فطرة الإنسان وعقله أهمية الأناقة والنظافة والتجمّل مهما اختلفت الأديان والانتماءات، فهذه المظاهر محلّ اتفاق بين أبناء البشر، فالإنسان بفطرته وعقله يميل إلى المظهر الحسن والجميل ويهتم بعنصر النظافة.

ولأن الأديان الإلهية تركّز على الجانب الروحي، وكثيرًا ما تطرح مسألة السعادة الأخروية قد يظنّ البعض أن الأديان تهمل المظاهر المادية الخارجية، خصوصًا أن بعض المتدينين بممارساتهم وتصرّفاتهم يؤكّدون هذه الفكرة والنظرة، بحيث أصبح من الشائع عند الكثيرين أن الناس إذا كانوا من ذوي التوجهات المادّية فإنهم يهتمّون بالأناقة والنظافة والجمال، بينما المتدينون فإنهم يعزفون عن ذلك، حيث تهمهم طهارة الروح والتقرّب إلى الله تعالى بالعبادات أكثر، أما المظاهر المادّية فيعتبرونها قضايا دنيوية زائلة وزائفة لا قيمة لها.

ولكن هذه الفكرة خاطئة، لأن الإسلام دين ينسجم مع الفطرة والعقل، ومسألة النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن والأنيق مما تنادي به الفطرة الإنسانية، ولذلك فإن الإسلام ـ كدين إلهي ـ يدعو إلى الاهتمام بالنظافة والأناقة ومظاهر التجمّل، ويعتبر ذلك

صفة وخلق للمؤمنين، لذلك ورد في المأثور: «النظافة من الإيمان».

ومما يؤكد ذلك أننا نجد الإسلام يلزم أبناءه ببعض ألوان النظافة الواجبة، وذلك كالغسل في حالات عديدة، وكالوضوء عند أوقات الصلاة، وهما لونان من ألوان النظافة التي يفرضها الإسلام على أتباعه.

النظافة حاضرة كعنصر في صلاة الجماعة

وعندما نتأمل آداب ومستحبّات صلاة الجماعة والمجيء إلى المسجد نجد فيها تأكيدًا كبيرًا على مسألة الأناقة والنظافة والتجمّل.

فالمسجد ـ باعتباره مظهر التجمّع الإسلامي، وصلاة الجماعة هي نموذج لمجتمع المسلمين ـ يجب أن يكون النموذج الأرقى والأفضل في مظهره وسلوكه الحضاري للمجتمع المسلم.

ومن هنا جاء تأكيد هذا الجانب في القرآن والأحاديث، حيث إن على الإنسان أن يهتم بأناقته ونظافته حينما يأتي إلى المسجد وصلاة الجماعة، والآية الكريمة صريحة في ذلك، يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣١].

وإذا ما أتينا إلى الأحاديث التي تذكر الآداب والمستحبّات في صلاة الجماعة والإتيان للمسجد وجدنا فيها تفاصيل كثيرة بخصوص مسألة الاهتمام بالجانب الشكلي والظاهري لأداء هذه العبادة بالإضافة إلى الجانب الروحي والمعنوي.

ونشير هنا إلى بعض النماذج منها:

أولاً: نظافة وطهارة المكان

الإسلام يؤكد في كثير من نصوصه الشريفة أهمية أن يكون المسجد نظيفًا وأنيقًا، بحيث وضع الشرع المقدّس بعض التشريعات الملزمة للمسلمين لتحقق هذه النقطة، بينما رغّب في الالتزام ببعض الأمور الأخرى، ولم يفرضها فرضًا إلزاميًا، وهي بمجملها

تحثّ المجتمع المسلم على المحافظة على مكان تجمّعهم وتمركزهم، فهذا المكان بالإضافة إلى أنه مكان للتجمّع، هو المكان الذي يتعبّدون فيه لربهم، بحيث يطلق عليه في كثير من النصوص الإسلامية الكثيرة «بيت الله».

ومن هذه التعليمات والإرشادات والأحكام التالي:

١. **تطهير المسجد**

من الناحية الشرعية يحرم تنجيس المساجد، فلو وقعت نجاسة في المسجد تجب إزالتها فورًا.

ففي حال أتى المسلم للمسجد قاصدًا الصلاة، ورأى فيه نجاسة، وكان هناك متّسع من الوقت فعليه أن يبدأ بتطهير المسجد، ثم أداء الصلاة.

أما إذا كان الوقت ضيقًا لا يكفي إلاَّ لأداء الصلاة فقط، ففي هذه الحالة ـ حسب فتوى الفقهاء ـ الواجب تقديم أداء الصلاة.

ولو حصلت النجاسة أثناء الصلاة، ففي هذه الحالة إذا كان الوقت ضيقًا يتمُّ المصلي صلاته ثم يطهّر المكان، أما إذا كان هناك متّسع من الوقت فعلى المصلي أن يقطع الصلاة ويزيل النجاسة، إلا إذا لم يبقَ منها إلا الشيء القليل، بحيث لا يتنافى مع مسألة الفورية في التطهير.

فلو لم يبقَ من الصلاة إلا التشهّد والسلام ـ مثلاً ـ فالمصلي يتمُّ صلاته في هذه الحالة ويقوم بتطهير المكان بعد ذلك.

أما إذا كان إكمال الصلاة يحتاج إلى وقت وبقاء النجاسة يعدّ هتكًا للمسجد فيقطع الصلاة ويزيل النجاسة من المسجد.

ويفتي الفقهاء أنه في حال توقّف تطهير المسجد على بذل مالٍ وكان الإنسان متمكّنًا لا يضرّه بذل ذلك المال فيجب عليه أن يصرفه لإزالة النجاسة.

وفي صورة لم يتمكّن مَنْ رأى النجاسة أن يزيلها من المسجد يجب عليه أن يخبر

الآخرين ويطلب منه العون في ذلك.

هذا في حال كانت النجاسة متعدِّية وسارية، بحيث تنجّس المسجد، أما إذا كانت النجاسة غير متعدية وسارية، فهذه لا يحرم إدخالها المسجد.

وذلك كأن يكون هناك دمٌ على بدن أو لباس أحد المصلين، وهذه البقعة من الدم جافّة لا تسري إلى المسجد، ففي هذه الحالة لا يحرم الدخول للمسجد.

٢. تنظيف المسجد وكنسه

يستحب الاهتمام بتنظيف المسجد وكنسه، وقد ورد: «من كنس من المسجد غبارًا أو ترابًا ولو بمقدار ما يذرّ في العين غفر الله تعالى ذنوبه».

ولذلك كنا نرى بعض الأولياء والصالحين يحرصون على تنظيف المسجد، وإن كان هناك خادم في المسجد، رغبة منهم في الحصول على الثواب. ومن المظاهر السلبية أن نجد ـ في المقابل ـ البعض لا يتعب نفسه عناء إزالة بعض الأوراق أو المحارم التي يجدها صدفة على فرش المسجد.

٣. إسراج وإنارة المسجد

يستحب إسراج وإنارة المسجد ليلاً، حتى لا يكون مظلمًا، فإنارة المكان عادةً ما تكسبه طابعًا يوحي بحيويته ونشاطه، وعلى العكس من ذلك عندما يظل في بعض الأوقات مظلمًا، حيث يوحي إلى تعطيل هذا المكان وعدم أهميته.

إن هذه التعليمات والمستحبات ترشدنا إلى أننا من المفترض أن نعتني بالمسجد ليكون مكانًا أنيقًا ونظيفًا؛ لأنه ـ بالدرجة الأولى ـ يعبّر عن مظهر المجتمع الإسلامي، والنواة لأيّ تجمّع وفق الرؤية الإسلامية.

ثانيًا: نظافة الجسم

يستحب للإنسان ـ وخاصة يوم الجمعة ـ التنظّف والتجمّل، حيث يستحبّ للمؤمنين الاغتسال يوم الجمعة استحبابًا مؤكّدًا، حتى إن بعض الروايات يفهم من

ظاهرها وجوب غسل الجمعة، وقد أفتى بعض علمائنا القدامى بذلك.

ومما ورد في ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الأنصار في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تعمل في نواضحها وأموالها [أي إنهم كانوا فلاحين]، فإذا كان يوم الجمعة حضروا المسجد للصلاة، فتتأذّى الناس بأرواح آباطهم وأجسادهم، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالغسل، فجرت بذلك السنّة».

ثم جاءت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام تحث وتؤكّد غسل يوم الجمعة، بحيث إن بعض الروايات مفادها أن الإنسان إذا لم يجد ما يغتسل به فيصح له تقديم الغسل يوم الخميس، وله ثواب غسل الجمعة، ولو فاته الغسل قبل الزوال يقضيه بعد ذلك ولو كان يوم السبت.

وهذا تعليم واضح في الحرص على النظافة والأناقة، وخاصة إذا كانت طبيعة عمل الإنسان تكسبه بعض الروائح الكريهة، كالذين يعملون في سوق الأسماك، أو في الحدادة، أو كعمّال للنظافة وغير ذلك.

ومما يؤكد هذه النظرة ما ورد بخصوص بعض المأكولات التي تفرز رائحة كريهة، كالبصل والثوم، إذ ورد في الحديث الشريف: «لا ينبغي لمن أكل من الثوم أو البصل أن يأتي المسجد فيتأذّى الحاضرون من رائحته».

وهذا المعنى يتأكّد عندما نطالع تلك الروايات الحاثّة على استخدام الطيب والعطر، فهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على مسألة تنمية الذوق والأناقة والأجواء الجميلة في المجتمع.

ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «لا ينبغي للرجل أن يدع الطيب في كل يوم»[1].

وعنه عليه السلام ـ أيضًا ـ أنه قال: «العطر من سنن المرسلين»[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢ ص١٤٢ حديث ١٧٤٥.

(٢) الكافي: ج٦ ص٥١٠ حديث ٢ باب الطِيّب.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ليتزيَّنْ أحدكم يوم الجمعة يغتسل ويتطيب»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من جاء إلى الجمعة فليغتسل»[٢].

وفي رواية عنه عليه السلام أنه قال: «يجب غسل الجمعة على كل ذكر وأنثى من حر أو عبد»[٣].

وهناك رواية جميلة عن الإصبغ بن نباتة يقول: «كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل يقول: «والله لأنت أعجز من التارك الغسل يوم الجمعة»[٤].

ومن المستحبّات يوم الجمعة أيضًا لبس الثياب الأنيقة والنظيفة، وحضور المسجد باللباس الذي يليق بمكانة المسجد وصلاة الجماعة، وخلاف هذا ما نراه من بعض مظاهر الاستهانة في مسألة التزيّن وإظهار الناقة والاحترام للمسجد، حيث نرى بعضهم يتصرّف بعض التصرّفات غير اللائقة بمكانة ومنزلة المسجد، فتجدهم يأتون للصلاة بثوب النوم!

وقد شاهدتُ هذا المنظر في بعض البلدان.

وهذا خلاف الذوق، فالإسلام يريد للمسلمين أن يكونوا في أفضل مظهر ووضع.

اللباس اللائق بالعرف القائم

وبخصوص مسألة الأناقة والاعتناء باللباس من المناسب الحديث عن مسألة أهمية التقيُّد باللباس اللائق بالعرف القائم، فكل منطقة لها لباسها المتعارف عليه، وكذلك لكل

---

(١) وسائل الشيعة: ج٣ ص٣١٢ حديث ٣٧٣١.

(٢) المصدر السابق: ج٣ ص٣١٧ حديث٣٧٤٨.

(٣) المصدر السابق: ج٣ ص٣١٦ حديث٣٧٤٧.

(٤) الكافي: ج٣ ص٤٢ حديث ٥.

شخص له لباسه المتعارف عليه في ذلك المكان، وفي بلادنا من المناسب والمعروف أن الإنسان إذا بلغ مبلغ الرجال فإن ما يناسبه من اللباس ـ خصوصًا في المحافل والأماكن الرسمية ـ الثوب مع الغترة والعقال، حتى إنه أصبح لباسًا رسميًا في الدوائر الحكومية، ويطالب الموظف الرسمي بالتقيّد به.

والتقيّد بهذا الزيّ أو اللباس له علاقة بالشخصية وتقييمها من قبل الآخرين، ومما يؤسف له أنه في بلادنا يؤخذ على شبابنا أنهم لا يهتمّون كثيرًا بمظاهرهم وخاصّة المظاهر الخاصة بالبلد.

وباعتبار هذا اللباس أصبح عرفًا قائمًا، ومنطلقًا لتقييم الشخص، خصوصًا في المناطق الأخرى من البلاد، حيث يقيّمون شخصية الإنسان من خلال هذا اللباس والمظهر، فليس من المناسب لشخص معروف وله مكانته أن لا يلتزم به، خصوصًا في بعض المناسبات الرسمية والخاصة.

إن أبناءنا وشبابنا في كثير من الأحيان لا يلزمون أنفسهم بهذا الأمر، وخاصة في المناطق الأخرى، كالجامعات، فتجدهم معروفون ومميزون بعدم مراعاتهم لهذه المظاهر، فإذا رأى المُشَاهِدُ تجمعًا من الحاسرين فهم من هذه المنطقة.

وعدم مراعاة مثل هذا التقليد لا يجعل الآخرين ينظرون لنا نظرة محترمة، وهذه نقطة لا تخصّ الإنسان كفرد، بل تعمّ أهل المنطقة جميعًا، حيث يحسب كل فرد على مجتمعه.

وما دام الأمر فيه إظهار للاحترام وللشخصية ولإعطاء الانطباع الجيد فهو أمر يحبّب إليه الشرع ويطلبه.

وهذا أمر ينسحب على المجالس العامّة التي يحضرها بعض الشخصيات المهمّة حيث ينبغي للإنسان أن يتزيّا فيها بأفضل زيّ، ولذا يؤخذ على بعض المجالس العامّة أن معظم الموجودين من الشباب حاسري الرؤوس، وهو منظر لا يعطي مكانة ومهابة

للمكان وللحضور وللشخصية، وعلى العكس من ذلك فيما لو كان المجلس غاصًّا بأصحاب الوجاهة والمكانة واللباس الذي يبدو منه رفعة الحضور ومكانتهم الاجتماعية البارزة.

التجمّل في روايات أهل البيت عليهم السلام

هناك نصوص حديثية كثيرة تحثّ الإنسان على رعاية مسألة العناية بالمظهر الحسن، ومن ذلك ما ورد بشأن الرسول صلى الله عليه وآله أنه «كان من مكارم أخلاقه أنه كان ينظر في المرآة ويرجِّلُ جُمَّتَه [مجتمع شعر رأسه] ويمتشّط، وربما نظر في الماء [في حال لم تكن هناك مرآة] وسوّى جمّته فيه».

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتجمّل لأصحابه فضلاً على تجمّله لأهله.

قال صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمّل».

كما أنه ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

فمن المفترض أن يحافظ الإنسان على أناقته ومظهره الحسن، فهذا إعزاز لأخلاق ومكانة الدين. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إن الله عزّ وجل يحبّ الجمال والتجمّل ويبغض البؤس والتباؤس».

والإمام الحسن بن علي عليه السلام عندما كان ينهض إلى الصلاة كان يرتدي أحسن ثيابه، فلما سئل، أجاب: «إن الله جميل يحبّ الجمال، فأتجمّل لربي، وهو يقول: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾».

المظهر ودوره في إعزاز الجماعة الدينية

إن الاهتمام الذي يوليه الشرع المقدّس لمسألة التزيّن في خصوص حضور المسجد وصلاة الجماعة له دوره في مسألة إظهار التجمّع الإسلامي والإيماني بالمظهر الحسن الذي

يتلاءم ومكانة الدين التي من المفترض أن يحتلها في أي مجتمع.

كما أن المكان النظيف والجمهور النظيف المتأنّق ذا الرائحة الطيبة يعطي الإنسان إحساسًا بالانشراح والراحة النفسية، وعلى العكس من ذلك المكان ذو الرائحة المنتنة ـ مثلاً ـ وغير المرتّب حيث يشعر الإنسان فيه بالاشمئزاز وعدم الارتياح النفسي.

وهو أمر ـ في الأساس ـ نابع من الفطرة الإنسانية ويتلاءم مع الذوق السليم.

المحافظة على نظافة البيئة

ولا يمكن عزل هذه التوجيهات الدينية التي تنسجم مع نداءات الفطرة والعقل وحصرها في مسألة المحافظة على الأماكن المقدّسة كالمساجد أو في مسألة المحافظة على نظافة الجسم والتزيّن في الملبس عند حضور المساجد فقط، بل هي أعمّ من ذلك، فهي إرشادات للمحافظة على النظافة وتنمية الحسّ الجمالي في داخل كل إنسان، والاهتمام بكل ما حوله.

ولذلك، فالإسلام من الأمور التي يشجّع عليها في صلب تعاليمه المحافظة على نظافة البيئة ومحيط الإنسان، ونحن نشدِّد على مسألة المحافظة على نظافة البيئة والمحيط الذي نعيش فيه، فهو ـ في الأساس ـ بلدنا، ونحن أولى من يرعاه ويحافظ عليه.

ومما يؤسف له أننا للآن نرى البعض يفتح نافذة السيارة ويلقي ما فيها من قمامة في الشارع العام، دون أدنى مراعاة للذوق العام، ومسألة نظافة البيئة أو ما شابهها من عناوين تشكّل بمجملها الصورة الحضارية لأيّ مجتمع.

وهو مشهد يتكرّر بشكل أوضح وأكثر على السواحل والشواطئ، حيث يجلس أفراد الأسرة ويتناولون من الأطعمة ما يشاؤون، ثم يغادرون المكان دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء رفع بقايا الطعام إلى سلة المهملات ... وغيرها من المشاهد التي تشعرك بأن مجتمعنا اليوم أصبح أقرب إلى فقدان الذوق وعدم الاكتراث بالمظهر العام الذي يعطيه

عن نفسه، وكأن كل فرد منّا يعيش وحده دون أن يدرك أنه بهذه السلوك السيئ المتكرّر من كل فرد تشكّل ظاهرة عامّة تسود المجتمع ككل.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الملتزمين بأحكام دينه ومن المتحلّين بمكارم الأخلاق.

والحمد لله ربّ العالمين.

المقاومة في فلسطين ولبنان خيار الأمة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

شاءت حكمة الله تعالى أن تواجه الأمة الإسلامية في انبعاثها المعاصر الغدر والعدوان الصهيوني، كما واجهت في انطلاقتها الأولى على يد رسول الله ﷺ مكر اليهود وغدرهم.

وكما أن المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة لم يتوفر له الاستقرار والأمن، ولم يتمكن من الانطلاق والانتشار إلا بعد إزاحة المكر اليهودي من طريقه، فإن الأمة الإسلامية في هذا العصر لن تحقق نهضتها، ولن تبني قوتها الحضارية وتستعيد مجدها إلا بعد اندحار العدوان الصهيوني وكسر شوكته. لقد كان في محيط المدينة المنورة ثلاث قبائل نزحت إليها من اليهود هم بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة، وكانت تمتلك الثروة والقوة الاقتصادية، وفي السنة الأولى لتأسيس المجتمع الإسلامي بعد الهجرة النبوية، وضع الرسول ﷺ دستوراً سياسيًّا تنظيماً لإدارة المجتمع والكيان الناشئ، عرف بصحيفة المدينة، وقد تضمنت هذه الصحيفة الاعتراف بوجود اليهود ومواطنتهم، وأنهم يتمتعون بحريتهم الدينية، وحقوقهم الإنسانية، وخصوصياتهم الاجتماعية، وأن يكونوا شركاء مع المسلمين في حربهم وسلمهم.

لكن قبائل اليهود لم تلتزم بهذه المعاهدة، بل كانوا ينتهزون الفرص لإثارة الفتن والتخريب داخل مجتمع المسلمين، بدعمهم لفئة المنافقين وتحريضهم لهم، وكانوا

يتواصلون مع المشركين ويساندونهم في الحرب على المسلمين، كما تآمروا على حياة رسول الله ﷺ لتصفيته واغتياله أكثر من مرة .

ولم يكن يجدي معهم أيّ اتفاق للصلح والسلام، ولا يلتزمون بأي معاهدة تُبْرم مع أيّ طرف من أطرافهم، كما يقول تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٠].

وهنا لم يجد النبي ﷺ خياراً إلا إزاحتهم من محيط المدينة وإخراجهم منها، لينعم المجتمع الإسلامي بالاستقرار الداخلي، ولينطلق بحمل رسالته ومشروعه الحضاري

ودخل المسلمون مع اليهود معارك حاسمة، تمّ على إثرها جلاؤهم من المدينة، وكان ذلك أمراً غير متوقع في البداية، لامتلاك اليهود لثروة هائلة، وعتاد عسكري كثير، ولإنشائهم لأنفسهم حصوناً منيعة تحمي مجتمعاتهم من أيّ هجوم.

لكن القرار الحاسم لرسول الله ﷺ، والإرادة القوية لجيش المسلمين وتضحياتهم، وبتأييد الله تعالى ونصره، تمّ إيقاع الهزيمة في أوساط اليهود قبيلة بعد أخرى، وأزيحوا من طريق مسيرة الأمة. يقول الله تعالى عن حادثة خروج بني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر: الآية ٢].

إسرائيل لعرقلة نهضة الأمة

إن زرع الكيان الصهيوني الغاصب في قلب الأمة الإسلامية، تمّ بإدارة استعمارية، ليكون هذا الكيان رأس حربة العداء ضد وجود الأمة، وعائقاً لحركتها ونهضتها. وتجسدت هذه الإرادة الاستعمارية في وعد بلفور سنة ١٩١٧م، وقد رعت بريطانيا يوم كانت زعيمة العالم الغربي، إنشاء هذا الكيان، ثم تسلّمت أمريكا مهمّة رعاية المشروع

الصهيوني وحمايته، بعد أن أخذت موقع الزعامة الغربية .

إن مشكلتنا ليست مع اليهود كيهود، فديننا يقرّر حرية الأديان، واحترام حقوق الإنسان، وخصوصيات المجتمعات، وكان اليهود يعيشون بين ظهراني المسلمين بكل أمن واحترام لم يحضوا بمثله في أيّ مجتمع آخر.

وحينما كان الغربيون ينبذون اليهود ويحتقرونهم، كانت البلاد الإسلامية تحتضنهم وتوفر لهم أجواء الحياة الكريمة، وقد وصل عدد من شخصياتهم إلى مواقع الوزارة والمستشارية لبعض خلفاء المسلمين وحكامهم، كما برزت منهم الكفاءات العلمية، ورجال الأعمال الأثرياء، من خلال الفرص المتاحة لهم في بلاد المسلمين، وتاريخ بلاد الأندلس شاهد على ذلك.

وإلى وقت قريب، كان اليهود في فلسطين وسوريا واليمن والعراق مواطنين محترمين، لكن انبثاق الحركة الصهيونية على يد تيودور هيرتزل عام ١٨٩٧م، حيث انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، وحيث قرّر اليهود الصهاينة السعي لإنشاء وطن قومي لليهود، وكانت أمامهم أسماء عدد من البلدان المقترحة كالأرجنتين وأوغندا وقبرص وفلسطين، فاختاروا فلسطين، وشجعهم البريطانيون على هذا الخيار، ومكّنوهم من السعي لتنفيذه خلال الانتداب البريطاني على فلسطين. هذا التوجه الصهيوني لاحتلال أرض فلسطين، وتشريد أهلها، والفتك بهم، غيّر مسار علاقة المسلمين باليهود.

واستفاد اليهود من تمزيق أوصال الوطن العربي عبر معاهدة سايكس بيكو، وقيام أنظمة حكم ضعيفة متخاذلة، وبسبب التخلف العام الذي تعيشه شعوب الأمة، استطاع الصهاينة إقامة كيانهم العدواني الغاصب، وبطموحات توسيعية لا تقف عند حدود فلسطين، إنهم يريدون إخضاع الأمة والمنطقة لنفوذهم وإرادتهم، ويريد الاستكبار العالمي أن يجعل منهم عنصر إعاقة وإحباط لأيّ مشروع نهضوي في الأمة.

قد استولوا على أراضي أكثر من دولة عربية كمصر والأردن وسوريا ولبنان إضافة

إلى اغتصابهم للأراضي الفلسطينية.

وأعربوا عن طموحاتهم التوسعية وأن حدود إسرائيل من النهر إلى البحر، ومارسوا العدوان ضد أكثر من بلد عربي وإسلامي كضربهم للمفاعل النووي في العراق، وتهديداتهم لإيران.

وتمادوا في وحشيتهم وإجرامهم تجاه الشعبين الفلسطيني واللبناني، على مرأى ومسمع من العالم.

إنهم يخطِّطون للهيمنة على هذه المنطقة العربية الإسلامية الثرية والعريقة في تاريخها، ليكونوا هم جهة القرار والسيطرة على مصائر شعوبها وثرواتها.

لقد شغل العالم العربي والإسلامي خلال أكثر من نصف قرن بهذا العدوان الصهيوني، على حساب تنميته السياسية والاقتصادية، وعلى حساب أمنه واستقراره.

مقاومة الشعوب

وإذا كانت الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية تجد نفسها عاجزة عن مواجهة هذا المشروع الصهيوني العدواني، فإن إرادة الشعوب الإسلامية قد انطلقت للدفاع عن عزتها وكرامتها.

وتأتي المقاومة الإسلامية في لبنان، وانتفاضة الشعب الفلسطيني، في طليعة حركة الأمة، وتصديها للمشروع الصهيوني، وقد فشلت قدرات الصهاينة وجيوشهم المدججة بالسلاح والعتاد، وإمكاناتهم الهائلة، في إيقاف حركة المقاومة اللبنانية والانتفاضة الفلسطينية.

وتحقّق على يد المقاومين الشرفاء في لبنان ما عجزت عنه الجيوش العربية على ضخامتها، حيث اندحر الصهاينة أذلّاء من الجنوب اللبناني، واضطروا فيما بعد للتفاوض عبر الوسطاء مع المقاومة لتبادل الأسرى.

كما استطاعت حركة حماس أن تكتسب ثقة الشعب الفلسطيني واستلمت السلطة

بانتخابات نزيهة، مع تمسكها بموقف المقاومة وحقوق الشعب الفلسطيني.

فأصبحت إسرائيل تراهن على إذعان قوى المقاومة في لبنان وفلسطين لما تعتبره إسرائيل تفوقاً في قوتها، يعطيها شرعية الوجود وممارسة الهيمنة.

وأعان إسرائيل ما تزعمته أمريكا من معركة الحرب على الإرهاب، وتصنيف المقاومة في فلسطين ولبنان ضمن قوى الإرهاب، كما أن الاحتلال الأمريكي للعراق أثار فتنة طائفية تعيش الأمة قلق انتشارها وتوسعها، في هذا الوقت بالذات تأتي العمليات البطولية في فلسطين ولبنان، لتذكِّر الرأي العام العالمي، وتنبِّه المجتمع الدولي، بأن مكمن الأزمات والمشاكل في الشرق الأوسط هو العدوان الصهيوني، وأنه لا استقرار في المنطقة والعالم ما لم يردع العدوان الصهيوني، الذي يمثل أبشع إرهاب وعدوان في تاريخ البشر.

خيار المقاومة

ثبت للجميع أن الكيان الصهيوني لا يبحث عن السلام، وإنما يريد فرض الاستسلام على الشعوب العربية والإسلامية، بمنطق القوة، واتكاءً على الدعم الأمريكي المفتوح، وهنا لا بدّ لنا من الاختيار بين القبول بالاستسلام والاعتراف بالعجز أمام العجرفة الصهيونية، أو رفع سلاح المقاومة والمواجهة.

وإذا كان هناك من يختار الاستسلام، ويضع له عناوين مخففة، معلِّلاً ذلك باختلال ميزان القوة، وهيمنة الإرادة الدولية، وما شابه ذلك من التبريرات، فإن المقاومين الشرفاء يرفضون هذا الخيار، ويعقدون العزم على الصمود والثبات والمواجهة والجهاد، متوكلين على الله راجين نصره.

إننا نحيي بطولات المقاومة الباسلة في لبنان وفلسطين، ونحيي صمود الشعب الفلسطيني أمام الحصار والإرهاب الصهيوني، وصمود الشعب اللبناني أمام عاصفة التدمير الهوجاء التي تشنها إسرائيل.

ونشعر بالفخر والاعتزاز لأداء المقاومة الإسلامية في لبنان بضربها المتواصل للعمق الإسرائيلي، وإثباتها لقدراتها وكفاءتها الفائقة التي فاجأت العدو، وبهرت العالم، ورفعت معنويات الشعوب. وما نسمعه من كلام تثبيطي حول المقاومة سبق أن سمعنا مثله أيام مقاومتها للاحتلال في جنوب لبنان، لكن الصدق والثبات والتضحية أنتج النصر المؤزر سابقاً، وسيحققه مرة أخرى عن قريب إن شاء الله، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللهِ﴾ [سورة الروم: الآية ٤-٥].

إن المقاومة تدافع عن شرف الأمة وكرامتها، وتسقط الهيبة والرهبة التي أحاط بها العدو نفسه باعتباره الجيش الذي لا يقهر، والقوة التي لا تردع، وواجب الأمة أن تقف مع المقاومة في فلسطين ولبنان وأن تدعم صمود الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني.

إن المجازر اليومية الفظيعة التي يتعرّض لها الشعبان اللبناني والفلسطيني، والحصار المفروض عليهما، وما تقوم به إسرائيل من قصف وتدمير وتخريب واستهداف للمدنيين في فلسطين ولبنان، يوضح بجلاء وحشية هذا العدو، ويظهر تواطئ ما يسمى بالمجتمع الدولي معه، والدفاع الأمريكي الوقح عن إجرام إسرائيل وعدوانها، يكشف حقيقة زيف دعاويهم في طرح قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان.

إنه لا يصحّ للعرب والمسلمين أن يتفرّجوا على ما يجري ويدور، فالمعركة معركة الأمة كلها، والمقاومة هي عنوان الكرامة والشرف.

نسأل الله تعالى للشهداء الرحمة والرضوان وللجرحى الشفاء والعافية وللمجاهدين النصر والظفر.

والحمد لله ربّ العالمين.

المقاومة: إحياء إرادة الأمة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

إن التعاطف مع المظلوم والدفاع عنه باعث وجداني في نفس الإنسان السويّ، فحين يرى الإنسان من يتعرّض للظلم فإنه يشعر بالتعاطف معه، بل يسعى بمقدار جهده لأن يدافع عنه، وخاصة إذا كان هذا الظلم قد وقع من قبل عدو مشترك، وإذا كان هذا المظلوم قد تعرّض للظلم لأنه يدافع عن الآخرين ويرعى مصالحهم، فهنا يكون الباعث الوجداني أكبر للتعاطف مع هذا المظلوم والدفاع عنه.

ومن جهة أخرى، إن غيرة الإنسان على عرضه ووطنه وقومه غريزة طبيعية أودعها الله سبحانه وتعالى في نفس الإنسان، لكي يدافع عن ذاته كفرد وكمجتمع.

وإذا ما رأينا إنسانًا فَقَدَ هذه الغيرة، بحيث ما عاد يعنيه اعتداء الآخرين عليه وعلى عرضه وقومه فيجب أن نفتّش في هذه الحالة الشاذّة، ما أسبابها؟ وما الظروف التي نشأت فيها بحيث أنتجت تبلداً في المشاعر والأحاسيس؟

إنّنا نسوق هذا الحديث بسبب ما نراه ممّا يحلّ بإخواننا في لبنان وفلسطين هذه الأيام، من قتل ودمار وفتك عظيم، يطال الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، فنرى مشاهد الأشلاء الممزّقة، والبيوت المهدّمة، والقرى المدمّرة، على شاشات التلفزة كل يوم وكل ساعة، وننام على أصوات الاستغاثة والبكاء والنحيب، من الأمهات الثواكل، والأطفال المشرّدين، والمصابين، هذه المشاهد والآهات التي تمرّ على أنظارنا وأسماعنا كل يوم تفطّر قلب الإنسان ألمًا وحسرة.

والكلّ يعلم ويشاهد هذه الهجمة الصهيونية الشرسة على شعب لبنان وفلسطين، فيحار الإنسان من الموقف الخجول والمتخاذل عند قطاع واسع ممن يتحمّلون المسؤولية في العالمين العربي والإسلامي، وكأن الأمر لا يعنيهم، وكأن هؤلاء الذين يُقتلون ويُقصفون وتمزّق أجسادهم، وتهدّم منازلهم، ويشرّدون من قراهم ومدنهم، كأنّهم لا يمتّون لهم بصلة، مع أن الأمر لا يستدعي أن تكون هناك أواصر قربى، فما يحصل في لبنان وفلسطين مأساة إنسانية يتفطّر لها قلب كل إنسان سويّ .

لكن ما يسود الواقع هو طغيان الحالة المصلحية الأنانية، التي تجعل البعض يفكّر في مصالحه الذاتية، ولا يعنيه ما يصيب الأمّة وأوطان المسلمين.

كما أن البعض منهم تبلّدت مشاعرهم وأحاسيسهم، من كثرة ما يرونه من مشاهد الظلم والحيف، التي أصبحت مشهدًا مألوفًا كل يوم، بل كل ساعة.

هناك معادلتان في ساحة أمتنا العربية والإسلامية: معادلة الأنظمة الحاكمة التي تتبنّى عدم مواجهة قوة إسرائيل، التي تملك إمكانات لا قِبَل للجيوش والأنظمة العربية بها، خصوصًا وهي تحظى بدعم أمريكا والمجتمع الدولي، وبالتالي عليها مسايرتها وأن لا تستفزّها، حتى لا تقوم بأيِّ عمل من شأنه أن يفجّر الوضع في المنطقة، بحيث لا تستطيع هذه الأنظمة السيطرة على الوضع بعد ذلك.

وبهذا المنطق استكانت هذه الأنظمة وجنحت إلى ما كان يطلق عليه (عملية السلام)، وعلّقوا الآمال عليها في إرجاع الحقوق.

وبسبب هذه العملية الاستسلامية أصبحنا نرى أعلام إسرائيل ترفرف في سماء بعض العواصم العربية والإسلامية، وإسرائيل لا تزال تقتل وتقصف وتأسر في المناطق العربية.

واستكمالاً لهذه العملية حاولت بعض الأنظمة العربية إجراء علاقات تطبيع، وَسَعَوا بمختلف الطرق لإرضاء إسرائيل تحت أيّ ذريعة ومبرِّر، لعلّها تتنازل أو تترك

شيئاً مما اغتصبته، ومرّت السنوات والعقود من الزمن، إلى أن أعلن النظام الرسمي العربي ـ ممثلاً في جامعة الدول العربية بلسان أمينها العام عمرو موسى ـ بأن عملية السلام قد ماتت.

وفي مقابل معادلة الأنظمة العربية هناك معادلة شعبية حيث انبرت عصبة مؤمنة أخذت على عاتقها التبشير بمعادلة جديدة، تفرض واقعًا جديدًا، يتحدّد في أن القوى الشعبية في الأمة تستطيع أن توقف غطرسة وعنجهية إسرائيل والقوى الظالمة، وقد تحرّكت هذه القوى المؤمنة في لبنان وفي فلسطين.

المقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين

وقد بدأت عمليات المقاومة أيام خضوع لبنان للاحتلال الإسرائيلي، عندما وصل إلى عمق لبنان، واحتلّ عاصمته بيروت عام ١٩٨٢م، ثمّ انكفأ إلى الشريط الحدودي لجنوب لبنان عام ١٩٨٥م، وظل جنوب لبنان مستباحًا للعدوان الإسرائيلي، من بوارجه ومدافعه وطيرانه الحربي، طيلة مدة الاحتلال، الذي ظلّ جاثمًا على لبنان إلى أن تحرّر منه في ٢٥ أيّار ٢٠٠٠م، بفضل تضحيات وصمود المقاومة الإسلامية التي تحرّكت دون أيّ دعم عربي، فالأنظمة العربية تخلت عنها، والجهات الدولية المختلفة لم تعترف بها.

ولكن المقاومين لم ينتظروا الدعم من أحد، ولم يطلبوا العون إلّا من الله سبحانه وتعالى، فصمدوا وثبتوا وناضلوا وضحّوا وقدّموا الشهداء وتحمّلوا وجماهيرهم الآلام والمصائب، ونتيجة للعمليات النوعية للمقاومة اللبنانية انهزم الجيش الإسرائيلي، وانكفأ عن لبنان، وتبيّن كذب المقولة التي طالما روّجها عن نفسه بأنه جيش لا يقهر. وأثبتت هذه التجربة الناجحة للمقاومة في جنوب لبنان أن الأمة تستطيع وبإمكانات محدودة أن تقاوم إسرائيل، فالأمة الإسلامية بما تملك من معنويات عالية، وإرادة وقدرة على الاستشهاد، تستطيع أن تتغلّب على هذا الكيان الغاصب المحتلّ.

وبسبب هذا الانتصار التاريخي الذي حقّقه حزب الله في الجنوب اللبناني تفجّرت الانتفاضة الفلسطينية، بقدرات متواضعة، وظروف احتلال وحصار صعبة جدًّا، وبدأت بانتفاضة الأقصى، التي توقّع الإسرائيليون أن يتمّ القضاء عليها في غضون أشهر أو سنة، ولكن التجربة اللبنانية الناجحة، وفشل سبل المفاوضات، أعطى زخمًا ودفعًا معنويًّا كبيرًا للفلسطينيين لمواصلة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

ونشأ ما يمكن اعتباره التيار المقاوم في المنطقة، عماده الأساس المقاومة في لبنان وفلسطين، وهذا التيار أوجد معادلة جديدة في المنطقة، خصوصًا أنه يملك رصيدًا شعبيًّا كبيرًا بين كافّة الجماهير العربية والإسلامية.

الأحداث الأخيرة في لبنان

وما يحدث الآن في لبنان فصل جديد من فصول المقاومة، حيث توكّل المؤمنون من أبناء حزب الله على الله، وتحدّوا هذا الجبروت الزائف للصهاينة، ودخلوا هذه المواجهة التي أرادها الصهاينة حربًا مفتوحة.

ولو وقف العرب والمسلمون بدولهم ومؤسَّساتهم خلف هذه المقاومة، لاستطاعت أن تحقّق الكثير من الانتصارات بخسائر أقل وفي وقت أسرع، ولكننا ما عدنا نأمل في الدعم الرسمي، بل أصبحنا أقلّ ما نأمله منهم ألاّ يطعنوا المقاومة من الخلف، وألاّ يتآمروا مع الأعداء عليها.

وما يدعونا إلى ذلك ما نسمعه من تصريحات ومواقف واضحة ومعلنة، في تحميل المقاومة اللبنانية تبعات ما يحصل من تدمير للبنان، وهو موقف يثير الغرابة والعجب، حيث يعجب الإنسان من تفرّقنا في نصرة إخواننا اللبنانيين والفلسطينيين وهم على حقّ، واجتماع الغرب في الدفاع عن إسرائيل وهي على باطل في كل ما تقوم به، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «فَيَا عَجَباً عَجَباً، واللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ ويَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَى

بَاطِلِهِمْ وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ».

هل يشك أحد في العالمين العربي والإسلامي في حق الفلسطينيين واللبنانيين في استرداد أرضهم وأسراهم، وفي ظلم إسرائيل واغتصابها؟ لكننا نرى تلاحمًا من أمريكا والدول المستكبرة في دعم الصهاينة، بينما نحن أصحاب الحقّ والمُعتدَى علينا والمقهورون من قبل الظلم والحيف الإسرائيلي نختلف هكذا إلى هذا الحدّ؟؟!

وربما يكون السبب في ذلك طغيان الحالة المصلحية، وذلك عندما يقدّم البعض الحساسيات الشخصية، والصراع على النفوذ، على قضية الأمّة الكبرى، هذا ما رأيناه في الساحة العربية، إن بعض الدول العربية تخذل الدولة الأخرى لا لشيء إلا لأنها لا تريد لهذه الدولة أن تنتصر، ففي نكسة حزيران ١٩٦٧م بعض القوى السياسية تمنّت هذه الهزيمة، لأن جمال عبدالناصر لو انتصر على إسرائيل لخسرت هذه القوى كثيرًا من مواقعها، وتكرّست زعامة عبدالناصر على الشعوب العربية، وهو ما لا تريده هذه القوى.

والفكرة نفسها تعود في أحداث لبنان الأخيرة، حيث إن البعض فضّل عدم دعم هذه المقاومة، وإعطاء الغطاء لإسرائيل للقضاء على قوّة حزب الله في لبنان، لأنه يعتقد بأنه حزب مدعوم من قبل إيران التي تعاظم نفوذها في المنطقة، ووجود هذا الحزب أكبر داعم لنفوذ إيران، فهم يفضلون بقاء العدوان الإسرائيلي على تقدّم قوة حزب الله ونفوذ إيران.

الإيمان بالدعم الإلهي ودور المؤمنين

إننا نؤمن بأن الإنسان المؤمن إذا قام دفاعًا عن عرضه ووطنه وأهله فإنه منتصر وإن استشهد، نحن ارتضعنا من ثقافة أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي كتب إلى بني هاشم في طريقه إلى العراق رسالة يقول فيها: «من لحق بي منكم استشهد ومن تخلّف لم

يدرك الفتح».

حيث يعتبر الإمام الحسين ﷺ الشهادة نصرًا وفتحاً، وهذه هي عقيدة المؤمنين من أبناء حزب الله.

وما نراه الآن ثباتاً وصموداً في الموقف وفي المعركة أذهل الأعداء الصهاينة وحيّرهم، فقد تكبّدوا خسائر كبيرة في جنودهم وآلياتهم، لدرجة أن العدوّ الإسرائيلي شدّد الرقابة على ما يذاع وينقل في وسائل الإعلام من معلومات وصور حيّة للأحداث، حيث لا يريد أن تظهر خسائره أمام العالم وشعبه، ولكننا ندرك أيضًا أن الحرب سجال، وأن الله قد يبتلي عباده المؤمنين، فرسول الله ﷺ على عظمته ومكانته لم يتحقق النصر له في كل المعارك، حيث استطاع المشركون في معركة أحد أن يحققوا انتصارهم على المسلمين.

كما أن أئمتنا ﷺ واجهوا مثل هذه الأحداث، ونحن على ثقة واطمئنان بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين، وها هي بشائر النصر تقترب وتتجلّى، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

إن علينا أن نضرع إلى الله تعالى بالدعاء دائمًا وأبدًا بالنصر والفرج للشعبين اللبناني والفلسطيني، على ما يواجهان من الآلام والمحن، فنحن نؤمن بدور الدعاء والغيب في نصرة المؤمنين.

وعلينا أن نسعى لمساعدة هؤلاء الناس المنكوبين، فهم يحتاجون إلى الدعم والمساعدة، وما نراه في وسائل الإعلام من مشاهد ترينا كيف أن بعض القرى مضت عليهم أيام لا يوجد لديهم ما يأكلونه ويقتاتون به، فنراهم عبر شاشات التلفزة وهم يستغيثون فيطلبون الماء والغذاء الذي لا يجدونه لأطفالهم وأنفسهم، كما أن وسائل الإعلام ترينا الحالة المتردّية التي وصلوا إليها، حيث هدّمت البيوت وأزيلت القرى والمباني العامّة، ولذلك على كل إنسان أن يفكّر في كيفية تقديم دعمه المادّي لهذه الحالات الإنسانية.

وعلينا أن لا نذَّخر جهدًا أو مالاً في هذا المجال، فنحن نريد أن نستثمر هذه الحادثة لتكون مناسبة لخلق حِسٍّ وشعورٍ عامٍّ بالتضحية في مجتمعنا، بحيث ينمو ذلك الإنسان المضحّي والمبادر والباذل للخير في المجتمع، لتشكّل حالة وظاهرة فيه، وهذا أقلّ ما يمكن تقديمه لهؤلاء المضحين والباذلين أغلى ما عندهم في لبنان وفلسطين دفاعاً عن شرف الأمة وكرامتها.

المشاركة في صنع الرأي العام

بسبب تطور وسائل الاتصال يمكننا أن نشارك في صناعة رأي عام عالمي لنصرة هؤلاء المنكوبين والمجاهدين، فالوسائل الآن متاحة، الصحافة والقنوات الفضائية وشبكة الإنترنت متوفّرة، وكذلك المؤسسات الدولية يجب أن نمطرها بوابل من الرسائل والمقالات والكتابات، فذلك أمر مؤثر على مستوى صنع الرأي العام العالمي والقرار الدولي.

ينبغي لكلّ إنسان أن يرفع صوته إلى جانب الدفاع عن الحقوق العربية المشروعة في لبنان وفلسطين.

وبخصوص ما يحلّ الآن بلبنان أودّ الإشارة إلى ما تحاول بعض الأطراف أن تجرّ المعركة إليه بإثارة الحساسيات الطائفية، ولذا أدعو كلّ واعٍ في هذه الأمّة ألاّ يُستدرج إلى هذه اللغة وهذا المنطق، فالمقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين يشتركان في حربهما ومسعاهما ضدّ عدوّ واحد، يظلم الجميع، ويعتدي على الجميع، وإذا كان هناك بعض الجاهلين والحاقدين ومرضى النفوس ممن يتحدّثون بهذه اللغة الطائفية المقيتة فعلينا ألاّ نستجيب لهم.

ومما يؤسف له ما رأيناه من ردّات فعل تجاه بعض الفتاوى السخيفة، فيقوم البعض بالردّ عليها بالمثل، وهذا لا يخدم المصالح المشتركة، بل علينا أن ندعو إلى ما يوحّدنا، وأن

نوضّح منطقنا بشكل سليم دون أن ندخل في أيّ سجالات غير ذات جدوى.

نسأل الله تعالى أن يعجّل بالنصر لعباده الصالحين المجاهدين، وأن يخذل الصهاينة المعتدين ومن خلفهم من المستكبرين، الظالمين.

والحمد لله ربّ العالمين.

المقاومة الباسلة والتضليل الإعلامي

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ رجب ١٤٢٧هـ

بإمكان الإنسان أن يستفيد الكثير من الدروس القيمة والتجارب النافعة من أحداث التاريخ، لأن الإنسان عندما يقرأ التاريخ إنما يقرؤه من أجل أن يستفيد من دروسه وتجاربه، ولتكون أحداثه منارًا لفهم كثير من الأحداث في العصر الحاضر، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: الآية ١١١]، حيث تشير الآية إلى قصص الأولين من الأنبياء والأولياء، والطغاة والظالمين الذين واجههم الأنبياء، تشير إلى أن في هذه القصص والأحداث عبرة لأصحاب العقول.

والعبرة من الاعتبار، أي الاتعاظ بما يحصل للآخرين.

وقد تكون من العبور، أي الانتقال من مكان إلى آخر، فيكون المعنى: العبور من الزمن الماضي إلى الحاضر، ومن عالم المثال إلى الواقع، ولذلك يُطلق على من يفسر الأحلام بأنه يُعَبِّر، فيقال: «المعبّرون عن الأحلام»، لأنهم يستنتجون من الخيال والرؤيا ما ينطبق على الواقع الخارجي.

إن الإنسان عندما يعبر ويمرّ على مراحل التاريخ، ويطالعها ويتأملها، يستطيع أن يفهم ويحلل كثيرًا مما يراه حاضرًا في هذا العصر.

قصة عمار بن ياسر:

وما نشهده اليوم من أحداث ساخنة في لبنان وفلسطين، وما صحب ذلك من

ردّات فعل وتصريحات سياسية، يمكن تشبيهها بحادثة تاريخية وقعت للصحابي الجليل عمّار بن ياسر.

كان عمّار بن ياسر وأسرته من أوائل من دخلوا الإسلام، وتحمّلوا العناء والأذى في سبيل الله، وقد مرّ عليهم الرسول ﷺ وهم يلاقون ويلات العذاب من قريش، فقال لهم: «صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنّة».

وقد كان عمّار نموذجًا في الالتزام بطاعة رسول الله ﷺ، وفي الإخلاص للدين، والجهاد في سبيله تعالى.

وحينما أراد الرسول ﷺ بناء المسجد عند قدومه للمدينة، صار هو وبقية المسلمين يحملون الطين واللبِن، وما يحتاجونه في بناء المسجد، فكان كل واحد من الصحابة يحمل لبنة لبنة، ولكنّ عمّارًا كان يحمل لبنتين لبنتين، طلبًا للأجر والثواب، فأغشي عليه من العناء والإرهاق، فجاء رسول الله ﷺ ووقف عليه وهو مغمى عليه، فقال ﷺ : «يا عمّار يحمل الناس لبنة لبنة، وأنت تحمل لبنتين لبنتين طلبًا للأجر، ومع ذلك تقتلك الفئة الباغية» [1] .

وانتشر هذا الحديث في صفوف أصحاب الرسول ﷺ بأكثر من لفظ، وهذا الحديث رواه سبعة وعشرون من الصحابة مباشرة عن رسول الله ﷺ، وجاء في أكثر مصادر الحديث الإسلامية لمختلف المذاهب، فهو موجود في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وفي المستدرك على الصحيحين، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل، وفي سنن الترمذي، وفي بقية المصادر.

وعندما وقعت معركة صفّين بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، كان عمّار بن ياسر في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام، وكان عمره آنذاك

(١)ابن الأثير: عزالدين الشيباني/ الكامل في التاريخ/ ج٢ ص ٣٨٢/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

٩٤ سنة، وكان ينادي أهل الشام قائلاً: «والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمتُ أننا على الحق وأنهم على الباطل» [١].

وقُتل عمّار في هذه المعركة من قبل جيش معاوية، إذ طعنه رجل منهم برمح فسقط على الأرض، فجاء شخص آخر واحتزَّ رأسه، فتنازعا، كل منهما يدّعي أنه الذي قتله يريد أن يفتخر بذلك.

وعندما انتشر خبر استشهاد عمّار بن ياسر بدأ بعض المقاتلين في جيش معاوية يتساءلون مَنْ هي الفئة الباغية؟

فقال قسم منهم بأن جيش معاوية هو الفئة الباغية، لأنه من قتل عمّارًا.

فحصل اضطراب في جيش معاوية، حتّى إن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل على أبيه ـ كما ينقل ذلك ابن الأثير في تاريخه نقلاً عن عبد الرحمن السُّلَمي ـ فقال له: يا أبَه، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله ﷺ فيه ما قال؟!

قال متجاهلاً: وما قال؟

قال: ألم يكن المسلمون والناس ينقلون في بناء مسجد الرسول ﷺ لَبِنَةً لبنة، وعمّار ينقل لبنتين لبنتين، فغشي عليه، فأتاه النبي ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: «ويحك يا ابن سميّة، الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الأجر، وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية ـ وكان حاضرًا ـ: أما تسمع ما يقول عبد الله؟

قال: وما يقول؟

فأخبره.

فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنما قتله مَنْ جاء به. يشير بذلك إلى أن الإمام علي عليه السلام هو من تسبّب في قتله.

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٠.

قال ابن الأثير نقلاً عن أبي عبد الرحمن السلمي: فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عمّارًا من جاء به، قال أبو عبد الرحمن: «لا أدري مَن كان أعجب أهو (أي معاوية) أم هم [١] (الناس الذين ردّدوا مقولته)».

وفي هذه القصّة التي يرويها المؤرخون تتوضّح أساليب التضليل الإعلامي والسياسي، وذلك حينما يُحمّل الضحية وزر اعتداءات الجلاّد، وحينما يعاتب من يدافع عن حقوقه ويقاتل في سبيل الحق الواضح.

الحملة الظالمة ضدّ المقاومة

وهذا ينسجم تماماً مع ما يردّده الإعلام العالمي المرتبط بالدوائر الاستكبارية، وتشاركها بعض وسائل الإعلام في بلادنا العربية والإسلامية المتأثّرة بتلك المواقف، وذلك الإعلام، حينما يتحدّثون عمّا يجري في لبنان وفلسطين.

فلا أحد ينكر ما يتعرّض له الشعب الفلسطيني واللبناني من عدوان إسرائيلي منذ عقود من الزمن، وكذلك ما يتعرّضان له من قصف للبلدات والمدن الفلسطينية واللبنانية وتدميرها كل يوم، والعالم كلّه يسمع ويرى.

ومع ذلك، حينما تبادر فئة مجاهدة من الشعب الفلسطيني للدفاع أو للضغط على هؤلاء المعتدين حتّى يفرجوا عن بعض الأسرى، فيأسرون جنديًّا [ولم يأسروا مدنياً بريئاً من منزله] يقوم العالم كلّه بإدانة هذا التصرّف.

وقد لا يستغرب الإنسان موقف الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأمريكية التي ترى بأن ما تقوم به إسرائيل من دمار وقتل للفلسطينيين هو دفاع عن النفس، ولكن ما يثير العجب أن ترى بعض الأنظمة العربية الرؤية الغربية نفسها، بحيث تعتبر هذه الأنظمة ما حدث مغامرة، وأنها أعطت الفرصة لإسرائيل لكي تقوم بالعدوان

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٢.

على الشعب الفلسطيني.

وكذلك الأمر في لبنان الذي عانى من الاحتلال الإسرائيلي لأكثر من عشرين عامًا، ولا يزال جزء من أرضه تحت الاحتلال، وله أسرى مضى عليهم أكثر من عقدين من الزمن في السجون الإسرائيلية، وتتعرّض أجواؤه للانتهاك، وتحت طائلة التهديد بالعدوان في كل لحظة من اللحظات، عندما تنبري فئة مقاومة في عملية عسكرية تستهدف عسكريين في موقع عسكري، وليسوا مدنيين أبرياء، وتأسر منهم اثنين تقوم الدنيا ولا تقعد، وتصب إسرائيل جام غضبها وحممها على لبنان فتكًا وتهديمًا للمنازل وتدميرًا للبنية التحتية وقتلاً للأبرياء، وهي لا تزال تهاجم مختلف القرى اللبنانية وتحوّلها إلى ركام، وتضطر أهلها للنزوح، فهناك أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ نازح من جنوب لبنان، وبلغ من أحصي من الشهداء أكثر من ٦٠٠ شهيد، والجرحى يزيد عن ٣٠٠٠ جريح حتى الآن.

إنه عدوان سافر على لبنان، ومع ذلك نجد في منطق الإعلام والسياسة الاستكبارية العالمية من يبرِّر لإسرائيل جرائمها، ويحمّل المقاومة ما يحصل من دمار وتدمير.

إن من يتحدّثون بهذا المنطق يعرفون الحقيقة ولكنّهم يغالطون أنفسهم، ولكن ماذا عن بعض أبناء قومنا؟ ألا يعرفون الحقيقة؟ ألا يعرفون من يقوم بالظلم والعدوان؟

لقد كشفت مجريات الأحداث وأكدت ما كان معروفًا من السابق: أن إسرائيل هي وجودٌ وحشيٌّ عدوانيٌّ وغير طبيعي، إنها زُرِعَت في هذه المنطقة، إنها أشبه بلصٍّ يهاجم منزلاً ويسلب ما فيه، ثم يطلب أن يسكنه ويتصرّف فيه كيف يشاء، إننا لا يمكن أن نتصوّر أن العلاقة ستكون بين هذا اللصّ الغريب وبين أصحاب الحقّ الأصليين علاقة طبيعية، إلا إذا نزعت منهم الكرامة ومسخت منهم العزّة.

إن الوجود الصهيوني وجود مصطنع مفتعل في هذه المنطقة ضدّ مصالح شعوبها، فكيف لنا أن نقبل بهذا الوجود العدواني الغريب عنّا؟، هذا بالإضافة إلى أنه لا يقف

عند حدود في عدوانه وطغيانه وأطماعه، فهو لديه أطماع توسعية، لأنه يشعر بأن شعوب هذه المنطقة إذا كانت تملك شيئًا من الكرامة وإحساسًا بالعزّة فإنها لن تقبل به، فلا بدّ ـ ليضمن بقاءه ـ من سحق هذه الكرامة لدى هذه الشعوب، وإلاّ فإنه سيضطر لحزم حقائبه ومغادرة المنطقة.

ولذلك، نعتقد أن أهمّ مكسب تحققه المقاومة في فلسطين ولبنان ضدّ هذا المشروع العدواني في المنطقة: هو إحياء روح الكرامة والرفض، في مقابل الخطط والمشاريع التي تريد أن تطبّع العلاقة مع هذا المعتدي.

لذلك نرفض ما صرّح به أحد الزعماء العرب عندما قال: «إن البعض يضغط علينا لنواجه إسرائيل، لقد مضى زمن المغامرة، نحن لسنا مستعدّين من أجل لبنان أن نواجه إسرائيل».

إنه تصريح غير مسؤول وغير منطقي، لأن مواجهة إسرائيل لا تخدم شعبًا دون شعب في هذه المنطقة، إن مواجهتها هي مواجهة للمشروع الذي يهدف إلى النيل من كرامة وعزّة هذه الأمة، وهذه المواجهة هي حفظ للنظام العربي والشعوب العربية.

الصمود الأسطوري لأبناء المقاومة

إن ما نراه اليوم من صمود المقاومة اللبنانية يرفع معنويات أبناء هذه الأمة، فلا أحد كان يتصوّر أن فئة قليلة من المؤمنين الشرفاء يقاومون إسرائيل ويصمدون أمامها لأكثر من ١٧ يومًا، وهي تنزل حممها الأمريكية المزوّدة بالقنابل الذكية والأسلحة الفتّاكة على هذا الشعب الصامد.

إن إسرائيل التي هزمت ثلاث دول عربية في ستّة أيام عام ١٩٦٧م واحتلّت أراضيها، تعجز اليوم أن تحقق نصرًا على هذه الفئة المؤمنة، بل تعترف بخسائرها الفادحة في هذه المواجهات.

إنه درس وتجربة وإحياء لإرادة الأمة، ورسالة واضحة بأن إسرائيل التي صوّرت للعالم أن جيشها لا يُقهر، ها هو يُهزم اليوم أمام هذه الفئة الصامدة، التي تملك عزمًا وإرادة لا تلين.

وأبرز مثال على ذلك معارك بنت جبيل التي أعلن الصهاينة أنهم استولوا من خلالها على المدينة من أول يوم، وقد مضت الآن أيام وهم يعلنون تكبّدهم الخسائر المؤلمة فيها.

إنّنا نتساءل: ما الذي سيحصل لو أن أكثر من فئة تصدّت لإسرائيل، وأكثر من قوّة شعبية من شعوب هذه المنطقة قاومت إسرائيل وواجهت عدوانها؟

إن الأنظمة العربية جرّبت سنة ١٩٧٣م حينما كانت هناك إرادة حقيقية نسبية، استطاعت أن تلحق الأذى والضَّرر بإسرائيل، وأن يجبروها على أن تتفاوض على الانسحاب من أجزاء واسعة من الأراضي العربية التي كانت محتلّة.

المكاسب التي تحققها المقاومة

وإلى جانب مكسب إحياء روح الكرامة والعزّة هناك مكاسب كثيرة تحققها المقاومة، ومن تلك المكاسب:

- إظهار وتأكيد وحشية هذا الكيان أمام العالم كله، ولقد بدأت التفاعلات تظهر أمام شعوب العالم، وستبرز وتنكشف أكثر حقيقة هذا الكيان بشكل أوضح أمام العالم.
- توجه الأمة إلى عدوّها المشترك، فقد أراد الأعداء خلال المدّة الزمنية السالفة، وبعض الحمقى من داخل الأمة أن يشغلوا الأمة بخلافات داخلية من خلال أحداث العراق، الذي يريد الأمريكيون أن يستمرّ وجودهم فيه لفترة أطول، فإذا ما توحد الشعب العراقي سيكون استمرارهم مؤقتًا.

وكادت الفتنة الطائفية في العراق أن تلقي بظلالها على كل أجواء الأمة في مختلف المناطق، إلى أن جاءت هذه الأحداث البطولية التي حققتها المقاومة في فلسطين ولبنان، لكي تعيد الأمور إلى مسارها الصحيح، وتوضح أن القضية ليست قضية مذاهب وطوائف، وإنما هي قضية عدوان من خارج الأمة عليها، وعلى الأمة أن تتحد في مقابل هذا العدوان.

القراءة الخاطئة للأحداث اللبنانية

البعض ـ مع الأسف ـ حاول أن يقرأ الأحداث في لبنان قراءة مذهبية طائفية، والبعض حاول أن يقرأها ضمن موقفه من الحركات الإسلامية، التي يطلقون عليها صفة الأصولية، وكأن الحركات الأصولية في سلة واحدة، إنها تختلف في توجهاتها السياسية والفكرية، فقد تكون بعض الحركات تبنّت موقف التكفير ومنطق العنف صوب التوجهات المغايرة لها داخل الأمة وخارجها، ولكن لا يصحّ أن تعمم هذه النظرة تجاه جميع الحركات الإسلامية.

ولا بدّ أن نشيد بالأصوات الواعية والوحدوية التي صدرت داخل المملكة، التي تجهر بنداءاتها وصوتها لكي تقول إن المعركة معركة أمة، وليست معركة طائفة أو فئة، ونحيي هذه الأصوات، ونرجو أن تكون أكثر وضوحًا، لأن الوقت لا يسمح بالتهرّب أو التنصّل من المسؤولية، فالمعركة مصيرية والأيام حاسمة.

دعم الصمود اللبناني والفلسطيني

وبهذه المناسبة أؤكد ما أكّدت عليه سابقًا بخصوص ما يتوجّب علينا تجاه إخواننا في لبنان وفلسطين، وهي أمور ثلاثة:

١. التضرّع إلى الله تعالى بالدعاء أن ينصر هؤلاء المقاومين المجاهدين، وأن يخذل الصهاينة المعتدين.

٢. دعم صمود الشعبين اللبناني والفلسطيني بالأموال والتبرعات العينية، فكل شخص مطالب بأن يحسّس نفسه بضيق المعيشة تضامنًا مع مَن يعيش تلك المحن، فأبناء هذين الشعبين فقدوا منازلهم وأعزّتهم ومصالحهم.

وقد بدأت المملكة ممثلّة في القيادة السياسية بالتعاطف مع مأساة لبنان، وذلك في حملة التبرعات الشعبية، التي لاقت التفاعل الشعبي الكبير من كافّة أبناء هذا الوطن.

٣. المشاركة في تبيين الحقائق على المستوى العالمي، عبر وسائل الإعلام والتثقيف ومختلف وسائل الاتصال، بحيث نلزم أنفسنا كل يوم أن نرفع أصواتنا عبر هذه الوسائل، فإن في ذلك تأثيرًا كبيرًا ومساهمةً في خدمة هذه المعركة.

نسأل الله أن ينصر المقاومين المجاهدين وأن يخذل الصهاينة المعتدين.

اللهم أرِنا نصرك القريب المؤزّر.

اللهم ارحم شهداءهم واشفِ مرضاهم وأعنهم على تحمّل المصائب والكوارث.

اللهم وفقنا لمساعدتهم والتضامن معهم.

والحمد لله ربّ العالمين.

خطاب المقاومة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٤ رجب ١٤٢٧ هـ

وانتصرت المقاومة .. وفرح المؤمنون بنصر الله .. وخزي الصهاينة المعتدون ومن خلفهم .. وأغاظ الله بهذا النصر المنافقين، فالحمد لله وحده، الذي أنجز وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد.

في الأسبوع الماضي، وفي مثل هذا الوقت، كان المؤمنون في مختلف أنحاء العالم يعيشون الكثير من القلق، ذلك لأن الأعداء الصهاينة أغاظهم فشلهم، فقرروا أن يستفيدوا من الأيام والساعات الأخيرة، ويضاعفوا عدوانهم وإجرامهم البشع، لذلك دخلت الآلاف من جنودهم إلى جنوب لبنان، أو حاولت الدخول، واستعانوا بالإنزالات الجوية، وذلك في أكبر عمليات إنزال جويٍّ عسكريٍّ في تاريخ هذا الكيان الغاصب وفي تاريخ المنطقة، وحاولوا بذلك أن يرفعوا من معنويات جندهم وجمهورهم، وأن يغيّروا ميزان القوّة لصالحهم.

في يوم الجمعة من الأسبوع الماضي واليومين اللذين تلياه، تكثفت الغارات على منازل الأبرياء في مختلف المناطق اللبنانية، وكان كثير من المؤمنين يعيشون القلق عمّا يمكن أن تسفر عنه المعركة، ولكنَّ الله خيّب آمال الأعداء الصهاينة، فمحاولتهم كبّدتهم المزيد من الخسائر، وزادت في عمق هزيمتهم.

وقد نقلت وسائل الإعلام عن مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية للشؤون الخارجية (نيكولاس بيرنز) الذي تولى التفاوض قوله: «كنا نضرب رؤوسنا بالحائط (من

الإحباط) من ست إلى سبع ساعات يوميًّا، نعمل خلالها على صوغ كلمات (مشروع) القرار وعباراته عبر أربع أو خمس عواصم. كنا نقول إن غداً سيكون أفضل، لكن غداً كان تكراراً للأيام التي سبقته» [١] .

إن القرار ١٧٠١ لم يصدر إلا بعد أن يئس الأعداء من أن يفعلوا أكثر مما فعلوا، أو أن ينتزعوا مقدارًا من النصر، فرأوا أن وقفًا لإطلاق النار قد يحفظ وينقذ ما يمكن من هيبة إسرائيل، وقد كتب الجنرال (زئيف شيف) كبير المعلقين العسكريين في صحيفة (هآرتس) مشيراً إلى أن وزيرة الخارجية الأمريكية، وأركان الإدارة في واشنطن، كانوا من أكثر المتحمسين لمواصلة إسرائيل للحرب، حتى تنجح في إخضاع حزب الله واستسلامه. لكن الأداء العسكري الإسرائيلي خيب آمال المسئولين الأمريكيين، الذين استغربوا قدرة المقاومة اللبنانية على مواصلة حرب الاستنزاف ضد الدولة العبرية بعد مرور أربعة أسابيع على المعارك [٢] .

نحن الآن بعد مرور أربعة أيام على وقف إطلاق النار تتكشّف أمامنا الحقائق يومًا بعد آخر، ويتبيّن مدى فضل وتأييد الله تعالى لعباده الصالحين المجاهدين، ومدى ما أوقعوه في صفوف العدوّ من خسائر وهزائم نكراء.

الموقف الرسمي وتجاهل الانتصار

ومن المؤسف أن يكون في عالمنا العربي المكلوم من جرائم إسرائيل، والمثكول من آلام عدوانها أكثر من نصف قرن، من لا يغمره الفرح ونشوة الانتصار. فالحكومات التي عانت من إذلال الصهاينة، ورأت ممارسات هؤلاء الصهاينة على أراضيها وتجاه شعوبها، كان من المتوقّع أن تظهر فرحها وتأييدها وتهنئتها لهذه المقاومة الباسلة، ولكن مع الأسف لم يفعلوا ذلك، بل إن بعضهم لم يكلف نفسه أن يتحدّث عن هذا الإنجاز وهذا النصر،

(١) الحياة: صحيفة يومية تصدر من لندن ، الثلاثاء ٢١ رجب ١٤٢٧هـ الموافق ١٥/ ٨/ ٢٠٠٦م.
(٢) اليوم: صحيفة يومية سعودية، عدد يوم الثلاثاء ٢١/ ٧/ ١٤٢٧هـ الموافق١٥/ ٨/ ٢٠٠٦م.

وأن يبارك للمجاهدين، ولا أن يشيد بالمقاومة. أيُّ عالم هذا العالم؟!

لو كانت هذه المقاومة في أيّ مجتمع آخر لأصبحت تاجًا على رؤوسهم، ولأعلنوا العيد القومي والوطني لما حققته من إنجاز، ولكن هذا العالم العربي، وخاصة في شقِّه الرسمي والسياسي، كأنه غير مرتاح لهذا النصر، وكأن هذا النصر قد تحقق رغمًا عنهم، ولذلك يبخلون ـ أو لا تسمح لهم نفوسهم ـ أن يتحدّثوا حول هذا الانتصار والإنجاز. إن الصهاينة يعيشون الآن في داخل إسرائيل زلزالاً سياسيًّا، وغضبًا جماهيريًّا، وسعيًا لمحاسبة قيادتهم. وهذا من خلال ما يقوله الصهاينة تعليقًا على هذه المعارك التي حصلت، حيث تحدّث أحد الكتّاب الإسرائيليين المعروفين (يوئيل ماركوس) في صحيفة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ٧/ ٨/ ٢٠٠٦م فقال: «إن ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ صاروخ تضرب إسرائيل يوميًّا من المطلة وحتى حيفا. وذلك كابوسًا لم نتوقعه حتى في أسوأ أحلامنا. وحذّر من الأسئلة المحرجة التي سيطرحها الناس حول المكسب والخسارة في الحملة العسكرية» [١] . وقال المفكر الإسرائيلي (يونتان شام أور) في صحيفة معاريف بتاريخ ٢/ ٨/ ٢٠٠٦م: «لقد خسرنا ولم يعد مهمًّا إذا كان الجيش سيصل إلى نهر الليطاني أو أنهم سيأتون إلينا برأس نصر الله، فقد انتصروا وأصبحنا نحن الخاسرين. ثم أضاف قائلاً: إن المواجهة الحالية لن تقضي على المستقبل السياسي لحزب كاديما الذي يقوده أولمرت، ولكنها أيضاً ستلقي بظلالها على مستقبل المواجهات القادمة بين إسرائيل وحركات المقاومة العربية. ذلك إن إسرائيل بعدما فقدت قوة الردع، سيصبح بمقدور أي جماعة من خصومها أن تتغوط علينا بأي عدد من الصواريخ يروق لها» [٢] .

ومحللون عرب ـ كذلك ـ كتبوا كثيرًا حول هذا الأمر، فهاهو وزير حربية ورئيس استخبارات سابق في مصر (أمين هويدي) يتساءل: «من كان يحلم بأن ينقل طرف عربي

(١) اليوم: صحيفة يومية سعودية ، عدد يوم الثلاثاء ٢١/ ٠٧/ ١٤٢٧ هـ، في مقالة للكاتب فهمي هويدي بعنوان: آن لزمان الضفادع أن يولي.

(٢) المصدر السابق.

الخوف والوجع إلى إسرائيل، فيهدِّدها لأول مرة في تاريخها، ويضرب عمقها واصلاً إلى صفد وطبريا والعفوله، ويدفع بسكانها إلى المخابئ التي لم يدخلوها منذ نصف قرن. بل ولا يتردد في التصريح بضرب تل أبيب إن هي قصفت بيروت؟ - من كان يخطر له أن تنجح المقاومة الإسلامية في هدم نظرية الأمن الإسرائيلي، وإفقاد العدو قدرته على الردع، وإسقاط هيبة الجيش الذي قالوا إنه لا يقهر، بل وأيضاً إسقاط هيبة أجهزة المخابرات الثلاثة: الموساد والسي آي إيه الأمريكية ومخابرات حلف الناتو؟ - من كان يتصوّر في أجواء الإحباط والهزيمة المخيمة أن تقلب المعارك بالكامل في المنطقة، على نحو يحدث نقلة نوعية مهمة في موازين القوى، تجاوزت بكثير ما حققه العبور المصري إلى سيناء عام ٧٣»[١].

هذا النصر والإنجاز العظيم كان يستحقّ احتفاء ممن يتطلّع إلى النصر، لكن يبدو أن هناك من تكيّف مع الهزيمة، وتربّى عليها، ولا يفكّر في الخروج من أوحالها، لذلك لا يفرح بهذا النصر، وصدق الله العظيم حينما قال: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ﴾ [سورة الروم: الآيتان ٤ ـ ٥]، حيث يفرح بهذا النصر المؤمنون، في الوقت الذي يغيظ المنافقين والأذلاّء والخانعين.

إن هذا الإنجاز العظيم يشكّل منعطفًا في تاريخ المنطقة، وتاريخ العالم الإسلامي، وستبدأ آثاره ونتائجه، فالكل يعلم أن تحرير جنوب لبنان هو الذي مهّد لانتفاضة فلسطين، وهذا الإنجاز العظيم سيمهّد لبراكين وزلازل تزلزل أقدام وعروش الصهاينة ومَن خلفهم إن شاء الله.

وانطلاقًا من هذا الإنجاز العظيم الذي حققته المقاومة الإسلامية في لبنان، أودّ أن أسلّط الضوء على نقطة مهمّة ساهمت في تحقيق النصر، وهي: الخطاب الذي تبنّته المقاومة، وضرورة الاستفادة من خصائص ومميزات هذا الخطاب، وأخذ الدروس التي

(١) المصدر السابق.

تتناسب مع واقع وخصوصيات المجتمعات التي نعيش فيها وننتمي إليها.

فهذه الدروس هي التي قد نكون بحاجة إليها، لأن الجانب العسكري والجهادي يتعلّق بخصوصية الوضع في لبنان، ويستفيد منه مَن يعيش نفس هذه الظروف أو ما يشابهها، ولكن ما يمكن أن يخدم مجتمعاتنا هو الخطاب المتزن الذي تبنته المقاومة طوال مسيرتها الطويلة والذي لم تخرج عنه. لأن هذه المقاومة لم تكن مجرّد صواريخ ومدافع فقط، كانت قبل ذلك فكرًا وخطابًا.

وهذا الخطاب المتميّز الذي قدمته المقاومة ينبغي أن ينال منّا الاهتمام والتأمّل والدراسة، لأن خطاب أيّ جماعة له تأثيره الداخلي والخارجي.

الخطاب وانعكاساته

الخطاب هو الذي يربّي الجمهور ويوجهه، فإذا كان الخطاب سليمًا وجّه الجمهور في الاتجاه الصحيح، أما إذا كان سيئًا فإن النتائج بالطبع ستكون سيئة.

من هنا يجب أن يهتمّ قادة كل مجتمع وذوي الرأي فيه بالخطاب الذي يوجهونه لجمهورهم، لأنه يبني فكر وسلوك الجمهور.

وكما يؤثر خطاب أي جماعة في جمهورها، فإنه يعكس صورتها للآخرين، فالآخر عندما يريد تعرّف ثقافة أيّ جماعة وفكرها يراقب خطاب نخبتها، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «اللسان ميزان الإنسان»، وورد عنه عليه السلام : «لسانك ترجمان عقلك»، وقوله عليه السلام : «يستدّل على عقل كل امرئ بما يجري على لسانه».

لذلك، إذا أرادت جهة مّا أن تدرس وضع مجتمعٍ فإنها تتابع الخطاب السائد في أجوائه، وتحاول أن ترصد ما يدور فيه من حديث على المنابر، وما يُلقى من إرشادات داخل المساجد، وما يُكتب وينشر في وسائل الإعلام، وهذا الخطاب هو الذي يرسم أمام الآخر صورة المجتمع.

لأن المتابع والراصد لحركة المجتمعات لا يستطيع أن يلتقي مع كل أفراد المجتمع، لكنّه يفترض أن هؤلاء الخطباء هم الموجهون لهذا المجتمع، فكلامهم يرسم له صورة عن المجتمع.

وفي هذا العصر ربما لا يحتاج الآخر ـ كي يتعرّف خطابنا ـ أن يأتي لمجتمعاتنا ويدخل لمؤسّساتنا من مساجد وحسينيات، فأشرطة الكاسيت والإنترنت والوسائل المختلفة حاضرة وموجودة، فإذا أراد البعض أن يتعرّف ثقافة وواقع مجتمعٍ معيّن فإنه يبحث في أبرز مواقع الإنترنت الخاصة بذلك المجتمع، ويستطلع المقالات والأخبار الموجودة عليها. وهذا ما هو متداول في كثير من مراكز الدراسات والأبحاث.

خطاب الاعتدال

إن من أهم أسباب انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان ومعالم قوتها وتقدّمها هو خطابها الرصين الرزين، وهو تطبيق لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١].

فالله تعالى بعد أن يأمر المجتمع الإيماني بتقوى الله يأمرهم بالقول السديد.

و (السديد) من أحد معنيين، إما من السداد بمعنى الصواب، فعندما يقال: (قول سديد) أي: قول صائب، كما يقال تسديد الرمية، أي توجيهها نحو الاتجاه المحدّد توجيهًا صحيحًا، فيكون معنى الآية أنه يطلب من المؤمنين أن يحدّدوا ما يريدون قبل التحدّث وعدم التحدث بشكل عشوائي.

وإما أن يكون من (السدّ)، أي الإحكام والمنع، فيكون المعنى: اجعلوا خطابكم محكمًا خاليًا من الثغرات.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: حيث إن الخطاب له دور في بناء المجتمع على أسس صحيحة، ورسم صورته الحسنة الصالحة.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: إذ الخطاب الصحيح يُغطي على بعض السَّوءات

والعورات ويعالجها، في حين أن الخطاب الخاطئ يكشف العورات وثغرات المجتمع، وينتج المشاكل والسلبيات.

مميزات خطاب المقاومة

امتاز خطاب المقاومة الإسلامية في لبنان بالإحكام والرصانة، وذلك في ثلاثة جوانب:

الأول: أنه خطاب دعوة للبناء

إن خطاب المقاومة يحمل في داخله دعوة للبناء والعمل، في مقابل خطابات البعض التي غالبًا ما تكون خطابات تذمّر وتشكّي، هذه الخطابات لا تقدّم حلولاً، ولا مشروعًا بديلاً للوضع السيئ.

والخطاب الدّاعي للبناء يحفّز العاملين في أيِّ مجتمع إلى تحسّس حاجات مجتمعاتهم، وتوجيه خطابهم إلى هذه الحاجات، وتقديم الحلول، وعدم التشاغل عن ذلك بقضايا ثانوية، فتقديم الحلول والمشاريع البديلة والعملية غائبة في أكثر مجتمعاتنا، لأن كثيرًا ممن ينتجون الخطاب لا يحملون مشروعًا أو لا يتبنّون هموم المجتمع وآلامه، وإنما هم جزء من الحالة العامّة من التذمّر واجترار الغبن فقط لا غير.

وقد وجدنا كيف أن المقاومة الإسلامية في لبنان تحدّثت عن ضرورة أن يتّجه اللبنانيون للبناء، وترميم المنازل، ولمعالجة كثير من المشاكل التي سببتها الحرب، ودعت إلى بدء ورشات الإعمار في كافّة المناطق اللبنانية في الوقت الذي تشيّع فيه شهداءها، وربما قبل أن تبدأ بتشييعهم.

الثاني: أنه خطاب متعقّل

المقاومة الإسلامية في لبنان مقاومة دينية تنطلق من الدين، لكنها لا تطرح الدين من زاويته الحادّة، بل تطرحه بخطاب متعقّل واعٍ، بعكس بعض الفئات الدينية التي

تطرح الدين بشكل متزمّت ومتشدّد، وقد نشرت بعض وسائل الإعلام مثلاً عن بعض الحركات الإسلامية في الصومال أنها منعت مشاهدة مباريات كرة القدم، وأغلقت دور السينما، وهو أمر مشابه لتجربة حركة طالبان في أفغانستان.

إن تناول الدين من زواياه الحادّة غير مقبول، لأنه يشوّهه، وقد بدأنا نرى بعض بوادر هذا الطرح في العراق، حيث نشرت وسائل الإعلام عن بعض الفئات الإسلامية المتشدّدة أنها بدأت بالتوجّه إلى الحلاّقين الذين يحلقون اللحى وبعض قصّات الشعر الغربية والقيام باختطافهم وقتلهم.

وفي مقابل هذه الحركات الدينية المتطرّفة تقف المقاومة الإسلامية في لبنان كحركة دينية ـ مع التزامها بالأحكام الشرعية ـ تتحدّث عن الدين بتعقّل ومن الزوايا الواسعة المنفتحة.

وفي الإطار المذهبي، فإن المقاومة لا تخفي تشيّعها، لكنها لا تطرح التشيّع من زاويته الحادّة، ويمكننا أن نلاحظ هذه النقطة بجلاء في خطابات أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله ـ حفظه الله ـ حينما يحاضر في ليالي عاشوراء، حيث يعرض قضية أهل البيت عليهم السلام ويعرض التشيّع بشكل يستقطب المسلمين بجميع أطيافهم ومذاهبهم، بل كل البشر الواعين والمتطلعين للحرية والكرامة.

وفي خصوص انتمائها السياسي والفكري، فإن المقاومة تعلن ارتباطها الوثيق بالجمهورية الإسلامية في إيران، وبالمرجعية والقيادة الدينية فيها، ولكن خطابهم خطاب وطني، فيتحدّثون عن لبنان، ويرفعون علم بلادهم، ويبدأون في جميع احتفالاتهم بالنشيد الوطني اللبناني، ويتحدثون في جميع خطاباتهم عن تحرير الأراضي اللبنانية والأسرى اللبنانيين، والقوّة الدفاعية للدولة اللبنانية، ويشاركون في مجلس النواب اللبناني والحكومة اللبنانية.

وهذا بعكس بعض المجاميع التي تطرح التشيّع ومذهب أهل البيت عليهم السلام بشكل

منفّر وقاسٍ في مخاطبته للآخر المسلم، وعندما يعلن انتماءه للمذهب، واتباعه للمرجعية الدينية، ويبدي تعاطفه مع بعض القيادات الدينية الشيعية وتعاطفه مع قضايا الجمهورية الإسلامية في إيران، يعطي رسالة خاطئة بأسلوبه المثير للآخرين الذين يقاسمونه الوطن، ويجد قسم كبير ممن يتحدّثون عن ولاء الشيعة للخارج ضالّتهم في مثل هذه التعبيرات والتصرفات الخاطئة، التي لا تخدم المذهب والوطن، ولا ترضى عنها المرجعية والقيادات الدينية الحكيمة، لأنه ليس المطلوب من التجمعات الشيعية أن تبرز نفسها وكأنها فصيل مختلف عن بقية شرائح الوطن الذي يعيشون فيه، وإنما المطلوب أن يكون خطابنا خطاب تطمين يوثّق الصلة بيننا وبين الآخر، ويكّرس الولاء والانتماء الوطني.

ولنا في تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان خير درس في هذه النقطة، فمن يتابع خطابات السيد حسن نصر الله خلال فترة الحرب يرى أنها انصبّت كلها حول الهمّ والشأن اللبناني، والمعركة التي يخوضونها، وهذا من التعقّل، ويكشف عن أن هذه الفئة تحمل مشروعًا لوطنها والأمّة.

الثالث: أنه خطاب انفتاح على الآخرين

كانت المقاومة ولا زالت تتجنب الدخول في معارك جانبية، فحتى الذين يتحدّثون ضدّهم فإن القيادة في المقاومة تدافع عن نفسها ولكن بحكمة وهدوء.

والمتابع يرى كيف أن بعض الذين يختلفون مع المقاومة يكون خطابهم متشنجًا ضدّها، بينما المقاومة يكون خطابها هادئًا متعقّلاً متوازنًا، لأن المطلوب من أيّ إنسان أن يزيد من كسبه للأصدقاء ويقلّل من أعدائه أو درجة العداء عندهم على الأقل.

وهذا بخلاف البعض الذين يبحثون عن الفرصة ضد كل من يخالفهم الرأي ووجهة النظر، وكأنهم يستمتعون بالصراع مع الآخرين. وفي هذه النقطة يجب أن أوضح أنه ليس من الخطأ أن نردَّ على ما يثار ضدّنا، ولكن الردّ نوعان: منه ما يبعّدك عن ساحة الآخرين ويجعلك شخصًا مقصيًّا مبعدًا، ومنه ما يقرّبك منهم ويجعلك في موقع أقوى

ممن أساء إليك، يقول تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: الآية ٣٤].

إن هذه الجوانب الثلاثة لخطاب المقاومة نحن بحاجة إلى تمثّلها والاستفادة من تجربة المقاومة بخصوصها، وذلك حتى يكون خطابنا على المنبر، وكلمات الجمعة، وكتاباتنا على الإنترنت والصحف ووسائل الإعلام الأخرى في هذا الاتجاه، ومن الضروري أن نعي ونقدّر أهمية هذا الأمر، لأن خطيب المنبر حينما يوجه خطابه للجمهور يتحمّل مسؤولية كبيرة في توجيه المجتمع، وهذه الشريحة التي تصغي لخطابه بدورها تتفاعل مع شرائح أخرى تشاركها الوطن، وعلى الخطيب أن يوجّه لجمهوره خطابًا يعزّز هذا التفاعل في الاتجاه الإيجابي.

نسأل الله تعالى أن يكمل للمقاومة وللشعب اللبناني تحقيق النصر بالنجاح في معركتهم السياسية، وحفظ وحدتهم، ونسأله تعالى أن يتغمد أرواح الشهداء بواسع الرحمة، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، ويمّن على المصابين بالشفاء العاجل، إنه سميع الدعاء.

والحمدلله ربّ العالمين.

علماء الدين بين التقديس والتمحيص

كلمة الجمعة بتاريخ ١٢ شوال ١٤٢٧هـ

لا شك أن وجود فئة متخصصة في علوم الدين، ومهتمة بتبيين مفاهيمه وأحكامه للناس، هو أمر مطلوب وضروري في أيّ مجتمع ينتمي إلى الدين.

وبالإضافة إلى الدور المعرفي الذي تقوم به هذه الفئة -علماء الدين- فإن لها دوراً اجتماعيًّا مهمًّا، يتمثل في تحفيزها المجتمع للالتزام بالقيم والأخلاق، وفي كونها رموزاً وقدوات للناس، يتأسّون بها، ويلتفون حولها، مما يعزز تلاحم المجتمع وتضامنه.

لذلك أوجب الإسلام وجود هذه الفئة في أوساط مجتمعات الأمة، بمقدار ما يستلزمه دورها ووظيفتها، على نحو الوجوب الكفائي، يقول تعالى: ﴿..فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

لكن هذه الشريحة -علماء الدين- هي جزء من المجتمع، ومعرّضة للإصابة بمختلف الأمراض والنواقص التي قد تعرض لأيّ فرد من أبناء البشر، فهم حالة بشرية، لا تخلو من نقاط الضعف وموارد الخطأ.

لذلك، فإن النصوص الدينية في الوقت الذي تدعو فيه إلى احترام العلماء وتقديرهم، وأخذ تعاليم الإسلام منهم، يقول تعالى: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ٤٣]، فإنها في الوقت ذاته تدعو إلى اليقظة والانتباه، حتى لا

يتسلّل إلى هذه الشريحة مشبوهون ومنحرفون، أو يستغل أيّ أحد من أفرادها مكانته وموقعيته على حساب المبادئ ومصلحة المجتمع، وحتى لا يتحول الخطأ الذي قد يقع من أحدهم عن قصد أو غير قصد إلى دين وتشريع.

وقد تحدثت كثير من الأحاديث والروايات الواردة عن النبي ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام، عن وجوب الحذر والحيطة من الانخداع بالعلماء غير الصالحين، أو قبول ما يتنافى مع قيم الدين بسبب التدليس والتحريف.

كما أن آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن انحرافات وتحريفات بعض علماء الديانات السابقة، من اليهودية والنصرانية، تبعث برسالة تحذير وتنبيه لأبناء الأمة الإسلامية، حتى يأخذوا موقف الوعي والبصيرة في التعاطي مع هذه الظاهرة حين تحدث في وسط علماء الأمة.

ومن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧٨].

فالآية تفضح دور قسم من علماء أهل الكتاب، الذين يعطون لآرائهم النابعة من أهوائهم وتوجّهاتهم المصلحية المنحرفة صفة القداسة الدينية، وكأنها أوامر شرعية، يقحمونها بين تعاليم وآيات الكتاب السماوي، ليوهموا الناس أنها نازلة من عند الله تعالى.

والتزاماً بالموضوعية والإنصاف، فإن القرآن الكريم لم يعمِّم التهمة على جميع علماء اليهود والنصارى، وإنما خص جزءاً منهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً﴾.

وتشير الآية الكريمة إلى أن هذا الفريق من علماء السوء في جميع الديانات الإلهية، يتفنّنون في أساليب التضليل حتى لا يكتشف الناس خيانتهم للدين، وتحريفهم لنصوصه المقدسة، بمزج كلام من عندهم بالنصّ الديني، ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾، حيث

يقدّمون ذلك الكلام الزائف بالطريقة نفسها التي يقدمون بها النص المقدس، ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، ليتوهم الناس أن ما قالوه هو جزء من الدين.

وقد يصرفون ألفاظ النص الديني إلى غير المعنى المقصود من قبل الله تعالى، كما تقول آية أخرى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٣].

خطر التحريف

إن من أسوأ الأخطار التي تصيب الدين هي الافتراء عليه من داخله، أي من العلماء الذين يعتبرهم الناس مصدراً لتعاليم الدين وأحكامه، فيصدّرون للناس فتاوى وآراءً تخالف قيم الدين ومصلحة الأمة، بدوافع مصلحية، لخدمة الذات، أو انحيازاً لمصلحة فئة، أو تعصباً لمذهب واتجاه، وينسبون تلك الفتاوى والمواقف للدين، ويعطونها صفة التكليف الشرعي.

وقد رأينا في عصرنا الحاضر كيف أدّت بعض الفتاوى والآراء إلى نشوء توجّهات إرهابية، تمارس العنف ضد الأبرياء، وتستبيح الدماء، وتنتهك الحرمات، خارج الأمة وداخلها.

كما رأينا مواقف التعبئة والتحريض الطائفي بعناوين دينية، كحماية العقيدة، ومحاربة الشرك والبدع، والدفاع عن المذهب، وما أنتجته من مشاريع فتن وتمزيق ونزاع واحتراب.

وفي داخل المذاهب تحصل صراعات تستخدم فيها الفتاوى الدينية بين الأطراف المختلفة في الرأي أو المصلحة، مما يتنافى مع حقوق الأخوة الإيمانية، ويتعارض مع احترام حق الاجتهاد واختلاف الرأي، ويجعل مجتمع المؤمنين ساحة نزاع وصراع.

وفي موارد كثيرة جرى توظيف الدين من قبل البعض لخدمة مواقف وتوجّهات سياسية.

إن هذه المشاهد المؤلمة المؤسفة هي بعض نتائج سوء الممارسة في الوسط الديني، بعناوين وتبريرات تنسب إلى الدين.

حتى إنه يمكن القول: أن بعض أوساط هذه الفئة من علماء الدين بدل أن تساهم في حلّ مشاكل الأمة، أصبحت مصدراً لمشاكل إضافية عويصة، وبين وقت وآخر نرى انشغال الحالة الدينية في هذه المنطقة أو تلك بالخلافات الداخلية التي تربك ساحتها، وتسبب ردود فعل سلبية تجاه الدين والمتدينين.

وإذا كان حدوث مثل هذه الحالات والظواهر أمراً متوقّعاً، لأن أفراد هذه الشريحة -علماء الدين- ليسوا ملائكة ولا معصومين، وليسوا بعيدين عن التأثر بأوضاع وأجواء محيطهم الاجتماعي، فإنه لا بد من وجود آليات للحدّ منها، ولتحصين المجتمع من آثارها السلبية.

وسنعرض الحديث عن بعض الآليات والوسائل التي يمكن الإفادة منها في مواجهة هذه الظواهر:

التربية الأخلاقية:

يتركز اهتمام الدروس في الحوزات العلمية، والمعاهد الدينية، على الإعداد العلمي لطلابها، وغالباً ما يهمل جانب التربية الروحية الأخلاقية، مما يفسح المجال لنمو النزعات الفردية الأنانية، وتسرب التوجّهات المصلحية، وقد يأتي بعض الطلاب للدراسة الدينية من بيئة غير صالحة، أو دون سابق إعداد تربوي، كما قد تسعى بعض الجهات المناوئة لزرع عناصر مغرضة في الوسط العلمي، أو للتأثير على بعض الأفراد فيها.

كل ذلك يوجب ضرورة التركيز والاهتمام برعاية الجانب التربوي الأخلاقي، لطلاب العلوم الدينية. وقد أكد هذه الضرورة عدد من كبار المراجع والعلماء، وحذروا من تجاهلها، كالشهيد الثاني زين الدين العاملي (٩١١-٩٦٥هـ) في كتابه (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) والإمام الخميني في محاضراته عن (الجهاد الأكبر جهاد

النفس)، والمرجع الراحل السيد الشيرازي في كتابه (إلى وكلائنا في البلاد) وكثير من كتبه ومحاضراته.

مأسسة الحالة الدينية:

تعاني الحالة العلمية الدينية في معظمها من غياب الأطر المؤسّساتية، مما يكرّس التوجه الفردي عند علماء الدين، بدءاً من مرحلة الدراسة، حيث لا توجد في غالب الحوزات العلمية عند الشيعة أنظمة ملزمة، بل يختار الطالب بحريّته نوع ومكان وعدد دروسه، وشخصيات مدرسّيه، ولا أحد يحاسبه على حضوره وغيابه، ولا تحديد لمدة دراسته وتخرجه، أو انتقاله من مرحلة علمية إلى أخرى.

صحيح أن هناك أعرافاً وتقاليد سائدة في الوسط الحوزوي، لكنها ليست ملزمة، وخاصة لمن يرغب في تجاوزها.

وربما كانت هذه الحرية المفتوحة في الحوزات العلمية ملائمة لعصور وظروف سابقة، أو كانت لتجاوز محاولات بعض السلطات للهيمنة على الحوزة، مما دفع بعض قياداتها لرفع شعار: أن الحوزة نظامها اللانظام.

لكن الظروف الحاضرة، والتطورات في الحياة الاجتماعية، تفرض وجود قوانين ناظمة لأوضاع الحوزات، وحامية لها من الاختراقات والتسيّب.

وقد بدأ هذا التوجه يفرض نفسه، وخاصة في حوزة قم العلمية، مع ممانعة لا تزال قائمة في بعض الأوساط التقليدية.

وحين يعود طالب العلم إلى مجتمعه ليقوم بدوره الديني، فإنه لا يرتبط بأيّ جهة أو مؤسّسة ترعى دوره وتراقب تجربته، لا من قبل الحوزة العلمية التي تنقطع صلتها به، ولا من قبل أيّ إطار مؤسّسي في منطقته لعدم وجود مثل ذلك غالباً.

فيبدأ تجربته بمفرده، وقد يواجه في بعض الأحيان مشاعر غير إيجابية من العلماء السابقين له في منطقته، باعتباره منافساً لهم، أو مختلفاً عنهم في بعض توجّهاته وانتماءاته.

كل ذلك يخلق الأرضية لنمو التوجّهات الأنانية والاهتمامات المصلحية، والممارسات غير الأخلاقية في الوسط الديني.

إن وجود رعاية من كبار العلماء في كل منطقة للحالة الدينية فيها، باحتضان جميع العلماء والطلبة، ومساعدتهم على أخذ أدوارهم ومواقعهم، ودعمهم في أداء وظائفهم ورسالتهم، وتفقد أمورهم وشئونهم الحياتية، وتوفير أجواء المشاورة والتناصح فيما بينهم، وتشجيعهم على التعاون والتكامل، يساعد كثيراً على تجاوز السّلبيات، ويمكّن من الاستفادة من الطاقات، وبذلك تتقدم الحالة الدينية وتتطور.

كما أن المتوقع من المرجعية الدينية أن تضع نظاماً للتواصل بينها وبين العلماء والوكلاء في المناطق والأطراف، لتواكب مسيرتهم، وتراقب أداءهم، وتعطي التوجيهات اللازمة لمعالجة السلبيات والأخطاء التي قد تحصل في أوساطهم، حتى لا تنحصر العلاقة بهم في إطار استلام الحقوق الشرعية والإجابة عن الاستفتاءات.

تحصين المجتمع بالوعي:

تركيز مكانة عالم الدين في المجتمع أمر مطلوب، واحترام الناس له مما حثّت عليه النصوص الدينية، لتعزيز موقعية الدين.

لكن وجود ظواهر سلبية في الوسط الديني تهدِّد بأخطار وأضرار بالغة من أبرزها:

- فقدان الحالة الدينية لمصداقيتها، وحصول نفور عند البعض من الدين، كردّ فعل لهذه الظواهر السلبية.
- انخداع الناس بنماذج غير صالحة ضمن هذا الوسط، يعطي هذه النماذج الفرصة لاستمراريتها في الخطأ ولخدمة توجّهاتها الخاطئة، ويقود أتباعها إلى الطريق الخاطئ.
- تتعرض الساحة الدينية للهزات والإرباكات وتنشغل بالمشاكل

والأزمات الداخلية.

ومما يبدو لنا من نهج القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والروايات الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، هو ضرورة تحصين المجتمع بالوعي، حتى لا يتعامل الناس مع كل عالم دين بالتقديس المطلق والثقة العمياء، بل لا بد من إعمال العقل، واستخدام الفكر، والنظر إلى الأشخاص والأدوار والممارسات بعيون مفتوحة، وبصيرة واعية.

فقيم الدين واضحة، ومصالح المجتمع تدركها العقول، ولا قداسة مطلقة لغير المعصوم.

وهذه هي الرسالة التي تريد إيصالها الآيات الكريمة التي تتحدث عن فساد وانحراف قسم من علماء أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٤].

إن توجيه الخطاب للذين آمنوا هو لتحذيرهم من حصول مثل هذه الظاهرة في طبقتهم الدينية.

كما أن هناك عدداً كبيراً من الأحاديث والروايات التي تحذّر من علماء السوء.

روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «ويل لأمتي من علماء السوء» (١).

وجاء عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «لا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل» (٢).

أي إن على الإنسان أن يستخدم عقله لتقويم العلماء، ومعرفة الجدير بالاقتداء منهم، وتمحيص توجهاتهم.

---

(١) كنز العمال: حديث ٢٩٠٨٤.

(٢) ميزان الحكمة: ج٦ ص٤٨٤.

النقد البنّاء:

السكوت على الأخطاء يراكمها، وقد يصدر الخطأ بسبب غفلة أو اشتباه، فوجود ناصحين ناقدين يدفع للتراجع عن الخطأ، كما أن شعور أيّ جهة بأنها معرضة للنقد وأن أعمالها تحت المجهر، يجعلها أكثر اهتماماً بضبط ممارساتها حفاظاً على سمعتها وموقعيتها.

ومن مشاكل ساحتنا الدينية رفضها للنقد، والتشكيك في أيّ ناقد أنه ضد الدين، ومناوئ للحالة الدينية، واعتبار النقد سبباً لإضعاف دور العلماء وإسقاط مكانتهم، وتحقيقاً لأهداف أعداء الدين والأمة.

وهذا التفكير ليس صحيحاً، وليس مقبولاً، لأنه يخالف نهج القرآن والنصوص الدينية الأخرى، ويخالف منطق العقل، فالنقد والمعارضة سبب لاكتشاف الخطأ، ودافع لتصحيحه في كل مجال من المجالات.

وما أحوج ساحتنا الدينية إلى النقد البنّاء، فهو البديل الصحيح عن التهريج والتعبئة بين الأطراف المختلفة، وهو الذي يتيح فرصة التغيير والتطوير إلى الأفضل.

إن عالم الدين يجب أن يشجع من حوله على النقد وإبداء وجهات نظرهم، ليستفيد من ذلك في إصلاح ذاته، وإنجاح دوره، لا أن يفرض عليهم الرهبة والهيبة التي تمنعهم من إبداء آرائهم وانطباعاتهم.

فقد ورد أن رسول الله ﷺ، حين رأى إعرابياً قد أخذته الرهبة منه ﷺ، قال له: «هوّن عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة».

بل إن على عالم الدين أن يضع برنامجاً لإشراك الناس معه في اتخاذ القرارات وإدارة الشؤون الدينية التي يقول بها، وأن يتّسع صدره للنقد والاعتراض، فقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ، على عصمته وكماله، أن يستشير مّنْ حوله، يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٥٩].

من جانب آخر، فإن على الواعين من أبناء المجتمع أن لا يتردّدوا في إيصال نقدهم

وإبداء ملاحظاتهم لعلماء الدين، وأن يجهروا لهم بآرائهم الناقدة، مادام الهدف هو الإصلاح وحماية المصلحة الدينية.

أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى ما فيه الصلاح والإصلاح.

والحمد لله ربّ العالمين.

كتابات

تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي[1]

بقلم سماحة الشيخ حسن الصفار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

ما هي وظيفة العالم الديني؟ وما هو دوره في الأمة؟

إن الوظيفة المعروفة والدور التقليدي لعالم الدين في مجتمعاتنا يتلخص في تعليم الأحكام الفقهية التي غالباً ما تنحصر في مسائل العبادات والأحوال الشخصية، وإجراء المراسيم الدينية كصلاة الجماعة وعقود الزواج والطلاق والصلاة على الميت وتلقينه.

ولكن هذا الدور الهامشي المحدود الذي يضطلع به عالم الدين لا يتناسب مع

---

(١) الأحمد: فؤاد/ الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي/ الطبعة الأولى١٤١٢هـ/ مؤسسة البقيع لإحياء التراث ـ بيروت.

الصورة الخطيرة التي ترسمها النصوص الدينية من آيات وأحاديث لمقام عالم الدين ولموقعيته في الأمة.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء»(١).

وعنه ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»(٢).

وفي حديث آخر عنه ﷺ أيضاً: «الفقهاء أمناء الرسل»(٣).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «العلماء حكّام على الناس»(٤).

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه»(٥).

إلى عشرات النصوص والأحاديث التي تبيّن فضل العلماء وتؤكد مكانتهم الخطيرة، وتدعو الأمة إلى الالتفاف حولهم والسمع والطاعة لهم، وأنّ الرادّ على مستكمل الشرائط منهم كالرادّ على الله ورسوله.

وواضح من تلك النصوص الدينية أن الدور الهامشي المحدود لعالم الدين لا يستدعي كل هذا التأكيد والتركيز لمكانة العالم وفضله كون هذه النصوص تحلق إلى آفاق بعيدة وواسعة.

فما هو إذن دور عالم الدين؟ وما هي وظيفته الحقيقية؟

بدراسة واعية للمفاهيم والنصوص الدينية في هذا المجال يمكننا القول بجزم

---

(١) العاملي: زين الدين بن علي (الشهيد الثاني)/ منية المريد ص١٠٤/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم.

(٢) بحار الأنوار ج٢ ص٢٢ حديث٦٧.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٢١٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ص٣٢.

(٥) تحف العقول ص١٧٢.

ويقين أن دور عالم الدين هو دور القيادة للأمة في مختلف مجالات الحياة، وأن وظيفته هي رعاية شؤون المجتمع في جميع الجوانب.. ذلك أن الإسلام منهج كامل شامل لتنظيم حياة الإنسان، والأمة مطالبة بتنفيذ برامج الدين وتطبيقها، فلا بدّ أن تتوفر في قيادة الأمة صفتا العلم التفصيلي بمبادئ الدين وأحكامه، والالتزام الواعي بها.

ومن هذا المنطلق، هناك مصاديق وتجليات للدور القيادي لعالم الدين، يمكن الإشارة إليها من خلال المفردات التالية:

أولاً: التوجيه الفكري والحصانة الثقافية

كيف تنتشر معارف الإسلام، ويطلع الناس على أحكامه وتعاليمه إذا لم يقم العلماء الفقهاء بمسؤولية التوعية والإرشاد والتعليم، لقد كان رسول الله ﷺ يتحمل هذه المسؤولية الخطيرة، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ....﴾[سورة الجمعة: الآية ٢]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[سورة النحل: الآية ٤٤].

وبعد رسول الله ﷺ كان الأئمة الهداة من أهل بيته عليهم السلام يضطلعون بهذا الدور الخطير، أما في فترة غيبة الإمام المعصوم فإن المسؤولية تقع على عاتق الفقهاء الأعلام ورثة الأنبياء وأمناء الرسل ونوّاب الأئمة..

بالطبع فإن القيام بدور التوجيه الفكري للأمة يستلزم الرصد والمواجهة للأفكار والتيارات المضادة والمنحرفة التي قد تغزو الأمة من الخارج، أو التي تنشأ في أوساط المجتمع نتيجة جهل أو سوء فهم أو نزعات مغرضة.

أما تحديد دور الفقهاء المراجع باستنباط المسائل الفقهية المحدودة دون أن يكون لهم شأن أو اهتمام بتبيين مفاهيم القرآن وعقائد الإسلام وتعاليمه ومناهجه لمختلف جوانب الحياة، ودون أن يحصنوا جماهير الأمة عن تأثيرات الكفر والإلحاد والجهل والانحراف العقائدي والثقافي.. أما هذا الفهم الضيق لدور الفقهاء المراجع على الصعيد

العلمي المعرفي فهو ناشئ عن قصور في فهم أبعاد الرسالة الإلهية، وتأثر بحالة التخلف والانحطاط التي عاشتها الأمة في هذه العصور..

ولنتأمل الآن بعض الآيات والروايات التي تنص وتؤكد هذه المسؤولية الخطيرة الملقاة على كاهل علماء الدين وفقهائه:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة البقرة: الآية ١٧٤].

وفي آية أخرى يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[سورة آل عمران: الآية ١٨٧].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[سورة البقرة: الآية ١٥٩].

فالآيات الكريمة تعتبر تقاعس العلماء عن تبيان ما أنزله الله من البينات والهدى كتماناً لرسالة الله ونبذاً وإعراضاً عن دينه، وتتوعد أولئك المتقاعسين بأشد العذاب والنكال.

أما الأحاديث والروايات فتتناول هذا الموضوع بتفصيل وشمول، فعن النبي ﷺ: «من كتم علماً نافعاً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»(١).

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «والعلماء في أنفسهم خانة إن كتموا النصيحة إن رأوا تائهاً لا يهدونه، أو ميتاً لا يحيونه، فبئس ما يصنعون»(٢).

وإذا ما عشعش الجهل في صفوف الأمة فإن العلماء يتحملون مسؤولية ذلك لأن

(١)بحار الأنوار ج٢ ص٧٨ حديث٦٦.

(٢)الكافي ج٢ ص٧٨ حديث ٦٦.

الواجب الديني الملقى على كاهل العلماء هو تعليم الناس، قبل أن يكون من واجب الناس أن يتعلموا، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا»(١).

وبلفظ آخر يرويه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام « قرأت في كتاب علي عليه السلام أن الله لم يأخذ على الجهّال عهداً لطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال لأن العلم كان قبل الجهل »(٢).

أما وظيفة العالم تجاه الانحرافات الفكرية فبيّنها حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»(٣).

وفي حديث آخر عنه أيضاً: «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد»(٤).

ولكي ندرك مدى أهمية وخطورة تصدي العالم للمقاومة والصراع الفكري الثقافي لتثبيت مفاهيم الدين ومبادئه وللوقوف أمام العدوان والانحراف الفكري.. لكي يدرك ذلك علينا التأمل في الأحاديث التي تؤكد أفضلية مداد العلماء (الحبر) الذي تكتب به أقلامهم على دماء الشهداء الذين يسقطون في معارك الجهاد دفاعاً عن الدين والأمة، فهذه الأحاديث تلفت أنظارنا إلى أن هناك نوعين من العدوان ومن الفتوحات، عدوان عسكري، وعدوان فكري، وفتح عسكري، وفتح فكري، وكما أن على الأمة أن تواجه العدوان العسكري، وتفكر في الفتوحات لشق الطريق أمام الرسالة، فكذلك عليها مواجهة العدوان الفكري، وإيصال الهداية إلى سائر المجتمعات عبر القلم والبيان، وإذا

(١) نهج البلاغة: ص ١٣٠٤.
(٢) ميزان الحكمة: ج٦ ص٤٧٢.
(٣) الكافي: ج١ ص٥٤.
(٤) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٥٠ حديث ٣٣٤٥٨.

كان الجنود يبذلون دماءهم في ساحة المعركة العسكرية، فإن العلماء هم جنود معارك الفكر والثقافة وأقلامهم سلاحهم المشرع، ومدادها يوازي دماء الشهداء بل يرجح عليه، وأي هزيمة عسكرية ستصيب الأمة لو بخل جندي ببذل دمه؟ لكنها هزيمة تهون أمام الانكسار والانهزام الفكري والثقافي لو لم يبذل العلماء الجهود ويتحملون المسؤوليات في التوجيه والتثقيف ومقاومة التيارات الفاسدة والمنحرفة، يقول رسول الله ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»(١).

إن من أهم امتيازات عالم الدين ودواعي تفضيله على الآخرين هو تصديه للأفكار الشيطانية المنحرفة. كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعين درجة.. وذلك أن الشيطان يدع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى عنها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها»(٢).

وعنه ﷺ: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»(٣).

وأن قيام العلماء بوظيفتهم في تبيين معالم الدين وأصول الشريعة وفضح شبهات المناوئين هو سبب بقاء الدين وتمسك المؤمنين به، وإلاّ فإن مؤامرات وأضاليل الكافرين والمنحرفين قد تخمد أوار الهدى وتشيع أجواء الارتداد والابتعاد عن الدين، يقول الإمام علي الهادي عليه السلام: «لولا من يبق بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه، بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقى أحد إلاّ ارتد عن دين الله..»(٤).

ومن أجل أن يتمكن العلماء من أداء هذا الواجب الخطير في هذا العصر لا بدّ من التوجه لمسألة التخطيط والرصد الثقافي. فالغالب على الإنتاج الفكري الديني هو فردية

(١) ميزان الحكمة ج ٦ ص٤٥٧.
(٢) بحار الأنوار ج٢ ص٢٤ حديث ٧٢.
(٣) ميزان الحكمة ج٦ ص٤٦٩.
(٤) بحار الأنوار ج٢ ص٦ حديث ١٢.

الإنتاج حين تقل عندنا المراكز والمؤسسات الجماعية في الحقل الفكري، ويندفع الموجهون والمرشدون الدينيون في ممارساتهم التوجيهية بشكل عفوي استرسالي يتأثر البعض منهم بظروف محدودة وحسب اهتماماته وملاحظاته الشخصية، دون أن يكون هنالك ـ في الغالب ـ خطة منبثقة عن دراسة لواقع المجتمع، وتشخيص لأمراضه واحتياجاته الفكرية.. وأيضاً دون متابعة ورصد للتطورات الفكرية على مستوى العالم، أو التيارات الناشئة داخل المجتمع والوافدة إليه..

فقد تجد عالماً متحمساً لطرح فكرة ما أو الدفاع عنها بينما لا يكون لتلك الفكرة أي أهمية أو دور أو تأثير في واقع الأمة المعاشي!

وقد تسمع خطيباً يثير موضوعاً لا يعالج فيه قضية من قضايا العقيدة والمجتمع، بل يكرس حالة القشرية والاهتمامات الثانوية الزائفة!!

إننا بحاجة ماسة إلى أن تولي المرجعية الدينية اهتماماً كبيراً تجاه المسألة الفكرية الثقافية بأن تكون هناك أجهزة ولجان ومؤسسات تتابع تطورات المعرفة في العالم، وترصد المؤامرات التي تستهدف فكرنا وعقيدتنا، وتخطط لتوجيه المؤلفين والخطباء والمبلغين. بالإضافة إلى ذلك لا بدّ من تطوير وسائل التوجيه كماً وكيفاً، والاستفادة من الأجهزة الحديثة والأساليب الفنية، والمطلوب إنشاء دور نشر وصحف ومجلات عالمية ووكالات أنباء ومسارح وسينماءات وإذاعات ومحطات بث تلفزيوني...

ثانياً: التصدي السياسي

ممارسة الحكم وإدارة شؤون المجتمع هي أعلى مهمة وأعظم دور قيادي في حياة الناس، فإذا كانت الجهة المتصدية للحكم صالحة واعية مخلصة كفؤة، استقام أمر الأمة، وتقدمت مسيرتها في مختلف المجالات أما إذا كانت السلطة السياسية فاقدة لتلك الشروط والمواصفات، فلن يستقيم للأمة أمر.

فللسلطة تأثير شامل على مختلف جوانب حياة الناس، ومن هنا قيل: «الناس على

دين ملوكهم»، وروي عن الإمام علي عليه السلام: «إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمن»[١]، وذلك أمر واضح ملموس، فالحكومة هي مصدر القرارات والأنظمة وبيدها تتمركز القوة والقدرة..

فما هو دور الفقهاء والعلماء في مجال السلطة والحكم؟

إنّ هناك من يرى ضرورة ابتعاد الفقهاء عن الشؤون السياسية وأن لا يلوثوا أنفسهم بقضايا السلطة والحكم، وهذا الرأي ساد مجتمعاتنا الدينية منذ عصور التخلف والانحطاط، وشجع الحاكمون المتسلطون والمستعمرون الأجانب هذا الاتجاه، ليحصروا الدين بين جدران المساجد وفي مسائل العبادات وتجميد دور علماء الدين، لتبقى الساحة فارغة أمام شهوات الحاكمين ومؤامرات المستعمرين..

بيد أن من الواضح لكل دارس لتعاليم الإسلام وتاريخ قادته الطاهرين عليهم السلام أن التصدي لإدارة شؤون الأمة وفق مناهج الدين واجب شرعي ومسؤولية دينية، ولو لم يكن كذلك لما سعى الأنبياء والأئمة الطاهرون عليهم السلام لقيادة المجتمع ولكانوا أولى بالاجتناب والابتعاد عن قضايا السياسة والحكم.

إن كل نبي أو رسول يبعثه الله سبحانه وتعالى هو مشروع قيادة وحكم للناس يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[سورة النساء: الآية ٦٤].

وقال تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[سورة يوسف: الآية ٥٥].

وقال عزّ من قائل على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي....﴾[سورة صّ: الآية ٣٥].

وقال عزّ وجلّ على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٨٣].

---

(١) ميزان الحكمة ج٤ ص٥١٤.

وقد تكررت في سورة الشعراء آية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ على لسان خمسة أنبياء هم نوح، وهود، وصالح، ولوط وشعيب ﷺ، حين كانوا يدعون الناس إلى طاعتهم، وكانوا هم ﷺ يرشحون أنفسهم للسلطة.

والمعصومون الذين نعتقد بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول الله ﷺ ليسوا في عقيدتنا مجرد مفتين ومرشدين، بل هم قادة كان يجب أن تخضع الأمة لهم، وأن يتسنموا موقع السلطة والحكم.

ومن هنا، فإن ابتعاد العلماء والصالحين عن ميدان السياسة والحكم هو الذي فسح المجال أمام العملاء والجهلة والمنحرفين لكي يتسلطوا على رقاب المسلمين في هذه العصور، وإذا كانت السلطة بيد غير الملتزمين والعارفين بالدين فلن تأخذ أحكام الإسلام وتعاليمه طريقها إلى التنفيذ والتطبيق، لذا ورد عن رسول الله ﷺ: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقض الحكم»[1].

يقول المرجع الديني السيد محمد الشيرازي: «وأما التوهم بأن السياسة ليست من الإسلام وأن العالم الديني هو العارف بالتفسير والتاريخ الإسلامي والفقه وما أشبه.. فقد كان من نشر المستعمر، حيث أن علماء الإسلام إذا انزووا عن الميدان تسنى للمستعمر أخذ أزمة البلاد، وجعل القوانين التي تخدم الكفر والكفار، عوض الإسلام الذي فيه العزة والاستقلال والنجاة وإلاّ فقد كان الرسول والأئمة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كلهم يزاولون السياسة، وكذلك شأن العلماء قبل دخول المستعمر البلاد، وهذه كتبهم الفقهية وصفحات تاريخهم المشرق تنبئ عن بيانهم المسائل السياسية، وتدخلهم في الأمور، كما ينبئ عن تدخلهم أحوال الشريفين، والفاضلين، والمجلسيين، والعامليين،

(١) بحار الأنوار ج٢٨ ص٤٠ حديث٣.

والشيرازيين وغيرهم..»[١].

«يجب اضطلاع العالم الديني بالعلم السياسي، بل ذلك وظيفة كل متدين (على نحو الوجوب الكفائي) وذلك لأنه يتوقف عليه إدارة أمور المسلمين بل إنقاذ المستضعفين من براثن المستكبرين، ونشر الإسلام، وهداية الناس من الظلمات إلى النور ـ اللذان هما واجبان أيضاً ـ»[٢].

أما تحديد الدور السياسي للفقيه وكيفية تصديه فذلك يخضع لطبيعة الظروف والأوضاع التي تعيشها الأمة، فإذا تمكن الفقيه من التصدي الكامل والمباشر لإدارة دفة السياسة والحكم فهو مطلوب، وإن تعذر عليه ذلك، واستطاع ممارسة دور التوجيه والإشراف على الحاكمين، كان من وظيفته ذلك، وإذا لم تكن الظروف مهيئة لهذا المستوى من التصدي وأمكن للفقيه المشاركة في الحكم ضمن حكومة ائتلافية لإصلاح ما يمكن إصلاحه تعيّن ذلك ما لم تكن له مضاعفات وأخطار غير محتملة، وأدنى درجة هي القيام بدور النصيحة للحاكمين وإلفات نظرهم إلى الانحرافات التي تحدث والتأثير عليهم بالمقدار الممكن..

وإذا كانت الأوضاع التي تعيشها الأمة متردية سياسياً وبلغ الانحراف والظلم بالحاكمين مداه بحيث لا يتمكن العلماء من القيام بأي دور أو تأثير سياسي إيجابي فلا بدّ حينئذ من التصدي لمعارضة السلطة والتخطيط والعمل لمقاومتها إما بأن يعلن الفقيه موقفه المعارض ويحمل راية الثورة والجهاد، وإما بأن يهيئ الأرضية والأجواء المناسبة ويدعم الناقمين والثائرين من وراء الستار إن اقتضت الظروف ذلك..

تلك هي أهم الصور والخيارات التي يمكن للفقيه أن يمارس عبرها دوره السياسي ويتصدى لهذه المسؤولية الخطيرة وبشيء من التوضيح يمكن الحديث هنا عن كل صورة

---

(١) الشيرازي: محمد الحسيني/ الفقه ـ السياسة/ ص٧٣/ الطبعة السادسة١٩٨٧م/ دار العلوم ـ بيروت.
(٢) المصدر السابق ص٤٨.

من تلك الصور:

١/ الفقيه حاكماً

السلطة والحكم هي أخطر مقام في المجتمع فيجب أن يتصدى لها الأفضل من بين أبنائه، والفقيه الجامع للشرائط هو الأولى والأجدر بهذا المقام، ولذلك كانت النصوص الدينية تؤكد ذلك، كمقولة عمر بن حنظلة حيث قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان خطأً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم ارحم خلفائي»، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي»[٢].

وجاء عن الإمام المهدي عجل الله فرجه: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[٣].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «العلماء حكام على الناس»[٤].

---

(١) المنتظري: الشيخ حسين علي/ دراسات في ولاية الفقيه ج١ ص٤٢٧/ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/ الدار الإسلامية ـ بيروت.

(٢) المصدر السابق ص٤٦١.

(٣) المصدر السابق ص ٤٧٨.

(٤) المصدر السابق ص٤٨٣.

وروي في (تحف العقول) عن أبي عبدالله الحسين عليه السلام في خطبة طويلة يخاطب بها علماء عصره قال: «وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه. فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلاّ بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤنة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم..»[1].

انطلاقاً من هذه النصوص وأدلة أخرى غيرها فإن على الفقيه العمل والتحرك باتجاه موقع السلطة والحكم، وعلى الأمة أن لا تسلم زمام أمرها إلاّ إلى فقيه جامع للشرائط.

يقول المرجع الديني السيد محمد الشيرازي:

«الظاهر استحباب السعي من العالم الجامع للشرائط لنيل منصب الرئاسة في الدولة الإسلامية بقصد إقامة الأحكام إذا كان يرى نفسه أكفأ من غيره، أو أراد طلب الثواب، قال سبحانه في ذلك: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ...﴾.

وقال علي عليه السلام: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقين حبلها على غاربها» مما يدل على وجوب القيام بالأمر مع المكنة، فإن كان واحداً وجب عليه عيناً وإن كان متعدداً وجب عليه كفاية، فإن في ذلك أسوة بالأنبياء والأئمة حيث طلبوا الحكم، بالإضافة إلى أنه مقدمة إقامة الدين ونشر العلم وقطع دابر الظلمة، قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...﴾[2].

٢/ الإشراف على الحكم

---

(١) المصدر السابق ص٤٨٥.

(٢) الشيرازي: محمد الحسيني، الفقه ـ الحكم في الإسلام ص٦٢/ ط٦/ ١٩٨٧م/ دار العلوم ـ بيروت.

حينما لا تساعد الفقيه صحته الجسمية أو ظروفه الاجتماعية أو كفاءته وخبرته العملية على التصدي المباشر لإدارة دفة الحكم فإنه يجيز من يراه قادراً أو مناسباً للقيام بهذا الدور، فتكون شرعية الحاكم الفعلي مستمدة ومنبثقة من إجازة الفقيه له، ويأخذ الفقيه دور المراقبة والإشراف.. وكأنموذج لذلك ما حصل للفقيه المشهور الشيخ جعفر الكبير النجفي صاحب كشف الغطاء (١١٥٤ ـ ١٢٢٧هـ) فقد أجاز لحاكم إيران فتح علي شاه القاجاري ممارسة الحكم وإدارة شؤون الحرب وأثبت نص إجازته في كتابه كشف الغطاء باب الجهاد[١].

٣/ المشاركة في الحكم

في حال أن سنحت الفرصة للفقيه المشاركة في حكومة قائمة بتولي بعض الوزارات والمناصب أو إدارة بعض المؤسسات الرسمية، فيستطيع من خلال تلك المشاركة تطبيق الممكن من أحكام الله، وتقليل انحرافات السلطة، والدفاع عن حرمات الدين وحقوق الناس، ولم تكن في المشاركة مضاعفات وأخطار لا تعادل هذه المكاسب الممكنة أو أمكن تلافي المضاعفات ولو تقسيم الأدوار بين المؤمنين الواعين، فإن المشاركة في الحكم حينئذٍ تكون مطلوبة مفيدة.

يقول المرجع الديني السيد محمد الشيرازي:

«أما المقاومة الإيجابية في أن يدخل الإنسان في الحكم لأجل الإحسان إلى المسلمين، والحدّ من نشاط الجائرين، كما دخل يوسف الصديق عليه السلام وعمران والد موسى عليه السلام، ومؤمن آل فرعون في أحكام الجائرين.

وكما دخل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والحسنان، وسلمان، وأبو ذر، وعمار في أحكام الثلاثة في الجملة (مع اعتقادهم أن الخلافة كانت حقاً لعلي عليه السلام دون الخلفاء الثلاثة).

ودخل علي بن يقطين في وزارة هارون، وكذلك داود الزربي، وكان من ثقاة

(١) الأمين: السيد محسن، أعيان الشيعة ج٤ ص١٠٠/ دار التعارف ١٤٠٦هـ ـ بيروت.

موسى بن جعفر عليه السلام، وكذلك كان محمد بن إسماعيل بن بزيع في الوزارة، وكان من ثقاة الكاظم عليه السلام، وكان عبدالله النجاشي والياً على الأهواز من قبل المنصور، وهو ثقة كتب إليه الإمام الصادق عليه السلام رسالة معروفة، وكان علي بن عيسى ومحمد بن علي ولده أميرين بقم من قبل السلطان وهما ثقتان من ثقاة الهادي عليه السلام، وكان ابن السكيت مؤدباً لابن المتوكل وقد جره تجاهره بحب أهل البيت إلى قتله في قصة مشهورة، وكان جعفر بن محمد بن الأشعث مربياً لمحمد الأمين ابن هارون العباسي، ودخل الإمام الرضا عليه السلام حكم المأمون، والظاهر أنه لم يكن خوفاً من القتل ـ فإن القتل لهم عادة ـ بل لأجل هدم حكمه، وإظهار اغتصابه وبيان جهله وعدم استحقاقه للخلافة»[1].

٤/ النصيحة للحاكم

ترتبط قرارات الحاكم وتصرفاته بأوضاع الأمة ومستقبلها، وأي خطأ وانحراف يصدر عنه يضر بمصلحة الأمة ككل ويتنافى مع قيم الدين وأهدافه، وعلى المسلمين وفي طليعتهم العلماء السعي بأقصى حدٍّ ممكن للتأثير على قرارات الحاكم لتكون مطابقة لأحكام الإسلام ومصلحة الأمة.. وقد يكون للحوار والنصيحة والموعظة تأثير محتمل في بعض الأحيان على الحاكمين، وقد أمر الله نبيه موسى عليه السلام في بداية الأمر توجيه الخطاب اللّين الهادئ لفرعون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[سورة طـه: الآيتان ٤٣-٤٤].

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام ينصح الخلفاء الذين سبقوه ويبدي لهم الرأي والمشورة مع اعتقاده بأحقيته هو بالخلافة دونهم، كما كان يراسل معاوية بن أبي سفيان ويبعث له المندوبين عنه، وكذلك يحتفظ لنا التاريخ بمراسلات وحوارات للإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، ومن الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد، وكذلك سائر الأئمة عليهم السلام كنصيحة الإمام محمد الباقر لعبدالملك بن مروان حول النقد الإسلامي، وموعظة الإمام الهادي عليه السلام

(١)الشيرازي/ الفقه ـ الحكم في الإسلام ص٢٤٢.

للمتوكل..

إن اللقاء مع الحاكم لتذكيره بمراعاة قوانين الإسلام لحثه على احترام حقوق المواطنين ـ أو كتابة الرسائل والبرقيات، وإرسال الوفود والمندوبين إليه بهذا الصدد قد يكون وسيلة مؤثرة أو محتملة التأثير طبعاً مع أخذ مجمل الظروف والأوضاع بعين الاعتبار، ودراسة الموقف لاختيار أنسب الوسائل والأساليب في التعامل مع الحاكمين.

وإن كثيراً من العلماء ليتردد في القيام بهذا الدور انطلاقاً من فكرة عدم التدخل في الشؤون السياسية وتخوفاً من الضرر الذي قد يصيب شخصه أو لعدم الاهتمام بالمصلحة العامة..

٥/ الإعداد للتغيير

فإذا كانت الأمة تعيش واقعاً سياسياً منحرفاً لوجود حكم جائر ظالم ولم تجد الأساليب الهادئة لتصحيح مساره، فعلى المؤمنين الواعين، والعلماء في طليعتهم التفكير والتخطيط لتغيير الواقع الفاسد، الذي لا يحدث بالطبع إلا بعد مرحلة من الإعداد والتهيئة بتربية الكوادر الكفؤة، ونشر الثقافة السليمة، وفضح الواقع الفاسد، وتعبئة الأمة ضده، وهذا ما كان يقوم به أئمة الهدى عليهم السلام في مواجهة الانحراف والفساد الذي أصاب الأمة..

٦/ إعلان المعارضة والجهاد

حينما يتمادى الحاكمون في غيّهم، ويتعمق الانحراف في واقع الأمة، فلا خيار أمام الأمة إلاّ الثورة والتمرد والمقاومة، وهنا لا بدّ أن يأخذ الفقيه موقعه في قيادة نضال الأمة مقتدياً بالإمام الحسين بن علي عليهما السلام الذي يروي عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «من رأى سلطانًا جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله

مدخله»[١].

ثالثاً: المسؤولية الاجتماعية

يحظى عالم الدين في مجتمعاتنا بثقة شعبية والتفاف جماهيري، فالانتماء الديني في نفوس الناس يدفعهم لاحترام العالم باعتباره رمزاً للدين ومحام عنه، والسيرة الأخلاقية الطيبة لعلماء الدين في المجتمع تجعلهم موضع الثقة والتقدير، كما أن تفرغ العالم وتوجهه لمعالجة القضايا الدينية التي هي موضع حاجة الناس تخلق ارتباطاً مباشراً بينه وبين أفراد المجتمع لمختلف مستوياتهم.. وإذا ما أضفنا لذلك تأثير التعاليم والتوجيهات المؤكدة لتفضيل العالم ولزوم تقديره واحترامه كان من الطبيعي أن يتمتع عالم الدين بهذه المكانة المرموقة في المجتمع.

ولكن هذه المكانة والوجاهة يجب أن يستثمرها العالم لمنفعة المجتمع ومصلحته ولخدمة القيم الإسلامية.. فمن المهام الاجتماعية لعالم الدين تعزيز وحدة المجتمع وتقوية تماسكه وتضامنه ببث قيم وتعاليم الوحدة والتعاون ومكافحة أسباب التفرقة والتمزق، بالسعي لإصلاح ذات البين الذي هو «أفضل من عامة الصلاة والصيام»[٢].

وكان الإمام الصادق عليه السلام يكلّف تلامذته المتهلين من علومه بالمبادرة لعلاج قضايا الخلافات بين المؤمنين وإن استلزمه نفقات مالية كما عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي»[٣].

وعادة ما يفهم من إصلاح ذات البين الجوانب الفردية الشخصية، كالمصالحة بين الرجل وزوجته والأخ وأخيه والجار مع جاره والمتشاركين في عمل ما.. ولكن الأهم من ذلك هو الصلح والوئام بين الفئات والتجمعات التي قد تحدث بينها نزاعات بسبب

(١)الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري ج٧ ص٣٠٠/ الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٢)نهج البلاغة/ الكتاب ٤٧.

(٣)ميزان الحكمة ج٥ ص٣٦٣.

اختلاف فكري أو انتماء اجتماعي أو مصالح مادية أو مواقف سياسية.. وتعاني مجتمعاتنا كثيراً من مثل هذه الخلافات والنزاعات، والمطلوب من علماء الدين أن يكونوا دعاة الوحدة والتعاون ومطفئ نيران الفرقة والتمزق.

وكم هو مؤلم ومؤسف أن يمارس العالم نقيض الدور المطلوب منه فيعبئ الناس على بعضهم البعض ويشجع حالة الخلاف والانقسام؟! إنها صفة من صفات علماء السوء والعياذ بالله.

ومن المهام الاجتماعية لعالم الدين تشجيع تقدم المجتمع المسلم في مختلف المجالات فالتنمية الاقتصادية والرعاية الصحية والإبداع العلمي والنشاط الاجتماعي ليس بعيداً عن اهتمام عالم الدين، لأن الدين يريد لأبنائه وللبشرية جمعاء حياة سعيدة كريمة من خلال الاستفادة من ثروات الكون وخيراته، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[سورة الأنفال: الآية ٢٤] . وفي آية أخرى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة النحل: الآية ٩٧].

كما أن من وظائف العالم اجتماعياً: رعاية الفقراء والمحتاجين بتقسيم الحقوق الشرعية في أوساطهم وحض الأثرياء والمتمكنين على مساعدتهم، وقد كان الأئمة الطاهرون عليهم السلام يتصدون بشكل مباشر لقضاء حوائج المحتاجين وخدمة الفقراء والمساكين. فعن سعيد بن قيس الهمداني أنه رأى أمير المؤمنين علياً عليه السلام يوماً في شدة الحر، في فناء حائط، فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: ما خرجت إلاّ لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً[1].

وعن هشام بن سالم قال: كان أبو عبدالله الصادق عليه السلام إذا أعتم وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم، فحمله على عنقه، ثم ذهب إلى أهل الحاجة،

(١) العكبري البغدادي: الشيخ المفيد الإمام أبي عبدالله محمد بن محمد النعمان/ الإختصاص ص١٥٧/ الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

من أهل المدينة، فقسمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبدالله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه كان أبو عبدالله[١].

تلك كانت أهم معالم الدور القيادي لعلماء الدين في الأمة، وقد حفل تاريخنا الماضي والمعاصر بنماذج وقدوات رسالية من علماء الدين القياديين، الذين نذروا حياتهم وكرسوا وجودهم وبذلوا جهودهم لتحمل المسؤولية الخطيرة المناطة بهم في الدفاع عن الدين وخدمة الأمة.

وتأتي شخصية الفقيه المجاهد الشيخ حسين علي البدر القطيفي (١٢٧٨-١٣٣٤) في الطليعة من تلك النماذج والقدوات الرسالية لتاريخنا المعاصر.

فقد تجاوزت شخصيته حدود منطقته وبلده وامتد دوره وتأثيره القيادي الرسالي مختلف أقطار الأمة الإسلامية كالهند والعراق وليبيا إضافة إلى موطنه القطيف في الجزيرة العربية، ذلك أن الشخصية الإسلامية لا تخضع لمنطق التجزئة الذي فرضه الاستعمار والتخلف على بلاد المسلمين. والمسلم يعتبر نفسه مسؤولاً ومعنياً لكل ما يحدث في أي بلد إسلامي ولأي مجتمع مسلم فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، ومن أصبح ولم يهتم بأمور المسمين في أي مكان كانوا فليس بمسلم.

وما أحوجنا في هذا المقطع الزمني بالخصوص إلى تمثّل ودراسة حياة الشخصيات القيادية الرسالية من علماء الدين لنستلهم من مواقفهم ونضالاتهم الدروس والعبر التي تنفعنا في المعركة الشاملة ضد التخلف والتبعية وهيمنة المستكبرين والظالمين..

ومع أهمية الأدوار التي قام بها الفقيه البدر في مناطق عديدة وفي فترة حرجة من التاريخ الحديث إلاّ أن شخصيته تكاد تكون مغمورة مجهولة في أوساط العلماء المجاهدين والثوار الرساليين.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٨ حديث ٤٠.

ومن هنا تأتي قيمة الجهد الكبير الذي بذله الأخ فؤاد الأحمد مؤلف هذا الكتاب القيم لدراسة حياة وشخصية الفقيه البدر.

والمؤلف الكريم شابّ يتدفق إيماناً وحماساً في خدمة العقيدة والوطن، هجر بلاده وموطنه لينتهل من نمير العلم والمعرفة وليشارك في الدفاع عن قضايا الأمة، وبإخلاصه واجتهاده أحرز مرتبة فكرية وأدبية عالية ولطالما أتحف العديد من الصحف والمجلات الإسلامية بأبحاثه ومقالاته الثقافية والسياسية النافعة، وإنّ أملي لوطيد فيه وفي أمثاله من الشباب الرساليين، بأن يبعثوا النهضة العلمية والأدبية في بلادنا من جديد، وأن يسمعوا العالم صوت هذه المنطقة المجهولة المهملة التي تزخر بالكفاءات والطاقات، وتفخر بتاريخ علمي عريق غير أن الظروف السياسية الحاضرة تفرض على هذه المنطقة حصاراً إعلامياً وقمعياً فكرياً لا مثيل له في العالم المعاصر.

عسى الله أن يبدّل سوء حالنا بحسن حاله وأن يمنّ على شعبنا بالحرية والكرامة.

وشكراً للأخ المؤلف على جهوده الطيبة التي بذلها في إعداد هذا الكتاب القيّم، وننتظر منه المزيد من الإنتاج الفكري والأدبي، زاده الله توفيقاً ونشاطاً وكثّر في شباب مجتمعنا أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٧/ ١٠/ ١٤١٠هـ

الشيخ الصفار معقباً على مكاشفات العبيكان[1]

□ **انشغلت الأمة بخلافاتها المذهبية على حساب التنمية والتقدم العلمي والتكنولوجي.**

□ **هناك إجماع من علماء الشيعة على القول بصيانة القرآن عن الزيادة والنقصان**

كنت ولا أزال متفائلاً بأن الأمة الإسلامية في هذا العصر أقرب إلى تجاوز الصراعات المذهبية منها في أي عصر مضى.

فرغم فظاعة المشهد العراقي والمحاولات المستميتة لإيقاد نار الفتنة الطائفية، إلا أنها والحمد لله لم يتوفر لها حتى الآن غطاء ديني، ولا تبرير شرعي، من قبل أي من المرجعيات الإسلامية سنية وشيعية، بل إن ما حصل هو على العكس من ذلك حيث أكدت مختلف المرجعيات الدينية داخل العراق وخارجه رفضها و تحريمها للاحتراب الطائفي، والعدوان على المواقع الدينية من مساجد ومراقد شريفة.

وما يعزز التفاؤل أكثر هو بروز المزيد من الأصوات الواعية المخلصة التي تدعو

---

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية، ملحق الرسالة، بتاريخ ٢٤ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٢٤ مارس ٢٠٠٦م.

إلى الحوار والتقارب بين أبناء الأمة على اختلاف مذاهبهم من السنة والشيعة، وترفض منحى التكفير والتهريج وتبادل الاتهامات.

وخاصة حينما تنطلق هذه الأصوات من الوسط السلفي في المملكة العربية السعودية، هذا الوسط الذي كان يسوده التحفظ والحذر سابقا تجاه دعوات الحوار والتقارب المذهبي.

فقد نقلت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر يوم الجمعة ١٧ صفر ١٤٢٧هـ عن فضيلة الشيخ عبدالله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء في المملكة دعوته إلى حوار ديني يشمل إلى جانب المذاهب الأربعة الشيعة والصوفية، وعبّر عنهم بإخواننا من الفرق الإسلامية الأخرى، وأكد أنه لا يوجد ما يمنع اللقاء والحوار ولكن من يقوم بقرع الجرس؟ حسب قول فضيلته. مما يعني أن الأمر لديه قد تجاوز القبول والموافقة إلى استنهاض الهمم لتحقيقه.

وفي ذات اليوم الجمعة ١٧ صفر ١٤٢٧هـ طالعتنا جريدة المدينة بكلام واضح صريح لفضيلة الشيخ عبد المحسن العبيكان المستشار بوزارة العدل وعضو مجلس الشورى عن ضرورة الحوار والتقارب المذهبي، وخاصة على الصعيد الوطني، ضمن الحلقة الثانية من مكاشفاته الجريئة في ملحق الرسالة التي أجراها الأستاذ عبد العزيز قاسم، بل تحدث فضيلة الشيخ العبيكان عن مبادرة وخطوات عملية يقوم بها على هذا الصعيد.

كما لمست مثل هذا التوجه في لقاءات أخرى كاجتماعي مع فضيلة الدكتور الشيخ سلمان العودة أثناء اللقاء الأول والثاني للحوار الوطني، ولقائي مع فضيلة الشيخ الدكتور عايض القرني، وجاءت زيارة الدكتور الشيخ عوض القرني للقطيف (بتاريخ ٥ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٩ سبتمبر ٢٠٠٤م) واجتماعه في منزلي بعدد كبير من علماء وشخصيات الشيعة في القطيف والأحساء وما تخلله من كلمات ومداخلات لتؤكد هذه

الرغبة الصادقة، في تجاوز حالة القطيعة والصراع، إلى مرحلة التواصل والحوار.

وقد تفضّل فضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن الزنيدي بدعوتي إلى منزله في الرياض على هامش مهرجان الجنادرية لهذا العام حيث التقيت على مائدته الكريمة ببعض الأفاضل المهتمين بقضايا الأمة ومصلحة الوطن، ودار الحديث بيننا حول مسألة تلمّس المشتركات بين أبناء الأمة وهي كثيرة، والحوار حول نقاط الخلاف ليعرف كل طرف وجهة نظر الطرف الآخر وأدلته عليها.

والذي بدا لي من خلال هذه اللقاءات وأمثالها أن هناك ثلاث مسائل أساسية لا بدّ من معالجتها لتنطلق مسيرة الحوار والتقارب بالشكل الصحيح:

المسألة الأولى: التعارف المباشر والفهم المتبادل، فمن المؤسف جداً، أن تجد الاعتماد في أوساط بعض العلماء والدعاة على النقولات والشائعات لتكوين الصورة عن الطرف الآخر والحكم عليه من خلالها.

مع أن الموضوعية تقتضي البحث عن حقيقة رأي الطرف الآخر من مصادره المعتمدة ومرجعياته البارزة.

وفي أحيان كثيرة يلجأ البعض إلى الاستشهاد بما ورد في تراث هذا المذهب أو ذاك، علما بأن تراث مختلف المذاهب فيه الغث والسمين والمقبول والمرفوض، والمشهور والرأي الشاذ.

ولا يصح إلزام أتباع مذهب بما لم يلتزموا به ولم يقروا باعتماده في مذهبهم، أو لأن قلة منهم يرونه، بينما مشهور المذهب غير ذلك.

لقد واجهت كثيراً من التساؤلات في أوساط إخواننا أهل السنة عن بعض المرويات في مجاميع الأحاديث الشيعية، فكنت أوضح لهم أن الشيعة لا يقبلون كل ما ورد في هذه المجاميع ولا يلتزمون به، ولا يعتبرون هذه المجاميع صحاحاً، وأوثقها عندهم كتاب (الكافي) ومع ذلك فإن علماء الحديث من الشيعة صححوا منه (٥٠٧٢) خمسة آلاف

واثنين وسبعين حديثاً من أصل (١٦١٩٩) ستة عشر ألف ومائة وتسعة وتسعين حديثاً. وكتب العلامة المجلسي (توفي ١١١١هـ) شرحاً لأحاديث (الكافي) تحت عنوان (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول)، أشار فيه إلى مرتبة كل حديث من حيث الصحة والضعف، وهو مطبوع ومنشور.

كما أن بعض إخواننا أهل السنة يصرّون على إثارة القول بتحريف القرآن عند الشيعة، لوجود رأي شاذ بذلك بين علمائهم وفي مرويات أهل السنة مثل ذلك، مع إجماع علماء الشيعة على القول بصيانة القرآن عن الزيادة والنقصان، كما أعلنوا ذلك في تفاسيرهم القديمة كالتبيان للشيخ الطوسي (توفي ٤٦٠هـ) ومجمع البيان للطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) وتفاسيرهم الجديدة كالميزان في تفسير القرآن للطباطبائي (توفي ١٤٠٢هـ) والبيان في تفسير القرآن للخوئي (توفي ١٤١٣هـ). كما ألف بعض علمائهم كتباً مخصصة لإثبات عدم تحريف القرآن مثل كتاب (صيانة القرآن من التحريف) للشيخ محمد هادي معرفه، وكتاب (البرهان على عدم تحريف القرآن) للسيد مرتضى الرضوي، وكذلك الحال في بعض ما يثار من تساؤلات وإشكالات.

ومن أواخر الشواهد على ذلك مناقشتي مع فضيلة الدكتور الشيخ وهبة الزحيلي رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق الذي أحترم علمه وفضله وكتاباته القيمة، التقيته في البحرين على هامش مؤتمر الشيخ ميثم البحراني (بتاريخ ٢٨-٢٩/ ١١/ ٢٠٠٥م) وسألته عما ذكره في كتابه (الفقه الإسلامي وأدلته) من أنه (ذهب الظاهرية و الإمامية إلى أنه يجوز للرجل أن يتزوج تسعا، أخذا بظاهر الآية ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فالواو للجمع لا للتخيير، أي يكون الجموع تسعة) ولم يسند الرأي إلى مصدر (ج٧ ص ١٦٦ الطبعة الثالثة). وقلت له إنني راجعت تفاسير الشيعة فوجدتها تؤكد أن الواو للتخيير لا للجمع، وراجعت مصادر الفقه عند الشيعة فلم أجد فيها واحداً يقول بذلك، فعن أي مصدر أخذت هذا القول؟ فوعدني بالبحث والتصحيح.

ما أريد قوله هو الحاجة إلى تصحيح الفهم عن بعضنا بعضاً، والموضوعية في قراءة الآخر والتعرف المباشر إليه، فإن ذلك يختصر لنا طريق الحوار ويساعدنا على التقارب.

المسألة الثانية: الاستعداد لقبول الاختلاف في الرأي، فمقتضى تعدد المذاهب هو تعددية الآراء، وقد ألفت الأمة الاختلاف في الرأي منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وإلى يومنا هذا، ويكفي الاتفاق في أصول العقيدة وأركان الإسلام وفرائضه، أما التفاصيل العقدية والفروع الفقهية فميدان الاختلاف فيها واسع عند الأئمة والمجتهدين، لا يُخرج من الملة ولا يستوجب التكفير، ولا يبرر القطيعة والعدوان.

إن البعض يتحدث عن المذاهب الأخرى وكأنه يريد إلزامها بنهجه ومذهبه، وإلا فلا جدوى من اللقاء والحوار!! إن بعض علماء أهل السنة يقولون: «لا يمكن الاتحاد والتعاون بين المسلمين إلا على منهج أهل السنة والجماعة»، وبعض علماء الشيعة يقولون: «لا يمكن الاتحاد والتعاون إلا على منهج أهل البيت عليهم السلام»، والصحيح أنه يمكن الاتحاد والتعاون على الأصول والمشتركات الدينية التي يجمع عليها الطرفان، ومن أجل المصالح التي تهمهما، مع احتفاظ كل طرف بقناعاته ومتبنياته، وكما قيل: نتعاون في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

إن عهود الخلاف والفرقة ومعارك النزاع والصراع كانت من وحي عقلية الوصاية على الآخرين، ومحاولة فرض الرأي عليهم، وقد رأينا نتائج ذلك في الواقع السيئ الذي تعيشه الأمة، وفي عدم قدرة أي طرف على إلغاء الآخر، فأهل السنة موجودون، والشيعة موجودون، و الإباضية موجودون، ولم يستطع أي طرف أن يلغي الآخر، فلنتعامل مع الواقع القائم، ولنركز على الأصول والمصالح المشتركة، ولنتجه لبناء أوطاننا ومجتمعاتنا، فقد انشغلنا بخلافاتنا المذهبية كثيراً، على حساب التنمية والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي سبقتنا إليه أمم الأرض وشعوب الدنيا بمسافات كبيرة، وأصبحنا أمة مستضعفة، تعاني من الاستبداد والتخلف الداخلي، وتنتهك حرماتها القوى الخارجية، حيث

تعربد الغطرسة الصهيونية في فلسطين، والاحتلال الأمريكي في العراق وأفغانستان، والتهديدات الموجهة إلى مختلف البلدان الإسلامية بمختلف العناوين والمبررات، ووصل الحال إلى الاستهزاء بنبينا الأكرم محمد ﷺ والإساءة إلى مقامه العظيم بالرسومات المخزية التي نشرتها الصحف الدنماركية والنرويجية وغيرها.

فهل يقبل منا الشرع أو العقل أن نبقى منشغلين بخلافات أكل عليها الدهر وشرب، وأن نعطي الفرصة للأعداء ليشقوا صفوفنا من خلال هذه الخلافات، وليغزوا أوطاننا بشعار حماية هذه الأقلية المذهبية أو تلك، أو بمبرر الدفاع عن الحريات الدينية وحقوق الإنسان؟

المسألة الثالثة: مدى الجرأة في إعلان الرأي واتخاذ الموقف، فكثير من علماء السنة والشيعة يدركون ضرورة التجاوز لواقع الخلاف المذهبي، لكن الأجواء المحيطة بهم من جمهور الأتباع الذين تربوا على أساس المفاضلة مع الآخر، والتعبئة ضده والتحريض على كراهيته، تجعل المبادرة للتواصل مع الآخر وإعلان الرأي الايجابي تجاهه أمرا بالغ الصعوبة على بعض العلماء.

كما أن الساحة الدينية للشيعة والسنة لا تخلو من حالات المنافسة الداخلية بين الاتجاهات والشخصيات الدينية، ويخشى العلماء الراغبون في الانفتاح على الآخر، استغلال منافسيهم للأمر في ساحتهم الداخلية، للتشكيك في صلابتهم المذهبية، وقد التقيت شخصياً مع بعض العلماء من السنة والشيعة ووجدت لديهم رؤية طيبة في هذا الاتجاه، لكنهم كانوا يعتذرون عن إعلان رأيهم أو إظهار علاقتهم وتواصلهم مع علماء من المذهب الآخر، مراعاة لمشاعر جمهورهم، وخوفا من استغلال منافسيهم. ومع تفهمي لظروفهم لأني مررت بنفس المعاناة ولازلت أعيشها، لكني أعتقد بضرورة أن يتحلى العالم بقوة الشخصية والجرأة في إعلان ما يخدم مصلحة الدين والوطن. وعليه أن يرتقي بمستوى جمهوره لا أن يسفّ معهم، فهو الذي يقود الجمهور لا أن ينقاد إليه.

ومما يشجع على المبادرة والجرأة في موضوع الوحدة والتقارب أن الأجواء العامة في الأمة تصب في خدمتها وتدفع باتجاهها، والمعارضون لذلك تتقلص مساحتهم يوماً بعد آخر. وخاصة بعد أن تبنى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز حفظه الله قضية الحوار الوطني، وأعطاها الكثير من دعمه ورعايته. وبعد أن أصدرت قمة مكة الاستثنائية بيانها في العام المنصرم الذي أكد الاعتراف بكل مذاهب الأمة القائمة من السنة والشيعة وغيرها.

إنني أكرر شعوري بالتفاؤل، ويحدوني الأمل لتحقيق ما تطلع إليه المخلصون من علماء الأمة وأبنائها على مر العصور من الوحدة والتقارب، وأشكر لفضيلة الشيخ عبدالمحسن العبيكان إقدامه وجرأته على إعلان الموضوع وطرحه، كما أشكر للأخ الكريم الأستاذ اللامع عبد العزيز قاسم توظيفه لدوره الصحفي الثقافي في خدمة قضايا الأمة والوطن، كما لا أنسى تقديم وافر الشكر والامتنان لصاحب السمو الملكي الأمير تركي بن طلال بن عبدالعزيز على مبادرته الكريمة واهتمامه بهذا الشأن الوطني الإسلامي الخطير جزاه الله خير الجزاء وجعله في ميزان أعماله وحسناته.

الإمام شرف الدين وثقافة التسامح [1]

بعد خمسين عاماً من رحيل الإمام شرف الدين، لا زالت شخصيته حاضرة في وعي الأمة ووجدان أبنائها المخلصين، ولا زالت آراؤه ومواقفه مصدر إلهام ودافع انطلاق في ساحة الإصلاح الديني، والتغيير الاجتماعي.

ذلك لأن شخصيته العظيمة ارتبطت في تاريخ الأمة المعاصر برسالة مهمَّة، وقضية خطيرة، لا زالت تفرض نفسها على الواقع الديني والسياسي للأمة، هي قضية العلاقة بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، وخاصة بين السنة والشيعة.

هذه العلاقة المرتبكة المضطربة في أكثر فصول التاريخ، ولا زالت حتى اللحظة

---

(١) بحث قدمه سماحة الشيخ حسن الصفار ضمن المحور الثاني الذي كان تحت عنوان (الحوار كمنهج للتعامل مع الاختلاف) في المؤتمر العالمي لتكريم الإمام شرف الدين المنعقد في بيروت خلال الفترة ١٧-١٩ مايو ٢٠٠٦م.

الراهنة مصدر بلاء وشقاء للأمة، بما تفرزه من حالات خصام واحتراب، تستنزف الجهود والطاقات، وتمزق وحدة المجتمعات والأوطان، وتعطي الفرصة للنفوذ الأجنبي.

لقد أدرك الإمام شرف الدين خطورة هذه القضية، ورأى قلة المبادرين للاهتمام بها من علماء الأمة، فتصدى لتحمل المسؤولية، وأمسك بهذا الملف الشائك، مستنفراً كل قدراته العلمية والأدبية، موظفاً مكانته الاجتماعية المرموقة، مسخراً حركته ونشاطه العملي، من أجل نزع فتيل النزاع والصراع المذهبي، وتصحيح مسار العلاقة بين طوائف الأمة.

يقول ﵀ في مقدمة كتابه (الفصول المهمة في تأليف الأمة) : (لا تتسق أمور العمران، ولا تستتب أسباب الارتقاء، ولا تنبت روح المدنية، ولا تبزغ شموس الدعة من أبراج السعادة، ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية بيد الحرية، إلا باتفاق الكلمة، واجتماع الأفئدة، وترادف القلوب، واتحاد العزائم، والاجتماع على النهضة بنواميس الأمة، ورفع كيان الملة... أما إذا كانت الأمة أوزاعاً متباينة، وشيعاً متباغضة، لاهية بعبثها، غافلة عن رقيها، لتكونن حيث منابت الشيح، ومهافي الريح، أذل الأمم داراً، وأجدبها قراراً... فحذارِ حذارِ من بقاء الفرقة، وتشتت الألفة، واختلاف الكلمة، وتنافر الأفئدة) انتهى كلامه ﵀.

وإذا كان النزاع والاحتراب الداخلي بين أبناء الأمة سيئاً ومقيتاً تحت أي عنوان حصل، فإن الأشد سوءاً ومقتاً ما كان منه بعنوان ديني، ومن منطلق خلاف مذهبي.

ذلك أن الدافع الديني يشكل قوة هائلة في أعماق نفس الإنسان المسلم، فإذا وظفت هذه القوة في اتجاه الخصام والنزاع الداخلي، فإنها تنتج أسوأ الصراعات، وأفظع حالات العنف والتدمير.

كما أن الاحتراب بين أهل الدين باسم الدين، وممارسة العنف المتبادل تحت ظل شعاراته ورياته، يقدم صورة شوهاء عن الدين أمام الرأي العام العالمي، ويُحدث ردة

فعل خطيرة في أوساط أبناء الأمة وأجيالها الصاعدة.

وقد شهدت الساحة الإسلامية في السنوات الأخيرة تصعيداً خطيراً على مستوى العنف الطائفي، في أكثر من بلد إسلامي كباكستان وأفغانستان والعراق.

إن هذا التصعيد الطائفي الخطير، الذي يهدد الأمن والاستقرار في المنطقة كلها، وينذر بتمزيق أوصال الأمة من جديد، لم يحدث من فراغ، ولم يحصل فجأة دون مقدمات، بل انبثق من أرضية خطاب مذهبي متطرف، واستند إلى ثقافة طائفية تحريضية شارك في صناعتها مختلف الأطراف، بنسب متفاوتة.

لقد أعادت سنوات الحرب العراقية الإيرانية إنتاج ثقافة التحريض على الكراهية بين السنة والشيعة، بعد أن كادت الأمة أن تتجاوز هذه العصبية البغيضة، بفعل جهود العلماء المصلحين من دعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان للإمام شرف الدين موقع الصدارة من هذه الجهود، وبفضل عامل آخر هو انشغال العالم الإسلامي بمواجهة الاحتلال والعدوان الإسرائيلي.

في سنوات الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨م) تبلور خطاب التطرف المذهبي، وضخّت في ساحة الأمة ثقافة طائفية مرعبة، حيث كان طلاب الجامعات الإسلامية في بعض دول المنطقة يتبارون في كتابة البحوث ذات الإثارة الطائفية، ليكسبوا بها ودّ أساتذتهم وعمادات كلياتهم، والجهات السياسية من ورائهم، ولينالوا عبرها الدرجات العلمية بيسر وسهولة.

وطبعت آلاف الكتب، وملايين التسجيلات الصوتية، وصدرت مختلف الفتاوى، واستخدمت بعض منابر الجمعة ووسائل الإعلام، في مجال التعبئة والتحريض الطائفي، وكان بعض أئمة الجمعة يدعو في ختام خطبته بالهلاك على أبناء الطائفة الإسلامية الأخرى إلى جانب دعائه على الكفار والمشركين.

لكن احتلال صدام للكويت، وتهديده لدول المنطقة، وما أعقب ذلك من تحرير

الكويت بقيادة قوات التحالف، قلب الأوضاع والمعادلات رأساً على عقب، وترتب على ذلك تجميد مفاعيل الشحن الطائفي، دون إلغائها والتخلص منها، فقد تحسنت العلاقات بين دول المنطقة والجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهدأت أصوات المعارضة الشيعية في أكثر من بلد خليجي على إثر حوارات وانفراجات بينها وبين الأنظمة الحاكمة.

وانحسر خطاب التحريض الطائفي إلى حد كبير، عدا بعض الإثارات الجانبية والأصوات الشاذة من أوساط متشددة في هذا الطرف أو ذاك. وانتعشت آمال المصلحين ودعاة التقريب بين المذاهب الإسلامية، لدفع ساحة الأمة نحو الوحدة والوئام، ومواجهة تحديات التنمية والعولمة، وتجاوز الانشغال بالخلافات المذهبية التي أكل عليها الدهر وشرب.

حتى جاء الاحتلال الأمريكي للعراق ضمن مشروع الهيمنة على المنطقة، وإعادة تشكيل الأوضاع السياسية فيها، وتفجرت آثار السياسة الطائفية القمعية للنظام العراقي الزائل، فانزلقت الساحة العراقية نحو صراع واقتتال طائفي، فتح الباب من جديد أمام خطاب التحريض والتعبئة الطائفية في المنطقة كلها.

ويبدو أن الأمر حاليًّا أكثر خطورة من الماضي، حيث تتكئ مختلف الأطراف على تجربة سابقة في إدارة الصراع، وتمتلك مخزوناً من ثقافة التعبئة والتحريض، وموازين القوة طرأ عليها شيء من التعديل والتغيير يمنح كل جهة قدرة أكبر على المواجهة والصمود، والأخطر من كل ذلك دخول عنصر العنف والإرهاب في معادلة الصراع الطائفي، ووجود إرادات سياسية دولية وإقليمية لاستثماره في خدمة أغراضها وتوجهاتها.

وهنا يأتي دور الخطاب الديني في الدائرة المذهبية، فهو الذي يمكن أن يلعب دور الصاعق في تفجير الصراع الطائفي، حين يأخذ منحى التعبئة والتحريض، كما يستطيع أن يقوم بدور صمام الأمان ودرع الوقاية حين يبشّر بقيم الوحدة والتسامح، ويذكر الأمة بقضاياها الكبرى.

وهذا هو المفصل الحساس الذي أمسك به الإمام شرف الدين، حيث وجه الأنظار إلى أهمية ترشيد الخطاب المذهبي، وتخليصه من شوائب العصبية والانفعالية، ليرتقي بوعي الجمهور إلى أفق الانفتاح، والقبول بالتعددية المذهبية، والقراءة الموضوعية للآخر، واحترام حرية الرأي، والالتزام بحقوق الإنسان وحقوق الأخوة الإسلامية.

إن الجهات المنتجة للخطاب الديني من فقهاء وعلماء وخطباء ضمن مختلف المذاهب، هي التي تتحمل بشكل رئيس مسؤولية واقع العلاقات المذهبية بين أبناء الأمة. باعتبارها مصدر الفتوى والتوجيه للجمهور.

صحيح أن هناك عاملاً سياسيًّا من الداخل والخارج يفرض تأثيره، لكن توظيف هذا العامل السياسي للحسّ المذهبي، رهن بمدى استجابة الخطاب الديني ونوعية اهتماماته وتوجهاته.

ويمكننا أن نرصد ثلاثة اتجاهات لمواقف الجهات الدينية من إشكال العلاقات المذهبية:

الاتجاه الأول: يتبنى موقف التشدد والتعبئة ضد الآخر المذهبي، حيث يرى نفسه مالكاً ناصية الحق والحقيقة، وأن الآخر خالٍ منها وبعيد عنها، وأنه مكلف شرعاً بمواجهة الآخرين الحائدين عن الدين، المبتدعين فيه.

إن بعض هؤلاء المتشددين ينطلقون من فهم خاطئ لبعض النصوص والمفاهيم الدينية، ومن قراءة تعسفية للآخر المخالف.

وبعضهم ينطلق من موقع ردة الفعل لما يعتبره اعتداءً وإساءة من الآخر تجاه رموزه أو مصالح طائفته.

وقد يتحرك البعض في اتجاه التشدد المذهبي بغرض كسب الجمهور حيث يأخذ دور الدفاع عن العقيدة والمذهب، وحماية مصالح الطائفة.

ويتمظهر التشدد الطائفي عند السنة والشيعة في خطاب التعبئة ضد الآخر المذهبي،

وتفنيد مقولاته وآرائه بأسلوب الإثارة والتهريج، وإلصاق مختلف التهم به، والنيل من رموزه ومقدساته.

وفي التركيز على مواقع الخلاف معه عقدياً وفقهياً وثقافياً، وتضخيم جزيئات ذلك الاختلاف على حساب كليات الاتفاق والأصول المشتركة، حتى ليصبح المستحب الخاص مذهبياً أكثر أهمية من الواجب المتفق عليه إسلامياً.

وينشغل هؤلاء المتشددون بقضايا الخلاف المذهبي، ويشغلون الساحة معهم، على حساب قضايا الأمة المصيرية، والتحديات الكبيرة التي تواجهها، ويصبح الأعداء المذهبيون في نظرهم أخطر من أعداء الدين والأمة.

وقد تصدى الإمام شرف الدين لمواجهة تيار التشدد والتعصب المذهبي، فألف كتابه القيم (الفصول المهمة في تأليف الأمة) ورسالته في (أجوبة موسى جار الله) هذان الكتابان اللذان اعتبرهما الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين ﷺ نموذجاً رياديًّا لما أطلق عليه (فقه الوفاق) يقول شمس الدين:

(كرّس الإمام شرف الدين قسطاً كبيراً من جهده العلمي لتأصيل هذا الفرع الفقهي الهام في الفقه السياسي الإسلامي، وهو ما سميناه فقه الوفاق.

إن هدف فقه الوفاق ليس إثبات صحة الموقف الكلامي لهذه المدرسة الكلامية التي ينتمي إليها مذهب الفقيه، وليس المقارنة بين موقف هذه المدرسة من مسألة كذا ومقارنته بموقف المدارس الأخرى، والوقوف عند المقارنة، أو تعديه إلى التصحيح والإبطال.

بل هدف فقه الوفاق هو إثبات عدم الملازمة بين الاختلاف في المسائل الكلامية ذات العلاقة بالأصول، وبين التكفير والقطيعة السياسية، وتجزئة الأمة الواحدة إلى شيع مختلفة.

لقد كشف الإمام شرف الدين عن أن هذه الخلافات في الإمامة والخلافة، وحول الصحابة وسنة الصحابي، وغير ذلك مما يتصل بالأصول، وكذلك الخلاف في الفروع

الفقهية، لا تخرج المسلم المخالف عن كونه مسلماً يجب أن يكون كامل الحرمة، وكامل الإسلام عند المسلم الآخر، انطلاقاً من أصول عقدية كبرى في الكتاب والسنة، وإجماع الأمة المسلمة.

لقد كان وعي الإمام شرف الدين لهذه القضية من جانبها العلمي الديني، ومن جانبها السياسي العملي، هو الحافز له على أن يبحث في (فقه الوفاق) الذي يكشف عن أن مسلمات الإسلام تلحظ التنوع في داخل الوحدة، ولا تعتبر التنوعات انشقاقاً وتفرقاً، بل تعتبر الانشقاق والتفرق جريمة في حق الأمة، وجريمة في حق الدين).

وفي جميع بحوثه المعنية بهذا الموضوع يؤكد الإمام شرف الدين على ضرورة القراءة الموضوعية للآخر، لمعرفة وجهة نظره على حقيقتها، ولفهم أدلته وبراهينه عليها، مما يقطع الطريق على الشائعات والاتهامات والنقولات المغرضة، ويعيد الاختلاف إلى إطاره العلمي.

يقول ﵀ في مقدمة (المراجعات):

(ولو أن كلاًّ من الطائفتين نظرت في بينات الأخرى نظر المتفاهم لا نظر الساخط المخاصم، لحصحص الحق، وظهر الصبح لذي عينين).

وقد وجه رسالة (إلى المجمع العلمي العربي بدمشق) طبعت في كتاب مستقل، عتاباً على مجلة المجمع التي تحدثت على الشيعة وبعض آرائهم، بطريقة استفزازية تشويهية، مطالباً لهم بالرجوع إلى مصادر الشيعة وعلمائهم عند الحديث عن آرائهم العقدية والفقهية، وليس الاعتماد على مصادر الخصوم ونقولات المستشرقين.

الاتجاه الثاني: يأخذ موقف الحياد تجاه الصراعات المذهبية ومراقبة ما يجري، إما لعدم امتلاكه رؤية معينة، أو لعدم ارتباطه بجهة معنية، أو لخشيته على نفسه ومصالحة من مضاعفات الاقتراب من هذه القضايا.

موقف الحياد هذا يعني الهروب من تحمل المسؤولية وتجاهل الأخطار التي تحيط

بالإسلام والأمة. كما أن هذا الموقف يصب أخيراً في مصلحة خط التشدد الطائفي بما ينطوي عليه من إقرار ضمني.

الاتجاه الثالث: هو الدعوة إلى الانفتاح والحوار بين المذاهب الإسلامية، والتبشير بقيم الوحدة والتعاون في خدمة الإسلام والأمة، ومواجهة الأخطار المحدقة.

ويحتل الإمام شرف الدين دوراً ريادياً في طليعة هذا الاتجاه، بما أنجز من دراسات وبحوث تأصيلية، تؤكد العمق العلمي الشرعي لهذا المسار، وتتجاوز به إطار الشعار والاستجابة لدواعي الظروف السياسية.

إن علماء آخرين قد بذلوا جهوداً كبيرة على صعيد التقريب بين المذاهب الإسلامية، لكن الجهد التنظيري التأصيلي الذي قام به الإمام شرف الدين، يعتبر جهداً مميزاً.

لقد استخدم أدوات الاجتهاد الفقهي ببراعة فائقة ليقرر الرؤية الدينية و الحكم الشرعي، للقبول بواقع التعددية المذهبية، وأن واجب الوحدة ولم شعث المسلمين، لا يعني قسر أي طرف على التخلي عن قناعاته التي قاده الدليل إليها، (فذلك تكليف بغير المقدور) على حد تعبيره، إن فتح باب الاجتهاد ومشروعية النظر في الأدلة والبراهين، يعني الالتزام بنتائجه، وكما قال ﷺ في المراجعة الرابعة من مراجعاته: (لم شعث المسلمين ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم، ولا على عدول السنة عن مذهبهم).

إن تعدد المذاهب من سنة وشيعة واقع قائم يضرب بجذوره في أعماق التاريخ الإسلامي، والمراهنة على الإلغاء والتجاهل مراهنة فاشلة، تقود إلى تجاوز الحدود الشرعية، وانتهاك الحقوق والحرمات، وتبقى الأمة أسيرة لحال الصراع والنزاع، والطريق الصحيح هو الاعتراف والاحترام المتبادل.

يقول ﷺ في المراجعة الرابعة: (نعم يلم الشعث وينتظم عقد الاجتماع بتحريركم مذهب أهل البيت، واعتباركم إياه كأحد مذاهبكم، حتى يكون نظر كل من الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية إلى شيعة آل محمد ﷺ كنظر بعضهم إلى بعض، وبهذا يجتمع

شمل المسلمين، وينتظم عقد اجتماعهم).

كما قدم الإمام شرف الدين نموذجاً رائعاً للحوار المذهبي من خلال مراجعاته حول أساس موضوع الخلاف بين السنة والشيعة وهو موضوع الإمامة، حيث عرض الموقف الشيعي بدقة ووضوح، وقدم الأدلة والبراهين عليه من النصوص الشرعية الثابتة السند، مع التزام أدب الحوار، واحترام الطرف الآخر، بالتماس الأعذار له، وعدم التشكيك في نيّاته، يقول ﵀: (إن تعبدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة، لم يكن لتحزب أو تعصب، ولا للريب في اجتهاد أئمة تلك المذاهب، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً. لكن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمة من أهل بيت النبوة... ولو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من آل محمد، أو تمكنا من تحصيل نية القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم، لقصصنا أثر الجمهور، وقفونا إثرهم، تأكيداً لعقد الولاء، وتوثيقاً لعرى الإخاء).

ومع تمسكه بثبوت النص على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇، بعد رسول الله ﷺ، وعرضه للعشرات من الأحاديث النبوية التي أثبت صحة إسنادها عند السنة والشيعة، كما أثبت دلالتها على ذلك، إلا أنه يرفض الإساءة إلى الخلفاء الثلاثة الذين تبوأوا موقع الخلافة بعد رسول الله ﷺ، بل يلتمس لهم التبرير والعذر، بأنهم كانوا يرون أن موضوع السلطة والحكم ليس شأناً دينياً يُتعبد فيه بقول رسول الله ﷺ، وإنما هو شأن دنيوي تدبيري، يصح لهم أن يجتهدوا فيه برأيهم وأن يختاروا ما يجدون فيه حفظاً للمصلحة العامة، كما ذكر ذلك بالشواهد المفصلة في المراجعة رقم ٨٤ و ٨٥.

بل إنه، وبموضوعية مثالية وأخلاقيه رائعة، يلتمس العذر حتى للمسيئين لأهل مذهبه، باعتبارهم ضحايا التباس نقولات السابقين، يقول في الفصول المهمة: (وهناك أفاضل نحملهم على الصحة في سوء ظنهم بالشيعي، ونبزهم إياه بالرفض تارة، ونسبتهم الأباطيل إليه، حيث أنسوا بناحية من تقدمهم ممن رأوه ينبز الشيعة ويلمزهم فنحوا نحوه،

وتلوا في ذلك تلوه، إخلاداً إليه بثقتهم، واعتماداً عليه في كل ما يقول) [١] .

ويؤكد الإمام شرف الدين على جامعية الإسلام لكل أبنائه على اختلاف مذاهبهم العقدية والفقهية، رافضاً تكفير أحد من أهل القبلة، ممن نطق بالشهادتين وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وأقر بفرائض الإسلام وأركانه، مؤصلاً ذلك بالنصوص الواضحة من الكتاب والسنة وآراء فقهاء الأمة.

وأن من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) محترم دمه وماله وعرضه، مسجلاً لطائفة من الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين، ليعلم حكمها بالجنة على كل من الشيعة والسنة، مفرداً فصلاً مستقلاً لتقرير رأي الشيعة (في الحكم بإسلام أهل السنة وأنهم كالشيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين) مستشهداً لذلك بالنصوص الثابتة في مصادر الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إن بحوث الإمام شرف الدين وآراءه القيمة تمثل مدرسة رائدة في ثقافة التسامح، وإرساء العلاقة الإيجابية بين أتباع المذاهب الإسلامية.

هذه الثقافة التي تشتد حاجتنا إليها خاصة في هذا الزمن الصعب، الذي تعالت فيه أصوات المتعصبين وأصبحت ساحة الأمة مسرحاً لقوى التطرف والإرهاب.

---

(١)الموسوي: عبدالحسين شرف الدين/ الفصول المهمة/ ص ١٦٤/ الطبعة الخامسة/ دار النعمان ـ النجف.

الاحتفاء بالسيدة زينب في كنيسة محردة [1]

تقديم للعدد السابع من مجلة النجمة المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحابته الطيبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

أولياء الله تعالى من الأنبياء والأوصياء والأصفياء عاشوا في محبة الناس، وكرّسوا حياتهم من أجل خدمة البشر وسعادتهم، وكانوا منفتحين على كل الناس، ومحبين لهم، حتى من كان يسيء إليهم يقابلون إساءته بالإحسان، وفق تربية الله تعالى لهم، حيث يقول جل شأنه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: الآية ٣٤].

وما كان في قلوب الأولياء موقع للحقد أو الحسد أو الكراهية لأحد من البشر،

---

(١) تقديم للإصدار السابع (٥جمادى الأولى ١٤٢٧هـ) من مجلة النجمة المحمدية التي تصدر سنوياً بمناسبة ذكرى ميلاد السيدة زينب ﷺ، دمشق ـ سوريا، يرأس تحرير المجلة: الدكتور عصام عباس.

وحتى الفاسدون المنحرفون، كانت الكراهية لأعمالهم السيئة، لا لذواتهم التي كان يتمنى الأولياء لها النجاة والصلاح.

كان الأولياء ينظرون إلى مخالفي الهدي الإلهي، على أنهم في الغالب غافلون عن إدراك الحقائق، جاهلون بمواقع المصلحة والخير.

كما يخاطب نبي الله هود عليه السلام قومه: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٢٣].

وحين اشتد الأذى من قبل المخالفين على رسول الله ﷺ فإنه رفع بصره ويديه بالدعاء لهم من الله تعالى مردداً: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون».

ورؤي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي على بعض قتلى المعسكر المناوئ له في معركة الجمل، كما نقل عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه بكى يوم عاشوراء، فلما سئل عن سبب بكائه؟ أجاب: إنه يبكي شفقة على أعدائه الذين سيدخلون النار بسبب إقدامهم على جريمة قتله ظلماً وعدواناً.

وإذا كان هذا هو موقف الأولياء من المخالف المسيء فكيف بموقفهم مع المختلف رأياً وتوجّهاً؟

إن سيرة الأولياء تشير إلى إتساع صدورهم، ورحابة أفق تفكيرهم، تجاه من يخالفهم في المعتقد والرأي، رغم يقينهم بما يحملونه من الحق، وقطعهم بضلال الطرف الآخر.

لكنهم يتعاملون مع الناس على أساس الاعتراف لهم بحرية الرأي والفكر، واحترام حقوق الإنسان، والتزام العدل والإحسان.

فقد خاطب رسول الله ﷺ عبدة الأصنام في مكة قائلاً: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية ٦].

وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يستقبلون في مجالسهم ومدارس علومهم كل راغب في العلم والمعرفة، وإن كان له رأي وتوجه آخر، فمن تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام أئمة

لمذاهب أخرى.

إذا كان الأنبياء والأئمة والأولياء ﷺ في حياتهم وسيرتهم هكذا، فكيف أصبحت أسماؤهم الآن عبر أدعياء الانتماء لهم عناوين للانقسام، ومبرراً للاحتراب والنزاع؟

وكيف أصبحت المناسبات الدينية والذكريات التاريخية المرتبطة بالأولياء سبباً للإثارات والمشاكل؟

إنه لمؤلم جداً أن تصبح ذكريات الأولياء وكأنها بؤر للتشنج والتوتر، ومحطات للتعبئة ضد الآخر، ونشر ثقافة الكراهية والبغضاء، بدل أن تكون هذه الذكريات مناسبة للتأكيد على قيم المحبة والعدل والإحسان، لكل بني البشر،وفقاً لنهج أولياء الله، وطبيعة الأفكار التي كانوا يبشرون بها ويدعون إليها.

وجزى الله الدكتور عصام عباس خير الجزاء، لاجتهاده وسعيه لتقديم النموذج الرائع لهذا التوجه النبيل، حيث وفقه الله تعالى لإقامة مهرجان سنوي، احتفاءً بذكرى المرأة العظيمة، النجمة المحمدية، واللبوة العلوية، والثمرة الفاطمية، شريكة الحسين في نهضته المقدسة، السيدة زينب بنت علي ﷺ.

هذا المهرجان أعتبره نموذجاً رساليّاً رائعاً لما ينبغي أن تكون عليه برامج الاحتفاء بشخصيات الأئمة والأولياء.

حيث يحتضن المهرجان شرائح من مختلف الأديان والمذاهب والتيارات والتوجهات، في ظل عنوان إنساني، وضمن أجواء قيمية، تستلهم من سيرة السيدة زينب وشخصيتها العظيمة، مواقف الكرامة والعزة والصمود، وتغترف من نميرها المبارك رشفات المعرفة والإخلاص.

وجاء الاحتفاء هذا العام ٢٠٠٦م بميلاد السيدة زينب ﷺ في كنيسة محردة في بلدة حماة العريقة، ليؤكد نجاح هذا المسعى، وصحة هذا التوجه، في الارتقاء بذكريات الأولياء إلى الأفق المفتوح الذي كانوا يعيشونه، وتوظيفها لصالح الأهداف السامية التي

كانوا يحملونها في خدمة الإنسانية جمعاء.

وقد تابعت عن بعد (حيث حرمت توفيق الحضور المباشر) خطاب قداسة القسيس معن بيطار، رئيس السنودس الإنجيلي الوطني في سوريا ولبنان، الذي ألقاه في هذا المهرجان المبارك في كنيسة محردة، فأسرني برقته وصفائه، وشدّني بموضوعيته ودقة ملاحظاته، فحديثه في المقاربة بين السيدتين العظيمتين مريم العذراء في موقفها عند صلب السيد المسيح عليه السلام وفق ما يراه المسيحيون، وزينب الحوراء في موقفها بعد استشهاد أخيها أبي عبدالله الحسين، كان حديثاً رائعاً جداً، كذلك فإن دعوته لتوجيه الجهود المسيحية باتجاه التقارب مع الإسلام، تعبر عن وعي عميق بما يجري من أحداث عالمية تستهدف افتعال الصراع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي المسيحي، لخدمة الأطماع الصهيونية، ولهيمنة قوى الاستكبار على منطقة الشرق الأوسط.

شكر الله لأخي الدكتور عصام سعيه المبارك وهنيئاً له هذا التوفيق العظيم، وجعله الله قدوة للموالين الصادقين، حتى يأخذوا نهج الإحياء الرسالي لذكريات الأولياء.

وإلى المزيد من التطوير والتقدم في برامج المهرجان الولائي السنوي بميلاد المرأة العظيمة السيدة زينب عليها السلام. وكل عام وأنتم بألف ألف خير.

والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

٤ رمضان١٤٢٧هـ

٢٧/ ٩/ ٢٠٠٦م

تقديم لكتاب الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الالتزام بالمبادئ والقيم، والتمسك بمكارم الأخلاق، طموح كل إنسان سويّ، انطلاقاً من صفاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن نداء الضمير والوجدان.

لكن طبيعة الحياة البشرية، وحيث تنطوي نفس الإنسان أيضاً على نوازع الهوى والشهوة، وتستقبلها في عالم المادة المغريات والعوائق، تجعل تحقيق طموح الالتزام بالمبادئ والقيم مهمة صعبة شاقة، لاينجزها إلا نسبة قليلة وعدد محدود من أبناء البشر في تاريخ الزمن.

ومن نعم الله تعالى العظيمة على الإنسان أن اصطفى نخبة من عباده، منحهم

(١) الراضي: الشيخ حسن علي/ الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ دار ضحى ـ دمشق.

التوفيق لتجسيد مبادئ الحق في حياتهم، والتحلي بأرفع درجات الأخلاق في سلوكهم، ليكونوا قدوة وأسوة لأبناء الإنسانية، يدعونهم إلى الخير، ويحفزونهم للسير في طريق الصلاح، ويقدمون لهم التجارب الناجحة، والصور الجاذبة، التي ترفع معنويات الطامحين إلى الرقي والسمو، وتعينهم على مواجهة التحديات من إغراءات وعقبات.

أولئك هم الأنبياء والرسل العظام والأوصياء والأئمة الكرام، الذين اختارهم الله واجتباهم لحمل رسالته إلى عباده، ليبلغوها عن طريق الدعوة والإرشاد، وعبر نموذج التطبيق والالتزام العملي بكل مبادئ الرسالة وتفاصيل أحكامها في مختلف أبعاد الحياة.

ولا شك أن وجود القدوة الصالحة هو خير محفز ودافع لسلوك طريق الهدى والصلاح، فالنماذج الصالحة تثير الشوق والانبعاث في النفوس نحو آفاق الفضيلة والمجد، وتشجّع على تجاوز العقبات والصعوبات، وتحدي الأهواء والشهوات.

لكن ذلك مرهون بتعرف الإنسان إلى تلك القدوات الرائدة، وتواصله مع شخصياتها وسيرتها الهادية، وحضور تلك النماذج الرسالية على صفحات قلبه، وأمام مرآة عقله، ليتزود منها بوقود العزيمة، وقوة الإرادة، وليستلهم من هديها ومواقفها روح الصدق والإخلاص والالتزام.

ولعل من أهداف الأمر الإلهي للمؤمنين بأن يواظبوا على الصلاة على النبي وآله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ هو استمرار حضور هذه النماذج المشرقة النبي وآله الطاهرين في قلب الإنسان وعقله، وأمام وعيه وبصيرته، من أجل تحقيق هدف الالتزام بالقيم التي جسدوها في حياتهم، والتحلي بمكارم الأخلاق التي مارسوها في سيرتهم ومواقفهم.

ولذلك وردّ الحث والتشويق في الإكثار من الصلاة على رسول الله وآله الطاهرين، ليقترب الإنسان من نهجهم، وليتواصل نفسيًّا وفكريًّا مع هديهم ومسلكهم، فيكون مهيئاً للتقدم على درب الخير والصلاح، محصناً من الانزلاق في مهاوي الضلال والفساد.

من هنا، يشير عدد من الأحاديث الواردة في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ إلى علاقة بينها وبين كسب الحسنات ومحو السيئات. كالحديث الوارد عنه ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات».

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «أكثروا الصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم».

وعنه ﷺ: «أتاني جبرائيل آنفاً فقال: يامحمد من صلى عليك مرة كتب الله له بها عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات».

وبالإضافة إلى العطاء الآلهي الغيبي من بركات الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن العطاء الآخر يتمثل في الأثر النفسي والفكري الذي يتركه استحضار القدوات الصالحة في القلب والعقل، على شخصية الإنسان وتوجيه مسارات حياته، بحيث يتوجه لكسب الحسنات، ويتلافى الأخطاء والسيئات.

وبين يدي القارئ الكريم بحث قيّم يتناول هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة (الصلاة على النبي محمد وعترته الطاهرة)، بأسلوب أدبي رفيع، وبيان علمي واضح، يؤصِّل لهذه الشعيرة بذكر النصوص الداعية لها من مختلف المصادر الإسلامية، وبتحديد الكيفية التي أرادها الشارع المقدس لأدائها، حيث لم يترك الشرع الشريف شعائره وعباداته مجملة مبهمة، بل أوضح معالم كل شعيرة وحدّد تفاصيلها.

وقد تعامل الصحابة مع موضوع الصلاة على النبي ﷺ بإعتبارها شعيرة دينية، يحدّد الشرع كيفيتها، كما هو الحال في سائر الشعائر والعبادات، ولذلك توجهوا بالسؤال إلى رسول الله ﷺ حول كيفية هذه الشعيرة التي أُمروا بها.

فقد جاء عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتى رسول الله ﷺ فجلس معنا في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي

عليك؟ قال: فصمت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين...»

والحديث مذكور في صحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد، ومستدرك الصحيحين وغيرها. ومثله أحاديث كثيرة.

لكن ما حدث في تاريخ الأمة الباكر من صراعات سياسية، ترك أثراً على أداء وممارسة هذه الشعيرة، ذلك لأن الكيفية الواردة عن رسول الله ﷺ في الصلاة عليه، تتضمن الصلاة على آله وعترته الطاهرة، مما يثبت فضلهم على غيرهم، ويؤكد كونهم الامتداد لرسول الله ﷺ في دوره الرسالي القيادي، وهذا ما لا يتفق مع الواقع السياسي الذي حصل بعد رسول الله ﷺ خاصة في ظل الدولة الأموية والعباسية.

فكان لا بدّ من إغفال ذكر آل الرسول، أو إضافة غيرهم معهم لتعويم مكانتهم وجعلهم في مصافهم.

وقد بذل مؤلف هذا الكتاب سماحة العلامة الفاضل الشيخ حسن الراضي حفظه الله جهداً مشكوراً في بحث جوانب هذه الشعيرة المهمّة، معتمداً على أوثق مصادر الحديث لدى المسلمين، ومستعرضاً لآراء العلماء المحققين، فجزاه الله خير الجزاء ونفع بجهوده روّاد العلم والمعرفة، وعشّاق الجمال النبوي البديع.

إن سطور هذا الكتاب القيم تكشف عن عمق الشعور الديني في نفس المؤلف، وجذور الولاء الخالص للنبي وعترته صلوات الله عليهم أجمعين، فنبرة الصدق، ومسحة الإخلاص جليّة ظاهرة في كل سطور الكتاب وحروف كلماته.

وليس ذلك مستغرباً على سماحة الشيخ الراضي فقد أنجبته أسرة عريقة في ولائها للنبي وآله، حيث كان أبوه الملا علي الراضي رحمة الله عليه من خيرة الصلحاء المؤمنين، ومن خلّص خدمة منبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وقد وفق الله الشيخ الراضي للانتهال

من نمير العلم والمعرفة، في مقتبل عمره وحداثة سنه، حيث هاجر للنجف الأشرف برفقة أخيه الأكبر سماحة العلامة المحقق الشيخ حسين الراضي حفظه الله، وهناك في مدينة العلم اقترب من عمالقة الفكر وحملة الرسالة، حيث كان وثيق الصلة بالمرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر والعلامة المجاهد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رضوان الله عليهما، وغيرهما من أعلام الحوزة العلمية.

ومنذ تعرفت إليه قبل ما يقرب من ثلاثة عقود رأيت لديه حبًّا وتقديراً عميقاً لجميع العلماء العاملين المصلحين، وسعياً دائماً لمؤازرتهم ودعمهم، بعيداً عن التأثر بالعصبيات الفئوية، أو الإثارات والإشاعات المغرضة التي عادة ما تستهدف قادة الإصلاح ورواد النهضة والتغيير.

أسأل الله تعالى للمؤلف الكريم مزيد التوفيق والعطاء، وأرجو أن ينفع الله بكتابه، ويجعله في ميزان أعماله، لينال به شفاعة النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

١ شوال ١٤٢٧هـ

الرسالة
إسلامية المنهج.. عصرية الطرح
الجمعة ٣٠ ذو الحجة ١٤٢٧هـ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٧م

في تعقيب على بارقة القاسم ..الشيخ حسن الصفار:

ما يحدث في العراق من فتنة طائفية تأكيد على ضرورة الوحدة وأهمية الحوار والتقارب

الأخ الأستاذ عبد العزيز محمد القاسم حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، اطلعت على مقالكم الذي تناولتم فيه الأوضاع المتفجرة في العراق، والآثار التي تتركها على الساحة الإسلامية، والموقف الذي ينبغي أن يتخذه عقلاء الأمة الحريصون على وحدتها ومصالحها.وإني إذ أتفق معكم على خطورة الأوضاع التي أشرتم إليها وأدين جميع المواقف والممارسات الطائفية البغيضة التي يقوم بها المغرضون أو الحمقى والجهلاء من الطرفين السنة والشيعة، أحيطكم علماً بأني قد كتبت وتحدثت في أكثر من مناسبة ومورد معترضاً على تلك التوجهات، داعياً أطراف الساحة العراقية سنة وشيعة إلى تجاوزها، مرفقا لك نماذج منها.

كما أدعو نفسي وأدعوكم وجميع العقلاء الواعين إلى عدم الاستجابة لضغوط المتطرفين في ساحتنا، والذين يهمهم إسقاط وإضعاف نهج الدعوة إلى الوحدة والتقارب، واستدراجنا إلى خنادق الاصطفاف والمواجهة الطائفية التي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة.حفظكم الله ورعاكم وحمى بلادنا وأمتنا من المكائد والفتن.

إن وحدة الأمة والحوار والتقارب بين فئاتها على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، يجب أن يكون غاية نبيلة وهدفاً مقدساً، وليس مجرد وسيلة لتحقيق مصالح محدودة، ويجب أن يصبح إستراتيجية دائمة لا مجرد تكتيك مرحلي.

■ توقيت إعدام صدام والأجواء السيئة التي رافقته أمر مستهجن وهو فخ نصبه الأمريكان لمزيد من إشعال نار الفتنة الطائفية

إنه غاية وهدف لأن الله تعالى قد تعبدنا به، وأمرنا بتحقيقه، حسب آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة الشريفة.

وهو نهج ثابت وإستراتيجية دائمة، لأن العقل يهدي إلى أنه الخيار الأفضل لتنظيم العلاقة في المجتمعات البشرية، وان بديله هو التنازع المفضي إلى الفشل والدمار.

إن ما يحدث على الساحة العراقية من فتنة طائفية هوجاء، يجب أن نعتبره تأكيداً على ضرورة الوحدة وأهمية الحوار والتقارب، وأن يكون دافعاً للعقلاء والواعين في الأمة لتكثيف جهودهم لجمع الشمل ولم الشتات، ومحاصرة الفتنة وتطويقها.

فما يجري في العراق هو ثمرة مرة ونتاج وبيء لحقبة سيئة عاشها الشعب العراقي، في ظل نظام استبدادي أذاق شعبه الويلات، ومزق أوصاله بسياسته الجائرة، ثم جاء الاحتلال الأمريكي ليستثمر النتائج ويقطف الثمار.

بقلم : حسن الصفار

إن استخدام العنف داخلياً وباستهدافات طائفية، الذي عاشته الساحة العراقية، وبلغ ذروته بتفجير مرقد الإمامين في سامراء، وما قبله من اغتيال السيد الحكيم في النجف، وتفجيرات عاشوراء في كربلاء، وما أعقبه من ردود فعل قبيحة طالت بعض المساجد والناس الأبرياء، يشكل اكبر خدمة لأطماع الاحتلال الأمريكي، وإخضاع المنطقة للهيمنة الأجنبية.

لذلك لابد من إعلان الرفض للعنف والإرهاب الطائفي من أي جهة صدر.

وقد دفعني شعوري بالمسؤولية إلى تناول هذا الموضوع وإدانة التطرف والعدوان من أي طرف سني أو شيعي، في أكثر من مناسبة ومورد، وهي موجودة على موقعي في الإنترنت.

أما ما حدث أخيراً في عملية إعدام صدام، فلا شك أن توقيت الإعدام صبيحة يوم عيد الأضحى، والأجواء السيئة التي رافقته، هو أمر مستهجن مرفوض، وهو فخ نصبه الأمريكان لمزيد من إشعال نار الفتنة الطائفية، ووقعت فيه الجهة المنفذة للإعدام.

■ لا يصح أن ننهزم أو نتراجع عن ما نعتقده مبدأ شرعيا ومصلحة عقلية واضحة وضرورة حياتية لحصول عقبة هنا أو نكسة هناك

بقي أن أشير إلى أنه من الخطورة بمكان مواجهة الخطأ بخطأ اكبر، وهو توظيفه في التعبئة المذهبية الطائفية، فالنقد والرفض والاعتراض يجب أن يتوجه إلى الممارسة وإلى الجهة السياسية فيها، لا أن يصبح مبرراً لحملة شعواء على المذهب تنال أصوله ومعتقداته وتاريخه ورموزه، وأن يكون هناك طعن وتجريح ينال كل المنتمين إلى المذهب في مختلف أنحاء العالم.

إن هذه التعبئة الطائفية التي تتمثل في بعض فتاوى التكفير، وبيانات التشكيك والتجريح، وخطب التحريض وإثارة الضغائن، تساعد على تحقيق أهداف الأعداء بتمزيق الأمة، وإشغالها بخلافاتها، وتعيد المنطقة إلى أجواء الصراعات المذهبية التي عاشتها أيام الحرب العراقية الإيرانية، وتهدد بضياع الجهود المخلصة التي بذلها خادم الحرمين الشريفين في قمة مكة الاستثنائية، وفي الحوار الوطني، وكذلك جهود كل المصلحين والمخلصين من علماء الأمة ودعاتها ومفكريها. كما تفتح الثغرات في جدار الوحدة الوطنية. فهذه التعبئة تؤثر على علاقات المواطنين ببعضهم، وتخلق أجواء للتشنج والخصام.

علينا أن نصر على نهج الوحدة والتقارب والحوار، وأن نواجه السلبيات والعوائق والنكسات التي تعترض المسيرة، فوجودها أمر طبيعي متوقع، لتأثيرات التاريخ وموثرات التراث المذهبي عند مختلف الأطراف، ولخطط الأعداء لتمزيقنا وضرب بعضنا ببعض.

إنه لا يصح لنا أن ننهزم أو نتراجع عن ما نعتقده مبدأ شرعياً، ومصلحة عقلية واضحة، وضرورة حياتية، لحصول عقبة هنا أو نكسة هناك، ولا يجوز لنا أن نخضع لضغوط المتطرفين في مختلف الساحات الذين هم في الأصل ضد فكرة الحوار والتقارب، ويسعون لإفشالها، ويستغلون الأحداث السيئة لذلك.

هوجز الرسالة

الصفار: الفتنة الطائفية تأكيد على ضرورة الوحدة

«أدعو نفسي وأدعوكم وجميع العقلاء الواعين إلى عدم الاستجابة لضغوط المتطرفين في ساحتنا، والذين يهمهم إسقاط وإضعاف نهج الدعوة إلى الوحدة والتقارب، واستدراجنا إلى خنادق الاصطفاف والمواجهة الطائفية التي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة.حفظكم الله ورعاكم وحمى بلادنا وأمتنا من المكائد والفتن. مرفقا مقالة خاصة بالموضوع بعنوان : الإصرار على نهج الوحدة والحوار. وحدة الأمة والحوار والتقارب بين فئاتها على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، يجب أن يكون غاية نبيلة وهدفاً مقدساً، وليس مجرد وسيلة لتحقيق مصالح محدودة، ويجب أن يصبح إستراتيجية دائمة لا مجرد تكتيك مرحلي» كانت هذه الكلمات من مداخلة للشيخ حسن الصفار تعقيباً على بارقة الوميل عبدالعزيز قاسم

المداخلة كاملة في (ص٧)

في تعقيب على بارقة القاسم..

الشيخ الصفار: ما يحدث في العراق من فتنة طائفية تأكيد على ضرورة الوحدة وأهمية الحوار والتقارب [1]

تعقيباً على مقال الصحفي عبدالعزيز قاسم «من وحي إعدام صدام» الذي طالب فيه عقلاء الشيعة «من أمثال الشيخ محمد حسين فضل الله وآية الله التسخيري والشيخ حسن الصفار، ممن باشروا مسألة التقارب مع السنة بضرورة استنكار ما حدث ـ بعد مقتل صدام حسين»، ورداً على ما جاء في مقاله قدّم سماحة الشيخ حسن الصفار رسالة لكاتب المقال عبدالعزيز قاسم، مع مقال حول الموضوع ذاته، وهذا

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية، ملحق الرسالة، عدد رقم١٥٩٧٦ في ٣٠ ذو الحجة ١٤٢٧هـ، الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٧م.

نص الرسالة والمقال كما نشرته الرسالة ملحق جريدة المدينة...

الأخ الأستاذ عبد العزيز محمد القاسم حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، اطلعت على مقالكم الذي تناولتم فيه الأوضاع المتفجرة في العراق، والآثار التي تتركها على الساحة الإسلامية، والموقف الذي ينبغي أن يتخذه عقلاء الأمة الحريصون على وحدتها ومصالحها.وإني إذ أتفق معكم على خطورة الأوضاع التي أشرتم إليها وأدين جميع المواقف والممارسات الطائفية البغيضة التي يقوم بها المغرضون أو الحمقى والجهلاء من الطرفين السنة والشيعة، أحيط بكم علماً أني قد كتبت وتحدثت في أكثر من مناسبة ومورد معترضاً على تلك التوجهات، داعياً أطراف الساحة العراقية سنة وشيعة إلى تجاوزها، مرفقا لك نماذج منها.

كما أدعو نفسي وأدعوكم وجميع العقلاء الواعين إلى عدم الاستجابة لضغوط المتطرفين في ساحتنا، الذين يهمهم إسقاط وإضعاف نهج الدعوة إلى الوحدة والتقارب، واستدراجنا إلى خنادق الاصطفاف والمواجهة الطائفية التي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة.حفظكم الله ورعاكم وحمى بلادنا وأمتنا من المكائد والفتن.

إن وحدة الأمة والحوار والتقارب بين فئاتها على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، يجب أن يكون غاية نبيلة وهدفاً مقدساً، وليس مجرد وسيلة لتحقيق مصالح محدودة، ويجب أن يصبح إستراتيجية دائمة لا مجرد تكتيك مرحلي.

إنه غاية وهدف لأن الله تعالى قد تعبدنا به، وأمرنا بتحقيقه، حسب آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة الشريفة.

وهو نهج ثابت وإستراتيجية دائمة، لأن العقل يهدي إلى أنه الخيار الأفضل لتنظيم العلاقة في المجتمعات البشرية، وأن بديله هو التنازع المفضي إلى الفشل والدمار.

إن ما يحدث على الساحة العراقية من فتنة طائفية هوجاء، يجب أن نعتبره تأكيداً على ضرورة الوحدة وأهمية الحوار والتقارب، وأن يكون دافعاً للعقلاء والواعين في الأمة

لتكثيف جهودهم لجمع الشمل ولم الشتات، ومحاصرة الفتنة وتطويقها.

فما يجري في العراق هو ثمرة مرة ونتاج وبيء لحقبة سيئة عاشها الشعب العراقي، في ظل نظام استبدادي أذاق شعبه الويلات، ومزق أوصاله بسياسته الجائرة، ثم جاء الاحتلال الأمريكي ليستثمر النتائج ويقطف الثمار.

إن استخدام العنف داخلياً وباستهدافات طائفية، الذي عاشته الساحة العراقية، وبلغ ذروته بتفجير مرقد الإمامين في سامراء، وما قبله من اغتيال السيد الحكيم في النجف، وتفجيرات عاشوراء في كربلاء، وما أعقبه من ردود فعل قبيحة طالت بعض المساجد والناس الأبرياء، يشكل أكبر خدمة لأطماع الاحتلال الأمريكي، وإخضاع المنطقة للهيمنة الأجنبية.

لذلك لا بدّ من إعلان الرفض للعنف والإرهاب الطائفي من أي جهة صدر.

وقد دفعني شعوري بالمسؤولية إلى تناول هذا الموضوع وإدانة التطرف والعدوان من أيّ طرف سني أو شيعي، في أكثر من مناسبة ومورد، وهي موجودة على موقعي في الإنترنت.

أما ما حدث أخيراً في عملية إعدام صدام، فلا شك أن توقيت الإعدام صبيحة يوم عيد الأضحى، والأجواء السيئة التي رافقته، هو أمر مستهجن مرفوض، وهو فخ نصبه الأمريكان لمزيد من إشعال نار الفتنة الطائفية، ووقعت فيه الجهة المنفذة للإعدام.

بقي أن أشير إلى أنه من الخطورة بمكان مواجهة الخطأ بخطأ أكبر، وهو توظيفه في التعبئة المذهبية الطائفية، فالنقد والرفض والاعتراض يجب أن يتوجه إلى الممارسة وإلى الجهة السياسية فيها، لا أن يصبح مبرراً لحملة شعواء على المذهب تنال أصوله ومعتقداته وتاريخه ورموزه، وأن يكون هناك طعن وتجريح ينال كل المنتمين إلى المذهب في مختلف أنحاء العالم.

إن هذه التعبئة الطائفية التي تتمثل في بعض فتاوى التكفير، وبيانات التشكيك

والتجريح، وخطب التحريض وإثارة الضغائن، تساعد على تحقيق أهداف الأعداء بتمزيق الأمة، وإشغالها بخلافاتها، وتعيد المنطقة إلى أجواء الصراعات المذهبية التي عاشتها أيام الحرب العراقية الإيرانية، وتهدد بضياع الجهود المخلصة التي بذلها خادم الحرمين الشريفين في قمة مكة الاستثنائية، وفي الحوار الوطني، وكذلك جهود كل المصلحين والمخلصين من علماء الأمة ودعاتها ومفكريها. كما تفتح الثغرات في جدار الوحدة الوطنية. فهذه التعبئة تؤثر على علاقات المواطنين ببعضهم، وتخلق أجواء للتشنج والخصام.

علينا أن نصر على نهج الوحدة والتقارب والحوار، وأن نواجه السلبيات والعوائق والنكسات التي تعترض المسيرة، فوجودها أمر طبيعي متوقع، لتأثيرات التاريخ ومؤثرات التراث المذهبي عند مختلف الأطراف، ولخطط الأعداء لتمزيقنا وضرب بعضنا ببعض.

إنه لا يصح لنا أن ننهزم أو نتراجع عمّا نعتقده مبدأ شرعيًّا، ومصلحة عقلية واضحة، وضرورة حياتية، لحصول عقبة هنا أو نكسة هناك، ولا يجوز لنا أن نخضع لضغوط المتطرفين في مختلف الساحات الذين هم في الأصل ضد فكرة الحوار والتقارب، ويسعون لإفشالها، ويستغلون الأحداث السيئة لذلك.

سماحة الشيخ الصفار يُصدر بياناً يُدين فيه الاعتداء الغاشم على مرقد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

لا تقوى الألفاظ والكلمات على التعبير عن فظاعة ما جرى وبشاعة ما حدث، فمقدسات الأمة وأماكن عبادتها الدينية ومقامات رموزها وأئمتها الهداة تتعرض للعدوان والتخريب، على يد بعض أبناء الأمة الذين تمكّن الضلال والعمى من نفوسهم وقلوبهم، وأصبحوا أدوات لخدمة مصالح الأعداء.

إن التفجير والعدوان الإرهابي الذي أصاب مرقد الإمامين الطاهرين الهادي

والعسكري عليهما السلام في سامراء العراق، يشّكل ذروة المأساة في واقع الأمة، وعمق الانحدار الذي وصلت إليه اتجاهات التطرف والإرهاب، التي تعبث بأمن الأمة وتنتهك حرماتها وتنفذ مخططات أعدائها.

ويأتي هذا الحادث المرعب الشنيع في أعقاب تجلي وحدة الأمة في الدفاع عن قداسة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، حيث هبّت جماهير الأمة وانتفضت شعوبها في مختلف أرجاء العالم للردّ على الإساءة الظالمة لشخصيته العظيمة. فجاء هذا الحادث الفظيع بهدف إثارة الفتنة الطائفية وتمزيق الصفوف، وليظهر أمام العالم أن المسلمين لا يحترمون مقدسات بعضهم بعضاً، وليغطي هذا الإجرام بتداعياته المؤسفة على جريمة الإساءة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله.

إن الصهاينة المعتدين الذين أغاظتهم نتائج الانتخابات الفلسطينية وانتصار حركة حماس، وإن القوى الأجنبية الطامعة في استمرار احتلالها للعراق والهيمنة على المنطقة، هي المستفيد الأكبر من جريمة الاعتداء على المقام الشريف للإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وواجب الواعين من أبناء العراق والأمة الإسلامية محاصرة آثار وتداعيات هذه الجريمة النكراء، حتى لا يحقق الأعداء أغراضهم الدنيئة.

وما نأمله من أبناء الشعب العراقي هو الاستجابة لتوجيهات المرجعية الدينية التي أمرت بالتعبير عن مشاعر الفجيعة والألم، وإظهار موقف الإدانة والرفض لهذه الجريمة النكراء، دون الانزلاق إلى هاوية العداء الطائفي، فأهل السنة في العراق مفجوعون بما حدث كإخوانهم الشيعة، ومساجد أهل السنة لها حرمتها وقداستها بنفس الدرجة التي لمساجد الشيعة ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ فالعدوان على أي مسجد هو انتهاك لحرم الله تعالى.

وإذا كان واجب المؤمنين في كل مكان إظهار الإدانة والرفض، والتعبير عن مشاعر الألم والأسى، لانتهاك حرمة مرقد الإمامين الطاهرين، فإن ذلك يجب أن يكون في إطار حفظ الوحدة، ومراعاة النظام، لتفويت الفرصة على الأعداء، ولصنع موقف موّحد يعبّر

عن رفض الشيعة والسنة لممارسات الإرهاب وانتهاك الحرمات وإثارات الفتنة.

نسأله تعالى أن يقطع دابر الظلمة المعتدين، وأن يحفظ وحدة المسلمين.

وسلام على الإمامين العظيمين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري، وعلى مثواهما الطاهر ورحمة الله وبركاته.

حسن الصفار

٢٤ محرم ١٤٢٧هـ

تصريح سماحة الشيخ حسن الصفار حول تصريح الرئيس المصري حسني مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الساحة العراقية بما تشهد من أحداث عنف مرعبة تهدد بخطر حرب طائفية مدمرة، لهي في أمسّ الحاجة لدور عربي منقذ لمساعدة الشعب العراقي على تجاوز المحنة، والتمسك بوحدته ومقاومة الاحتلال، وجمهورية مصر العربية بثقلها العربي والدولي ولاحتضانها مقر جامعة الدول العربية يتوقع منها دور كبير على هذا الصعيد.

لكن ما نقل عن الرئيس حسني مبارك من تصريحات تشكك في ولاء شريحة كبرى من الشعب العراقي (الشيعة) لوطنهم لا تخدم مثل هذا الدور المأمول من العالم العربي ومن مصر بالذات.

كما أن التشكيك في ولاء جميع المواطنين الشيعة لأوطانهم ظلم وإجحاف يتنافى مع تاريخهم الناصع في الدفاع عن أوطانهم والإخلاص لمجتمعاتهم ويخدم مخططات الفتنة وتمزيق الأمة ويخالف مقررات قمة مكة الاستثنائية التي ما جفّ حبرها بعد، وكان الرئيس المصري في طليعة المشاركين فيها.

إننا نأمل أن يكون التصريح هفوة غير مقصودة وأن تمارس مصر دورها المأمول في جمع الشمل وحماية المنطقة العربية من الأخطار كما نؤكد أن ولاء المواطنين الشيعة بالدرجة الأولى والثانية هو لأوطانهم وشعوبهم، وهم جزء لا يتجزأ منها.

نسأل الله تعالى أن يقي أمتنا مخاطر الفتن وأن يحمي أوطاننا وشعوبنا من المكاره والأسواء.

١١ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

إلى أين يسير العراق

بيان الشيخ الصفار حول أوضاع العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

لا نكاد نصدق حدوث ما تعرضه الشاشات وتنقله الأخبار عما يجري في العراق، فمشاهد المجازر والتدمير أصبحت يومية، وجثث القتلى عادت منظراً مألوفاً في كل أنحاء العراق، وعمليات التهجير والفرز الطائفي صارت حقيقة واقعة، ولم تبق حرمة لمسجد أو مقام مقدس، لقد أصبح الدم العراقي رخيصاً مستباحاً، وانتهكت الحرمات الإنسانية والدينية، وأصبحت وحدة العراق في خطر حقيقي.

إلى أين تسيرون أيها العراقيون سنة وشيعة عرباً وأكراداً؟

أين أصالتكم الدينية؟ وأين نخوتكم الوطنية؟ كيف تسمحون لقوة الاحتلال الأجنبي أن تستمر في الهيمنة على بلادكم وتنهب ثرواتكم، وتغري بعضكم ضد بعض؟ وكيف تتيحون الفرصة للاتجاهات التكفيرية وميليشيات فرق الموت أن تخطف أرواح أبنائكم وأن تسلب أمنكم وتمزق وحدتكم وتنشر العنف والإرهاب في ربوع وطنكم؟

لقد حرمت المراجع الدينية التي تحظى بثقتكم أي لون من ألوان الاحتراب

والاقتتال الطائفي، وشددت على رعاية حرمة المساجد والمقدسات الدينية لأي فئة من الفئات، وجاءت وثيقة مكة التي وقع عليها علماؤكم من السنة والشيعة في شهر رمضان المبارك لتضع حدًّا لهذا الاستهتار والإجرام، فالتزموا أمر المرجعية الدينية وبنود وثيقة مكة ولا تسمحوا للإرهابيين والمجرمين أن يعيثوا في أوساطكم فساداً.

وعلى حكومات المنطقة والشعوب المجاورة للعراق أن تمد يد العون والمساعدة للعراقيين لانتشالهم من محنتهم، بالتأكيد على وحدة العراق والاهتمام بمصالح جميع العراقيين دون انحياز لطرف ضد آخر.

علينا أن نساعدهم لتجاوز البلاء الذي أصابهم، لا أن تتعاطف كل فئة منّا مع فئة منهم، فذلك يصب الزيت على نار الفتنة، ويزيد اشتعالها، ولن يربح من هذا الاقتتال إلا أعداء العراق والأمة.

إن على الواعين من أبناء الأمة أن يعملوا لمحاصرة الفتنة في العراق وإخمادها، وعدم إتاحة الفرصة لانتشار لهيبها وانعكاس آثارها -لا سمح الله- على سائر المناطق والمجتمعات، وهنا تأتي خطورة الدور الذي تقوم به بعض وسائل الإعلام وبعض الخطابات الدينية التي تعزف على الوتر الطائفي.

فالمطلوب إدانة الإرهاب والإجرام من أي جهة صدر على حدٍّ سواء، ودفع العراقيين للاقتراب من بعضهم وللتمسك بوحدتهم ووحدة وطنهم، لا تأليبهم على بعضهم بعضاً، وإذكاء حالة الصراع فيما بينهم.

أنقذ الله العراق من براثن الاحتلال والإرهاب وأعان شعبه على مواجهة هذه المحنة القاسية.

حسن موسى الصفار

٤ ذو القعدة ١٤٢٧هـ

متابعات

مقابلة سماحة الشيخ حسن الصفار في برنامج اضاءات من قناة العربية

مقدم البرنامج: تركي الدخيل

تاريخ الحلقة: الثلاثاء ٢٠٠٦/٢/٧م الموافق ٩ محرم ١٤٢٧هـ

تركي الدخيل: أيها الإخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في حلقة جديدة من برنامجكم الأسبوعي إضاءات، ضيفنا اليوم أيها الإخوة هو سماحة الشيخ حسن الصفار عالم الدين الشيعي السعودي حياك الله يا شيخ حسن.

الشيخ الصفار: وحياكم الله أكثر، أهلاً بكم وبجمهوركم.

برنامج الشيعة في عاشوراء

تركي الدخيل: أهلاً وسهلاً بكم، شيخ حسن هذه الأيام - التي نسجل فيها- هي أيام عاشوراء، وأنتم موجودون هنا في دبي لإحياء هذه

المناسبة. شيخ حسن كثيراً ما يتبادر إلى الأذهان تساؤل لا سيما لدى السنّة وهو أن الشيعة يقومون في عاشوراء بطقوس قد تبدو للسنة غريبة، منها مثلاً الضرب، منها مثلاً ما يسمى بالتطبير وهو استعمال بعض السيوف في الضرب، ما هي فكرة هذه الطقوس التي تمارسونها؟

الشيخ الصفار: بسم الله الرحمن الرحيم، البرنامج الأساس للشيعة في أيام عاشوراء هو المحاضرات التي يلقيها العلماء والخطباء، وفيها تذكير بمقاصد الإسلام وتعاليمه وسيرة الرسول ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ونهضة الإمام الحسين وسيرته، هذا هو البرنامج الأساس، وهناك مراسيم للعزاء واللطم.

هذه المراسيم تجري عند الشيعة من أجل أن تكوِّن حالة من التفاعل العاطفي بين الناس وبين ذلك الحدث التاريخي المأساوي الذي حصل لأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

بالطبع هناك بعض المراسم التي يجري فيها نقاش داخل الوسط الشيعي، ما أشرتم إليه من التطبير مثلاً هناك جدل حوله في داخل الساحة الشيعية..

تركي الدخيل: دعنا يا شيخ حسن نتعرف عليها واحدة واحدة، ما هو التطبير؟ وما هو اللطم ؟ هذه مصطلحات ونحتاج أن نتعرف عليها بعد إذنكم.

الشيخ الصفار: التطبير يعني استخدام آلة حادة من أجل إسالة الدم من أعلى مفرق الجبهة، يعني مقدمة الرأس..

تركي الدخيل: هل يلزم تحديد المكان أيضاً.

الشيخ الصفار: نعم، ولذلك سمي (قامة)، لأن الإنسان يستخدم هذا السيف لضرب قامته، وبالطبع هو ملامسة تكون خفيفة للقامة بحيث يخرج الدم، وذلك حتى يذكّر الناس بدماء الحسين عليه السلام التي سالت يوم عاشوراء..

تركي الدخيل: لكننا يا شيخ نرى الصور ونرى أحيانا ضرب..

الشيخ الصفار: بعض هذه الكاميرات تركز على هذه الصور الفاقعة.

تركي الدخيل: أكيد التركيز يكون على الأغرب، الإعلام يركز على الشيء الغريب.

الشيخ الصفار: قلت هذا حوله جدل في داخل الساحة الشيعية..

تركي الدخيل: طيب واللطم؟

الشيخ الصفار: وكثير من علماء الشيعة لا يقبلون هذه الممارسة (التطبير).

تركي الدخيل: ما أعرفه أنا أنكم أنتم بوصفكم أحد علماء الشيعة في القطيف منعتم منذ سنوات طويلة التطبير.

الشيخ الصفار: هذه التقاليد ليست موجودة عند الشيعة في المملكة العربية السعودية..

تركي الدخيل: لا في القطيف ولا في الأحساء.

الشيخ الصفار: لا في القطيف ولا في الأحساء..

تركي الدخيل: ولا في المدينة..

الشيخ الصفار: ولا في المدينة، ولذلك نحن قبل حوالي عشر سنوات دعونا إلى التبرع بالدم قمنا بحملة للتبرع بالدم في اليوم التاسع واليوم العاشر من المحرم، ووجدنا تجاوباً كبيراً جداً..

تركي الدخيل: يعني بدل أن تريق دمك عن طريق سيف تعمل هذه الطريقة؟..

الشيخ الصفار: لأنه لم تكن عندنا حالة التطبير فالمسألة ليست بدلاً، وإنما استثمار لهذه المناسبة العاطفية وتوجيهها بالاتجاه النافع للوطن وللناس.

تركي الدخيل: ثم بعد ذلك لمن يذهب الدم الذي يتبرع به ؟

الشيخ الصفار: يُؤخذ الدم ويُتصرف به عبر بنك الدم بالمنطقة الشرقية، ومستشفى القطيف المركزي.

تركي الدخيل: هل يصل الدم للشيعة فقط أم أنه يصل للكل؟

الشيخ الصفار: لا.. الدم للإنسان، لكل إنسان يحتاج إليه، لأن التبرع بالدم يمثل حالة إنسانية لا يصح أبداً تأطيرها بدين أو بمذهب.

تركي الدخيل: لماذا في تقديركم وجد التطبير عند الشيعة في مناطق غير السعودية ولم يوجد في السعودية؟

الشيخ الصفار: لعل نوعية الثقافة..

تركي الدخيل: هل يعني ذلك أن هؤلاء الذين يستخدمون التطبير أكثر ولاء للحسين منكم؟

الشيخ الصفار: المسألة لا ترتبط بموضوع الولاء، وإنما نوعية الثقافة تختلف من منطقة إلى أخرى، كما أن البيئة والمحيط أيضاً له تأثير، الشيعة في المملكة العربية السعودية باعتبارهم يعيشون في محيط وفي وضع لا يسمح لهم بكل الممارسات التي قد يفكر البعض أن يعملها، كما أن العلماء الموجودين في المملكة العربية السعودية من الشيعة لم يكونوا من الداعين إلى هذا الأمر.

تركي الدخيل: لو سُمح لكم بممارسة التطبير ستمارسونه؟..

الشيخ الصفار: لو وجد من العلماء من يدعون إليه، ولكن في ساحتنا ليس هناك علماء يدعون إلى هذا النوع، لا في تاريخنا الماضي ولا في تاريخنا الحاضر.

تركي الدخيل: طيب هناك حديث شيخ حسن عن أن بعض الشيعة في القطيف ينوون أن يمارسوا التطبير هذا العام، هل هذا صحيح؟

الشيخ الصفار: ممكن أن يكون هناك أناس، لكن حتى لو مارسوا فستكون الممارسة محدودة، ونحن نرى أن نشر الوعي ونشر الرأي الآخر، يعني وجود رأي يتحدث حول الموضوع سلباً، كما أن هناك رأياً يدعو له إيجاباً، هذا هو الذي يخلق حالة من الوعي، لأنه في مثل هذه القضايا الدينية لا يمكن معالجتها بالمنع والحظر والقمع، بالعكس يزداد الراغبون والمؤيدون.

تركي الدخيل: لماذا ظهروا الآن ولم يظهروا خلال عقد من السنوات، عشر سنوات ما طلعوا هدول اللي بيمارسوا التطبير ولو كانوا قلة، والآن

كما علمت إنه فيه هناك مجموعة وإن كانت قليلة تنوي ممارسة التطبير في عاشوراء في هذا العام.

الشيخ الصفار: لعل حالة الانفتاح الإعلامية التي حصلت أمام هذه المراسم، ونقلها عبر القنوات الفضائية، ونظر الناس لها وهي تجري في المناطق الأخرى شجع البعض في أن يشابهوا ويماثلوا ما يحصل في المناطق الأخرى.

تركي الدخيل: طيب شيخ نرجع للحديث، هناك أشرتم إلى أنه مجالس ذكر يتم فيها التذكير.

الشيخ الصفار: مجالس ذكر وتوعية وتوجيه ديني وثقافي وهذا هو البرنامج الأساس في كل مناطق الشيعة، البرنامج الأساس لعاشوراء هو مجالس التوجيه والتوعية وذكر سيرة الرسول وأهل بيته والإمام الحسين عليه السلام، هذا هو البرنامج الأساس.

تركي الدخيل: اللطم وش هو؟

الشيخ الصفار: اللطم أن يضرب الواحد على صدره استذكاراً لهذه الحادثة ولهذه الفاجعة، ولكن عادة ما يكون لطماً خفيفاً هادئاً، في بعض الحالات قد يكون هناك بعض الشباب المتحمسين يزيدون من حدة اللطم، أو من وقع اللطم على صدورهم.

تركي الدخيل: طيب أيضاً نرى عبر وكالات الأنباء أحياناً استخدام سلاسل في مسألة اللطم.

الشيخ الصفار: نعم، هناك أناس يستخدمون مثل هذا الأسلوب أيضاً .

تركي الدخيل: يعني هل يوجد نصوص لدى الشيعة، تقول بأنه كلما

أظهرت الألم كلما آلمت نفسك أكثر كلما كنت أقرب مثلاً إلى تحقيق المناط من هذه الحالة؟

الشيخ الصفار: ليست هناك..

تركي الدخيل: كيف نشأت هالحالة اللي تبالغ في إيذاء النفس؟

الشيخ الصفار: النصوص الموجودة تدعو الإنسان إلى أن يستذكر ما أصاب أهل البيت من مآس..

تركي الدخيل: النصوص لمن؟

الشيخ الصفار: الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ، وأيضاً حتى الروايات الواردة في كتب كل المسلمين عن إظهار رسول الله ﷺ للبكاء والتألم على مقتل الإمام الحسين في أيام ولادته وفي السنوات الأولى لتربيته، وهذا موجود..

تركي الدخيل: أحاديث من الرسول..

الشيخ الصفار: نعم، أحاديث واردة في مختلف الكتب مثلاً لو راجع الإنسان المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ومسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً لوجد فيه أحاديث أن الرسول ﷺ يبكي..

تركي الدخيل: فيك تذكر لنا واحد يا شيخ؟

الشيخ الصفار: من الأحاديث عن أم الفضل بنت الحارث قالت دخلت على رسول الله ﷺ ورأيت في حجره الحسين، ثم حانت مني التفاتة له فرأيته يبكي وعيناه تهرقان

دموعاً، قلت يا رسول الله لا أبكى الله عينيك، مم تبكي؟ قال: هبط عليّ جبرائيل يخبرني أن ابني هذا سيقتل من قبل عصبة من أمتي لا أنالهم الله شفاعتي، وسيُقتل في أرض يقال لها كربلاء وأعطاني تربة حمراء من تلك الأرض.

تركي الدخيل: من روى هذا الحديث؟

الشيخ الصفار: هذا الحديث عن أم الفضل بنت الحارث..

تركي الدخيل: لأ، من خرجه يعني؟

الشيخ الصفار: وموجود.. أنا لا أذكر الآن من خرجه..

تركي الدخيل: لأنه قبل قليل تتحدث عن المستدرك..

الشيخ الصفار: نعم في المستدرك، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل هذا في المستدرك.

تركي الدخيل: نفس الحديث.

الشيخ الصفار: ومسند الإمام أحمد بن حنبل فيه أيضاً حديث عن عبد الله بن نجي عن أبيه وكان ملازماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صاحب مطهرته، يقول في منصرفنا في صفين لما حاذى الإمام علي نينوى سمعته يقول: صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله، فسألته ما الأمر؟ قال دخلت على رسول الله ﷺ يوماً فوجدته يبكي، سألته ما سبب بكائك؟ قال: أبكي لأن الله قد أخبرني عبر جبرائيل بأن ابني الحسين يقتل في أرض يقال لها كربلاء، وأعطاني تربة من تلك الأرض..

تركي الدخيل: هي التي أنتم تسجدون عليها، الشيعة يسجدون عليها.

الشيخ الصفار: يعني تربة من تلك الأرض وعلى أساس هذه الأحاديث والروايات كان هناك دافع لأخذ تربة الحسين عليه السلام.

تركي الدخيل: الأحاديث التي أشرت إليها وأشرت إلى أنها موجودة أيضاً في كتب السنة، كما تفضلت قبل قليل تتحدث عن بكاء لا تتحدث عن لطم ولا عن تطبير..

الشيخ الصفار: هو البكاء يعني إظهار الحزن..

تركي الدخيل: فمتى بدأ التطبير؟ ومتى بدأ اللطم؟

الشيخ الصفار: التطبير حالة حادثة جديدة لم تكن سابقاً موجودة، لعلها نشأت منذ عقود من الزمن، وقد نشأت أولاً عند الهنود الشيعة بدؤوا ممارسة هذا العمل، وبعد ذلك انتقلت إلى إيران، ومن إيران انتقلت إلى بعض البلدان العربية، وهي ممارسة يمارسها مجاميع من الشباب، وهناك بعض العلماء لا يرى بأساً من هذا العمل، بل يراه مظهراً من مظاهر التعاطف مع أهل البيت.

تركي الدخيل: أنت بوصفك أحد العلماء الشيعة هل ترى كراهيته أم تحريمه؟

الشيخ الصفار: أنا شخصياً من المدرسة التي لا تشجع مثل هذه الأعمال.

تركي الدخيل: فقط لا تشجع، لا تراها كراهية ولا تحريم.

الشيخ الصفار: لا تشجع هذه الأعمال، والتحريم إذا كان تحريماً فهو تحريم ثانوي باعتبار ما تسببه من ضرر، وإيذاء، وباعتبار ما تخلق من تشويه للصورة أمام الآخرين، فبهذا العنوان نحن نرى أن هذا العمل محرم وغير مناسب، لكن علماء آخرين من الفقهاء يرون أنه لا بأس في هذا الأمر، لأنه ليس كل إيذاء حرام، في بعض الأحيان الإنسان في أعمال الحج يتأذى، الإنسان في أعمال العبادة يتأذى..

تركي الدخيل: إي بس في أعمال الحج ليس أمامه خيار آخر.

الشيخ الصفار: في الرياضة يتأذى، الآن الذين يمارسون الأعمال الرياضية يتأذون ليس كل أذى محرم، وإنما الأذى الذي يُخاف منه خطر الموت على الإنسان يكون حراماً، أما مجرد كونه أذى ليس حراماً.

تركي الدخيل: طيب في شغلة شيخ حسن الصفار أيضاً ترد أثناء عرض مشاهد لإحياء الشيعة لهذه المناسبة وهي تطبير بالنسبة للأطفال، الطفل لا يملك خياره فهل نفرض عليه هذا الخيار؟ أم أنه يتبع يعني لوالده بالمرجعية أيضاً باختيار الفتوى؟

الشيخ الصفار: أنا مبدئياً لست مع هذا التوجه، لكن إذا كان هناك من يمارس هذا العمل فلا يصح له أن يقوم بهذا العمل إلا إذا كان هناك رأي فقهي يجيز له ذلك.

تركي الدخيل: الرأي الفقهي هل يجيز أيضاً أن الأطفال يُستخدم؟

الشيخ الصفار: أنا ما اطلعت على رأي فقهي يجيز هذا الأمر، لكن لعله لو كان هناك رأي ناظر إلى أن الأب هو الولي على طفله، فإذا رأى الأب الولي على الطفل..

تركي الدخيل: الولي يا شيخ..

الشيخ الصفار: أن ممارسة معينة لا تسبب ضرراً كبيراً للطفل من منطلق ولايته ممكن يصح له أن يقوم بهذا العمل، إذا كان هناك رأي فقهي فهذا مستنده.

تركي الدخيل: واضح يا شيخ إنك تجيب بدبلوماسية عن الرأي الآخر الذي أنت لا تتبناه.

الشيخ الصفار: وأنا في رأيي أن الإنسان في كل القضايا ينبغي أن يكون موضوعياً، يطرح رأيه ولكن في المقابل أيضاً لا يبخس الآراء الأخرى، يقول إن الأخرى أيضاً لها أدلتها.

تركي الدخيل: أنت تريد الآن يا شيخ دفاع عن الآراء الأخرى أكثر مما تريد..

الشيخ الصفار: أنا لا أدافع..

تركي الدخيل: أكثر مما تورد نقد.. تبريراً لرأيك الذي لا يقبل بهذه الممارسات.

الشيخ الصفار: أنا شخصياً لست مع هذه الممارسة وبينت رأيي في أكثر من موقف ومن مناسبة، لكنني أيضاً أرى أن من يرون هذا الأمر لهم أدلة.

تركي الدخيل: هل المراجع الشيعية ترى هذا الأمر؟

الشيخ الصفار: أغلب المراجع الشيعة الذين أعرفهم لا يؤيدون هذا الأمر، وقد

أصدروا آراء صريحة، الإمام الخميني في إيران أصدر بياناً صريحاً، السيد الخامنئي الآن قائد الجمهورية الإسلامية أيضاً له رأي صريح، السيد فضل الله المرجع في لبنان أيضاً له رأي صريح، السيد حسن نصر الله أيضاً له رأي صريح، وعلماء آخرون لهم آراء صريحة في الرفض..

تركي الدخيل: السيستاني.

الشيخ الصفار: السيد السيستاني لم يصدر رأياً صريحاً، لكن ما عرفت من الأوساط المحيطة به أن أوساطه لا تشجع هذه الممارسة.

تركي الدخيل: من يشجع إذاً من المراجع هذه الممارسات إذا كانت تمارس بهذا..؟

الشيخ الصفار: كبقية الأنشطة والأشياء التي تحصل في الساحة الإسلامية من قبل بعض الناس الذين لهم حماس، ولهم نوع من التشدد في ممارسة مثل هذه الأمور، هناك بعض العلماء يرون هذه الأمور، ويدفعون باتجاهها.

تركي الدخيل: جميل، شيخنا عندنا تفاصيل كثيرة سنعود لمواصلتها بعد فاصل قصير.

موقف الشيعة من الصحابة

تركي الدخيل: حياكم الله مجدداً أيها الإخوة والأخوات في إضاءات لا يزال حوارنا مع الشيخ حسن الصفار في هذه الحلقة من إضاءات، شيخ حسن في المقطع الأول من البرنامج تحدثنا عن الممارسات التي يمارسها

الشيعة إحياء لعاشوراء تحدثنا عن اللطم والتطبير ونحوها، تحدثنا أيضاً عن إشارتكم إلى التبرع بالدم في شكل من أشكال إظهار الحزن على هذه المناسبة، من الأشياء التي تثار كثيراً وأثيرت ضدكم شخصياً شيخ حسن الصفار موقف الشيعة من الصحابة، قرأت لكم مواقف إيجابية في الحديث عن الصحابة، هناك انطباع دائماً عند السنة أن الشيعة يستثنون بضعة أشخاص من الصحابة والبقية يمارسون ضدهم شكلاً من أشكال الإقصائية، أحياناً بعض السب ضد الصحابة، ضد الخلفاء الراشدين، باستثناء علي بن أبي طالب ﷺ تحديداً، دعني أقرأ عليك المقطع اللي أريد أن أناقشك فيه شيخ حسن، أنت تقول في أحد حواراتك تقول: «إذا كان من حق الشيعة أن تكون لهم رؤيتهم وقناعتهم فليس من حقهم الإساءة إلى رموز ومقدسات الطرف الآخر، إن ذلك يشكل انحرافاً عن تعاليم الدين وآدابه، ويؤدي إلى الفتن وتخريب وحدة الأمة، من هنا نعتبر الإساءة بالسب والشتم للخلفاء الراشدين عملاً محرماً خاطئاً لا يصدر إلا من جاهل أو مغرض»، وقد تحدث ضد هذه الظاهرة السيئة كثير من أئمة الشيعة وعلمائهم المصلحين، سؤالي تحديداً أول شي هل هذا الكلام الإيجابي فقط في حق الخلفاء الراشدين؟

الشيخ الصفار: لا في حق جميع الصحابة والرموز المحترمة على صعيد الأمة الإسلامية هذا الكلام يجري..

تركي الدخيل: هل هناك صحابة رموز غير محترمين؟

الشيخ الصفار: هناك بعض الصحابة كانت لهم بعض الممارسات مثلاً المنافقون

كانوا من الصحابة، حينما يتحدث القرآن الكريم ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ هؤلاء كانوا في وسط الصحابة..

تركي الدخيل: المنافقين يعني يتفق السنة والشيعة على أنهم..

الشيخ الصفار: يعني أقصد هؤلاء ..

تركي الدخيل:أنت مثلاً لم تتحدث عن عائشة مثلاً رضي الله عنها.

الشيخ الصفار: أيضاً أمهات المؤمنين أم المؤمنين عائشة وبقية أمهات المؤمنين ضمن الرموز التي يجب أن تحترم.

تركي الدخيل: هل هناك رموز يحترمها السنة ولا تحترمونها أنتم الشيعة ولذلك أنت استثنيت وقلت المحترمين منهم؟

الشيخ الصفار: لعل بعض الرموز افترض بعض الخلفاء الأمويين بعض الخلفاء العباسيين..

تركي الدخيل: تتحدث عن معاوية تحديداً؟

الشيخ الصفار: معاوية، يزيد بن معاوية، الحجاج بن يوسف الثقفي، مروان بن الحكم.

تركي الدخيل: خلهم هدول مش صحابة..

الشيخ الصفار: مروان بن الحكم..

تركي الدخيل: يعني فيما يتعلق بمعاوية..

الشيخ الصفار: ولكن أنا شخصياً لا أرى أن نُستغرق في البحث حول هذه الأمور، أنا أرى أن إثارة هذه الأمور واستغراق البحث حولها ليس في صالح وحدة الأمة وتعايش أبناء الأمة، عندنا مشتركات كثيرة، عندنا قضايا مهمة نعيشها في حياتنا، لماذا نشغل أنفسنا بالبحث عن وضع هذه الشخصية وتلك الشخصية، وموقفي وموقفك ونتنازع ونتصارع هذا لا داعي له..

تركي الدخيل: ولكن هناك تسجيل..

الشيخ الصفار: هناك بعض الرموز.. اسمح لي أقول هذه النقطة، هناك بعض الرموز يحترمها الشيعة، ولكن السنّة يعتبرونهم كفاراً مشركين.

تركي الدخيل: مثل؟

الشيخ الصفار: كأبي طالب عم رسول الله ﷺ، وهو أبو الإمام علي بن أبي طالب، الشيعة يعتبرونه من أفضل الصحابة، ولكن السنّة يرونه مات كافراً مشركاً..

تركي الدخيل: أنتم ترون أنه مات مؤمناً..

الشيخ الصفار: ونحن نقول مات مؤمناً ونراه من خيار الصحابة، ولكن هذا لا يعني إني أنا الشيعي أتصارع مع السني لماذا أنت رأيك في أبي طالب هكذا، ولماذا تراه كافر، ولماذا تراه مشرك، أنا أقول فلنترك هذه الخلافات جانباً.

تركي الدخيل: لكن شيخ حسن هناك قضية رئيسية أيضاً في مراسم عاشوراء هناك حديث أنت قلت نحن نركز على التذكير واستعراض

السيرة النبوية وسيرة آل البيت، ولكن هناك أيضاً حديث عن أن السيرة يأتي في سياقها سباب وشتام لبعض أو شتائم تمارس ضد بعض الصحابة، أنت هناك تنتقد هذا بعيداً عن التفاصيل، لكن هناك تسجيل موجود في الإنترنت لكم فيه سب لعمر..

الشيخ الصفار: نعم سبق أن تحدثت عن هذا التسجيل، سُئلت أكثر من مرة وقلت إن هذا التسجيل مدبلج، ليس حقيقياً.

تركي الدخيل: يعني لم تسب عمر..

الشيخ الصفار: لم أسب، وليس من منهجي هذا السب، آرائي صريحة في هذا السياق، ومن الجميل أيضاً أن فضيلة الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى قبل أقل من سنة كان له بيان حول الأشرطة التي نُشرت عنه في أميركا وأنه يحرض على الإرهاب، بيانه بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٦، الشيخ اللحيدان قال أنا أعرف أن هذه دبلجة وتلفيق في الأشرطة، وهو أمر معروف كيف أنهم يجعلون كلمة بجانب كلمة ويبثونها، مسألة الدبلجة والتلفيق هذا أمر سهل وميسور.

تركي الدخيل: يعني تريد أن تقول أن الشيخ صالح اللحيدان قال أنها دبلجة وإنه حتى أنا صارت لي دبلجة..

الشيخ الصفار: حتى أنا حصلت لي دبلجة أنا شخصياً ليس هذا من منهجي، وقلت أكثر من مرة إني أبرأ إلى الله من هذا الكلام.

تركي الدخيل: جميل، أنت أشرت أيضاً في معرض رد عن سؤال مشابه في أحد اللقاءات التي أجريت معك قلت يهمني أن أشير هنا إلى ما هو

معروف من أني كنت أعيش ضمن وضع معارضة سياسية في الثمانينات، وكانت المنطقة آنذاك تعيش تشنجاً سياسياً طائفياً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وأثناء الحرب العراقية الإيرانية، وقد تكون بعض خطاباتي في تلك المرحلة ذات طابع تعبوي في الاتجاه السياسي والمذهبي، ثم أدركنا مبكراً ضرورة تجاوز مثل هذه التوجهات، واعتماد منطق الاعتدال والتسامح والحوار والعمل البناء لمعالجة مشكلة الخلاف والتمييز الطائفي، أنت تتحدث عن أنك كنت في المعارضة السياسية للنظام السعودي، الآن ماذا يُصنف حسن الصفار نفسه؟ هل أنت في المعارضة إلى الآن؟

الشيخ الصفار: أنا الآن ضمن التوجه الإصلاحي في البلد، التوجه للإصلاح السياسي الذي عبر عنه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد الله يرحمه، وأكد عليه خادم الحرمين الملك عبد الله، وتتطلع إليه فئات وشرائح كثيرة من الواعين في المجتمع السعودي، أنا أعتبر نفسي ضمن هذا السياق.

تركي الدخيل: إذاً لا تعتبر نفسك.. انتهت مرحلة المعارضة.

الشيخ الصفار: المعارضة بذلك الشكل، لأن مصطلح المعارضة أيضاً مصطلح فضفاض، في الوطن العربي المعارضة يعني أن تكون ضد نظام الحكم، وأن تكون في الخارج، وأن تريد إسقاط نظام الحكم وما أشبه، بهذا المصطلح لست من المعارضة، لكن المعارضة بمعنى أن تنتقد ما تراه بحاجة إلى النقد وتدعو إلى إصلاح ما هو بحاجة إلى الإصلاح.

تركي الدخيل: هذا يصير حتى داخل مجلس الوزراء أحياناً.

الشيخ الصفار: فليكن، ما فيه مشكلة.

تركي الدخيل: طيب هناك سؤال آخر فيما يتعلق بالمعارضة، أنتم كنتم معارضة تعيشون في الخارج وبعد اتفاق مع الحكومة عدتم في التسعينات، لا زال بعضكم موجوداً في الخارج حتى الآن، هل لكم تواصل معهم؟

الشيخ الصفار: لا يوجد تواصل معهم الذين هم في الخارج كانوا جاؤوا أيضاً، كلنا عدنا إلى المملكة، وكلنا ضمن..

تركي الدخيل: بعدين رجعوا مرة ثانية.

الشيخ الصفار: مشروع الحوار والمصالحة، ولكن بعض الأفراد رجعوا إلى الخارج لأنهم رأوا بطئاً في تحسين وضع الشيعة، ووضع المواطنين الشيعة، والاستجابة للأشياء التي طرحت في الحوار رأوا فيه تباطؤ، ولذلك هم أبدوا انزعاجهم وخرجوا من المملكة وذهبوا إلى الخارج، ولكن ما أعرفه عنهم من خلال ما..

تركي الدخيل: لكن ليس بينكم وبينهم تواصل.

الشيخ الصفار: ليس بيننا تواصل.

تركي الدخيل: ما تعرفه عنهم من خلال ما تسمعه.

الشيخ الصفار: ما أعرفه عنهم هو أنهم لا زالوا يطرحون أيضاً طرحاً معتدلاً متعقلاً، لا يدعون إلى إسقاط النظام، ولا يدعون إلى تشنج الأمور والأوضاع، ولا يدعون إلى تدخل الإرادات الأخرى، وإنما يطالبون بتحسين بعض الأوضاع التي يرون

أنها بحاجة إلى معالجة.

تركي الدخيل: طيب، أشرت أنت أيضاً في أحد تصريحاتك أو في إحدى محاضراتك على الأصح قلت بأن مراحل الطائفية هي ثلاث مراحل، أولاً جمود وانقطاع بين الأنظمة وأبناء الطائفة، ثانياً أو المرحلة الثانية صراع وتأزم، المرحلة الثالثة قلت المرحلة الحالية من غير المفيد أن يكون هناك علاقة انقطاع أو صراع، ليش المرحلة الثالثة يا شيخ حسن يعني كانت المرحلة الأولى تأكيد والمرحلة الثانية نفي، ليش ما قلت مرحلة عمل مشترك؟

الشيخ الصفار: في هذه المرحلة الثالثة.

تركي الدخيل: إي يعني المرحلة الثالثة أنت مرت الطائفية في الخليج بمراحل ثلاث، تميزت أولاها بالجمود والانقطاع بين الأنظمة وأبناء الطائفة، تلتها مرحلة الصراع والتأزم في العلاقة إلى أن وصلنا إلى المرحلة الحالية التي من غير المفيد للجميع أن تكون علاقة انقطاع مع الأنظمة وفي نفس الوقت ألا تكون علاقة صراع، ليش ما تقول علاقة عمل مشترك؟

الشيخ الصفار: هذا ما نسعى إليه وهذا ما نمد أيدينا باتجاهه..

تركي الدخيل: وليش تستخدم الصيغة لما كانت جمود جمود وانقطاع، صراع وتأزم، المرحلة الثالثة من غير المفيد..

الشيخ الصفار: العمل المشترك يحتاج إلى إرادة أيضاً مشتركة من الطرفين، الآن

نحن نسعى باتجاه أن تتبلور هذه الإرادة، من جهة المواطنين هناك إرادة طيبة في هذا الاتجاه، ويريدون أن يكون هناك تعاون، وأن يكون العمل مشتركاً لمعالجة مشاكلهم، ولكن نأمل أن الأجهزة المعنية في الحكومات أيضاً تتخذ قراراً بهذا الاتجاه، أن يكون هناك عمل مشترك لمعالجة هذه المشاكل ومعالجة هذه الملفات السابقة.

تركي الدخيل: القضية التي تثار عندما يتم الحديث عن هذا الملف شيخ حسن هو يعني أكيد إنك سئلت عنها كثيراً هي ما يسمى بالولاء العابر للحدود، يعني في حديث دائماً عن أن الشيعة أو لدى بعض الشيعة ولاء لإيران، أنت سئلت عن هذا السؤال لكنك أجبت بقلب صيغة السؤال ولم تجب بشكل مباشر، لما سئلت قلت في البداية ليس الشيعة هم الذين يُسألون لماذا لديهم تدفق عاطفي نحو إيران، وإنما الإخوة المعترضون يُسألون لماذا هم لا تتدفق عواطفهم نحو إيران، إيران شعب مسلم كان يعيش تحت ظل نظام غربي نظام الشاه يتعاطى مع إسرائيل ويتعاون مع إسرائيل، جاءت ثورة إسلامية بقيادة علماء الدين وصنعت جمهورية إسلامية وتبنت القضية الفلسطينية، السؤال من أساسه خطأ والسؤال لماذا لا يتفاعل هؤلاء المعترضون مع دولة مسلمة كإيران؟ لماذا لم تجب على السؤال؟ هل لدى الشيعة ولاء؟

الشيخ الصفار: السؤال لم يكن حول الولاء كان حول التعاطف والتفاعل مع إيران، الولاء إذا كان يقصد من الولاء أن الشيعة يتلقون أوامرهم من دولة أخرى أو من خارج الحدود فهذا لا صحة له، هذا اتهام لا صحة له وليس هناك ما يثبته، أما إذا كان الحديث عن مجرد التفاعل والتعاطف، فأقول إن هذا التعاطف والتفاعل لا ينبغي أن يكون خاصاً بالشيعة، كما أن المسلمين يتفاعلون مع المسلمين في الشيشان.

تركي الدخيل: هذا شرحك للإجابة، فلنجب على السؤال المباشر.

الشيخ الصفار: أنا ضد أن يكون هناك ولاء للمواطنين خارج حدودهم وخارج بلدهم، ولا أعتقد أن هناك ولاء، مثلاً لو أخذنا المملكة العربية السعودية مقياساً ليس هناك ولاء أنا أقطع ليس هناك ولاء للمواطنين الشيعة في المملكة لأي جهة خارج الوطن، هناك تعاطف، هناك اشتراك في الحالة المذهبية في التوجه المذهبي، أما ولاء بمعنى أخذ الأوامر وتنفيذ الأوامر من جهات أخرى هذا ليس صحيحاً.

تركي الدخيل: ربما كانت الإشكالية مرتبطة بولاية الفقيه نظراً لارتباط الديني والسياسي في إيران بمرجع واحد، أنا أعلم..

الشيخ الصفار: ليس في كل إيران، يعني ولاية الفقيه موضوع مختلف فيه داخل الساحة الشيعية، ليس كل فقهاء الشيعة يذهبون إلى ولاية الفقيه المطلقة.

تركي الدخيل: أنتم أيضاً تذهبون إلى عدم اختيار ولاية الفقيه المطلقة، ماذا تقصدون بولاية الفقيه المطلقة؟

الشيخ الصفار: يعني الولاية السياسية، الولاية السياسية للشأن العام.

تركي الدخيل: أن يأخذ الواحد أوامره السياسية من المرجع أليست هذه هي التي تقصدها؟

الشيخ الصفار: نعم أن يكون المرجع هو مصدر الأوامر والقرارات السياسية.

تركي الدخيل: حتى للمواطن غير الإيراني في خارج إيران، وللشيعي في أي مكان.

الشيخ الصفار: هذا عملاً غير موجود، لأنه في إيران الناس ينتخبون الولي الفقيه عبر مجلس الخبراء، كل منطقة تختار ممثلاً في مجلس الخبراء ومجلس الخبراء يختار الولي الفقيه في إيران، فاختياره ملزم لأبناء الشعب الإيراني لأنهم اختاروه، وهو أيضاً يصدر الأوامر في حدود الشعب الإيراني، لكن مراجع الشيعة وعلماء الشيعة بما فيهم ولاية الفقيه في إيران لا تُصدر أوامر للمواطنين الشيعة في المناطق الأخرى.

تركي الدخيل: طيب سؤال..

الشيخ الصفار: وقد رأينا ذلك في العراق.

تركي الدخيل: شيخ حسن بس خليني أسألك، ولاية الفقيه المطلقة التي تحدثت عنها ألا تعني في النهاية أن يكون من يرى من الشيعة الأخذ بولاية الفقيه المطلقة بأن يأخذ أوامره أيضاً من الولي الفقيه في إيران فيما يتعلق بالقضية السياسية؟

الشيخ الصفار: لكن الولي الفقيه نفسه لا يعطي أوامر، هو لا يعطي أوامر، رأينا في العراق ورأينا في أفغانستان ورأينا في البحرين ورأينا في مناطق مختلفة، الولي الفقيه في إيران الذي يرى ولاية الفقيه لا يعطي أوامر للمواطنين الشيعة هناك، وأنا أعرف عن قرب أن بعض الشيعة في البحرين مثلاً سألوا المرجعية في إيران سألوا ولاية الفقيه في إيران عن ماذا يصنعون في أوضاعهم قبل سنوات، قبل المشروع الإصلاحي للملك حمد، ولكن ولاية الفقيه قالت هذا شأن يخصكم أنتم تناقشوا وأنتم خذوا القرار المناسب لأوضاعكم ولظروفكم، الولي الفقيه إنسان يفهم المعادلات، ويفهم الحدود، ويفهم المصلحة، المسألة ليست مثل بعض المفتين الذين يصدرون الفتاوى للقارات بأجمعها، ولا يأخذون كل الجوانب والقضايا بعين الاعتبار، ليس الأمر كذلك.

تركي الدخيل: إي بس هذه قضايا في مسائل فقهية وليست سياسية في الغالب.

الشيخ الصفار: نعم، في المسائل السياسية هؤلاء المفتون الذين يصدرون فتاوى بالجهاد وبالإرهاب وبالعنف في كل مكان هذه مسائل سياسية..

تركي الدخيل: طيب سنواصل الحديث شيخ حسن بعد فاصل قصير.

صلاحيات ولاية الفقيه

تركي الدخيل: حياكم الله أيها الإخوة والأخوات مجدداً في إضاءات لا يزال حوارنا هذه الحلقة مع الشيخ حسن موسى الصفار عالم الدين الشيعي السعودي، شيخ حسن كنا نتحدث قبل قليل عن ولاية الفقيه، قلت أن حتى الذين يرون الولاية المطلقة مضبوطين بأن الولي الفقيه لا يصدر لمن هم خارج الحدود، مع أن كثيرين وأنت منهم لا يرون ولاية الفقيه المطلقة، الولاية المقيدة ويش تقصد فيها أو غير المطلقة؟

الشيخ الصفار: غير المطلقة هي ولاية الفقيه على القصّر وعلى الأمور الدينية هذه تعتبر ولاية محدودة وليست ولاية مطلقة في الشأن السياسي العام، على الأوقاف على القصّر على الأمور الدينية.

تركي الدخيل: هل وجدت ولاية الفقيه في أدبيات الشيعة قبل ظهور الثورة في إيران وقبل أن يتبناها الإمام الخميني؟

الشيخ الصفار: نعم كانت موجودة هناك بعض العلماء كالشيخ النراقي تحدث

عن هذا الموضوع، وكان موجوداً في منتصف القرن الثالث عشر الهجري تحدث عن هذا الموضوع، ولكن لم يعط الموضوع هذه العناوين الفاقعة الواضحة التي حصلت فيما بعد، الإمام الخميني حينما جاء بلور الفكرة أكثر، واستدل لها، وطرحها كمشروع سياسي أيضاً، وطرحت للتصويت للشعب الإيراني يعني بالتالي الدستور في إيران الذي يتحدث عن صلاحيات ولاية الفقيه هو دستور صوت عليه الشعب الإيراني.

تركي الدخيل: طيب قبل قليل أنت تحدثت تقول أن ولاية الفقيه أيضاً رأيناها أنها لم تؤثر أو ولي الفقيه لم يؤثر في الوضع في العراق، لم يؤثر.. لكن هناك حديث متكاثر في المرحلة الحالية من دول المنطقة عن مد إيراني في العراق، تبلور هذا بشكل صريح لأكثر من تصريح لوزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل، أنتم كيف ترون وضع المد الإيراني في العراق؟

الشيخ الصفار: هناك فرق بين الأمرين، أن ولي الفقيه في إيران يصدر أوامر للعراقيين افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا وشاركوا في مجلس الحكم أو لا تشاركوا أو انتخبوا رئيس الوزراء فلان هذا لم يحصل، لكن أن هناك نفوذاً إيرانياً في العراق هذا أمر واضح لا يستطيع أن ينكره أحد، وهذا النفوذ الإيراني في العراق هو أمر طبيعي، العراق ساحة مفتوحة، القوى الكبرى هي الآن تسرح وتمرح في العراق أميركا وحلفاؤها وهي ساحة مفتوحة لتأثيرات الدول المجاورة حول العراق أيضاً، والعراقيون وهم يبنون تجربتهم الجديدة في حاجة إلى دعم ومساعدة من الدول المجاورة، إيران كانت منفتحة على المعارضة العراقية قبل سقوط النظام..

تركي الدخيل: المعارضة أصبحت الآن هي التي تحكم؟

الشيخ الصفار: والمعارضة هي التي تحكم، وبالتالي هناك علاقة طبيعية ما أريد أن أقوله إن دول المنطقة ينبغي أن تنفتح هي أكثر على الشعب العراقي في مرحلته الحاضرة، وعلى المعارضة العراقية، لذلك أنا كنت فرحاً جداً بالحفاوة التي حظي بها سماحة السيد مقتدى الصدر حينما جاء للحج، وحظي بحفاوة من خادم الحرمين الشريفين، ومن حكومة المملكة، أنا أعتقد أن هذا هو الاتجاه الصحيح، بدل أن نتحدث عن نفوذ الدول الأخرى في العراق علينا نحن أن نصنع النفوذ بمعنى مساعدة الشعب العراقي.

تركي الدخيل: بس شيخ حسن هذا التحليل..

الشيخ الصفار: يعني مساعدة الشعب العراقي في تجاوز هذه المرحلة.

تركي الدخيل: شيخ حسن هذا تحليل سياسي، إذن أنت لا ترى لا تشاطر القيادات السياسية التي ترى أن هناك خطورة من النفوذ الإيراني في العراق؟

الشيخ الصفار: الخطورة غياب النفوذ العربي، وغياب نفوذ بقية الدول.

تركي الدخيل: هذه مثل إجابتك اللي قبل شوي الإجابة بقلب السؤال لا ترى أن هناك خطورة من ..؟

الشيخ الصفار: لا أعتقد لأن الشعب العراقي شعب ناضج، وهو حريص على استقلاله، لسنا أحرص من العراقيين على استقلالهم وعلى وطنهم، لا يصح لنا أن نزايد على العراقيين في وطنيتهم وفي استقلالهم، همّ أيضاً حريصون على استقلالهم.

تركي الدخيل: إذن يعني أنت تعتقد إنه وضع طبيعي وهذا ما يجب

أن يكون؟

الشيخ الصفار: وهذا ما يجب أن يكون، يجب أن يكون أن دول الجوار تمد يدها لمساعدة الشعب العراقي، وألا تترك الشعب العراقي فريسة لنفوذ الدول الكبرى.

تركي الدخيل: ألا تعتقد أن الوضع في العراق يتجه باتجاه تصعيد مذهبي؟

الشيخ الصفار: أعتقد أن هذا الخطر ليس وارداً في العراق كما صرحت أغلب القيادات العراقية، تجاوز العراق هذه المرحلة وخاصة بعد الانتخابات الأخيرة، ودخول كل شرائح وألوان الطيف العراقي في الانتخابات، وما نراه الآن يجري من حوار ومفاوضات بين مختلف القوى لتشكيل حكومة وحدة وطنية أعتقد أن العراق قد تجاوز هذا الخطر والحمد لله.

تركي الدخيل: فيما يتعلق بالحوار السني الشيعي قلت في أحد التصريحات التي أجريت معك في ٢١/ ١١/ ٢٠٠٣ ليس شرطاً لحسن العلاقة بين السنّة والشيعة أن يتنازل أي طرف عن رأيه وقناعته، فالشيعة لهم رؤيا عن موضوع الخلافة والإمامة، وأنها تكون بالنص من الرسول، ولديهم أدلتهم التي يرونها ملزمة لهم بالإيمان بذلك، ولا يجدون أنه يمكنهم التنازل عما ثبت لديهم من الأدلة العقلية والشرعية، لكن موضوع الخلافة والخلفاء أصبح قضية تاريخية، فلماذا يكون عقبة في طريق الأمة في عصرها الحاضر، بحيث ينشغل الشيعة بإثبات رأيهم، أو يحرص السنة على تغيير رأي الشيعة فيه، إننا لسنا مخيرين الآن بين خلافة أبي بكر وخلافة علي حتى نهتم بإقناع بعضنا بعضاً بأحد الخيارين، المذاهب

مبنية على هذه الخلافات أليس كذلك شيخ حسن؟

الشيخ الصفار: المذاهب والخلافات، هكذا في البداية نشأت، لكن المذهب باعتباره مذهباً يعبر عن الإسلام بشموليته فلا يتلخص المذهب في هذه الأمور يعني ما هو المذهب؟

تركي الدخيل: أنت ترى أن يكون العمل المشترك بعيداً عن الخلاف؟

الشيخ الصفار: ما هو المذهب؟ المذهب هو الطريق لفهم الإسلام، والإسلام دين واسع، وبرامج واسعة لإحياء حياة الناس وإسعاد الناس، هذه الخلافات المذهبية تمثل جانباً محدداً من فهم كل طرف للإسلام، فلماذا نغفل عن بقية الجوانب الإسلامية وننشغل بهذا الجانب.

تركي الدخيل: طيب شيخ حسن يعني اسمح لي أن أوجه لك هذا السؤال، هناك من يتهمك بأن لديك خطاباً متسامحاً في وسائل الأعلام، لكنك عندما تصعد إلى المنبر لا يظهر هذا التسامح في الحديث عن المذهبية بين السنة والشيعة والشيعة والسنة؟

الشيخ الصفار: خطابي على المنبر أيضاً يبث في وسائل الأعلام على الانترنت وفي بعض القنوات الفضائية، وفي بعض الإذاعات، ما عاد لدي خطابان.

تركي الدخيل: كان لديك في وقت من الأوقات خطابان؟

الشيخ الصفار: في وقت لم يكن هناك إعلام كان لدي خطاب فقط لجمهوري الشيعي، ولكن حتى هذا الخطاب الذي كان للجمهور الشيعي في الماضي أيضاً كان يحمل

درجة كبيرة من التسامح والتوجيه إلى التسامح والتقارب والتقريب..

تركي الدخيل: هل غيّر خطابك الإعلام؟ أول ما كان في إعلام فصار في إعلام هو الإعلام اللي غير خطابك؟

الشيخ الصفار: لا بدّ أن يتغير الإنسان لأنه حينما يخاطب شريحة أوسع لكن ليست تغيير..

تركي الدخيل: يعني هل تقول للشيعة مالا تقوله للسنة ؟

الشيخ الصفار: أقول للشيعة بعض الأحيان أشياء تخصهم، كبعض المسائل الفقهية والعقدية التي تخصهم، حينما أتحدث لجمهور أوسع فلا بدّ أن أتحدث باللغة المشتركة، لأن الجمهور الذي أخاطبه جمهور أوسع، لكن ليس هناك تناقض وإنما هناك عموم وخصوص من وجه كما يقول المناطقة.

تركي الدخيل: طيب أنت يعني واضح من الخطاب الذي تتحدث فيه أنك من دعاة التسامح، دعاة التسامح عادة ما يثير المتعصبون عليهم الثوائر، هل تواجه من المتعصبين الشيعة بالتشنيع؟

الشيخ الصفار: بالطبع أواجه هذا الأمر، ولكن أنا أعتبر أن هذا أمر طبيعي لأن هناك اختلافاً في الرأي، في بعض الأحيان هناك تضارب في المصلحة، وكل إنسان يعمل في الشأن العام لا بد أن يكون له مادح، وأن يكون له قادح، وأن يكون له مؤيد أن يكون له معارض، ولذلك أنا لا أعيش القلق تجاه هذه المسألة، خاصة وأن المساحة الأكبر من المجتمع بدأت تعي أهمية وجود التوجهات المعتدلة والإصلاحية.

تركي الدخيل: جميل، شيخ حسن هناك من يتحدث عن أن الخطاب السني يوجد من داخله كثيراً من النقد الداخلي، لكن الخطاب الشيعي لا يوجد لديه ذات النقد الداخلي لماذا في تقديرك؟ هل لأن الشيعة يعتبرون نفسهم أقلية فلا ينشأ من داخل خطاباتهم خطابات ناقدة للخطاب الأساسي؟

الشيخ الصفار: أنا أعتقد أن هناك سبباً آخر السبب الآخر..

تركي الدخيل: يعني إذن أنت توافق على هذا؟

الشيخ الصفار: نعم، السبب الآخر يكمن في أن الخطاب السني أنشأ واقعاً، كانت بيده كثير من أزمة الأمور، وكانت بيديه إمكانيات، هذا الواقع برزت فيه نقاط ضعف وثغرات، ولذلك من الطبيعي أن تكثر حالة النقد لواقع قائم، الخطاب الشيعي تأثيراته جديدة، الآن بدأ يظهر، وبدأ يتشكل وضع في الساحة الشيعية، ولذلك الثغرات أقل من الثغرات الموجودة من نتائج الخطاب الآخر.

تركي الدخيل: جميل، شاركتم أنتم شيخ حسن بالإضافة إلى قيادات شيعية في سلسلة الحوار الوطني التي تُجرى في المملكة العربية السعودية، الحوار الوطني يجري بين مختلف فعاليات الأفكار والمذاهب في المملكة العربية السعودية، إلى أي حد تعتقد أن الحوار الوطني ساهم في رأب الصدع بين الطوائف وأرباب الأفكار في السعودية؟

الشيخ الصفار: أعتقد أن الحوار الوطني كان له انعكاس كبير جداً، وكان له تأثير كبير، في الماضي كانت هناك قطيعة، كانت هناك حالة من العزلة تعيشها كل طائفة وكل

جماعة ضمن وضعهم الخاص بهم، الحوار الوطني نقلنا من حالة الصراع والتشنج، وحالة القطيعة والتباعد، إلى حالة الحوار والتلاقي والتواصل، هل تتصور أنه في أول حوار عقد في الرياض أُثيرت ثائرة كبيرة، حينما جمعتني سيارة مع أحد الدعاة السلفيين، فضيلة الشيخ سلمان العودة، كان مستغرباً كيف أن مواطنين يعملان في مجال الدعوة، لكن الفارق فقط كون هذا مذهبه شيعي وهذا سني سلفي كيف يجتمعان في سيارة واحدة، ولكننا الآن والحمد لله بدأنا نتواصل، بدأ بعض العلماء من السنّة يأتون إلى مجالسنا ويلقون محاضرات، وأنا أذهب وغيري إلى مجالسهم ونلقي محاضرات، نتواصل في المناسبات، نتداول الرأي في بعض القضايا والأمور فنحن انتقلنا إلى مرحلة جديدة بعد الحوار الوطني والحمد لله.

تركي الدخيل: جميل، هناك حديث يثور بين الآونة والأخرى عن خلافات في الوسط الشيعي فيما يتعلق بالمراجع بالمرجعيات، يقال أن الانتخابات البلدية التي جرت في السعودية وبالذات في الدمام والقطيف حيث يتركز الشيعة في السعودية أثارت هذا الخلاف بين أتباع الخط الشيرازي وأتباع الخط الآخر، كيف تنظرون لهذه الخلافات شيخ حسن؟

الشيخ الصفار: أنا لا أوافق على هذا الرأي لأن الانتخابات خاصة في القطيف عندنا كانت من أهدأ الانتخابات في كل أنحاء المملكة، وأقل نسبة من الطعون قُدمت كانت على الانتخابات البلدية التي حصلت في القطيف، والأصوات التي حصل عليها المنتخبون المرشحون كانت عالية، وما عادت المسألة المرجعية هي محور صراع وخلاف، بالعكس كانت هناك مجاميع كل مجموعة لها مرشحها، وحتى ضمن المرجعية الواحدة كان هناك تعدد في المرشحين، وكان هناك تنافس بين المرشحين، ولذلك أنا لا أوافق على أن..

تركي الدخيل: هل دعمتم شيخ حسن أنتم أحد القوائم في القطيف؟

الشيخ الصفار: دعم بمعنى أن بعض المرشحين كانوا قريبين مني وأعرفهم وهناك علاقة معهم هذا موجود، لكن إعلان الدعم والدعوة إلى ترشيحهم هذا لم يحصل.

تركي الدخيل: ما كنتم خلف أحد القوائم اللي موجودة في القطيف؟

الشيخ الصفار: أبداً ما كنت بمعنى ممارسة دور في دعوة الناس إلى ترشيحهم لم أقم بهذا الدور.

تركي الدخيل: من خلف الكواليس كنت تمارس هذا الدور.

الشيخ الصفار: لا معرفة الناس بأن هؤلاء لهم صداقة معي جعلتهم يعتقدون هذا الأمر، وأنا زرت كل المرشحين في مخيماتهم، ودعوت الناس إلى الاختيار على أساس الكفاءة وعلى أساس قناعاتهم، فلم يكن لدينا خطابات..

تركي الدخيل: كيف ترى القوائم التي ظهرت؟ ظهرت في الأوساط الشيعية والأوساط السنية المتدينة في الطرفين قوائم سُميت بالقوائم الذهبية التي يجري تزكيتها إن بشكل واضح ومباشر أو بشكل غير مباشر، هل تعتقد أن هذه التزكيات تعزيز لفكرة الانتخابات الموجودة الآن في السعودية؟

الشيخ الصفار: هذا أمر طبيعي، إذا كانت في حدود الضوابط الموضوعة في الانتخابات وفي كل بلدان العالم الدعاية الانتخابية لها ضوابط..

تركي الدخيل: بس هل يجب أن يشكل العلماء.. العلماء بدعم هذه

القائمة أو تلك؟

الشيخ الصفار: يعني من الناحية الشرعية ليس هناك ما يمنع، وإذا كانت ليست هناك ضوابط قانونية تمنع..

تركي الدخيل: لماذا يا شيخ تحفظت أنت قبل قليل وقلت أنا لم أدعمها بشكل مباشر؟

الشيخ الصفار: فقط لعدم إثارة أي حساسية معينة من أحد، حتى لا يتصور أحد أني مثلاً وقفت موقفاً مخالفاً أو مناوئاً له، وإلا العالم هو مواطن ومن حقه أن يبدي رأيه، وإذا كان هناك أناس يثقون برأيه ويطمئنون برأيه لماذا لا؟

تركي الدخيل: طيب، شيخ حسن أيضاً أنت كان لك موقف فيما يتعلق بالرسوم الكاريكاتيرية التي رُسمت في حق النبي صلى الله عليه وسلم، قلت أيضاً بأنك ضد هذه الرسوم، وأن هذا يعني يناقض ما تزعمه هذه الدول من حرية التعبير، لكنك حذرت من اتخاذ موقف انفعالي، ماذا تقصد بموقف انفعالي؟

الشيخ الصفار: أقصد بالموقف الانفعالي أن لا نعبئ جمهورنا ضد كل الشعوب والمجتمعات الغربية وضد كل المسيحيين، فنعتبر أن هذه الإساءة وكأنها إساءة كل المسيحيين..

تركي الدخيل: أو كل الدنماركيين؟

الشيخ الصفار: أو كل الدنماركيين وهذا ليس صحيحاً..

تركي الدخيل: ولذلك أنتم الشيعة لم تتبنوا مقاطعة المنتجات الدنماركية كما معظم السنة؟

الشيخ الصفار: الناحية الثانية حول المقاطعة أنا تحدثت أيضاً في خطابي، قلت ينبغي أن تدرس مسألة المقاطعة، إذا كانت المقاطعة مفيدة فينبغي للجميع أن يستخدموا هذا السلاح.

تركي الدخيل: هذا الموقف غير الانفعالي الذي أشرت إليه هل هو شكل من أشكال المراجعة بعد أن دعا الإمام الخميني وأفتى.. بقتل سلمان رشدي فيما يتعلق بآيات شيطانية؟

الشيخ الصفار: حتى الإمام الخميني أفتى ضد شخص معين ولم يعبئ ضد كل المسيحيين، وضد كل أتباع الديانة المسيحية يعني نحن نحذر من التعبئة، الخطاب الديني الإسلامي في كثير من الأحيان دائماً يُصور أمام الناس المؤامرة، أن هذه مؤامرة من النصارى من اليهود.

تركي الدخيل: ولذلك يجب أن لا ننساق مع المعارضة..

الشيخ الصفار: ولذلك يجب أن لا ننساق مع عقلية المؤامرة وأن نضع الحدود الأمور في حدودها.

تركي الدخيل: أرجو ألا تعتبر إنهائي للبرنامج مؤامرة، شكراً لك شيخ حسن.

الشيخ الصفار: شكراً لكم على إتاحة هذه الفرصة.

تركي الدخيل: شكراً لكم أنتم أيضاً أيها الإخوة على متابعة هذه الحلقة من إضاءات هذا تركي الدخيل يحييكم وحتى ألقاكم في حلقات مقبلة أترككم في رعاية الله وحفظه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«الصفار» مطالباً بتفهم خلفية مواقف المخالفين:

التعصب للرأي يمنع الانفتاح على الآخر [1]

هبة الزاهر (القطيف)

أكد الشيخ حسن الصفار أن اختلاف الرأي ظاهرة طبيعية في حياة البشر ولا يصح أن تكون سببا للتعادي والتخاصم بل ينبغي أن تستثمر لصالح تكامل المعرفة واكتشاف الحقيقة وإثراء الساحة الثقافية. جاء ذلك في ورقة عمل قدمها الصفار بعنوان «ثقافة الاختلاف» في مؤتمر أقيم بالكويت مؤخراً تحت عنوان «نحن والآخر» مشيراً إلى أن أفضل خدمة يقدمها أي شخص للرأي الذي يؤمن به هو حسن تعامله مع الآخرين ليقدم بسلوكه الطيب أنموذجاً مقبولاً لأفكاره وليكون بسيرته الصالحة داعية لآرائه..

---

(١) عكاظ: صحيفة يومية سعودية، العدد ١٧٤٦، بتاريخ ٢٩ صفر ١٤٢٧هـ، الموافق ٢٩ مارس٢٠٠٦م.

أما أسلوب العداوة والتشدد فهو يسيء للتوجه الذي ينتمي إليه.

وقال الصفار في مشاركته بالمؤتمر إن بعض الناس يبالغون في الغضب لآرائهم ويفرطون في الثقة بها بحيث لا يفسحون أي مجال أو يعطون أية فرصة للرأي الآخر ويعتقدون أنهم على الحق المطلق دائما وغيرهم على الباطل في كل شيء.. وينتج عن هذه الحالة غالباً موقف التطرف تجاه المخالفين. وأضاف أن التعصب المطلق للرأي والتشنج تجاه آراء الآخرين يمنع الإنسان من الانفتاح على الرأي الآخر ومن الاستماع إليه والاطلاع عليه رغم أنه قد يكون الرأي الصحيح والصائب.

ودعا إلى الاعتدال قائلاً: إنه حين يعتقد الشخص بأحقية رأي معيّن ويجد آخرين يخالفونه ذلك الرأي ينبغي له ألا يتهمهم بالمروق وإنما يجب أن يتفهم ظروفهم وخلفية مواقفهم، فلعلّ لديهم أدلة مقنعة على ما يذهبون إليه أو يجهلون الرأي الحق لقصور في مداركهم ومعلوماتهم أو يعيشون ضمن بيئة وأجواء تحجب عنهم الحقائق أو هناك شبهات تشوش على أذهانهم وأفكارهم.

الصفار لفضائية الجزيرة:

تصريح الرئيس مبارك هفوة نأمل تجاوزها

اتصلت فضائية الجزيرة بسماحة الشيخ حسن الصفار ضمن برنامجها الإخباري بعد الساعة الرابعة ظهراً ليوم الأحد ١١/ ٣/ ١٤٢٧هـ الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٠٦م لطلب التعليق على تصريح الرئيس المصري حسني مبارك الذي جاء فيه أن ولاء الشيعة بالدرجة الأولى لخارج أوطانهم.

وهذا نص الحوار...

ينضم إلينا من القطيف الشيخ حسن الصفار أحد علماء الشيعة في السعودية

شيخ حسن، كيف تعلق أنت على تصريحات الرئيس حسني مبارك؟

بسم الله الرحمن الرحيم إن الساحة العراقية بما تشهد من أحداث عنف مرعبة

تهدد بخطر حرب طائفية مدمرة، هي في أمسّ الحاجة لدور عربي منقذ لمساعدة الشعب العراقي على تجاوز هذه المحنة، والتمسك بوحدته ومقاومة الاحتلال، وجمهورية مصر العربية بثقلها العربي والدولي ولاحتضانها مقر جامعة الدول العربية يتوقع منها دور كبير على هذا الصعيد.

لكن ما نقل عن الرئيس حسني مبارك من تصريحات تشكك في ولاء شريحة كبرى من الشعب العراقي (وهم الشيعة) لوطنهم، لا تخدم مثل هذا الدور المأمول من العالم العربي ومن مصر بالذات.

كما أن التشكيك في ولاء جميع المواطنين الشيعة لأوطانهم ظلم وإجحاف يتنافى مع تاريخهم الناصع في الدفاع عن أوطانهم والإخلاص لمجتمعاتهم ويخدم مخططات الفتنة وتمزيق الأمة ويخالف مقررات قمة مكة الاستثنائية والتي ما جفّ حبرها بعد، وكان الرئيس المصري في طليعة المشاركين فيها.

إننا نأمل أن يكون التصريح هفوة غير مقصودة من الرئيس المصري.

طيب الشيخ الصفار: تجاوزاً لتصريحات الرئيس المصري، منذ أسابيع قليلة تحدث عدد من المسؤولين الأمريكيين عن احتمال إجراء مفاوضات أو محادثات مع إيران فيما يتعلق بدور محتمل أو مفترض في إيران في الوضع العراقي، وإيران لم تعارض ولم تقل أن مثل هذا الحديث لم يجر، على ماذا يدل ذلك برأيك رغم كل النفي عن وجود إيراني في أوساط الشيعة تحديداً في العراق؟

ليس الكلام حول وجود دور إيراني أو عدم وجود دور، وإنما الكلام هل ذلك يعني أن المواطنين الشيعة في العراق وفي البلدان العربية الأخرى ينقصهم الولاء لأوطانهم؟ هذا الكلام غير صحيح. وجود دور إيراني هذا أمر راجع للظروف السياسية التي تعيشها

الساحة العراقية.

وكنا نتمنى أن يكون الدور العربي في العراق أكثر وأبلغ من أيّ دور آخر، لكن التقصير والقصور العربي هو الذي فتح المجال للأدوار الأخرى.

أما أن يكون التشكيك في دور المواطنين الشيعة في كل بلدانهم لأوطانهم فهذا إجحاف وظلم ومخالف للحقيقة. الشيعة هم الذين قادوا ثورة العشرين في العراق فهل كان في ذلك شك في وطنيتهم؟

الشيعة في البحرين هم الذين صوتوا لاستقلال البحرين ولم يقبلوا بالانضمام إلى إيران.

الشيعة في المملكة العربية السعودية هم الذين بادروا لمبايعة الملك عبد العزيز.

قد يقال لك شيخ حسن الصفار أن الأوضاع تغيرت الآن عن هذه الأحداث التاريخية يعني المعروفة والمشهودة للشيعة في المنطقة.

وحتى الآن، يعني نحن نرى الآن الشيعة في المملكة العربية السعودية مدى التفافهم حول حكومتهم وتجاوبهم مع الحوار الوطني وبعدهم عن الإرهاب والعنف رغم وجود محاولات كثيرة من قبل أطراف عديدة لمحاولة جر الشيعة إلى مواقف أخرى ولكن إخلاصهم لوطنهم هو الذي يمنعهم من ذلك.

وكذلك في البلدان الأخرى في لبنان الشيعة الآن في مقاومتهم لإسرائيل وتحريرهم جنوب لبنان، هل هذا يدل على نقص في ولائهم لوطنهم؟

هذا التعميم إن شاء الله يكون هفوة وزلة لسان غير مقصودة.

الشيخ حسن الصفار من القطيف شكرا لك.

الصفار: تشكيك مبارك بالشيعة ظلم وإجحاف[1]

أثار تصريح الرئيس المصري حسني مبارك حول ولاء الشيعة لأوطانهم ضجة كبرى، وقد بيَّن موقع الخيمة الإلكتروني بتاريخ ٩ أبريل ٢٠٠٦م بعض المواقف المستنكرة منها موقف سماحة الشيخ، وهذا ما جاء...

أثارت تصريحات الرئيس المصري حسني مبارك حول الشيعة واعتباره أن ولائهم هو لإيران، ردود فعل غاضبة من القيادتين العراقية والإيرانية ومن رجال دين شيعة في المنطقة.

ورفض الشيخ حسن الصفار أحد كبار العلماء الشيعة في السعودية تصريحات مبارك، معرباً عن الأمل بأن تكون «هفوة وزلة لسان غير مقصودة».

وقال الصفار: «إن ما نقل عن الرئيس حسني مبارك من تصريحات تشكك في

(١) الخيمة: موقع الكتروني يصدر عن شركة **The Media Network** من بيروت، ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٦م.

ولاء شريحة كبرى من الشعب العراقي وهم الشيعة لوطنهم، لا يخدم الدور المأمول من العالم العربي ومن مصر بالذات».

وتابع: «كما أن التشكيك في ولاء جميع المواطنين الشيعة لأوطانهم، ظلم واجحاف يتنافى مع تاريخهم الناصع في الدفاع عن أوطانهم والإخلاص لمجتمعاتهم ويخدم مخططات الفتنة وتمزيق الأمة ويخالف مقررات قمة مكة الاستثنائية التي ما جف حبرها بعد، وكان الرئيس المصري في طليعة المشاركين فيها».

وندَّد الشيخ الصفار بالتشكيك في وطنية العرب الشيعة معتبراً أن ذلك من «الظلم والإجحاف ومخالف للحقيقة».

ورفض قادة العراق تصريحات مبارك، وأشار رئيس الوزراء المنتهية ولايته إبراهيم الجعفري في مؤتمر صحافي مشترك مع الرئيس العراقي جلال طالباني ورئيس مجلس النواب عدنان الباجه جي إلى «ما ورد على لسان» الرئيس المصري حسني مبارك «بشأن الإشارة إلى ولاء الشيعة لإيران مما يفهم على أنه طعن في وطنيتهم وحضارتهم وإن عن غير قصد».

وأكد الجعفري أن هذا التصريح «سبب إزعاج شعبنا العراقي من مختلف الخلفيات الدينية والمذهبية والقومية والسياسية وأثار أيضاً استغراب واستياء الحكومة العراقية».

وأضاف أن «الحكومة العراقية وجهت بهذا الخصوص وزير خارجيتها (هوشيار زيباري) لطلب الإيضاح عبر القنوات الدبلوماسية».

من جهته، أكد طالباني أن «التهمة الموجهة ضد إخوتنا الشيعة هي تهمة ظالمة وليس لها أي أساس».

وأضاف أن «أول حزب قومي عراقي تأسس بعد الاستقلال كان رئيسه المرحوم محمد مهدي كبة وهو شيعي. وقبل ذلك أول حركة وطنية واسعة في الثلاثينات تعمل من أجل التحرير والديموقراطية وكان قائدها جعفر أبو التمن وهو شيعي».

وفي العراق طالبت لائحة الائتلاف العراقي الموحد الشيعية الرئيس المصري حسني مبارك بالاعتذار والتراجع عن تصريحاته.

وقال الائتلاف في بيان إن «الائتلاف العراقي الموحد وعموم الشيعة في العراق يطالبون الرئيس المصري الاعتذار والتراجع عن تصريحاته، كما يطالب الحكومة العراقية ممثلة بالسيد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ومجلس النواب ووزير الخارجية أن يسجلوا رفضهم واستنكارهم الرسمي لهذه التصريحات اللامسؤولة التي نخشى أن تصدع التلاحم العربي الإسلامي».

وأضاف البيان أن «هذا التصريح الذي أساء لملايين الشيعة في العالم خالٍ من الموضوعية والمصداقية التي أثبتها أتباع أهل البيت عموماً من خلال ولائهم ومواقفهم الوطنية».

وتابع البيان أن «الشيعة في العراق الذين يشكلون حسب اعتراف السيد مبارك ٦٥٪ هم عرب أصلاء من أرحام عربية وعشائر معروفة، لا يستطيع أحد أن يشكك بولائهم الوطني لبلدهم ولا ينكرها إلا مكابر أو متمرد على الحقيقة، وإن عشائر العراق نصفها سني والآخر شيعي فلماذا يتحول الانتماء إلى أهل البيت سبباً لسلب هويتهم الوطنية وربما العربية».

كما رفضت طهران تصريحات مبارك، وأكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية حميد رضا آصفي أن بلاده تستخدم نفوذها لتأمين «استقرار» المنطقة.

الشيخ الصفار: الوحدة الإسلامية ضرورة [1]

أجرت مجلة منتدى الحوار المغربية حواراً مع سماحة الشيخ حسن الصفار حول موضوع الوحدة الإسلامية.

وهذا نص الحوار:

س: ماذا تمثل الوحدة الإسلامية واستراتيجياً التقريب بين المذاهب الإسلامية في نظركم؟

ج: الوحدة الإسلامية تمثل الضرورة والمنطلق لتجاوز الأمة لحال الاضطراب في علاقاتها الداخلية، ولتوجهها نحو التنمية والبناء بدل الانشغال بالخلافات الجانبية.

كما تمثل الوحدة الإسلامية أفضل تحصين لساحة الأمة من الاختراقات المعادية.

---

(١) منتدى الحوار: مجلة شهرية جامعة تصدر في المغرب، السنة الثالثة، العدد ٣٠ بتاريخ أبريل ٢٠٠٦م.

س: ما هي الإشكالات النظرية التي تواجه مفهوم التقريب بين المذاهب الإسلامية والوحدة الإسلامية ؟

ج: من أهم الإشكالات النظرية التي تواجه مفهوم الوحدة والتقريب بين أبناء المذاهب الإسلامية مسألة قبول التعددية واحترام الرأي الآخر، حيث تسيطر على الذهنية المذهبية فكرة احتكار الحق والحقيقة بكاملها، وتجريد الآخر من أي نسبة منها، والنظر إليه على أنه باطل وضلال. وبالتالي فإن التعامل معه يكون باستهداف تغييره وهدايته، وإلا فمقاطعته وعداؤه.

وتنطلق هذه النظرة من ضيق أفق معرفي، وسوء إدراك لمفاهيم الإسلام، ومن حالة نفسية تعصبية.

س: بداية، ورغم خطورة الأحداث التي يواجهها العالم الإسلامي، هل أنتم متفائلون بالخطاب التقريبي والوحدوي؟

ج: نعم أشعر بالتفاؤل لمستقبل الوحدة والتقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية، لاتساع رقعة الوعي بين أبناء الأمة، ونمو القدرة عند الفرد المسلم لتشخيص مصلحته الوطنية والاجتماعية، متجاوزاً حالة الاتباع الأعمى للقيادات المذهبية التعصبية.

إن أجواء الانفتاح الثقافي والإعلامي وتكنولوجيا التواصل المعلوماتي أتاحت المجال لتنوع مصادر المعرفة بالآخر المذهبي، ولم يعد إمام المسجد وخطيب المأتم مصدراً وحيداً للثقافة الدينية.

وأصبح الناس أقرب إلى القبول بحرية الاختيار الديني، واحترام الرأي الآخر، بفضل انتشار مبادئ حقوق الإنسان، ومفهوم المواطنة.

س: كيف تنظرون إلى المكتسبات التي حققتها فعاليات التقريب والوحدة

الإسلامية حتى الآن؟

ج: إن من أهم مكتسبات فعاليات التقريب والوحدة الإسلامية في هذا العصر ما يلي:

أولاً: التأصيل الشرعي للقضية بعد حقبة من رسوخ العصبية المذهبية السلبية التي تنفي أتباع المذهب الآخر من حظيرة الدين، وتسلبهم حقوق الأخوة الإسلامية، وتفتي بالتقرب إلى الله بمعاداتهم والإساءة إليهم.

لقد أنتجت فعاليات التقريب والوحدة الإسلامية ثقافة إيجابية بناءة، تؤكد مركزية الوحدة في قيم الإسلام ومبادئه، وتدعو للالتفاف حول أصول الإسلام وأركانه الأساس، التي هي موضع وفاق بين كل مذاهب المسلمين، وتشيع ثقافة التسامح ومبدأ الحوار.

مع التأصيل لهذه الثقافة وتقعيدها على أساس الفهم الواعي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثانياً: بروز جيل من دعاة الوحدة والتقريب في أوساط علماء الدين، ورجالات الحركة الإسلامية، ومفكري الأمة ومثقفيها، من مختلف المناطق الإسلامية، من مصر وإيران والعراق ولبنان وسوريا وباكستان والمغرب وغيرها.

ثالثاً: فتح أبواب التواصل والحوار بين المراكز العلمية والقيادات الدينية لمختلف المذاهب، بين الجامع الأزهر في مصر والحوزة العلمية في النجف الأشرف، والحوزة العلمية في قم المقدسة، والمؤسسات الدينية والثقافية في سوريا ولبنان والأردن واليمن وسلطنة عمان وأمثالها.

رابعاً: إنشاء مؤسسات تعنى بموضوع الوحدة والتقريب، كدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، وجامعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، وهيئة علماء المسلمين في

لبنان، ومجلس التنسيق بين الحركات الإسلامية في باكستان.

س: هل تتوقعون لعملية التقريب والوحدة مستقبلاً حقيقياً أم أن المسألة تتعلق بخطاب قدّر له أن يستمر مثالياً- حالماً مع عسر التحقق؟

ج: أعتقد أن مهمة خطاب الوحدة والتقريب بين المذاهب هي تجاوز حالة القطيعة والصراعات المذهبية، حتى ينفتح المسلمون على بعضهم بعضاً، ولا يكون اختلاف المذهب عائقاً عن التواصل والتعاون، وحين تكون العلاقة بين أتباع المذاهب طبيعية فإن تقارب الآراء السياسية والبرامج الاجتماعية والتوافق في المصالح سيكون هو المؤثر في تشكيل التحالفات والتجمعات بغض النظر عن الانتماء المذهبي، ففي أتباع المذهب الواحد هناك تنوع في الاتجاهات السياسية، واختلاف في المدارس الفكرية، وتضارب بين مصالح الفئات.

وبالتالي، فإن خطاب التقريب بين المذاهب خطاب مرحلي اقتضته الحالة المرضية في العلاقة بين أتباع المذاهب. ولتوضيح هذه الفكرة أضرب مثلاً بالعلاقة السيئة التي كانت في حقبة ماضية بين أتباع المذاهب الأربعة لأهل السنة كالأحناف والحنابلة والأحناف والشافعية، يوم كان القاضي الحنفي بدمشق محمد بن موسى (توفي ٥٠٦هـ) يقول كما ينقل عنه: (لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية).

كما ينقل عن أبي حامد الطوسي (توفي ٥٦٧هـ) قوله: (لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية). وكان الشيخ ابن حاتم الحنبلي يقول – كما ينقل عنه: (من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم) فيرد عليه أبو بكر المقري الواعظ في جوامع بغداد بتكفير الحنابلة أجمع!!

في ذلك الوقت كان مطلوباً السعي للتقريب بين أتباع المذاهب الأربعة لأهل السنة، لكن مثل هذا الجهد لا داعي له الآن، لأن العلاقة بين أهل السنة بمذاهبهم الأربعة لا تعاني من تشنج وصراع.

ونطمح مستقبلاً في وصول العلاقة بين السنة والشيعة إلى هذا المستوى من الوضع الطبيعي، وحينئذٍ لن نكون في حاجة لجهود التقريب بين المذاهب الإسلامية، لأنها لا تعيش حالة تباعد.

س: بما أن التجزئة والصراع الطائفي في العالم العربي والإسلامي أصبح ممرًّا لتحقيق استراتيجيات التجزئة السياسية وفرض واقع التقسيم، ألا يعني هذا أن رسالة التقريب والوحدة هي الرادع الحقيقي لإحباط هذا المخطط؟

ج: لا أرى نجاحاً في المستقبل المنظور لاستراتيجيات التجزئة والتقسيم على أساس طائفي في العالم العربي والإسلامي، وما يجري الآن في بعض المناطق كالعراق إنما هو نتاج لتراكمات نظام الاستبداد، وقد حصل في الجزائر وأفغانستان مثل ذلك بغير عنوان مذهبي.

إن التحدي الأكبر الذي تواجهه المنطقة العربية والإسلامية هو التوفر على النظام السياسي الديموقراطي القائم على أساس المواطنة وتوسيع المشاركة الشعبية والتداول السلمي للسلطة.

ومع افتقاد هذا النظام لا يتحقق الاستقرار السياسي ويكون الباب مفتوحاً على مختلف الصراعات العرقية والقومية والمذهبية.

وقيام الحكم الصالح يساعد على معالجة مختلف المشاكل والصراعات، ويعطي الفرصة المناسبة لمؤسسات المجتمع الأهلي ومشاريع الوحدة والتقريب.

س: هل ثمة علاقة بين فكر التعايش والمواطنة وفكر التقارب والوحدة، وهي موضوعات طالما اشتغلتم عليها لسنوات عديدة؟

ج: بالتأكيد، فإن فكرة التعايش هي مدخل لفكرة التقارب والوحدة، وهي التي تهيئ الأرضية للقبول بها، كما أن مفهوم المواطنة يقدم الإطار الواقعي للعلاقة الإيجابية بين الأطراف، ويشعرهم بدرجة من التساوي والنديّة بعيداً عن التمايز والتفاضل الديني والمذهبي الذي يدعيه كل طرف لنفسه.

س: ما هي المراحل الأكثر صعوبة التي تجاوزتموها في الحوار الوطني، وما هي المكتسبات التي بدأت تظهر من خلال هذا الحوار؟

ج: في المملكة العربية السعودية كنا نعاني من القطيعة بين الأطراف المذهبية المختلفة، حيث كان الاتجاه السائد يرفض مجرد اللقاء والحوار مع المذهب الآخر، ويعتبر دعوة التقارب بين المذاهب مؤامرة خطيرة وحركة مشبوهة، وقد طبعت كتب ونشرت بحوث للتحذير من دعوة التقارب.

والآخرون، كالشيعة والصوفية في رأيهم أهل شرك وأصحاب بدع وضلالات، تجب مقاطعتهم ومناوأتهم تطبيقاً لمفهوم البراء.

فجاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للحوار الوطني لتكسر هذا الحاجز، وتساعد على تخطي هذه الصعوبة، وأتاحت الفرصة لالتقاء نخبة بارزة من مختلف الاتجاهات السلفية والصوفية والشيعية والليبراليين، وأن يتحاوروا فيما بينهم لتلمّس مواقع الاتفاق، وتحديد موارد الاختلاف، ولتبادل الرأي في قضايا الوطن وخدمة المصالح المشتركة للمواطنين.

وقد ظهرت للحوار الوطني آثار طيبة تمثلت في انخفاض درجة التشنج والتوتر بين الأطراف المختلفة، وقد صدرت تصريحات إيجابية تجاه الشيعة مثلاً من قبل بعض القيادات السلفية، كالشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ عبد المحسن العبيكان، والدكتور عوض القرني.

كما تعزّزت حالة التواصل بين هذه الأطياف على شكل ندوات مشتركة وزيارات متبادلة بين بعض الرموز الدينية.

واتسع المجال على الصعيد الإعلامي والثقافي لحضور ما للأطراف التي كانت مغيّبة، فهناك كتابات تظهر في الصحافة السعودية لعلماء من الشيعة ولتغطية بعض أنشطتهم وفعالياتهم، كما سمحت وزارة الثقافة والإعلام بطبع ودخول بعض الكتب لمؤلفين شيعة مما كان متعذراً سابقاً.

ونأمل المزيد من الخطوات التقاربية التي تصون الوحدة الوطنية وتفوّت الفرصة على الأعداء الطامعين.

س: هل ثمة شروط غير متحققة اليوم لنجاح الخطاب الوحدوي والتقريبي، وهل ثمة ما ترونه مناسباً لتطوير هذا الخطاب في المستقبل؟

ج: يبدو لي أن هناك شرطين لم يتحققا بالدرجة الكافية لنجاح الخطاب الوحدوي التقريبي:

الأول: الإصلاح السياسي الذي يجعل نظام الحكم ملتزماً بالعدل والمساواة بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم.

الثاني: اهتمام المرجعيات الدينية الأساسية للشيعة والسنة بقضية الوحدة والتقريب، بحيث تعطيها الأولوية، وتصدر الفتاوى الواضحة لجمهورها لمعالجة ما يعترض الوحدة من عوائق تأخذ عنواناً عقدياً أو فقهياً.

ولتطوير الخطاب الوحدوي التقريبي لا بد أن يتبنى تشجيع حرية النقد وحركة الاجتهاد داخل المذهب، لغربلة التراث الذي هو نتاج بيئته الثقافية والاجتماعية بما كان من صراعات مذهبية، وتأثيرات سياسية، وبما يعبّر عنه من آراء منتجيه.

من ناحية أخرى، فإن التحديات التي تواجه الإسلام والأمة في هذا العصر

الذي يتجه لصدام الحضارات، وتتسع فيه الهوّة بين الدول النامية والدول المتقدمة، هذه التحديات على صعيد خطوط المواجهة الثقافية، وخطط التنمية البشرية، والإصلاح السياسي، يجب أن تستأثر باهتمام الخطاب الوحدوي ليشكل موقفاً رائداً يلتقي عنده الغيارى والواعون والمصلحون من أبناء الأمة.

فمشكلة الأمة اليوم ليس الخلافة الإسلامية التاريخية وتحديد الموقف تجاهها بمقدار ما هي مشكلة شروط قيام الحكم الصالح والخلاص من أنظمة الاستبداد.

وأزمتنا المعاصرة ليست مشروعية التقية وحدود استخدامها وإنما هي أزمة الحرية السياسية وحق التعبير عن الرأي في أوطاننا.

وقضيتنا اليوم ليست الخلاف حول زواج المتعة هل نسخ أو لم ينسخ، بل هي حماية أمننا الأخلاقي الاجتماعي الذي يترنح للسقوط والانهيار تحت قصف أنماط السلوك والثقافات الوافدة.

مواجهة هذه التحديات الصعبة يجب أن تكون محور الوحدة والتقارب ورسالة الخطاب الوحدوي التقريبي.

الشيخ الصفار يشارك في دورة الخطباء والدعاة في مملكة البحرين

« المنامة: عبدالباري الدخيل »: ٢ / ٥ / ٢٠٠٦م

بدعوة من وزارة الشؤون الإسلامية بمملكة البحرين شارك سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الاثنين ٣/ ٤/ ١٤٢٧هـ في الدورة العلمية الأولى للخطباء والدعاة التي كانت تحت شعار (الخطاب الإسلامي تجديد ووسطية) والتي تقام تحت رعاية وزير الشؤون الإسلامية في الفترة بين ٢٩ أبريل و٤ مايو ٢٠٠٦هـ بمركز الفاتح الإسلامي.

وكانت ورقة سماحة الشيخ الصفار بعنوان (الحوار والانفتاح لغة العقلاء) بيّن من خلال المقدمة أن المقصود بالعقلاء ليس عكس المجانين بل المقصود بالعقلاء هم المتعقلون أي الذين يستخدمون عقولهم في كل الأمور ولا تقودهم العواطف والانفعالات.

وأشار سماحته إلى سببين يجعلان الحوار لغة العقلاء، فالعقلاء يحترمون العقل ويعرفون قيمة الحوار ذلك لأنه -أي الحوار- في أصله هو احترام للعقل. كما أن العقل

يهدي الإنسان إلى أن أفضل سبيل للتعامل مع الآخر هو الحوار.

كما أشار سماحته إلى أن الحالة العامة كانت في منطقة الخليج حالة تعايش وتعاون تدل على ذلك رحلات الغوص التي كانت تجمع الناس دون النظر إلى مذاهبهم أو توجهاتهم واندماج الناس فيما بينهم ووحدتهم في بناء أوطانهم والدفاع عنها، حتى عصفت بالمنطقة رياح الطائفية المقيتة ففرقت الأخوة وأحدثت هذا الزلزال الاجتماعي الذي نعاني من بعض مشاكله اليوم.

واختتم سماحة الشيخ حديثه بتوصيات للخطباء والدعاة محملا إياهم مسؤولية أن تكون لغة الحوار هي السائدة في المجتمع كما أنه ينبغي أن تعمل برامج للتواصل والتعارف والتعاون في القضايا المشتركة.

وعلى هامش الدورة التقى سماحة الشيخ ببعض العلماء وطلبة العلوم الدينية البحرينيين من السنة والشيعة الذين حضروا الندوة، كما التقى سماحته ببعض العلماء المشاركين، كالشيخ الدكتور أحمد الكبيسي، والشيخ الدكتور وهبة الزحيلي، والشيخ شوقي بن عبدالرحمن المناعي، ودار الحديث عن أوضاع الأمة والحاجة إلى رصّ الصفوف وجمع الكلمة، وأشار سماحته إلى أن ما يحدث في العراق لا العراقيين فقط إنما المستهدف هو الأمة كاملة.

وشكر سماحته وكيل الوزارة فضيلة الشيخ فريد المفتاح متمنياً إيصال شكره لمعالي الوزير على هذه الخطوة الجيدة التي هي من أفضل الطرق للتقارب بل هي درس عملي للتقارب والالتقاء، مشيراً سماحته أثناء كلامه إلى ما قام ويقوم به خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز من جهد لوحدة الأمة انطلاقاً من الحوار الوطني مروراً بالمؤتمر الإسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة.

الشيخ الصفار: التطرف الإسلامي علاجه الحوار والحكمة[1]

مهند سليمان: المنامة

أكد رجل الدين الشيعي السعودي الشيخ حسن الصفار إن التوجهات المتطرفة والمتشددة موجودة عند جميع المذاهب الإسلامية، وهو ليس بالأمر الطارئ والعارض في حياة المسلمين، ولكن الأمل معقود على العقلاء للتعامل بلغة العقل والحوار وتغليب الحكمة من أجل التخفيف من حدة هذه الاختلافات والاحتقانات.

وقال الشيخ الصفار في محاضرته «الحوار والانفتاح لغة العقلاء» ضمن الدورة العلمية للخطباء والدعاة التي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية التي اختتمت أعمالها اليوم في المنامة إن العقلاء يحترمون العقل ويفهمون لغة العقل وبذلك ينطلقون منه ومعه، كما إن العقل يهدي الإنسان إلى أفضل علاقة، إذ تنظم علاقته مع الآخرين هو

---

(١) إيلاف: جريدة يومية الكترونية، تصدر في لندن، الخميس٧/ ٤/ ١٤٢٧هـ الموافق ٤ مايو ٢٠٠٦م.

الحوار والانفتاح، وإن عكس ذلك هو ما يسود التشنج ويقوّض أركان المجتمع، مشيراً إلى أن لفظ العقلاء ليسوا في مقابل المجانين، والعقلاء هم الذين يستخدمون عقولهم في مواقفهم وممارساتهم ولا تحكمهم العواطف والانفعالات.

وأكد الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد علي التسخيري على ضرورة تجاوز الخطباء والدعاة الدينيين حالات التعصب والانغلاق والسطحية التي تدفعهم إلى شن الحرب على من يخالفهم الرأي، وقال القرضاوي إنّ ضعف التكوين العلمي للدعاة وضيق الأفق بالإضافة إلى التعصب للأفكار الأحادية من أبرز معوقات العمل في مجال الدعوة والخطابة الإسلامية.

وأكد الشيخ الصفار مجدداً أن الناس في كل مجتمع بشري يختلفون في آرائهم وانتماءاتهم، وعند الاختلاف، لا بدّ من الرجوع إلى لغة تجمع الكل ولا يوجد أفضل من لغة العقل، مشيراً إلى أنه لايخلو أي مجتمع من الاختلاف وحتى في عهد رسول الله ﷺ، ومع وجوده ﷺ كانت تحدث بعض الاختلافات في وسط الأصحاب، والقرآن الكريم يتحدث عن تلك الحالات مشكلاً مرجعية لحالات الاختلاف في مجتمع المؤمنين ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، فإن كانت لغة الحوار هي السائدة، فإن المجتمع سيعيش وضعاً إيجابياً وسيتمكن من التعايش والتقدم. وفي غير هذه الحالة ستكون الانفعالات والاضطرابات والصراع والنزاع.

وأشار الشيخ الصفار أن الإيمان لا يحول الإنسان ملاكاً ولا يجعله في حالة مثالية حيث لا يتسرب إلى أفراده مختلف النوازع والغرائز والميول، وفي حال الاختلاف لا بدّ من ضوابط فالعقل يهدي الإنسان، والإنسان يهدي الإنسان إلى هذه الضوابط وهو الطريق الأمثل للجميع لحل هذا الاختلاف. واستعرض الشيخ الصفار تاريخ منطقة الخليج، مشيراً إلى أن الخليج عاش فترة طويلة تكاد تخلو من الصراعات والنزاعات، فكانوا يتعاونون معاً منذ أيام الغوص، وكانوا يتعايشون في وئام، ولكن في السنوات

المتأخرة تسللت إلى المنطقة بعض الرياح الغريبة وحصلت بعض الحالات السلبية التي كدرت صفو العلاقة بين أبناء هذه المجتمعات التي كانت تتميز بالوحدة، داعياً الجميع لوحدة الصف، خاصة في ظل هذه المرحلة الحرجة التي يريد أعداء الأمة الهيمنة عليها من خلال صراع الحضارات.

وقال الصفار: «يجب أن ندرك بأن هناك توجهات متطرفة ومتشددة عند جميع المذاهب، وهو ليس بالأمر الطارئ والعارض في حياة المسلمين، وإنما هو وجود عريق وله بعد تاريخي، ولكننا ندعو العقلاء إلى التعامل بلغة العقل والحوار وتغليب الحكمة، حتى نخفف من حدة هذه الاختلافات والاحتقانات، سعياً إلى إيجاد حل حاسم ولو كان صعب المنال».

وأكد الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي بأنه لا سبيل لتقدم الأمة والمجتمعات إلا بصون الحرمات العامة والخاصة، والمتمثلة في حرمة الوطن والعرض والدين، والأخلاق، والنظام العام والآداب وصون المقدسات، داعياً إلى العمل على وحدة الكلمة والصف والإخلاص في العمل وانسجام القول والعمل، موضحاً بأن الإسلام قد رعى كل هذه الحرمات ليعمّ الخير ويظفر الناس بنعيم الدنيا والعمل للآخرة.

وقال الزحيلي في محاضرته «المسلمون مع غيرهم تعامل وحضارة» مساء أمس الأول بجامع الفاتح ضمن الدورة العلمية للخطباء والدعاة التي تنظمها وزارة الشئون الإسلامية إن إرساء معالم الحضارة الإسلامية يتطلب منا أن نطبق مقوماتها، مشيراً إلى أن العمل الصالح يتطلب فعل الخير مع كل الناس والتعايش السلمي والودي وتحقيق منهج الوسطية، مؤكداً أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال وترك الإفراط والتفريط ونبذ سياسة العنف والتشدد ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، و أن الإسلام يؤثر الخلق الكريم والسلوك القويم واللين في المعاملة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، كما يدعونا أن لا نواجه الناس بما يكرهون، مما يقتضي تحديث اللهجة والخطاب مع الحفاظ على الثوابت

والأحكام القطعية.

وركز الدكتور الزحيلي في حديثه على مبدأ الشورى والحوار والديمقراطية، منّوهاً بضرورة عقد حلقات الحوار في ضوء مقاصد الشريعة وتطبيق قاعدة الديمقراطية الإسلامية التي تنطلق من معايير شرعية، إذ لا تهدم ثوابتها وأحكامها وشرائعها، مؤكداً أن الإسلام لا يضيق ذرعاً بكل ألوان الحوار التي تؤدي لتوفير الخير والمصلحة. وقال: إن من الضروري أن تكون العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس القاعدة المعروفة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وهذا يقتضي أنهم متساوون مع المسلمين في الحقوق السياسية والاقتصادية، موضحاً بأن غير المسلم المعاهد لا يعد من مواطني الدرجة الثانية كما يزعم البعض، وإنما هو و المسلم في درجة واحدة من المواطنة.

رجل الدين الشيعي الصفار يحذر من انتقال «طائفية» العراق إلى السعودية[1]

لندن – يو بي أي:

حذّر رجل الدين الشيعي السعودي الشيخ حسن الصفار من أن النزاع الطائفي في العراق سينتقل إلى السعودية إذا ما شجّع السنة في المملكة على دعم السنة هناك والشيعة على مساندة شيعة العراق.

ونسبت صحيفة فايننشال تايمز الصادرة أمس إلى الشيخ الصفار الذي وصفته بأنه «أبرز رجال الدين الشيعة في السعودية» قوله: «لم يحدث أي شيء سلبي حتى الآن لكننا نسمع بعض الأصوات العاطفية من كلا الجانبين رداً على الأحداث بالعراق».

وأشار إلى «أن الحكومة السعودية ورجال الدين الحكماء من الطرفين واعون تماماً

(١) الوطن: صحيفة يومية كويتية، الجمعة ٨/ ٤/ ١٤٢٧هـ الموافق ٥/ ٥/ ٢٠٠٦م.

لهذا الخطر الذي يهدد استقرار البلاد بسبب النزاع الطائفي في العراق، وتحركت وزارة الشؤون الدينية بسرعة لتطويق الخطابات الحماسية ضد الشيعة في المساجد».

وأضاف الشيخ «أن رجال الدين من المؤسسة السنية الرسمية في السعودية أصدروا مؤخراً بيانات تصالحية حول أهمية الحفاظ على الحوار مع الأقلية الشيعية في المملكة اعتبرها زعماء الشيعة تطوراً إيجابياً في بلد نظر إليهم الرأي العام فيه وبتوجيه من رجال الدين الرسميين والأئمة المعروفين على أنهم منشقون يستوجب منعهم من ممارسة شعائرهم الدينية».

وقالت فايننشال تايمز «إن غزو الولايات المتحدة للعراق دفع بالشيعة الذين واجهوا القمع فترة طويلة إلى الهيمنة على المقاليد السياسية في البلاد وشجّع الأقلية الشيعية في السعودية على المطالبة بالمساواة».

لكنها أشارت إلى «أن شيعة السعودية يراقبون بهلع الآن تحول النزاع إلى طائفي في العراق ويخشون من أن ينتقل إلى بلدهم ويهدد المزايا الهشة التي بدأوا في اكتسابها مؤخراً».

الصفار: ولاؤنا للوطن أولاً وأخيراً .. ونحن متفائلون بنتائج الحوار الوطني [1]

الاعتراف الإسلامي بالمذاهب الثمانية يحتاج إلى تأصيل قانوني

أكد الشيخ حسن الصفار أنه ما زال متفائلاً بنتائج الحوار الوطني النهائية. وأنه لا داعي للتشاؤم أو الاستعجال ويكفينا أن تكون الخطوة الأولى في اتجاه التقارب والالتقاء والحوار قد تمت، فذلك كفيل بأن يوصلنا جميعاً إلى النتيجة النهائية التي ينشدها الجميع في قيام مجتمع مدني يقوم على التعاون والتفهم والعمل من أجل الوطن وبما يعزز وحدته الوطنية.

جاء هذا في اللقاء الخاص الذي دعا إليه الأستاذ عبد المقصود خوجة بمنزله مساء أمس الأول (السبت) وحضره عدد من المشايخ والأدباء والمثقفين من المنطقة الشرقية والمدينة المنورة بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثقافية والتربوية من جدة ومكة.

---

(١) عكاظ: صحيفة يومية سعودية، العدد رقم ١٤٤٩٩، في ١٠ ربيع الآخر ١٤٢٧ الموافق ٨ مايو ٢٠٠٦م.

وكان الشيخ الصفار يعقب بذلك على أحد المشاركين في الحوار من القادمين من المنطقة الشرقية الذي قال في مداخلته أنه ليس متفائلاً بتحقق نتائج ملموسة ينشدها الجميع وفي مقدمتنا ولاة الأمر.. وعزا عدم تفاؤله إلى تصريح أدلى به أحد المسؤولين ونشرته إحدى الصحف وقال فيه: «أن هذا الحوار غير ملزم لأحد» دون أن يوضح من هذا المسؤول الذي نسب إليه هذا الكلام وأي صحيفة نشرته وما هي طبيعة السياق الذي ورد فيه هذا الكلام.

وأضاف الشيخ الصفار قائلاً: «إنه يدرك أن الإرث التاريخي ضخم وإنه ليس من السهل القفز على تراكمات طويلة ظل كل منا خلالها بعيداً عن الآخر..

وبالتالي، فإن الحوار الآن يضعنا جميعاً في الطريق الصحيح لفهم كل منا للآخر بصورة صحيحة، فنحن في النهاية بلد واحد، وننتمي إلى عقيدة واحدة ولنا جميعاً مصلحة حقيقية في أن نعمل معاً.. على قاعدة الاحترام والتفهم وعدم الإقصاء والسعي المشترك لتدارس القضايا الخلافية والتغلب عليها. وضرب الصفار مثلاً بالدول الأوروبية التي استطاعت أن توحد خطاها.. وأن تتغلب على خلافاتها المذهبية العميقة حتى داخل ديانتها المسيحية الواحدة.. وأن تصبح أمة قوية متماسكة في الوقت الذي تتوفر في الأمة الإسلامية كل مقومات القوة والتكامل والوحدة..

وقد تحدث في اللقاء آخرون من مرافقي الشيخ الصفار من حضور اللقاء وقالوا: إن خيارنا الأمثل هو في اعتراف كل منا بالآخر.. فنحن في عصر تؤمن فيه الأسرة الدولية بأن التعدد والتنوع الثقافي لا يعني الاختلاف كما لا يعني التناقض الحاد وإنما هو يجسد واقعاً ثقافياً ومعرفياً وحضارياً موجوداً وإن على العقلاء وأصحاب الرأي أن يستثمروا ذلك بالتركيز على القواسم المشتركة العظمى وبالعمل المخلص والواعي البناء والبناء عليه شريطة أن يسعى الجميع إلى ترسيخ الوحدة الوطنية في ظل تكافؤ الفرص والحقوق وسيادة النظام والقانون.

وقالوا إن الوطن بحاجة إلى كل أبنائه، وبالتالي فإن مشاركة الكلّ في بنائه وتحمل أعباء المسؤولية توجب على الجميع المساهمة بفعالية وإيجابية.. فالوطن ليس لفئة دون أخرى.. وأضافوا: «إن الحوار الوطني يمثل قاعدة انطلاق لمعالجة كل الأخطاء ومواجهة التحديات وتعزيز الثقة فيما بيننا. وتناولوا مقررات مؤتمر القمة الإسلامية في مكة المكرمة المنعقد في الفترة الواقعة ما بين٥-٦/ ١١/ ١٤٢٦هـ، وقالوا إن اعتراف قادة (٥٧) دولة إسلامية بالمذاهب الثمانية يجسد طبيعة مرحلة مثيرة للتفاؤل في حياة الأمة الإسلامية وأن إعلان مكة يمثل نقطة انطلاق مهمّة في هذا الاتجاه، لكن الأهم من ذلك هو تنفيذ ما تم الاتفاق عليه وتأصيله بتبني صيغة قانونية ملزمة لجميع الدول الأعضاء بتفعيل هذا القرار المهم الذي إن طبق فإنه سيوفر أرضية مشتركة ليس فقط للتفكير الصحيح الذي تحتاجه الأمة، وإنما للتطبيق والممارسة التي ستزيل الكثير من معوقات التقارب والتكامل في ظل الاستيعاب الكامل لبعضنا البعض وتمتع الجميع بكل الحقوق وتحمله كافة الواجبات والمسؤوليات التي تفرضها المواطنة الحقة.

وأشاروا إلى أن المنطقة الشرقية بطبيعتها، كمصدر للثروة ومجالات واسعة للعمل قد استقطبت أعداداً هائلة من أبناء المملكة وقد عاشوا طوال حياتهم إخوة متجانسين، لم يشعر فيهم أحد بأنه ينتمي لمذهب أو فئة أو قبيلة أو عنصر معين وإنما كان الجميع يعملون ويتعايشون ويتقاسمون فرص العيش والحياة كإخوة.. دون أن يشعر أيّ منهم بأنه غريب عن الآخر. وقد ساهم عدد من المثقفين وأصحاب الرأي المشاركين في اللقاء من أبناء مدينة جدة ومكة.. وقالوا: إن اجتماعنا اليوم يؤكد رغبة المجتمع السعودي في إذابة أوجه الاختلاف بينهم.. وفي توفر الأرضية الصالحة للعمل المخلص والمشترك والبناء والانتقال من حالة الإقصاء لبعضنا البعض حتى داخل أبناء المذهب الواحد إلى حالة الاستيعاب الكامل لبعضنا البعض. وقالوا: إن تاريخنا الطويل يؤكد أن شعبنا يعيش في وئام تام.. وأن علينا ألا نتعجل الوقت للوصول بالحوار الوطني إلى منتهاه.

لأن المسألة لا تتعلق بجوانب إجرائية بقدر ما ترتبط بفكر تعمق وأخطاء استمرت وتكرست من الجانبين.. وأن الاجتماع والحوار كفيلان بتذويب أوجه الاختلاف وتوفير أسس تفكير وعمل مشتركين.

وأضافوا.. إن التفاؤل مطلوب.. والعمل من أجل تطوير الحوار مطلوب أيضاً.. وإن البناء على ما تقدم من شأنه أن يوصلنا إلى النهاية المرجوة. فنحن في النهاية أبناء وطن واحد.. وعقيدة واحدة.. ولنا مصلحة حقيقية في أن نكون يداً واحدة بمواجهة تحديات كبيرة وخطيرة تواجهنا معاً. وعبروا عن حرصهم على تكثيف الاتصال وتبادل الرأي وتحديد المشاكل والتصدي لها بحلول واقعية وعقلانية رائدها خدمة هذا الوطن وتكريس وتعزيز وحدته وأمنه وسلامته واستقراره باعتبار أن العمل خارج هذا المبادئ خيانة للوطن.

وتساءل بعض الحضور عن القضية المطروحة في الخارج حول الشكوك بخصوص ولاء الشيعة العرب لإيران وتأثير ذلك على الوحدة الوطنية لبلدانهم. وقد علق الشيخ الصفار أخيراً على هذه المداخلات مركزاً على ثلاث نقاط أساس هي:

١. أهمية استمرار دفعة التفاؤل المحيطة بمشروع الحوار الوطني وقال إن التشاؤم سيدفعنا إلى اليأس وهذا غير ما يتمناه ويرجوه الجميع. لأن الدولة راغبة في معالجة الأمور وتصويبها وعلينا أن نستثمر هذا التوجه الطيب وان نساعده على النجاح وصولاً إلى الهدف الذي من اجله قام هذا المشروع المبارك.
٢. وقال في النقطة الثانية: إن مؤسسات المجتمع المدني مطالبة بالقيام بجهد موازٍ لاستثمار روح الحوار وتوجهاته وتفعيله عبر جميع القنوات.. كما أن المواطنين، من خلال منتدياتهم وملتقياتهم ومناسباتهم الخاصة والعامة، مطالبون بتوسيع دائرة الحوار بهدف تشكيل رؤى جديدة من شأنها أن تحقق التقارب وتوفر الفهم المشترك وتضغط بقوة لصالح بناء الفكر الايجابي والبناء.

وقال: إن الاختلاف طبيعة بشرية أقرّ بها الإسلام ودعا إلى العمل من أجل التقريب والتأليف بين الناس.. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

وعلينا أن نتجنب تعميق أسباب الاختلاف وأن نسعى إلى التركيز على الأفكار والرؤى والمواقف المشتركة.. وأن ننظر في كيفية معالجة أوجه الاختلاف بعيداً عن تبادل النقد والمواقف الحدّية القاطعة، فهناك مجال واسع لأن يصحح كل منا أخطاءه ومفاهيمه وأن نلتقي على الخير.

٣. وتحدث في النقطة الثالثة حول ما اعتبره البعض ولاء الشيعة العرب لإيران فقال: إن علينا أن نتفق أولاً وأخيراً أن الولاء لا يجزأ وأنه لا يجب أن يكون إلا للوطن الذي ننتمي إليه.. أصولاً.. وحياة.. وتاريخاً ومصالح وتربة.

واستطرد يقول: إن الشيعة في العراق وغيرها منخرطون كغيرهم في أحزاب وتوجهات سياسية سائدة.. لها مبادئها ومنطلقاتها وخطابها الإعلامي الذي لامس مشاعر الجماهير وتبنى قضاياهم بمواجهة الأطراف المناوئة للأمة.

وربما وجدوا في الخط الإيراني ما يلتقي معهم ويتبنى مقرراتهم فبدوا وكأنهم جزء من التفكير الإيراني، تماماً كما حدث في عهد عبدالناصر عندما التقت الجماهير العربية مع طروحاته القومية والوطنية حتى بدت بعض الشعوب وكأنها على خلاف مع أوطانها.. وعاد الصفار إلى التأكيد.. أن حالة التجاذب هذه في جانبها السياسي لا تبرر ولا يجب أن تبرر أي شكل من أشكال الازدواجية في الولاء.. فالولاء للوطن.. والسمع والطاعة لأولياء الأمر في الوطن..

وقد أنهى الأستاذ عبدالمقصود خوجه اللقاء بالتأكيد على أن رائدنا جميعاً هو ترسيخ الوحدة الوطنية والعمل على التوفيق بين جميع التوجهات وصهر كافة الطاقات في مختلف أرجاء الوطن تحت مظلة عقيدة التوحيد التي أنارت لنا طريق الهداية والنور

وحثتنا على أن نكون وباستمرار أمة واحدة.. نسعى إلى خير الإنسانية ومن باب أولى أن تؤلف وتجمع وتوحد القلوب والآراء.. والأفكار..

وعلينا أن ننطلق من الاختلاف إلى الاتفاق، ومن حالة سوء الفهم إلى الفهم الصحيح وفي تاريخنا الإسلامي العريق ما يؤكد هذا.. ويحث عليه..

وإن لقاء هذه النخبة الطيبة يصب في قناة العمل المخلص والبناء إن شاء الله من أجل وطن الخير والمحبة والوئام..

وقد تحدث في هذا اللقاء إلى جانب الشيخ الصفار كل من الشيخ فوزي السيف والسيد عدنان العوامي والدكتور صادق الجبران والشيخ فهد العصاري والأستاذ نجيب الخنيزي ومحمد النمر.

كما تحدث أيضاً كل من: الدكتور عاصم حمدان والأستاذ مشعل السديري والدكتور غازي مدني والدكتور عبدالله مناع والأستاذ عبدالمحسن حليت والدكتور عبدالله مصري والدكتور جميل مغربي والأستاذ محمد حمزة بوقري. الجدير بالذكر أن الشيخ حسن الصفار سيكون ضيف إثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجه.. حيث سيتم تكريمه والتحاور معه أيضاً.

في (اثنينية) تكريم حسن الصفار: غلبت روح الحديث عن الحوار وأهميته[1]

خوجة: الدين لله والوطن للجميع والولاء لصاحب البيعة وما بقي نتفق ونختلف عليه.

الصفار: مبادرة خادم الحرمين حسمت الجدل بعد أن كان هناك من يخاف من الحوار.

جدة: خالد محمد الحسيني

كان مساء أمس الاثنين يوماً غير عادي في تاريخ الاثنينية التي دخلت عامها الـ ٢٥ إذ كان الضيف هو الشيخ حسن موسى الصفار الداعية الشيعي المعروف الذي ملأت آراؤه الرأي العام خاصة بعد بداية لقاءات الحوار.

خوجة

صاحب الاثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة رحب بالضيف مشيراً إلى مجلسه

(١) البلاد: صحيفة يومية سعودية، عدد رقم ١٨٠٩٠، في ١١ ربيع الآخر ١٤٢٧ الموافق ٩ مايو ٢٠٠٦م.

الأسبوعي مساء كل يوم سبت في القطيف الذي يستقطب كل ألوان الطيف الثقافي، وقال: لقد عرفته في مؤتمر الحوار في مكة في شهر ذي القعدة العام قبل الماضي ووقفنا أمام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد وأشار إلى أنه قام بزيارته لما عرفه من توجهه الوطني وذلك في منزله في القطيف وأنه كرس جانباً كبيراً من حياته لطلب العلم وحلق في علياء الفكر غير أنه ليس من ذوي الأبراج العاجية بل هو مثال للعالم المتواضع الهاش الباش يجري القول قوياً وتلك طبيعة الأشياء.

أحاديث في الدين:

وقال خوجة إن للشيخ الصفار كتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) أربعة أجزاء فتح نوافذ التواصل مع الآخر، كما اهتم بالمرأة لأن لها مكانة أثيرة لدى فضيلته خصص لها مؤلفات كثيرة ووجدت مكاناً بين دروسه وفق الضوابط الشرعية، كما أشار لخدماته للمجتمع غير الجمعيات ـ بذل الجاه ـ مساعدة ذوي الحاجات، وقال إن الاثنينية تحييه على ما بذله في خدمة الثقافة والعلم وختم خوجة أن أيدينا معه في خدمة الأهداف النبيلة، وقال خوجة نحن نستجيب للقاءات المنفتحة نحو الآخر.

الدين لله والوطن للجميع والولاء لصاحب البيعة وما بقي نتفق ونختلف عليه.

محمد عبده:

ثم تحدث معالي د. محمد عبده يماني راعي الاثنينية ورحب بالضيف وقال إن نقاط الالتقاء معه أكثر من الاختلاف ومن هنا انطلق اللقاء، وأوضح دائماً نقاط الالتقاء أكثر من الاختلاف.

الجفري:

وقد قدم د. يماني السيد الكاتب عبدالله الجفري الذي قال كتبت الكلمات انسجاماً

مع رحابة فكره واهتمامه بالتلاحم الوطني مشيراً للكتاب الذي صدر للصفار في ٢٠٠٤م والذي افتتحه بآية ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣] وقال الجهل بالآخر والقراءة الخاطئة له نتاج خلل اجتماعي ونحن هنا مدعوون للإصغاء إلى الآخر لنثبت أننا مجتمع سوي يشرع المجال ويتقبل الحوار. نحن مع انفتاح الدولة في توجهها اليوم على الحوار منذ أطلق خادم الحرمين الدعوة لتمازج الرأي الأحادي مع الآخر خاصة وقد مضت سنون كنا فيها في خصام مع الآخر وعانينا من اللغو وكان العقل يحض على الحوار على أن لا نؤخذ بما يقوله السفهاء. وأضاف الجفري يجب أن نرسي قاعدة صلبة ورغبة في إضاءات العقل الذي يحاور ولا يتشنج ويناقش ولا ينغلق على نفسه.

استقبال الملك:

وقال الجفري: أشاع الملك عبدالله باستقباله كافة الأطياف والتشجيع على الحوار والسعي للحوار الموضوعي لخلق أجواء ترفض الانكفاء على الذات، ويعبر الصفار عن تمسكه بلغة الحوار من خلال الحوار الوطني من خلال:

تحقيق حالة التواصل والانفتاح.

بلورة بعض التصورات تجاه القضايا الموجودة وتقديمها للدولة.

وختم الجفري لا مكان للتعصب لدينا.

وقال يقول الله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

حديث الصفار:

بدأ الضيف حديثه بالترحيب بالحضور والمشارِكات من السيدات وقال إن النبي ﷺ قال: (ما استفاد أمرؤ بعد الإيمان بالله فائدة أفضل من أخ في الله).

مشيراً لعلاقته بالدكتور محمد عبده قبل ٩ سنوات في منزله في جدة وتشجيعه

وتقديمه لكتابه الذي كان من أوائل كتبه في الحديث كما ركز الصفار على التواصل والتلاقي والسعي لخدمة الوطن الذي هو أمانة في أعناقنا هذا الوطن الذي يتميز عن كل الأوطان لوجود الحرمين ومهبط الوحي ومثوى خاتم الأنبياء والمرسلين.

وتحدث الصفار أنه أعد ورقة عن «أهداف الحوار على الصعيد المذهبي» موضحاً أننا تجاوزنا مرحلة مهمة وقطعنا شوطاً كبيراً في ترسيخ مبدأ الحوار وفي الماضي نتحدث عن ضرورة الحوار وأهمية الحوار وكان هناك من يتحفظ ومن يتوجس خيفة منه.

مبادرة الملك:

لكن مبادرة خادم الحرمين الملك عبدالله حسمت الجدل ووضعت حدًّا للهواجس وأصبح الحوار حقيقة واقعة في وسط المجتمع السعودي واقتنع الجميع بضرورة الحوار وأهميته، والكثيرون تجاوبوا واستجابوا حتى في المؤسسة الدينية التي كان بعض أعلامها ورموزها يتوجس خيفة خوفاً على العقيدة من وجهة نظره، ونرى أن هذه التحفظات في طريقها للزوال، فكل الأطراف أعلنت قبولها للحوار واستعدادها، وسأل ما هي آليات الحوار على الصعيد المذهبي؟ مجيباً: خلفيات تاريخية مليئة بالنزاع والمشاكل والصراعات وكلنا ينتمي إلى تراث لا يخلو من الشوائب. تراثنا الإسلامي مع ما فيه من عمق وتسامح هناك بعض الصفحات والفصول في هذا التراث تعكر صفو الود بين أبناء هذه الأمة ولا يستطيع أهل أي مذهب أن ينزهوا تراثهم من الشوائب فهي موجودة في تراث المسلمين بفعل عوامل مختلفة.

وتلى الصفار كلمة مقروءة قال فيها: البعض يقول نحكم الكتاب والسنة ولا بد أن يقبل الآخر بالنتيجة ويفوتهم أن هناك اختلافاً للفهم لنصوص الكتاب والسنة، والبعض يعتقد أن المنطق والعقل يحل المشاكل بين المذاهب، لكن الصحيح أن العقل يعد جانباً من المسألة الدينية، وهناك أبعاد أخرى أكثر من العقل، وهي البعد النفسي والبعد الاجتماعي.

والمسألة ليست عقلية؛ لأنها لو كانت كذلك فالنبي ﷺكان لديه الدليل والمنطق والفصاحة والبيان وقال: (أنا أفصح من نطق بالضاد) لكنه لم يستطع أن يغير المجتمعات الدينية في عصره، فإذا كان رسول الله ﷺ مع وضوح الحق والقدرة في معرفة الحق، ومع ذلك لم يستطع تغيير الكيانات الدينية في مجتمعه وذلك لا لقصور فيه ولكن عجز موضوعي، وأشار الصفار لحادثة « المباهلة » مع وفد نجران حول المسيح ولم يلجأ النبي للمباهلة إلا بعد عجز طريق المنطق والعقل. وقال إن هناك آيات ونصوصاً تنهى عن الجدل في الدين إلا بالتي هي أحسن، وأنه ليس بالضرورة أن يتقبل الناس رأي الآخر مهما كان، وقال إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (لا تخاصموا الناس لدينكم فإن المخاصمة ممرضة للقلب) وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

التقليد:

وقال: إن بعض الناس يتمسك بالفكرة تقليداً فقط ويجب الاستعانة بالدليل والبرهان وليس التقليد أوالضغوط العاطفية والاجتماعية، وقال: إننا يجب أن نحرص على وحدة الأمة واستقبال الآراء وتحديد هدف الحوار وآلياته حتى نصل للنتيجة المرجوة.

بوصلة الحوار:

وقال الصفار إن بوصلة الحوار يجب أن تتجه إلى التعارف والفهم المتبادل والتعايش ومنع الإساءات للرموز والشخصيات في تاريخه أو الانتقاص من حقوقه وخدمة المصالح المشتركة. وتجمعنا مصالح مشتركة وأبناء أمة واحدة تواجه أخطاراً كبيرة تستهدف الجميع، لذلك يجب أن نتحاور لتحقيق الأهداف، أما إذا كان الحوار من أجل ترك قناعة أو ما يشابه ذلك فهذا الحوار لا يوصل إلى نتيجة، وسيكون حواراً عقيماً وضاراً، وقال: إن المسألة الدينية المذهبية ليست منحصرة في أشخاص المتحاورين وأن

المذاهب تختلف وماذا يفيد أن يقتنع شخص عبر مذهب الآخر. وسأل: كيف تقتنع هذه التجمعات وتغير قناعاتها ويجب أن يقوم بالتصحيح العلماء والواعون، ولا يكون نتيجة ضغوط خارجية لأنها تثير التحدي.

لقطات من الأمسية:

الصفار ولد عام ١٣٧٧هـ وبدأ الخطابة وعمره أحد عشر عاماً وله ٤٠٠ شريط كاسيت وفيديو وأكثر من ٧٠ كتاباً كتبه عن: التعليم ـ المرأة ـ تربية الناشئة ـ الحوار ـ الإصلاح ـ فقه الأسرة ـ الفقه المقارن. ارتجل الصفار الجزء الكبير من كلمته، عندما قدم الدكتور محمد عبده الجفري قال: كنا نسميه من الشباب والآن من الشياب. شاركت السيدات بأسئلة عبر الدائرة المغلقة، المداخلات كانت من: اللواء أنور عشقي، ثم مداخلة السيد عبدالله فدعق، التي أكد فيها الدعوة التي أطلقت مؤخراً للحوار بين أهل السنة والأطياف ومع هذا قال إن فيها رائحة التفرقة بسبب التفرقة بين الصوفية والسنة ووجدت قبولاً لدى الحضور.

طرح قضية الحوار بين المذاهب في إثنينية الخوجة[1]

الصفار: بعض العلماء أجازوا زواجاً يشبه زواج «المتعة» عند الشيعة

جدة: خالد المحاميد

قال العالم الشيعي حسن الصفار: «إن علماء السنة قد أباحوا مؤخراً زواجاً يشبه زواج المتعة عند الشيعة مع حذف كلمة المتعة لحساسيتها»، كما قال: «إن مظاهر الجلد والعنف الجسدي التي تظهر من قبل الشيعة في عاشوراء يرفضها علماء الشيعة».

جاء ذلك خلال تكريم إثنينية عبدالمقصود خوجة في جدة أول أمس لحسن الصفار وسط حشد كبير من الحضور، حيث بدأ الصفار بمداخلة شفهية أوضح فيها أن التاريخ

---

(١) الوطن: صحيفة يومية سعودية، عدد رقم ٢٠٤٩، في ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٧ الموافق ١٠مايو ٢٠٠٦م.

تجاوز مسألة الإقرار بضرورة الحوار إلى تبنيه، مذكراً أننا في الماضي حين كنا نطرح ضرورة الحوار كان هناك من يعترض، حتى جاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين فحسمت الجدل حول هذه القضية ليغدو الحوار بعدها حقيقة واقعة في المجتمع السعودي، حيث تتبنى الأغلبية من أبناء المجتمع السعودي مبدأ الحوار.

وقال الصفار: إن ما يهمنا الآن هو أن نحدد توجهات الحوار خاصة على الصعيد المذهبي، ذلك أن هناك قلقاً من أن يختطف الحوار ويؤخذ إلى منحى يعمق الخلاف والفرقة بدلاً من أن نصل به إلى شاطئ الأمان.

وشرح الضيف كيف أن البعض من أبناء المذاهب الإسلامية يذهبون إلى الحوار وقد سجلوا نقاط الاختلاف التي سيجادلون فيها أبناء المذهب الآخر، حيث يتحول الحوار إلى ما يشبه المحاكمة للمذهب الآخر، مشيراً إلى أن كل مذهب من المذاهب الإسلامية لديه مدارسه الفقهية، وهناك اتفاق عام على الأصول، وهناك إيمان عام بمرجعية الكتاب والسنة وأركان الإسلام، ولكنَّ هناك اختلافاً في التفاصيل في العقائد الفقهية حتى داخل المذهب الواحد فهل من الحكمة أن ننشغل بمناقشة تفاصيل هذه الخلافات؟

وأشار ضيف الإثنينية إلى أن الجدل بين المذاهب الإسلامية لم ينته طوال حقبة التاريخ الإسلامي ولن ينتهي إلا يوم المعاد، لقد كان خطأ الماضي هو في الجدل حول هذه الاختلافات ويجب ألا نكرر هذا الخطأ، وحتى لا يغدو تاريخنا تكراراً لتاريخ من سبقونا، ولذلك أدعو المخلصين من أبناء الأمة إلى تجاوز هذه الخلافات، ليس خوفاً من انكشاف الحقيقة وليس هروباً منها، بل لأن البحث عن هذه الحقيقة سوف يستنزف جهودنا ويشغلنا عن مواجهة الحاضر.

و عرض الصفار أفكاره حول استحالة حسم الخلافات معيداً ذلك إلى أن الأمر يتجاوز العقل إلى المعتقد، وعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من مصادرها السنية والشيعية إلى استحالة الاتفاق على ما هو خلافي في التفاصيل الفقهية والعقدية

واستأذن بعد ذلك الصفار حضور الإثنينية بقراءة ورقة أعدها بعنوان «استهدافات الحوار المذهبي» عدَّد فيها أسس الحوار الوطني وأبعاده الدينية والاجتماعية، وقال في ورقته: إن البعض يعتقد بأن البراهين العقلية قادرة على حلّ النزاعات في القضايا الدينية، غير أن ذلك ليس صحيحاً لأن هناك أبعاداً أخرى تأثيرها أكثر من تأثير العقل حيث يتحول الدين إلى أعماق النفس الإنسانية.

وأضاف في إطار دعوته إلى الحوار بين المذاهب الإسلامية أن هناك اتجاهاً عاماً لدى علماء المملكة يتبنون فيه الحوار بين المذاهب الإسلامية ومنها المذهب الشيعي، وقد صدرت تصريحات كثيرة من علماء المملكة يحثون فيها على هذا الحوار، مذكراً أن مبادرة خادم الحرمين الشريفين منذ كان وليًّا للعهد بتبنيه للحوار الوطني فتحت المجال وشقت الطريق، وعكست أهمية المبادرة السياسية وثقلها في إصلاح الكثير من أمور الواقع.

وعدد الشيخ الصفار ثلاثة أهداف للحوار هي: التعايش والفهم، ومنع الإساءة وخدمة المصالح المشتركة.

وجاءت الأسئلة التي لم يخلُ بعضها من إثارة الخلافات نفسها التي أشار إليها الضيف، لتصب في إطار توضيح صورة الحوار الوطني كما يرتئيها أبناء المذهب الشيعي، وأوضح الصفار عدة مفاهيم منها أنه قلّ أن يجد رأياً فقهيًّا في المذهب الشيعي لا يشاركهم فيه فقيه سني، والعكس صحيح أيضاً.

كما تحدث عن الاحتفال بعاشوراء وأوضح رفض علماء الشيعة للمظاهر التي يظهر فيها بعض أبناء الشيعة وهم يجلدون أنفسهم، كما تحدث عن زواج المتعة وقال: إن المذهب الشيعي يقرّه، وقد رأينا أخيراً بعض طرق الزواج التي أقرّها علماء المذهب السني والتي لا تختلف عن زواج المتعة إلا بإبعاد كلمة «متعة» لحساسيتها، وركز الضيف في أجوبته على بعث التفاؤل في نفوس الحاضرين حول مستقبل الحوار الوطني، وأشار إلى أن البعض يتهاون في نتائج الحوار الوطني لأنه يعتقد بأن الحوار لا يصدر قرارات

ملزمة، وبالتالي فإنه ليس عمليًّا، في مقابل من يطالب بالإسراع في تطبيق نتائج الحوار، مذكراً أن الحوار الوطني أتاح لنا التعرف إلى بعضنا البعض وأتاح فرصة فهمنا لبعضنا البعض، حيث بدأ الناس يشعرون أن هناك من يشاركهم في هذا الوطن وأن له نفس الحقوق، وأضاف الصفار: أنا واثق أن خادم الحرمين الشريفين مصرّ على السير في طريق الحوار لنصل إلى وحدة بين جميع أبناء الوطن.

الصفار يبارك تخريج طلبة ثانوية النجاح بالقطيف

« أديب أبو المكارم » ١٧ / ٥ / ٢٠٠٦م

تحية:

إخواني المعلمين الكرام، السادة أولياء الأمور، أبنائي الطلبة الأعزاء...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدني ويشرفني أن أشارك معكم هذا الحفل والبهجة، حفل تخريج دفعة من الطلبة النابهين، متمنياً لهم دوام التوفيق والنجاح.

بهذه التحية ابتدأ سماحة الشيخ حسن الصفار حديثه في حفل تخريج طلاب ثانوية النجاح بالقطيف لعام ٢٦/ ١٤٢٧هـ في صالة الشلال بصفوى.

طلاب:

ثم وجّه سماحته خطابه لأبنائه الطلبة مؤكداً لهم: أنتم على أعتاب مرحلة جديدة

من المسيرة العلمية، وفي طور الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وهذا يحتاج منكم إلى تهيؤ واستعداد، كما تتطلبه منكم امتحانات الثانوية العامة. وفي هذا الوقت أنتم بحاجة ماسة إلى الثقة بالنفس وهدوء البال والأعصاب، فالقلق سبب لتدني المستويات.

وأكد أن أيام الامتحانات وقت لترتيب الأوراق واستذكار حصيلة العام الدراسي.

وأكد الشيخ الصفار أن المرحلة المقبلة هي مرحلة تحديد المستقبل التي تعتمد على الكفاءة والسلوك السليم، موجهاً إلى اختيار التخصص المطلوب، والجامعة المتميزة، وانتهاز فرص الابتعاث لتحقيق الكفاءة التي هي مطلب أساس لبلدنا الغالي. كما وجه لأهمية ضبط السلوك ومواجهة هذه التحديات الصعبة والابتعاد عن رفاق السوء.

وتمنى سماحته للجميع النجاح المستمر.

معلمين:

بعدها وجه الشيخ الصفار خطابه للمعلمين وأشار بأن مهمة التعليم ليست مجرد وظيفة ومصدراً لكسب المال، بل هي مسؤولية دينية واجتماعية ووطنية. على المعلم أن يكون مربياً قبل أن يكون معلماً. وأكد على أن الطلبة أمانة بين أيديكم فاهتموا بهم، فصلاحهم صلاح للمجتمع والوطن.

أباء:

في الختام أشار سماحته إلى أولياء الأمور بأن يهتموا بأبنائهم، وأن مرحلة الدراسة الجامعية هي مرحلة الصحبة والصداقة مع الأبناء طبقاً لما ورد في الحديث: «دع ابنك يلعب سبعاً، وأدبه سبعاً، واصحبه سبعاً»، مشيراً إلى أهمية الاقتراب من الأبناء سيما في هذه الفترة، لا أن يكون الأب مجرد آمر وناهي. إن أفضل الاستثمار ما كان في صلاح الأولاد. وذكر بأنه رأى كثيراً من الآباء أثرياء إلا أنهم شقوا بسبب فساد أبنائهم وأن بعضهم يفضل استبدال ثروته بصلاح أبنائه.

الصّفّار في تكريمه بإثنينية خوجه: من خلال الحوار الوطني

قطعنا شوطاً في ترسيخ مبدأ الحوار[1]

جدة: صالح الخزمري

شدَّد الشيخ حسن بن موسى الصَّفَّار على مكانة الوطن والتواصل والتلاقي بين جميع الأطياف من أجله والسعي لخدمته حيث هو أمانة في أعناق الجميع، وطن المقدسات ومهبط الوحي ومثوى خاتم المرسلين.

الشيخ الصَّفَّار جعل الحوار منطلقاً لكلمته لكونه السبيل في التقريب بين المذاهب والاتجاهات المختلفة حيث (اعتقد أننا تجاوزنا مرحلة مهمة وقطعنا شوطاً في ترسيخ مبدأ الحوار) مضيفاً أننا في الماضي كنا نتناقش على ضرورة الحوار، وكان هناك من يتحفظ تجاه

(١) الجزيرة: صحيفة يومية سعودية، العدد رقم ١٢٢٨٨ بتاريخ الأحد ٢٣ ربيع الآخر ١٤٢٧ الموافق ٢١ مايو ٢٠٠٦م.

الحوار ولكن مبادرة خادم الحرمين الشريفين حسمت هذا الجدل وأصبح الحوار حقيقة واضحة في المجتمع السعودي.

وأكد الصَّفَّار على اقتناع الغالبية بأهمية الحوار وضرورته والكثير استجاب للحوار حتى على مستوى المؤسسة الدينية. وكل الأطراف أعلنت قبولها للحوار.

وتساءل الشيخ الصَّفَّار عن آليات الحوار وبخاصة على الصعيد المذهبي، مؤكداً أهمية تحديد وجهات الحوار وخاصة على الصعيد المذهبي واصفاً البعض بأنهم يريدون الحوار أن يتحول إلى ما يشبه المحاكمة.

وعن الخلافات المذهبية أوضح أن هنالك اتفاقاً على الأصول ومرجعية الكتاب والسنة، والفرائض الإسلامية الأساسية ولكنَّ هناك اختلافاً في التفاصيل بين المذاهب وحتى داخل كل مذهب ولو قرأنا كتب السجال المذهبي لوجدنا فيها الكثير من الكلام الذي لا ينتهي ولا ينقضي، وتساءل: هل تسمح لنا التحديات بأن ننشغل بهذه التفاصيل؟ ولو انزلقنا إلى هذا المنزلق لأصبحنا في تاريخنا المعاصر تكراراً لما عاشه أسلافنا. ودعا الشيخ الصَّفَّار إلى تجاوز الانزلاق إلى هذا المنزلق ليس خوفاً من انكشاف الحقيقة ولكن لأن البحث فيها يطول والانزلاق فيها يشغلنا عن الحاضر.

وأكد الصَّفَّار على أن الحوار في المسألة الدينية تحيط به جوانب مختلفة ولا يعتمد على الجانب العقلي وحده. وأضاف أن البعض يتصور أن المنطق والعقل كفيل بأن يحلّ الاختلافات المذهبية والصحيح أن العقل يُعد جانباً من المسألة الدينية وفي المسألة الدينية يكون التعامل مع بيئة اجتماعية كاملة وليس مع فرد بعينه.

وأضاف أننا نجد في القرآن الكريم أن الله أمر نبيه ﷺ بأن يدعو المشككين في رسالته إلى التأمل الانفرادي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ [سورة سبأ: الآية ٤٦].

وأكد الصَّفَّار أن الحوار بين أتباع المذاهب غالباً لا يوصل إلى نتيجة حاسمة،

وتحدث عن الخلافات المذهبية التي لا يمكن حسمها مؤكداً أن الجدل لا يكون إلا بالتي هي أحسن. مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار الوطني كانت محل إشادة الشيخ الصَّفَّار موضحاً أن ذلك أفضى إلى رغبة العلماء في الحوار. وركز على تحديد أهداف الحوار وآلياته.

ولخص الشيخ الصَّفَّار بوصلة الحوار الوطني التي يجب أن تتجه إلى:

- التعارف والفهم المتبادل حيث كانت النظرة غير واقعية في السابق والآن أعطانا الحوار الفرصة لأن يعرض كل مذهبه ورأيه بوضوح.
- التعايش ومنع الإساءات وذلك بعدم الإساءة إلى الرموز أو الانتقاص لشيءٍ من حقوقه.
- خدمة المصالح المشتركة فنحن نعيش في وطن واحد ونحن أبناء أمة واحدة.

وخلص إلى أنه لا بدّ من التحاور بهدف تحقيق الثلاثة لا أن يهدف أحدنا إلى تغيير الآخر، كما أن المسألة الدينية المذهبية ليست منحصرة في شخص المتحاورين.

من جانبه أكد معالي د. محمد عبده يماني، المفكر الإسلامي المعروف، أن الأمة الإسلامية إنما نجحت كأمة واحدة لا تختلف على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مشيداً بالحوار (الذي جمعنا بالشيخ حسن الصَّفَّار ومن معه حيث شعرنا أن نقاط الاتفاق أكثر من نقاط الاختلاف مركزاً على أهمية الحوار واحترام الرأي الآخر).

الكاتب عبدالله الجفري جاءت كلماته انسجاماً مع رحابة صدر الشيخ حسن الصَّفَّار وافتتح بكتاب الشيخ الصادر ٢٠٠٤م الذي افتتحه بالآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣] ثم استهلّ مقدمة بهذا النسيج مشيداً بتأكيده على الرأي الآخر واحترامه له واصفاً ليلة الاحتفاء بأنها إصغاء للآخر إثباتاً للمجتمع السعودي الذي يقبل الحوار، مشيداً بسيرة الشيخ الصَّفَّار الذي تحفل سيرته بزخم من الإصدارات

والأنشطة الاجتماعية.

وأكد الجفري على أننا مع الحوار منذ أن أطلقه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز مؤكداً ضرورة تمازج الرأي الأحادي مع الرأي الآخر موضحاً المعاناة التي عانينا منها من المغالاة والغلو.

وأضاف أنه يأتي تكريم الصَّفَّار كأحد رموز الشيعة في المملكة إصراراً على وحدة هذه الأمة، فقد أكد الصَّفَّار على تمسكه بالحوار من خلال انطلاق الحوار الوطني. وختم الجفري مشاركته بالآية الكريمة ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: الآية ١١٨].

من جانبه أشاد د. أنور بن ماجد عشقي بالمنهج المتكامل للحوار الذي سلكه الصَّفَّار متفقاً معه في كثير من الأمور متحفظاً على بعض النقاط مركزاً على أهمية التعايش معاً وخدمة وطن واحد ودين واحد متفق على الأهداف الأساسية وعلينا أن لا نختلف على الأسس.

دار بعد ذلك حوار بين الشيخ حسن الصَّفَّار والحضور كان التركيز فيه على الحوار والخلافات المذهبية.

ففي تعليق له على سؤال حول الفهم الخاطئ للكثير من الفكر الشيعي ولماذا لا يكثفون جهودهم لإخراج رؤيتهم أوضح أن هناك تقصيراً من أصحاب المذهب الشيعي في التعريف بمذهبهم، رافضاً ما يشاع من أن الشيعة يكفرون الصحابة والإساءة إليهم.

وعن نقاط الالتقاء والاختلاف بين السنة والشيعة أوضح أن نقاط الاتفاق كثيرة ونقاط الاختلاف محدودة ويجب البدء من نقاط الاتفاق أما الاختلافات فهي موجودة حتى داخل المذاهب والأصول متفق عليها فالاختلافات هي في الفروع.

وفي تعليق له على المؤمل من الحوار بين السنة والشيعة أوضح أن ذلك يعتمد على المنهجية (وكان هناك اتفاق على أمور عدة، أما إذا صار الحوار على طريقة وعرة فلن يصل

إلى نتيجة)، وأوضح أن الآثار طيبة للحوارات التي نمت مبدياً تفاؤله بالحوار حيث أنهى الحوار مرحلة من القطيعة وفتح المجال وأفسح المجال في التعرف إلى فكر الآخر ورموز الآخر.

وفي إجابة له عن سؤال حول عدم بروز المرأة في المذهب الشيعي أوضح أن هناك عدداً من الفقيهات والراويات في تاريخ الشيعة في الماضي والحاضر، وليست هناك مشكلة في دور المرأة في المذهب الشيعي فالعلماء لديهم انفتاح بهذا الصدد.

وعن وحدة المسلمين في أوطانهم أوضح أهمية المساواة (ولا بدّ من سد هذه الثغرة وقد أكد خادم الحرمين الشريفين على نقطة العدل والمساواة بين المواطنين).

من جانبه ألقى الشيخ عبدالمقصود خوجة مؤسس الاثنينية كلمة قال فيها: (تتشرف (الاثنينية) هذه الليلة بلقاء فضيلة العلامة الشيخ حسن بن موسى الصَّفَّار، الذي أسعدنا بحضوره من القطيف خصيصاً ليفيض علينا من سابغ علمه وواسع ثقافته، فأهلاً وسهلاً ومرحباً به وبصحبه الأفاضل الذين قدموا من المنطقة الشرقية، والمدينة المنورة، إسهاماً مشكوراً في إثراء هذه الأمسية التي تعبق بأريج العلم وجميل التواصل بين أبناء الوطن الواحد، ترسيخاً لمبدأ التلاحم وتمتين وشائج هويتنا المشتركة.

إن علامتنا الجليل وضيفنا الكريم نجم ساطع في دنيا الفكر والثقافة والأدب على المستويين المحلي والإقليمي، فمجلسه الأسبوعي الذي يرعاه بفضله مساء كل يوم سبت في منزله بالقطيف، يعتبر منارة إشعاع يسعى لها كثير من المريدين والمحبين.. فهو مجلس مفتوح يستقطب مختلف ألوان الطيف الثقافي والفكري، وليس حكراً على جهة أو توجه مخصوص، وليس ذلك بغريب عن علامتنا الكبير الذي شرفت بمعرفته عن كثب خلال مؤتمر الحوار الوطني الثاني الذي جمعنا في رحاب مكة المكرمة خلال الفترة من ٤-٨ ذو القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٧-٣١ ديسمبر ٢٠٠٣م.. وما تلاه من تشرفنا بالوقوف بين يدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد آنذاك.. وكانت

لنا أيام مشرقات.. سعدت فيها بلقاء فضيلته إن كان في المؤتمر أو على ضفافه، وتعرفت صفات ضيفنا الكريم التي هبت نسائمها، دماثة خلق، وعمق معرفة، وجميل عبارة وتهذيب لسان، وسلامة طوية، ولا أزكيه على الله.

لقد كرّس فضيلته جانباً كبيراً من حياته لطلب العلم من مختلف المصادر، وعندما قوي جناحه واشتد ساعده، أبى إلا أن يحلق في علياء الفكر المستنير، غير أنه ليس من ذوي الأبراج العاجية، أو المترفعين عن بذل العلم لكل سائل وطالب، بل نجده مثالاً للعالم المتواضع دوماً، الهاش الباش لمن حوله، يجري القول على لسانه طلقاً في غير ابتذال، قوياً دون تقعر.. وتلك طبيعة الأشياء، فزكاة العلم نثره بين طلابه، كلما نهلوا منه زاد معينه، حتى صار نهراً ذاخراً بالخيرات بين يدي ضيفنا الكبير.

وليس صدفة أن يجري ذلك النهر أهزوجة بين الشفاه، ولا يتناثر في بيداء التشرذم والضياع، إذ عقد شيخنا الجليل العزم على تقييد العلم بالتدوين والرصد والتسجيل بالإضافة إلى موقع حديث على شبكة الإنترنت، أثمر كل ذلك أكثر من سبعين مؤلفاً شكلت منظومة مقالات ودراسات وإبداعات تناولت مختلف فروع الفقه والاجتماعيات.. وأعتقد أن كتابه الجامع المانع الموسوم (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع -بأجزائه الأربعة) أحد الشواهد على غنى بستان ضيفنا الكريم، وتشبعه بالمعرفة الإنسانية الشاملة، حتى لتحسبه خزانة كتب في سفر واحد.

علماء ومثقفو القطيف: انعكاس تداعيات التناحر الطائفي بالعراق على المنطقة غير وارد [1]

تحقيق شمل عدداً من المثقفين، وفيما يلي نص جواب سماحة الشيخ الصفار المنشور في الصحيفة:

د. عثمان عبده هاشم، صالح الفهيد (الدمام)

استبعد عدد من المثقفين انعكاس ما يجري في العراق من تناحر واقتتال مذهبي على دول الخليج المجاورة لها بما فيها المملكة.. مؤكدين لـ«عكاظ» أن الشيعة السعوديين مواطنون وأثبتوا ذلك في منعطفات مفصلية مرت بها المنطقة خلال العقود الماضية.

الشيخ حسن الصفار قال إن لدى المواطنين الشيعة في المملكة روحاً وطنية عالية

(١) عكاظ: صحيفة يومية سعودية، العدد رقم١٧٩٩ بتاريخ الاثنين ٢٣ ربيع الآخر ١٤٢٧ الموافق ٢١ مايو ٢٠٠٦م.

وإدراكاً لمصالح بلادهم.. وتجاوبوا مع مشروع الحوار الوطني الذي يجب أن يتحول إلى خطط عملية لمعالجة بعض المشاكل القائمة لسد الثغرات أمام أية محاولات مغرضة.. مشيراً إلى أن بعض وسائل الإعلام وبعض الاتجاهات الدينية التعصبية تحاول التركيز على الخلاف المذهبي من خلال ما يحدث في العراق وطرح ما يمكن أن يكون له من انعكاسات على التنوع المذهبي في المملكة ودول الخليج.

تحصين الأجواء

وأضاف الصفار: إن ذلك يستوجب على حكومات المنطقة.. وعلماء الدين الواعين تحصين الأجواء، فما يجري في العراق يخص الشعب العراقي، والصراع هناك قد تستغل فيه الورقة الطائفية لكنه صراع إرادات سياسية.. وقريب منا ما حصل في الجزائر من عنف داخلي استمر بضع سنوات وليس في الجزائر مشكلة مذهبية طائفية.

وأكد أن أخطر جانب في المشهد العراقي هو استخدام العنف وممارسة الإرهاب لتحقيق استهدافات معينة قائلاً إنه إذا كانت مقاومة الاحتلال أمراً مشروعاً فإن استهداف المدنيين والمواطنين الأبرياء بتفجير المساجد والأسواق وعمليات الخطف والقتل على الهوية المذهبية.. عمل إجرامي لا يمكن تبريره ولا قبوله، وهذا هو المشكل الحقيقي في ما يجري في العراق، حيث هناك صراع إرادات على الساحة العراقية بين من يريد تفجير حرب مذهبية قد تحرق الأخضر واليابس ويمتد لهبها إلى مختلف الأرجاء، وهذه هي إرادة الإرهابيين والمتطرفين الذين يرفعون شعارات دينية إسلامية مع شديد الأسف.

وأضاف الصفار.. في المقابل هناك إرادة تعمل لضبط النفوس والسيطرة على الانفعالات وتوجيه الشعب إلى العملية السياسية حيث تتحرك كل القوى لطرح آرائها وإقناع الجمهور بها ثم الاحتكام إلى الاستفتاء والتصويت .. وهذا هو نهج القيادات الدينية الحكيمة والقوى السياسية الواعية.

وأعرب عن تفاؤله بأن الله سيجنب العراق الحرب الطائفية لوجود المرجعيات الدينية الرشيدة ومستوى الوعي العام عند الشعب العراقي وطبيعة التداخل المذهبي بين العشائر العراقية وتاريخ العلاقات الإيجابية بين علماء وأتباع المذاهب الإسلامية في العراق.. بيد أنه استدرك مضيفاً.. مع هذا التفاؤل أدرك أن هناك عملاً جاداً لإيقاد نار الفتنة.

مرحلة خطيرة

وأشار إلى أن العراق يمر بمرحلة خطيرة وحساسة حيث يتحرك الشعب العراقي لإعادة التأسيس وبناء الدولة وترتيب العلاقة بين مكوناته بعد عقود من الأوضاع السياسية الخاطئة التي عانى في ظلها من الاستبداد والتمييز القومي والطائفي وإساءة العلاقة مع الدول المجاورة.

وأردف.. لا شك في أن عملية إعادة البناء والتأسيس ليست سهلة بسيطة خاصة في ظل الاحتلال الأجنبي ومع انكشاف الساحة العراقية أمام التدخلات الإقليمية المختلفة.

حوار حول كتاب: الاستقرار السياسي والاجتماعي ضرورته وضماناته

أجراه الأستاذ/ حسن آل حمادة، وأذاعته قناة الأنوار ضمن برنامج (برنامج وما يسطرون) بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٤٢٧هـ

أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نلتقي اليوم مع المفكر الإسلامي الشيخ حسن الصفار لنحاوره حول كتابه الصادر حديثاً (الاستقرار السياسي والاجتماعي ضرورته وضماناته).

مرحبا بكم سماحة الشيخ.. حدثنا عن الغاية والهدف من تأليف هذا الكتاب ونشره؟

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين..

هذا الكتاب ناتج من التأمل في معاناة تعيشها مجتمعاتنا العربية والإسلامية على

مختلف الصعد، هذه المعاناة هي الاضطراب في العلاقات بين مختلف القوى في هذه المجتمعات؛ فمن الطبيعي أننا كمجتمعات بشرية -في داخل كل مجتمع- هناك قوى وشرائح متعددة، قد تتعدد فكرياً.. قد تتعدد سياسياً.. قد تتعدد عرقياً، أو ما أشبه من بواعث التعدد. كما أننا مجتمعات يجاور بعضها البعض ولنا دول أيضاً كلها تنتمي لهذه المنظومة العربية والإسلامية، نحن نرى أن هذه العلاقات بين هذه الأطراف المتنوعة- داخل المجتمع الواحد.. داخل الأمة الواحدة.. داخل المنطقة الواحدة.. داخل العالم الواحد، وهو العالم الإسلامي- لم تصل بعد إلى المستوى المقبول، لا زالت العلاقات مضطربة، لا زال هناك حال من التوتر والتشنج. وكما رصدت في هذا الكتاب.. على مستوى العلاقات بين الدول في العالم الإسلامي والعالم العربي، لا تزال العلاقات غير طبيعية.. حروب شهدناها بين دولة وأخرى في العالم العربي والإسلامي، وغير الحروب هناك فتور، هناك توجس من هذه الدولة تجاه تلك الدولة غالباً، هناك ضعف القدرة على التعاون وعلى إنجاح أي خطة مشتركة، وقد رأينا القمة الأخيرة العربية التي حصلت في الخرطوم كيف كانت نسبة الغياب فيها وكيف كان ضعف القرارات والتوصيات التي خرجت بها، وكيف كان الموقف من القضايا المصيرية الخطيرة داخل هذه القمة.. وعلى مستوى العالم الإسلامي أيضاً نعيش نفس الحالة ونفس المعادلة.

لعل المؤتمر الأخير الذي حصل في قمة مكة الاستثنائية -الذي دعا له خادم الحرمين الملك عبد الله- بالفعل كان استثنائياً من حيث الإعداد لهذا المؤتمر بوجود مجموعة من العلماء والمفكرين التقوا قبل المؤتمر ووضعوا برنامجاً أو أجندة مقترحة للرؤساء والزعماء -يمثلون كل المذاهب والتوجهات- وتناقشوا حول قضايا الأمة الإسلامية ثم عرضوا مقترحاتهم وتوصياتهم ورفعوها إلى الزعماء.. حضور الزعماء في تلك القمة أيضاً كان حضوراً جيداً، والقرارات والتوصيات التي حصلت أيضاً كانت جيدة لكن هذا نصف الطريق، النصف الآخر وجود جدية ومتابعة لهذه القرارات، هذه الجدية لن تكون

متوفرة إلا إذا كانت العلاقات سليمة وصحيحة.

سماحة الشيخ، إذاً لماذا رحت تؤكد في الكتاب على أن الاستقرار السياسي والاجتماعي من أهم الحاجات وأبرز التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في هذا العصر؟

بالطبع لأن هناك أمرين أساسيين، الأمر الأول: أن طاقاتنا انشغلت ببعضها البعض وبقيتْ مشاريع التنمية والطموحات بالتقدم مجمدة معطلة، وحصل هناك انشغال بالنزاعات الداخلية.. لو أخذنا المثال الآن في العراق، الشعب العراقي استراح من صدام! ونظام الطاغوت، ماذا حدث بعد أن استراح الشعب من هذا النظام؟ لدى الناس احتياجات وطموحات.. لديهم تطلعات، الشعب العراقي يحتاج إلى عمل كثير في هذه المرحلة، لكن ماذا يحدث؟ نحن الآن نجد كيف تمر السنة والسنتان ونحن في السنة الثالثة ولا تزال فئات في الشعب العراقي لم تصل إلى مستوى من الاتفاق حتى تبدأ مسيرة التنمية والبناء، وحسبما نسمع، لا زال الشعب العراقي يعاني الكثير من الاحتياجات على صعيد الخدمات، والأهم على صعيد الأمن الذي ينفلت بسبب عدم وجود توافق.. هذه الحالة هي التي تجعلنا نعتقد بأن غياب الاستقرار السياسي والاجتماعي هو الذي يشلّ أي توجّه للتنمية وأي توجه للبناء، كل قوة مشغولة بالقوة الأخرى أكثر من انشغالها ببناء الذات وبناء البلد.. الأمر الثاني: أن هذا النزاع والتنازع هو الذي يمكن الأعداء من النفوذ في بلاد المسلمين.

قلت وقال آخرون: لو اندلعت حرب أهلية أو طائفية في العراق ستشعل المنطقة وستشعل العالم.. كيف؟

بالتأكيد -لا سمح الله- لو حصلت فتنة طائفية أو حرب أهلية في العراق فإن

المنطقة ستشتعل، لحدّ الآن، الحمد لله لم تحصل وإن كانت هناك محاولات وسعي لإيقاد نار الفتنة، لكن القيادات الواعية في العراق، ونضج الشعب العراقي لا زال إلى الآن يحبط هذه الفتنة، لكن لو حصل الاحتراب الأهلي لا سمح الله، بالتأكيد فإن الآثار تنعكس على كل المنطقة، نحن الآن نعيش آثار ما يحصل في العراق، كنا نعيش في المملكة العربية السعودية وفي منطقة الخليج مستوى جيدًا من التقارب، ومن الحوار بين أتباع كل المذاهب، الأوضاع في العراق الآن ألقت بظلالها، أصبح الشيعي يتخندق في حالته المذهبية، وينتصر لجماعته الشيعة في العراق، وأصبح السني أيضاً يعتبر نفسه امتداداً لموقف السنة في العراق؛ فأصبحنا نلمس الآن في بعض الكتابات.. في بعض التصريحات.. في بعض الخطب، تأثير الوضع العراقي على العلاقات التي كانت في طور النمو والتقدم بين أتباع مختلف المذاهب في المملكة العربية السعودية، وفي منطقة الخليج، بالتأكيد ما يحصل في العراق ينعكس على المنطقة كلها وعلى العالم الإسلامي كله.

جميل، رصدت الخلل في الكتاب، واضطراب العلاقات الداخلية للأمة في أبعاد ثلاثة: هي العلاقة بين الدول الإسلامية، العلاقة بين حكومات الدول الإسلامية وشعوبها، العلاقة بين فئات الأمة مع بعضها؛ فحبّذا لو حدثتنا عن البعد الثالث: العلاقة بين فئات الأمة مع بعضها؟ خصوصاً وأنت تحدثت عمّا يجري في العراق.

هناك مذاهب تكونت في هذه الأمة، وهناك اتجاهات سياسية موجودة في واقعها، في الحقبة السابقة كان هناك توجّه عند بعض الأطراف بإلغاء هذا الطرف أو ذاك، لقد تبيّن للجميع أنه لا يمكن لأحد أن يلغي أحداً، ولا يمكن لأحد أن يقصي أحداً، خاصةً مع التطورات التي يشهدها العالم، وتشهدها المنطقة، فلا بدّ أن يكون هناك اعتراف واحترام متبادل، وأن يكون هناك إطار للمصالح المشتركة يجمع الجميع.. في الأيام

الأخيرة عندنا في المملكة العربية السعودية طرح بعض كبار العلماء مسألة الحوار بين أتباع المذاهب، الشيخ عبد الله بن منيع (عضو هيئة كبار العلماء في المملكة) صرح لجريدة الشرق الأوسط، أنه يرحب بالحوار مع سائر المذاهب الإسلامية، وتحدث عن الشيعة، وكان الحديث عن الشيعة، بعد ذلك ثنّى على كلامه الشيخ صالح السدلان (وهو أيضاً شخصية علمية بارزة في المدرسة السلفية) والشيخ عبد المحسن العبيكان (وهو المستشار القضائي في وزارة العدل وعضو مجلس الشورى) وآخرون.. تحدثوا ضمن هذا السياق.. وكان لدي حديث تعقيباً على هذه الدعوات.. أرحب بهذه الدعوات الطيبة، واعتبرها خطوة متقدمة ولكن ينبغي أن نحدّد أهداف هذا الحوار، هل نريد أن نتحاور من أجل أن يقنع كل طرف الآخر برأيه ومذهبه؟ إذاً ندخل في نفق مظلم لا نخرج منه كما عاشت الأمة في المرحلة السابقة جدلًا عقيمًا لن ينفع ولن يجدي...

إذن، ما هو الهدف من الحوار؟

أنا أعتقد أن الحوار ينبغي أن يستهدف ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التعارف المباشر؛ لأننا بابتعادنا عن بعضنا البعض أصبح كل طرف يرسم صورة قد لا تكون دقيقة عن الطرف الآخر، حينما نلتقي ونتحاور يتعرف كل طرف إلى الآخر معرفة صحيحة مباشرة، ويعرف خلفية آرائه ومواقفه.. لماذا يرى هذا الرأي؟ هل عنده دليل أم لا؟.

الأمر الثاني الذي نريد أن نصل إليه: الاحترام المتبادل ومنع الإساءة، بأن لا يسيء أي طرف للطرف الآخر.. تحدد مجالات الإساءة التي يراها كل طرف، ويكون هناك اتفاق على تجاوزها.

الأمر الثالث: خدمة المصالح المشتركة لنا في وطننا، ولكل شعب إسلامي في وطنه، كيف نخدم المصالح المشتركة على الصعيد الوطني؟، ثم لنا باعتبارنا ننتمي لهذه

الأمة الإسلامية.. كيف نخدم ديننا؟ كيف نخدم أمتنا؟

هذه هي الأهداف الثلاثة التي يجب أن تكون غايات الحوار، أما إذا تحاورنا بهدف التبشير، وأن يقنع هذا الطرف، الطرف الآخر بخطأ رأيه العقدي، أو رأيه الفقهي، فلن نصل إلى نتيجة.. هذا لا يعني أن تتوقف الأطراف عن طرح آرائها، وطرح قناعاتها، والدعوة إلى ما تراه، كل إنسان يعبر عن قناعاته ويدعو إلى قناعاته، فهذا حق مشروع، لكن لا ينبغي أن تكون هذه القناعات مجالًا للتشنج، والتوتر بين الأطراف المختلفة داخل الأمة.

تحدثت سماحة الشيخ في الكتاب عن التراث الروحي والحضاري التي تتميز به منطقة الشرق الأوسط، إضافة إلى تفجر ثروات النفط الهائلة فيها ولكن، مع كل ذلك لا تزال المنطقة مصنفة ضمن أكثر المناطق تخلفاً في جميع حقول التنمية الإنسانية والاقتصادية والسؤال: إلى متى ستبقى منطقة الشرق الأوسط تعيش في هذا البؤس؟

أنا أعتقد أن هذه الحالة مستمرة، ومرشحة أيضاً للتعمق أكثر! ونحن إذا أخذنا بعين الاعتبار التقدم الذي يحصل في العالم، وارتفاع مستوى الحاجات في شعوبنا وبلداننا؛ فسنجد أنفسنا في كل سنة متأخرين عن السنة التي قبلها.. الحل يبدأ من تلمس الطريق نحو الاستقرار السياسي والاجتماعي، بأن يكون هناك حكم صالح في كل مناطقنا، حكم منتخب من الشعب، وأن تكون هناك مشاركة شعبية، وأن تتفق كل القوى على برامج وطنية موحدة في المجال الوطني، حتى نتجه إلى البناء والإعمار، وإلا فالوضع كما في العراق الآن مثلاً أو في لبنان أو السودان، بل في أكثر من بلد عربي وإسلامي، النزاع والصراع يفرض نفسه.

السودان عاش صراعاً بين الشمال والجنوب، الآن يعيش أيضاً المشكلة في دارفور

وهي تؤثر على الوضع السياسي والتنموي، وتؤثر على علاقة البلد بالعالم، إلى متى نبقى نعيش هذا الوضع؟ إلى أن نتلمس الطريق، ونتفق على أن نتعاون! الحمد لله الشعب العراقي مثلاً قطع خطوات طيبة؛ اتفقوا بالتالي، صاغوا دستوراً نتيجة استفتاء شعبي، واتفقوا عليه، بالأكثرية.. انتخبوا لهم برلمانًا يمثل كل شرائح الشعب وفئاته، وحتى الأطراف التي قاطعت الاستفتاء السابق شاركت في هذا الاستفتاء، ولكن لا تزال أمامهم عوائق بسبب العلاقة المضطربة بين الأطراف المختلفة، وضعف الثقة بينهم، وقد تكون للأيادي الأجنبية دور كبير في تأزم الوضع في العراق، نحن نأمل ونتطلع إلى أن تتفق قوى الشعب العراقي على تجاوز هذه المرحلة، وأن تشكل حكومة وحدة وطنية، وأن تنخرط كل القوى والأطراف في العراق في البناء.. يحتاج العراق إلى عمل كثير.. يحتاج إلى تجاوز عقود من التخلف والحرمان التي عاشها الشعب العراقي وهذا لا يتم إلا بالعلاقة الطبيعية بين كل القوى والأطراف.

سماحة الشيخ حسن.. فيما يخص العلاقة بين الفئات والطوائف، أشرتم إلى أن التنوع: أصيل وعريق داخل المجتمعات الإسلامية، وقلتم أن الحضارة الإسلامية قدمت نماذج رائعة في التسامح والقبول بالآخر.. مع كل هذا الكلام الجميل أتساءل: هل نحن بحاجة لأن يتنازل كل طرف منا عن بعض خصوصياته من أجل تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي؟

لا أعتقد أن المطلوب من أحد أن يتنازل عن شيء من قناعاته الدينية؛ لأنه ليس صحيحاً أن نطلب من أحد ذلك؛ فالدين هي علاقة بين الإنسان وربه، وحينما يدين الإنسان بدين، أو برأي ديني؛ فلا يصح أن يطلب منه التنازل عنه، والقرآن قرر الحرية الدينية، الله تعالى يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦] وحينما أجبر إنساناً

على أن يتنازل عن دينه، ككل، أو عن جزء منه، فهذا نوع من ممارسة الإكراه في الدين، وهذا لا يمكن أن يطلب من أحد.. من جانب آخر: الدين يرتبط بمجموع من يعتنقه، والمذهب يرتبط بمجموع من ينتمي إليه، فليست هناك جهة تستطيع أن تفرطّ في شيء من قضايا الدين، أو قضايا المذهب، لأن الأمة، أو الجمهور التابع للمذهب لن يقبل بذلك، ولن يرضى بالتفريط في شيء من قناعاته، ومن متبنياته، فإذن هذا ليس مطلوب أبداً.. المطلوب بشكل محدد التنازل عن أي إساءة من طرف لآخر، ألَّا تسيء لي وألَّا أسيئ إليك، ما عدا ذلك فكل طرف تكون له حريته الكاملة في قناعاته ومتبنياته، ولو أردنا أن نأخذ مثالاً في العلاقة بين المسلم وغير المسلم في المجتمع الإسلامي (أهل الذمة) الذين يعيشون في بلاد المسلمين.. الإسلام يعطيهم الحرية للتعبد بدينهم وممارسة أمورهم الدينية وفق دينهم؛ كيهود، أو كنصارى، أو كمجوس، ولهم حريتهم في عباداتهم، وفي أحكامهم (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)، لكننا لن نقبل ولا يمكن أن نقبل أن مسيحياً أو يهودياً يعيش في المجتمع الإسلامي يوجه الإساءة إلى الحالة الإسلامية، أو إلى الدين ورموزه، هو في قناعاته لا يعتقد بصدق نبوة نبينا ﷺ، ولا يرى ذلك، هو حر في قناعته، لكن أن يأتي ويعلن هذا الكلام بشكل يسيء إلى نبينا، وإلى ديننا؛ فنحن لا نقبل منه، نطلب منه ألَّا يسيء، لكن لا نطلب منه أن يتنازل عن شيء من قناعاته؛ فليس مطلوبًا من أحد أن يتنازل عن شيء من خصوصياته؛ إنما المطلوب فقط تجاوز حالة الإساءة من أي طرف لآخر.. تبقى هنا مسألة في بعض الأحيان يحصل هناك رأي عند أتباع هذا المذهب أو ذاك المذهب بأن الإساءة للآخر جزء من المذهب، كأن يقول أحدهم: «أنا مذهبي يأمرني بأن أسيء للآخر»، أنا شخصياً أتوقف عند هذا الأمر، ولا أعتقد أن هناك مذهبًا يأمر الإنسان بأن يسيء للآخر.. المذاهب التي تكون في إطار الإسلام عليها أن تكون ملتزمة بآدابه وقيمه، وقد رأينا كيف أن الإسلام ربى أتباعه، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥]،

رأينا كيف يقرر الإسلام وكيف يأمر بحسن العلاقة، والتخاطب مع الآخرين: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٦].. هل يعقل أن الدين الذي يأمرني ألا أتحدث مع اليهود والنصارى في الشأن الديني إلا بأحسن أسلوب نفس هذا الدين يأمرني بأن أسيء إلى أبناء المذاهب الأخرى من المسلمين؟ هذا لا يعقل أبداً!! وهذا يخالف ما ورد أيضاً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا ينهون أتباعهم وينهون شيعتهم عن الخصومة « لا تخاصموا الناس في دينكم، إني أكره لكم أن تكونوا سبابين »، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام .. أنا أتوقف في أي إدعاء سواء كان عند هذا المذهب أو ذاك، بأن المذهب يأمر بالإساءة، أنا أعتقد أن هذه إضافة أو سوء فهم يعبر عن حالة من التعصب يجب معالجتها عند أي طرف من الأطراف.

دعنا ننتقل لمحور: (المشاركة الشعبية ضمانة الاستقرار)، فإذا كانت التوجيهات الإسلامية كما أشرتم تشجع على الشورى حتى في الجانب الشخصي.. فلماذا نجد المسلمين اعتادوا على التفرد بالرأي، والاستبداد بالقرار فيما يرتبط بالشأن العام؟

أنا أعتقد أن هناك سببين أحدهما نبع من الآخر، السبب الأول هو الاستبداد السياسي.. فمن وقت مبكر ابتليت الأمة بالاستبداد السياسي، كما حصل في الدولة الأموية، فمعاوية بن أبي سفيان سيطر على المسلمين بالقوة والقهر، طبعاً اضطر الإمام الحسن عليه السلام لمصالحته، وتسليم الحكم له؛ لأن معاوية كان يملك جيشاً جراراً، ولأن الظروف اقتضت هذا الأمر، فبالقوة سيطر على المسلمين، ثم عهد بالحكم إلى ولده يزيد، وسارت الأمة في مرحلة الملك العضوض التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فيما ترويه مصادر الحديث عند السنة والشيعة.. هذه المرحلة أسست، وكرست حالة الاستبداد السياسي في الأمة، طبعاً لا بدّ للمستبد السياسي أن ينتج ثقافة تحمي هذا الاستبداد، وإلا كيف لحاكم

أن يمارس الاستبداد في أمة يرتضع أبناؤها فكر الشورى، والخضوع لله وحده، وعدم الخضوع لما يخالف الدين؟ لا يمكن لهذا الحاكم أن يستمر حكمه في هذه الأمة، فلا بدّ إذن أن ينتج ثقافة تحمي الاستبداد وتكرسه، وهنا جاء العامل الآخر وهو السبب الثاني: الثقافة التي تشجع الاستبداد؛ فعندنا تاريخ سياسي استبدادي في الأمة، نتجت عنه ثقافة استبدادية تشجع هذه الحالة.

ماذا عمن يرفع اللواء عالياً لمحاربة الهيمنة، والاستبداد والدكتاتورية التي تمارس من قبل الأنظمة المتسلطة، وهو نفسه يمارس هذا السلوك الاستبدادي في بيته، مع الزوجة أو الأولاد، وكذا مع الزملاء في العمل وإلى آخره؟

هذا يكشف عن ازدواجية الشخصية، هذه الازدواجية نابعة من عدم وضوح الرؤية أو عدم القناعة الكاملة، يعني يطرح موضوع الحرية والشورى في ساحة الصراع مع الطرف الآخر الذي يصارعه كالسلطة أو الدولة، من كان يمتلك بعمق وقناعة مبدأ الشورى ومبدأ حرية الرأي واحترام الرأي الآخر؛ فإنه يطبقه على كل الصعد، وفي سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أهم دليل، وأهم قدوة، ما هي سيرة أمير المؤمنين عليه السلام تجاه من عارضه من الخوارج؟، لقد حفظ لهم حقوقهم، وقال: (لهم علينا ألا نمنعهم دخول المساجد، ألا نقطع عنهم العطاء، ألا نقاتلهم ما لم يثيروا فتنة..) والتزم بهذه المبادئ..

بعض الناس بالفعل هذا حالهم، ونحن لاحظنا في العالم العربي والإسلامي، ثوارًا وثورات تنطلق باسم حق الشعوب وحرية الرأي وما أشبه؛ فإذا وصلت إلى الحكم مارست القمع! هذا يكشف أن الشعار، لم يكن صادقا!! أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل مبدأ، وبالتالي التزم بهذا المبدأ في كل الظروف والأوضاع، نحن نعيش بالفعل هذا الإشكال..

نجد كثيراً من الناس مثلاً داخل الحالة المذهبية، نحن كشيعة في بعض الأحيان نتحدث عن الإرهاب الفكري المتوجه إلينا من المتعصبين من المذاهب الأخرى، لماذا يقصونا؟ لماذا يلغونا؟ لماذا لا يجعلوننا نتمتع بحريتنا المذهبية؟ لكن في داخلنا نحن الشيعة، في بعض الأحيان تجد أن طرفاً يلغي طرفًا، وطرفاً يقصي آخر، هذا يدل على أن فكرة الحرية، واحترام الرأي الآخر، والشورى ليست متجذرة في نفوسنا، وثقافتنا لا تربي عليها، قد نستخدمها كشعار في بعض الحالات، أما لو كنا مقتنعين بها، ومتربين عليها، لما كنا نقبل لأنفسنا أن نمارس الإرهاب تجاه بعضنا البعض.

سماحة الشيخ، قلت إن الرسول الأكرم ﷺ يكرر في مواقف كثيرة مقولته الشهيرة (أشيروا عليّ)، ولكننا على الطرف الآخر نستحضر مقولة الحاكم المستبد الذي يكرر مقولة (من أمرني بتقوى الله ضربت عنقه)، فنحن أمام نهجين وطريقتين، فهل يكفي أن نبشر بثورة ثقافية لجهة الوعي بالحقوق وقبول التعددية واحترام الرأي الآخر؟

رسول الله ﷺ كما تعلمون يمثل مقام القيادة الدينية، والقيادة السياسية، ويجب أن تكون سيرته معلماً، وقدوة وأسوة على الصعيدين، كما أن الحاكم السياسي يجب أن يتمثل سيرة رسول الله ﷺ في طلب الشورى، وطلب رأي الناس/ رأي الشعب، كذلك أيضاً العالم الديني أو القيادة الدينية، يجب أن تتمثل سيرة رسول الله ﷺ .. على هذا الصعيد عندنا في تاريخنا كيف كان الحاكم يصادر رأي الناس؟ ويقول: من أمرني بتقوى الله ضربت عنقه، هذا حالة من الاستبداد، هذه حالة النقوص والارتداد عن الشورى التي أمر بها الإسلام، التي مارسها رسول الله ﷺ، كما أننا نطالب بالشورى على صعيد الوضع السياسي، بأن يستفيد الحاكم من رأي الناس، ويأخذ به ضمن الآليات المطروحة على الصعيد السياسي. على صعيد الحالة الدينية أيضاً، علماء الدين في مختلف المجتمعات

ينبغي أن يأخذوا برأي الناس، خاصة خبرات ذوي الرأي في المجتمع؛ فمثلاً فيما يرتبط بالحقوق الشرعية، العالم الديني تصله الحقوق الشرعية باعتباره فقيهاً، أو وكيلاً عن الفقيه المرجع، والسؤال: كيف يتصرف في الحقوق الشرعية؟ ينبغي أن يكون هناك من يساعده في وضع البرامج والخطط، ينبغي أن يأخذ رأي الناس لرسم الأولويات لمعرفة موارد الحاجة لتنمية هذه الحقوق، وهذه الإمكانات الدينية الراجعة لمصلحة المجتمع.

جميل، سماحة الشيخ أنت ذكرت في الكتاب مثالاً جميلاً أن الإمام الكاظم عليه السلام كان يستشير حتى الخدم والعبيد.

نعم، حتى الخدم، إمام معصوم مع ذلك يستشير حتى أقل الناس وأبسط الناس.

قلت إن القرآن الكريم يوجّه أمراً صريحاً بوجوب التعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: (يد الله مع الجماعة)[1]، مع ذلك نعجز كمسلمين عن التعاون فيما بيننا على كافة المستويات.. لماذا؟

أعتقد أن هناك سببين:

السبب الأول: عدم وجود آليات للتعاون، ولذلك يطرح التعاون كشعار، أما ما هو البرنامج؟ ما هو مشروع التعاون؟، تنقصنا البرامج في الآليات.

السبب الثاني: التوجس النفسي، وانعدام الثقة، بعض الأطراف تخاف أن تتعامل مع الطرف الآخر، تخشى أن تعاونها يذيبها في الطرف الآخر، أن يبتلعها الطرف الآخر إذا هي تعاونت معه.

---

(١) سنن الترمذي، ج٣ ص٢٠٨، ح ٢١٦٦.

أليس غريباً أن يخاف البعض من التعاون بهذه الصورة؟

هذه المشكلة التي نعيشها، هناك خوف من التعاون بين بعضنا البعض، وهذه هي الهواجس النفسية، والنقص المعرفي، وعدم وجود آليات، وبرامج ومشاريع هي التي تعوق التعاون بين الفئات والأطراف الإسلامية كما يبدو لي.

الفصل الأخير من الكتاب خصص حول خطاب التطرف، وأثره على الاستقرار والأمن وهو بحث مهم، أوضحت فيه أن الأمة دفعت ثمناً باهظاً لخطاب التطرف، والتشدد على الصعيدين الداخلي والخارجي، فمن هي الجهة المسؤولة عن إنتاج مثل هذا الخطاب؟ وهل من سبيل للتبشير بخطاب الاعتدال والوسطية؟ وعلى من تقع مسؤولية التبشير؟

الخطاب المتطرف يصدر من دوائر دينية تعاني حالة من التعصب والتشدد في آرائها وأفكارها، هذه الدوائر هي التي تنتج هذا الخطاب، هل هذه الدوائر مستقلة في توجهاتها؟ أم هناك تأثيرات سياسية داخلية وخارجية عليها؟، لا شك أن بعض الحكومات، وبعض الدول استفادت من هذه التوجهات المتشددة والمتشنجة، ودعمتها، وأعطتها الفرصة لكي تنتج هذا الخطاب، هذا داخلياً، وخارجياً أيضا نحن نشك، ولدينا أكثر من مؤشر يشير إلى أن الأطراف الخارجية اخترقت هذه الحالات الدينية المتشددة، ووجهتها وكرست لديها حالة التشدد، ولا أعتقد أن أحداً يجهل علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالجهاد في أفغانستان، احتضنت الجهاد واحتضنت المجاهدين ضمن صراعها مع المعسكر الشرقي، هذا الاحتضان أعطاها فرصة لكي تخترق هذه الفئات وهذه الأطراف، وكذلك انفتحت على مجاميع مختلفة عبر مختلف القنوات، أوجد هناك اختراقًا في هذا الحالات، بدأت الأطراف الأخرى توجهها، وأنا لا أستبعد فيما يحصل في العراق

الآن، الفئات التي تمارس الإرهاب والعنف غير بعيد أن تكون هناك أطراف خارجية، بل هناك مؤشرات تدل على وجود هذا الأمر، هي تخترق هذه الحالات وتوجهها من أجل أن تمارس الضغط على هذه الفئة ضد تلك الفئة، نحن نجد كيف أن الأمريكيين في العراق فترة من الفترات يبدون وكأنهم مدافعين عن الشيعة تجاه السنة، الآن تغيرت النغمة يبدون وكأنهم يدافعون عن السنة تجاه الشيعة، وفي الواقع هم لا يدافعون لا عن السنة، ولا عن الشيعة؛ إنما يدافعون عن مصالحهم، ويسلكون مختلف الطرق والسبل لإبقاء الساحة محتاجة إلى وجودهم العسكري في العراق.

إذاً، من المسؤول عن التبشير بخطاب الاعتدال والوسطية كممارسة لا كقول ونظرية فقط؟

يفترض في الفئات الواعية في الأمة أن تتحمل هذه المسؤولية، وأن تعطي نموذجاً لممارسة الاعتدال، وللتبشير بخطاب الاعتدال، وأن تنشر ثقافة التسامح والاعتدال، نحن لو بحثنا ورصدنا الكتابات والخطابات التي تصدر لرأينا المساحة التي تدعو إلى التسامح في هذه الكتابات والخطابات محدودة، في المقابل هناك حالة من التطرف. وهنا أشير إلى نقطة مهمة: قد لا يكون التطرف مباشراً، بمعنى أن يقال لهذا الطرف اقتل الطرف الآخر، أسئ إلى الطرف الآخر، في بعض الأحيان التعبئة الذاتية تمارس بشكل سلبي بحيث يخرج جمهور كل طرف وهو معبأ ضد الطرف الآخر، علينا أن نتوقف عن التعبئة والتعبئة المضادة، علينا أن نوجه الإنسان المسلم بأن كل المسلمين إخوة له، يهتم بالجميع «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين» بشكل عام وليس بأمور الشيعة فقط أو أمور السنة فقط.

لماذا تبدو أصوات بعض الأطراف والاتجاهات الدينية والفكرية

والسياسية خافته أمام أصوات المتطرفين من جماعاتهم، هل من مصلحة هذه الأطراف الحفاظ على هذا الواقع السيئ؟ ما القصة؟

أعتقد أن الأكثرية الصامتة في مجتمعاتنا تتحمل مسؤولية كبيرة، أنا أجد أن هناك كثيرين من الواعين والمثقفين لكن وعيهم وثقافتهم تبرز في حدود النقد، وفي حدود بعض الجلسات، لا يمارسون دوراً على الساحة، لا يرفعون أصواتهم، لا يدعمون مواقف المصلحين والمعتدلين، ولذلك يبدو صوت التشنج والتطرف هو الأرفع والأعلى، ليس لأن ساحتهم أوسع، ولكن، لأن ساحة الاعتدال لا تزال الأكثرية فيها صامتة لا تبدي حراكاً، ولا تشارك بفاعلية، ولا تدعم مواقف الاعتدال والإصلاح.

سماحة الشيخ.. دعني أختم بهذه الكلمة التي ختمت بها الكتاب، قلت: إن الأنبياء والمرسلين أحرص منا على تبليغ رسالة الله، وإقامة دينه، وهم من أرفق الناس وأبعدهم عن الشدة والعنف، ويجب أن يكونوا قدوة لنا وأسوة.

في ختام الحلقة نتوجه بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ حسن الصفار على حضوره الطيب معنا، كما أشكركم مشاهدي الكرام على حسن متابعتكم، ونلتقي معكم مجدداً مع ضيف آخر وكتاب جديد، ودمتم في أمان الله.

الشيخ الصفار يستقبل موكب الحوراء زينب عليها السلام

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الاثنين ٢/ ٥/ ١٤٢٧هـ إدارة موكب الحوراء زينب عليها السلام بمنطقة سنابس.

وقد استمع سماحته لعرض منهم حول تأسيس الموكب ونشاطاته ومشاريعه المستقبلية. وشكرهم سماحته على الزيارة وأكد أهمية التواصل بين كافة المؤسسات الاجتماعية وعلماء الدين.

وأكد سماحته الدور الذي تقوم به المواكب في استيعاب الناشئة في زمن صار المجتمع يعاني فيه من جنوح الناشئة إلى الانحرافات المختلفة، وأضاف: إن مجتمعنا اليوم يعيش من المشاكل والجرائم ما لم يعشها من قبل، فالمخدرات والمسكرات من جهة، والعنف بين أفراد المجتمع من جهة أخرى، كل هذا يجعل عليكم مسؤولية كبيرة من أجل استيعاب هؤلاء الشباب والعمل على هدايتهم فدور الموكب اليوم بالإضافة إلى تكريس الولاء

للنبي وآله عليهم السلام وإحياء المناسبات هو استيعاب هذه المجاميع من الشباب والناشئة.

ثم طالب سماحته إدارة الموكب بالابتعاد عن التطرف والغلو في الشعائر الحسينية من حيث الممارسات ومضامين الأشعار والشعارات قائلا: نريد من المواكب أن تبرز الصورة المشرقة للشعائر الحسينية فكما نفتخر بأن نهدي شريط محاضرة لأي إنسان من أي جهة ونحن نضمن أنه سيستمع لكلام جميل ومشرف يجب كذلك أن نصنع شرائط للمواكب نستطيع أن نباهي بها أي شخص دون حياء بل ونفخر بأن ندعو من يريد الحضور دون خجل.

وألفت سماحته أنظار الإخوة إدارة الموكب إلى أنه يجب أن يكون الموكب إطاراً تربوياً للشباب يدفعهم إلى الالتزام الديني، ويحضهم على الاجتهاد الدراسي ويساعد المحتاج منهم للنهوض من الكبوات الدراسية وتشجيعهم على نيل الدرجات الممتازة، وينبغي عليكم حث الموظفين على الالتزام والإخلاص الوظيفي، كما أنه يقع على عاتقكم البحث والمساعدة في إيجاد وظائف لمن يعانون من البطالة.

واقترح سماحته عليهم أن يكون لهم مشروع ثقافي شهري أو سنوي كأن تكون لهم قائمة بالشباب الذين يواظبون على الحضور وإهداء كل فرد منهم كتاباً كل شهر أو شريطاً، كما يمكن تبني كل عام كتاباً بحيث يصل إلى كل بيت في المنطقة ويكون كل عام حول موضوع أو مناسبة مختلفة.

وطلب سماحته من إدارة الموكب أن يتحملوا بعض الهموم الاجتماعية بحيث يكون للموكب دور اجتماعي يربط المجتمع بالشعائر، وذلك يكون بتبني بعض المشاريع الفاعلة كإقامة ورش عمل لدراسة بعض الظواهر الاجتماعية ومحاولة معالجتها، كذلك تبني قضايا المساجين وعوائلهم مثلاً، كما هو قائم في بعض مناطق المملكة.

الصفار: التكافؤ في اتاحة الفرص يفعّل دور التعددية[1]

تحقيق- الأستاذ سعود ياسين بركاتي:

في ظل المتغيرات الفكرية والحضارية التي يعيشها المجتمع السعودي الآن، ومع ما يصاحبها من انفتاح وحرية بسبب المعطيات الإيجابية التي أصبح المجتمع السعودي يتعامل معها بنوع من الشفافية والوضوح التي لم نعهدها في الماضي حيث إن من أهم هذه المعطيات إقرار الحوار الوطني الذي قد يساهم بشكل إيجابي في إحلال وإقرار الكثير من الأمور الإيجابية على المستوى الفكري والمذهبي والثقافي بالنسبة لأفراد المجتمع على مختلف مذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية

ومن هنا، فإننا نقول: هل بموجب هذه المعطيات أصبح المجتمع السعودي مؤهلاً لقبول التعددية الفكرية أم أن الوقت لم يحن بعد، وهل تعد حالة الانفتاح الثقافي

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية، ملحق الرسالة، عدد رقم ١٥٧٦٦ في ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ الموافق ٢٣ يونيو ٢٠٠٦م.

والاجتماعي التي تعيشها فئة من المجتمع الآن بوادر لقبول التعددية الفكرية في المجتمع السعودي، وهل من الممكن أن تتعامل جميع طبقات المجتمع مع منهجية التعددية الفكرية أم أنها ستقتصر فقط على الطبقة النخبوية كالمفكرين والمثقفين والكتاب وغيرهم، وهل بالفعل أن تجربة الحوار الوطني في المملكة العربية السعودية استطاعت أن تتجاوز الكثير من الحواجز بين مختلف الاتجاهات الدينية والفكرية والمذهبية، وهل هذه مدعاة لتكوين أرضية مناسبة لقبول التعدية الفكرية في المجتمع السعودي.

هذا ما سنعرفه في التقرير التالي الذي شارك فيه نخبة من المفكرين والكتاب ورجال العلم.

وكانت فقرة سماحة الشيخ التالية:

وسائل إضعاف النزعة الأحادية:

ومن جانبه قال الدكتور حسن الصفار عند المقارنة بين المشهد الثقافي والاجتماعي الحاضر في المملكة وبين حال الماضي لا بدّ وأن نشعر بتطور كبير يبشر بخير كثير.

وقال: إن تطور وسائل الإعلام والمعلومات قدم خدمة واضحة لكل الفئات لإثراء معارفها وتوسيع أفق ثقافتها، وأشار إلى أن خطوات الإصلاح التي قام بها خادم الحرمين الشريفين كمبادرة الحوار الوطني ساعدت على تجاوز الحواجز بين الأطراف المختلفة.

وأضاف الصفار أنه بدأنا نجد آثار هذا التطور في إبداء أكثر من جهة لاستعدادها للحوار مع الآخر المذهبي وذلك مؤشر إيجابي.

وأشار الدكتور الصفار إلى أن من أهم الوسائل لإضعاف النزعة الأحادية وتفعيل دور التعددية الفكرية هو التكافؤ في إتاحة الفرص، لأن إعطاء المجال لأي طرف وحده دون الآخرين أو تمييزه عليهم هو الذي يخلق دافع الهيمنة والأحادية عنده ويسلب الآخرين القدرة على المنافسة الإيجابية.

نص الحوار:

هل تعدّ حالة الانفتاح الثقافي والاجتماعي التي تعيشها فئة من المجتمع الآن بوادر لقبول التعددية الفكرية في المجتمع السعودي؟

عند المقارنة بين المشهد الثقافي والاجتماعي الحاضر في المملكة، وبين حال الماضي، لا بدّ أن نشعر بتطور كبير يبشر بخير كثير، فإن تطور وسائل الإعلام والمعلومات، قدم خدمة واضحة لكل الفئات لإثراء معارفها وتوسيع أفق ثقافتها، كما أن خطوات الإصلاح التي قام بها خادم الحرمين الشريفين كمبادرة الحوار الوطني ساعدت على تجاوز الحواجز بين الأطراف المختلفة، وكذلك اتساع مساحة الحرية الإعلامية والثقافية.

وقد بدأنا نجد آثار هذا التطور في إبداء أكثر من جهة لاستعدادها للحوار مع الآخر المذهبي، وذلك مؤشر لتهيئ الأرضية والأجواء للقبول بالتعددية الفكرية في المجتمع السعودي.

ما هي الوسائل التي من الممكن أن يتم بموجبها إضعاف النزعة الأحادية الفكرية وتفعيل دور التعددية الفكرية في المجتمع السعودي؟

إن من أهم وسائل إضعاف النزعة الأحادية وتفعيل دور التعددية الفكرية هو التكافؤ في إتاحة الفرص، لأن إعطاء المجال لأي طرف وحده دون الآخرين، أو تمييزه عليهم، هو الذي يخلق دافع الهيمنة والأحادية عنده، ويسلب الآخرين القدرة على المنافسة الإيجابية.

يقال أن تجربة الحوار الوطني في المملكة العربية السعودية استطاعت أن تتجاوز الكثير من الحواجز بين مختلف الاتجاهات الدينية والفكرية

والمذهبية، هل بالفعل تم ذلك؟ وهل هذه مدعاة لتكوين أرضية مناسبة لقبول التعددية الفكرية في المجتمع السعودي؟

لاشك أن تجربة الحوار الوطني قد حققت نجاحاً جيداً في تجاوز بعض الحواجز بين مختلف الاتجاهات في البلد، حيث يلتقي المنتمون لها تحت مظلة واحدة، ويتدارسون شأناً محدداً، ويتعارفون فيما بينهم كأشخاص وتوجهات، وهذا أمر بالغ الأهمية، يجعل صورة كل طرف أوضح أمام الآخر، ويكسر الحواجز النفسية، التي تشكل العائق الأصعب أمام الحوار والتعاون.

كما أن تجربة الحوار الوطني عززت نهج الحوار كقيمة حضارية وخلق إسلامي ومسلك وطني.

لكن الحوار الوطني كأي تجربة بحاجة إلى الرعاية والتنمية والتطوير، حتى لا تصبح حالة مؤسسية روتينية، وحتى لا يتغلب الإطار والشكل والمظهر فيها على المحتوى والمضمون.

بمشاركة الشيخ الصفار وشخصيات من مختلف المذاهب والأديان[1]

أقام مأتم السكران احتفاليته السنوية بمناسبة النصف من شعبان

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في احتفالية بيت السكران بمدينة المحرق الذي دأب على إحيائه سنوياً بمناسبة النصف من شعبان، ذكرى ميلاد صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن ﷺ. وذلك بمباركة عاهل البلاد الملك حمد بن عيسى آل خليفة، وتحت رعاية رئيس مجلس الوزراء وزير الشؤون الإسلامية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة، ومحافظة المحرق.

وقد غطت جريدة أخبار الخليج البحرينية في عددها ١٠٣٩٥بتاريخ ١٥/ ٨/ ١٤٢٧هـ هذا الحفل بالتقرير الذي جاء بعنوان (في بيت السكران بالمحرق .. احتفالية تجسد الوحدة الوطنية والإسلامية والإنسانية) وذكرت «حضر الحفل جمع غفير

(١) أخبار الخليج: صحيفة يومية بحرينية، العدد رقم ١٠٣٩٥بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢٧.

من كل أطياف المجتمع البحريني، كما أحيته شخصيات كبيرة منها الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة نائب رئيس مجلس الوزراء وزير العدل والشؤون الإسلامية، ومحافظ المحرق السيد سلمان بن عيسى بن هندي، ومحافظ الشمالية أحمد بن سلوم، ورئيس مجلس النواب السيد خليفة الظهراني، والأرشمندريت إبرام من كنيسة الروم الأرثذوكس، ورئيس جمعية البهرة في البحرين الشيخ مقداد زين الدين.

ومن خارج المملكة حضر الداعية الإسلامي سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار من المملكة العربية السعودية، وسماحة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر السابق وعضو مجلس الشعب المصري ورئيس نقابة الأشراف. كما حضر ضيوف آخرون من خارج البلاد وجمع غفير من المواطنين والمسؤولين والأعيان والسفراء»

وحول مشاركة سماحة الشيخ الصفار ذكرت «ثم استقبل الحضور وقوفاً الداعية الإسلامي سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار الذي تجشم عناء الحضور في أزحم ليلة يزدحم فيها جسر الملك فهد بحسب ما قاله السيد عبداللطيف السكران. وبدأ سماحة الشيخ الصفار كلمته بالتفاؤل مبشراً الأمة الإسلامية بأن الاتحاد قادم على يد الإمام المهدي المنتظر الذي هو من ذرية رسول الله، وهو ما يتفق عليه جميع المسلمين باختلاف مذاهبهم.

وقال إن المهدي سوف يوحد الأمة ويقود البشرية بالعدل. وقال إن الحفل يكرس قيمة مهمة هي الوحدة التي يقرها الإسلام بل يفرضها على أتباعه، لكنه أبدى نقطة استغراب من كون المسلمين أكثر من يتحدث عن الوحدة في فعالياتهم السياسية والدينية وفي الوقت نفسه ليست هناك أمة تعاني التفرقة كما يعانيها المسلمون! وشدد على أن الأعداء متربصون بالمسلمين من أهم منفذ هو الصراع الذي يصل إلى أشده في العراق حيث المآسي تحلّ بهم من بعضهم بحسب تعبيره.

وقال سماحته: «صحيح أن العدو يشجع الفتنة ولكن الأصح أن على المسلمين

معالجة النوافذ ونقاط الضعف». وطرح سماحته رؤيته الخاصة بكيفية تحقيق الوحدة وذلك عبر ثلاثة أمور، أولها الحق في المواطنة في ظل حرية وكرامة ومساواة؛ لأنه بالتفاوت والتمييز تصبح الوحدة حالة ظاهرية تتلاشى كما في العراق، مشيداً بتجربة مملكة البحرين وقرار وزارة التربية والتعليم لإعداد مناهج تتلافى الخلافات وتشير إلى موارد الخلاف بحكمة وهدوء.

الأمر الثاني هو احترام الرأي، فيجب ألا يكون الرأي متطابقاً، ولكن المهم أن يظل هناك احترام متبادل، فالقرآن الكريم يأمر نبيه بالقول «لكم دينكم ولي دين« فالاختلاف يجب ألّا يبرر اعتداء أحد على أحد. والأمر الثالث هو مطلبه بتجريم التحريض على الكراهية والنزاع حيث يجب ألا يبقى المجال مفتوحاً للإساءة. وقال إن من واجبات الرعاة أن تكون خطاباتهم غير تعبوية بل داعية إلى المحبة والوئام. وفي نهاية كلمته قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن ما حصل في لبنان وَحَّدَ مشاعر المسلمين فخرجت المظاهرات من الأزهر والمغرب والأردن، وحتى في المكان الذي لا مجال فيه للتظاهر كانت مظاهر تأييد المقاومة قوية وتوجهت نحو العدو الصهيوني الذي يوجه سهام غدره نحو المسلمين والمسيحيين في فلسطين ولبنان. واختتم بتحية للشهداء الذين تحملوا عبء الأمة سائلاً الله أن تكون الحرب العدوانية على لبنان نهاية للآلام وطريقاً لاسترداد الكرامة».

أما صحيفة الميثاق بتاريخ ٨/ ٩/ ٢٠٠٦م فقد جاء فيها تحت عنوان (بمشاركة مختلف المذاهب والأديان .. مأتم السكران ينظم احتفالاً شعبياً بمناسبة النصف من شعبان) وحول مشاركة سماحة الشيخ ذكرت: «بعدها ألقى الداعية الإسلامي الشيخ حسن الصفار كلمة ابتدأها برواية أخرجها الترمذي في صحيحه: (أيها الناس إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أمرين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض) ورواية أخرى رواها ابن داود « لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطول اللّه ذلك اليوم حتى

يبعث فيه رجلاً مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وقال: شاء الله أن تكون بداية هذه الأمة بقيادة النبي محمد ﷺ وختامها بقيادة المهدي المنتظر (عج)، والمهدي شخصية اتفق المسلمون على خروجها في آخر الزمان، وأنه من ولد فاطمة بنت محمد، وهو يوحِّد المسلمين ويقود البشرية، وهذا لا يختلف فيه مسلم وإن اختلفوا في بعض التفاصيل كالقول بأنه ولد أم أنه سيولد.

وأضاف: هذا الحفل يكرس مبدأ الوحدة الذي يقرره القرآن، ومن التناقض أنه لا توجد أمة تتحدث عن الوحدة أكثر من المسلمين لكن مع ذلك فإنها أكثر أمة تعاني من التفرقة المذهبية؟!

فأعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر ويدخلون في أوساطنا عبر الصراع والعراق الجريح شاهد علي ذلك.

وأكد الصفار على أن الوحدة الإسلامية لا تتحقق إلا بثلاثة أمور:

الأمر الأول: تحقيق مفهوم المواطنة بأن يعيش الناس في أوطانهم حياة الكرامة، وأما في ظل التمييز فإن الوحدة تتلاشي، وأشاد الصفار في هذا السياق بخطوات المملكة في ذلك، وكان آخرها تطهير مناهج التربية الإسلامية من أي عبارة تسيء إلي أي مذهب، والاكتفاء بالإشارة إلى الاختلاف بحكمة وموضوعية.

الأمر الثاني: احترام الرأي الآخر والاعتقاد بأن توحد الآراء غير ممكن، ولهذا يجب احترامها مهما اختلفت، ولا يجوز أن يكون الاختلاف دافعاً للتعدي على الآخرين.

الأمر الثالث: تجريم التحريض على الكراهية والنزاع، ولا يصح فتح المجال لذلك، ويوجه الدعاة إلى الخطابات الوحدوية لا الخطابات التعبوية.

وأضاف: رأينا كيف أن الحرب الأخيرة في لبنان وحدت المسلمين في جميع أنحاء العالم، والتفوا جميعاً خلف المقاومة الباسلة، وما كان هذا الالتفاف يحدث لو لم تكن

المقاومة تقاوم عدو المسلمين الأول، بل بعبارة أدق عدو الإنسانية والكرامة الأول».

وفي جريدة الوطن البحرينية عدد ٢٧٢ تاريخ ٨/ ٩/ ٢٠٠٦م جاء العنوان التالي (في احتفال كبير بمناسبة النصف من شعبان.. مسؤولين ورجال الدين يؤكدون وحدة الأديان وضرورة التسامح) قالت حول مشاركة الشيخ الصفار: «من جهته، قال الداعية حسن الصفار إن « مشيئة الله كتبت أن تكون بداية الأمة في اجتماعها ووحدتها برسول الله ﷺ، وختامها بالإمام المهدي المنتظر الذي اتفق عليه المسلمون بجميع مذاهبهم، رغم اختلاف التفاصيل »، لافتاً إلى أن « الحفل يكرّس قيمة مهمة تتمثل في مبدأ الوحدة، وليس هناك أمة تتحدث عن الوحدة أكثر من المسلمين في أدبياتهم الدينية والسياسية والثقافية، إلا أنه ليس هناك أمة تعاني من الفرقة كما يعاني المسلمون ». وأشاد الصفار بالمناهج الدراسية البحرينية التي تؤكد الوحدة بين المواطنين، مشدداً على أهمية تجريم التحريض على الكراهية والنزاع، فواجب الوعاظ ألا تكون خطاباتهم تعبوية، وإنما تدعو للمحبة والوئام، لأن الأعداء لا يتركون فرصة إلا ويحاولون استغلالها لبث الفرقة.».

الشيخ الصفار: الصوم دورة تدريبية وبرنامج تأهيلي للروح والفكر

دورية الرمضانية

دأب مأتم الإمام علي عليه السلام بقرية «بوري» بمملكة البحرين على إصدار كتيبه السنوي «الرمضانية»، وتحت عنوان: «أهمية شهر الصيام عباديًّا واجتماعيًّا» تمحورت الأسئلة التي قُدمت لسماحة الشيخ حسن الصفار لتكون ضمن الإصدار الجديد لعام ١٤٢٧هـ وهي السنة السادسة لهذا الإصدار المبارك.

وهذا نص الحوار:

يتميز شهر رمضان على غيره من الأشهر العبادية ببعده الاجتماعي المشهود، كيف يمكن توظيف هذا البعد بحركة أكثر وعياً؟

مجتمعاتنا الآن في مرحلة نهوض وتحفز للإصلاح والتغير، ومن ضرورات هذه

المرحلة الانفتاح والتواصل بين التيارات الاجتماعية في تنوعها الفكري والسياسي.

إن عوامل تاريخية كالخلاف المذهبي، وأخرى سياسية كتطورات الأحداث في المنطقة، أنتجت حالة من التباعد والفتور في العلاقة بين فئات مجتمعاتنا، ولا بدّ من تجاوز هذه الآثار، فصناعة المستقبل وبناء الوطن ومواجهة الأخطار والتحديات، لا يتم كل ذلك إلا بالتوافق والتلاحم الوطني، والانفتاح والتواصل هو الذي يخلق أرضية الوحدة والتوافق.

إن من بركات شهر رمضان الكريم ما ألفته مجمعاتنا من توفير فرص التلاقي والتواصل الاجتماعي.

والمطلوب استثمار هذه الحالة وتطويرها بوضع برنامج للتواصل بين التوجهات المذهبية والفكرية والسياسية.

مثلاً أن يتزاور ويتواصل علماء الدين من السنة والشيعة، وكذلك قادة التجمعات السياسية، والتيارات الفكرية.

على أن يكون ذلك تأسيساً لتواصل دائم وليس حالة موسمية فقط.

كما أن مجالس ومحافل الخطابات الدينية الرمضانية ينبغي أن يستفاد منها في تعزيز حالة التواصل، بمشاركة علماء وخطباء من مختلف التوجهات، وبالتأكيد على ثقافة التسامح والانفتاح.

تساهم العبادات بشكل عام في صياغة الشخصية المسلمة، هل لنا أن نفهم دور عبادة الصوم في ذلك؟

أهم سمة للشخصية المسلمة التزامها بإطاعة أوامر الخالق جلّ وعلا، كما تتميز بالقدرة على ضبط الانفعالات والسيطرة على الرغبات، في مقابل الشخصية الأنانية الشهوانية، التي تنطلق في حركتها من المصلحة الذاتية الضيقة، ومن الاستجابة

للأهواء والرغبات.

وعبادة الصوم بما تعنيه من تقيّد والتزام بترك الطعام والشراب والجنس، وسائر المفطرات التي يمارسها الإنسان طوال أيام السنة، لكنه يتوقف عنها فجأة منذ أول أيام شهر الصوم، استجابة لأمر الله تعالى، وبالتزام دقيق.

هذه العبادة تستهدف تأكيد وتثبيت أهم سمات الشخصية الإسلامية التي أشرنا إليها وهي الالتزام بطاعة الرب تعالى وإرادة التحكم والسيطرة على النفس.

كيف يتم موازنة حركة الروح والفكر ونحن نقوم بأداء فريضة الصيام؟

لو تأملنا أحكام فريضة الصوم والبرامج المرافقة لها من تلاوة القرآن وقراءة الأدعية المأثورة، وسائر المستحبات الواردة، لوجدنا أن هذه الفريضة تمثل دورة تدريبية، وبرنامجاً تأهيلياً، على مستوى الروح والفكر.

إنها تدفع الإنسان للتأمل الذاتي ومحاسبة النفس والاعتراف بمواقع الخطأ ونقاط الضعف، والتصميم على الإصلاح والتغيير، وذلك هو ما توحي به الأدعية الشريفة الواردة في مختلف أوقات الشهر الكريم كدعاء الافتتاح ودعاء السحر.

كما أن تلاوة آيات القرآن، والتدبر فيها، تحرر فكر الإنسان من هيمنة الآراء السائدة، والأفكار التبريرية الخاطئة، وتطلق له العنان للبحث عن الحق، واكتشاف الصواب.

من خلال متابعاتكم للحركة الثقافية التوعوية في شهر رمضان، كيف تقيمون هذه الحركة؟

مما يعزز الأمل ويبشر بالخير انبثاق مبادرات واعية، لتقديم برامج توعوية، فيها تجديد وتطوير، وملامسة لحاجات الساحة الاجتماعية، فهناك الآن في بعض مناطقنا ندوات ومحاضرات وحوارات تعالج مختلف المشاكل والقضايا الفكرية والاجتماعية.

لكن الفضائيات والشبكة العنكبوتية أصبحت تنافس هذه البرامج في استقطاب الجمهور، مما يوجب علينا الارتقاء إلى مستوى التحدي في المنافسة، كما أن هذه الفضائيات ومواقع الانترنت تحتاج منا إلى توجه لاستثمارها في تفعيل أجواء هذا الشهر الفضيل.

تختلف مقامات الصائمين بحسب فهمهم لمعنى الصوم، ما هي أهم الأمور التي ينبغي التركيز عليها ونحن نؤدي هذه العبادة؟

من أهم ما يجب التركيز عليه في أداء عبادة الصوم استحضار جهة الأمر والقرار، ودافع التنفيذ والالتزام، فنحن إنما نصوم استجابة لأمر الله تعالى، وبدافع نيل رضاه.

إن تعميق هذا التوجه في نفس الإنسان هو الذي يحقق له درجة التقوى التي هي غاية الصوم كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٣].

والتقوى تعني اتقاء الإنسان من المعاصي، ووقاية نفسه من الذنوب، على المستوى الشخصي وعلى صعيد العلاقة مع الآخرين. من هنا تشير الأحاديث والروايات الشريفة إلى شمولية الصيام عن جميع الممارسات الخاطئة وليس عن الطعام والشراب فقط.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله «يقول الله تعالى من لم تصم جوارحه عن محارمي فلا حاجة في أن يدع طعامه وشرابه من أجلي».

وورد عن الإمام علي عليه السلام : «الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب».

وفي نص آخر عن علي عليه السلام: «الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه».

الملاحظ تاريخياً كثرة الغزوات الإسلامية الكبرى في شهر رمضان كيف يمكن فهم ذلك من خلال علاقة الصوم وإرادة الأمة وصلابتها في مواجهة التحديات؟

شهر رمضان منطقة زمنية مقدسة متميزة على كل مناطق الزمن، ولذلك اختاره الله تعالى لنزول القرآن فيه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥] وكما تشير بعض النصوص الواردة فإن جميع الكتب السماوية أنزلها الله تعالى في ليالي هذا الشهر الكريم.

ويكفي أن نعلم أن ليلة في هذا الشهر الكريم هي ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾.

وجاء في خطبة رسول الله ﷺ عن فضل شهر رمضان قوله: «شهر هو عند الله تعالى أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات».

إن قداسة الزمن في شهر رمضان تجعل الأعمال الصالحة أقرب إلى القبول عند الله، وأكثر أجراً وثواباً، من هنا يحرص المؤمن الواعي بذلك على انجاز أكبر قدر من الأعمال الصالحة في هذا الشهر الكريم، مما يوفر اندفاعاً في المجتمع الإيماني لعمل الخير والإقبال عليه.

كما أن طبيعة أجواء هذا الشهر الكريم ذات عبق روحي، وجذب معنوي، تصنع الشوق للطاعة، وتخلق الاستعداد للبذل والعطاء، وتقوي الإرادة ومستوى الفاعلية في نفس الإنسان.

وحين تواجه الأمة الأخطار والتحديات يكون الجهاد فريضة لازمة، وأداء فريضة الجهاد في الزمن الرمضاني المقدس لها فضل لا يمكن تصويره وتصوره، فهي حينئذٍ أفضل عمل يؤدى في أفضل زمن. وهذا هو تفسير حصول كثير من معارك الدفاع عن الإسلام والأمة عبر التاريخ في هذا الشهر الكريم.

وما نراه الآن من حدوث حالة معاكسة في بعض مجتمعاتنا، بتحويل شهر رمضان إلى زمن للفتور والكسل، وانخفاض درجة الفاعلية والنشاط، هو نوع من الجناية والإساءة لهذا الشهر الكريم.

أداء العبادات بالشكل الجماعي (ليالي القدر)، ما هي انعكاساتها الروحية على الجماعة المؤمنة؟

أداء العبادات بشكل جمعي، كصلاة الجماعة، ومناسك الحج، وأعمال ليلة القدر، تخلق في نفس الإنسان تفاعلاً عميقاً مع الممارسة العبادية، وتعطي للعمل العبادي هيبة وتأثيراً في المشاعر والأحاسيس، كما تبرز قوة الحالة الإيمانية، وتؤكد ثقة المؤمنين بمسلكهم الإيماني العبادي.

إضافة إلى كل ذلك فهي توجيه وتربية على العمل الجمعي، الذي يجب أن يكون نهجاً للمجتمع في مختلف المجالات، فالفردية التي نعانيها في مجتمعاتنا تعتبر من عوائق التقدم، والمجتمعات المتقدمة تكثر فيها المؤسسات والجماعات الفاعلة.

كيف يمكن المحافظة على المخزون الروحي والفكري لشهر رمضان إلى ما بعد شهر رمضان؟

للمحافظة على المخزون الروحي والفكري لشهر رمضان المبارك، فإنه يجب أن يتحول إلى برامج عملية في حياة الإنسان، وإلى قناعات فكرية راسخة.

وما نجده في الأحاديث والروايات من التركيز على أهمية التوبة والاستغفار، في أوقات الشهر الكريم، ومن ممارسة عمل الخير في أيامه ولياليه، ومن تكثيف تلاوة القرآن والأدعية المأثورة، إنما هو من أجل تثبيت برامج صالحة في سلوك الإنسان اليومي، وإنجاز عصف ذهني يراجع به أفكاره وآراءه، ليتوصل إلى الرأي الأصوب.

وذلك يعني أن يكون شهر رمضان محطة تزود وتعبئة بالوقود الروحي، والصفاء الفكري، الذي يموّل ويغذّي حركة الإنسان طيلة السنة.

لكن الغريب جداً أن يصبح شهر رمضان وكأنه حالة استثنائية تنتهي بكل تفاعلاتها

فور إعلان عيد الفطر. حيث تعود حليمة إلى عادتها القديمة -كما يقولون-.

إن انتهاء فترة التدريب تعني إتقان المهمة التدريبية، وكسب مهارتها، لتصبح جزءاً من كفاءة الإنسان ورصيده.

فليحرص كل واحد منا على الحفاظ على مكاسب الشهر الكريم في أعماق نفسه وجوانب عقله وبرامج سلوكه.

الشيخ الصفار يستقبل مجموعة الصم البكم

« أديب أبو المكارم »: ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٦م

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء يوم الاثنين الماضي، مجموعة الصم البكم، وقد رحب بهم سماحته، وقال: «إننا نحس بالتقصير تجاهكم، وهذا التقصير ناتج عن عدم التواصل بيننا».

وأضاف مؤكداً «إنكم جزء من هذا المجتمع، وبإمكانكم أن تأخذوا دوركم في تقدمه ونهضته، فالحمد لله أنتم تتمتعون بعقول واعية لا تقل شأناً عنا، وتتحركون كما نحن نتحرك، إذا كان الله تعالى لحكمة ما قد سلب منكم نعمة البيان، لكنه كريم وسيعوضكم عنها خيراً، فلا ترضوا بأن تكونوا في هامش هذا المجتمع، خذوا مواقعكم في هذا المجتمع، واعملوا ما بوسعكم لتقدمه ونهضته».

وأضاف سماحته:«نحن نعترف بالتقصير تجاهكم، وأنا أوصي نفسي وإخواني من

الخطباء أن لا يغفلوا عنكم، وأن يشركوكم في خطاباتهم».

وعن دور المجتمع تجاه هذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة قال: «على مجتمعاتنا أن تتعامل معهم كأي فرد في المجتمع، وأن لا تضع بينهم حواجز تمنعهم من الانخراط في أوساطهم».

وأكد على دور المعلمين لذوي الاحتياجات الخاصة قائلاً: «إنهم أكثر من يتفهمهم، فعليهم أن يهتموا بأمورهم وقضاياهم، وأن يساعدوهم على الانخراط في مجتمعاتهم حتى لا يحسوا بأنهم أقل شأناً من غيرهم».

وقد وجه شكره الخاص للجنة أصدقاء الصم والبكم بالعوامية على جهودهم الطيبة التي يبذلونها مع هذه الفئة، والتي خطت خطوة جيدة في دمجهم مع مجتمعهم من حيث تواجدهم في مآتم أهل البيت عليهم السلام والقيام بدور الترجمة لهم، وفي ذلك زيادة وعيهم وثقافتهم.

ثم طلب سماحته من ضيوفه التجول في المكتب، واطلعوا على مكتبته العامرة، وقدموا له شكرهم وتقديرهم.

الشيخ الصفار يلتقي المفتي العام لسورية

خلال زيارته لسورية أيام عطلة عيد الفطر المبارك التقى سماحة الشيخ حسن الصفار سماحة الشيخ أحمد بدر الحسون المفتي العام للجمهورية العربية السورية في مكتبه بدمشق.

وقد تم اللقاء صباح يوم الثلاثاء ٩ شوال ١٤٢٧هـ الموافق ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦م.

وتحدث الشيخ الصفار مشيداً بدور الشيخ الحسون في تعزيز الوحدة الإسلامية وتشجيع التقارب والتعاون بين مختلف مذاهب الأمة ومدارسها الفكرية والفقهية.

كما أثنى سماحة المفتي العام لسورية على الطروحات المعتدلة والآراء الناضجة التي سمعها من الشيخ الصفار في مقابلاته مع بعض الفضائيات العربية وقرأها في مؤلفاته.

وعرض الشيخ الصفار أمام سماحة المفتي بعض المقترحات التي تخدم وحدة الأمة وتضامنها في مقابل عواصف الفتن والتمزيق التي يثيرها أعداء الأمة ويستقبلها الجهال

والمغرضون من الداخل.

حيث أشار الشيخ الصفار إلى ضرورة تكثيف العمل على نشر ثقافة التسامح والانفتاح وتشجيع التواصل بين الفعاليات داخل شرائح الأمة.

وأكد ضرورة قيام مؤسسات مشتركة في مجال العمل الديني الثقافي والاجتماعي، ووضع حدٍّ لحالة الفرز التي شملت حتى المؤسسات الخيرية، فالجمعيات الخيرية لمساعدة الفقراء ولجان تيسير الزواج مثلاً مصنفة هذه للشيعة وتلك للسنة في المنطقة الواحدة! بينما نجد مؤسسات خيرية تعمل على المستوى العالمي الإنساني.

كما دعا الشيخ الصفار إلى دعم العناصر الواعية المعتدلة في مختلف الشرائح والطوائف لأنها تواجه الضغوط من قبل المتشددين في محيطها.

وتحدث سماحة الشيخ الحسون عن الأجواء الوحدوية الرائعة التي عاشها الشعب السوري في التفاعل مع المقاومة الإسلامية في لبنان أثناء تصديها للعدوان الصهيوني، وكيف بادر المواطنون السوريون بمختلف أديانهم ومذاهبهم إلى احتضان اللاجئين اللبنانيين في منازلهم ومناطقهم.

القنصل السعودي الأستاذ بندر جميل يزور الشيخ الصفار

الشيخ الصفار: قنصل المملكة في مدينة مشهد قدم نموذجاً حسناً لمسؤولي الدولة

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفّار مساء الثلاثاء ١٤ذي القعدة ١٤٢٧هـ، الموافق ٥/ ١٢/ ٢٠٠٦م، في مكتبه بالقطيف سعادة القنصل السعودي العام في مدينة مشهد المقدسة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية الأستاذ بندر بن محمد جميل.

وفي كلمته الترحيبية بالقنصل الزائر ثمَّن الشيخ الصفار إنشاء قنصلية تابعة لسفارة المملكة في الجمهورية الإسلامية في مدينة مشهد التي يؤمها سنوياً عشرات الآلاف من السياح السعوديين القاصدين لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام وغيره من المراقد المشرّفة.

واعتبر الصفار بأن سعادة القنصل بندر جميل يعد «أحد أفضل أعضاء السلك الدبلوماسي السعودي».

مرجعاً ذلك لما يتمتّع به من دماثة في الأخلاق وحسن في التعامل ونموذجاً في

إعطاء الصورة الحسنة عن المسؤول في الدولة الذي يرعى شؤون مواطنيه وينفتح على المجتمعات الأخرى.

وأضاف الشيخ الصفار «هذا ما لمسته أثناء زيارتي له في مقرّ إقامته في القنصلية السعودية، ودعوته لي في منزله. ومن جهة أخرى لمستُ مدى انفتاحه هناك على المجتمع الإيراني وصِلاته الحسنة مع المسؤولين الإيرانيين وعلماء الدين ومشاركته الواسعة في المناسبات الاجتماعية».

واعتبر الشيخ الصفار أن وجود مثل هذه المؤسسات الرسمية التي ترعى مصالح المواطنين السعوديين في بلد شقيق كالجمهورية الإسلامية يساهم بشكل كبير في تقارب الشعبين الشقيقين السعودي والإيراني.

مضيفاً القول أن ذلك دليل واضح على وعي القيادتين السعودية والإيرانية.

من جهته اعتبر سعادة القنصل بأن ما يقوم به وطاقم عمل القنصلية هو من صميم واجبهم وتعبيراً عن حرص قيادة الدولة ممثلة بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على رعاية المواطنين.

وكشف جميل عن بعض الجهود التي انتهت إلى إمكان تملك السعوديين في إيران فلا يعود المواطن السعودي بحاجة إلى استخراج تأشيرة دخول لإيران، إذا كان متملكاً فيها.

مضيفاً «يمكن الآن للسعودي القادم لإيران استخراج تأشيرة دخول فور وصوله المطار والإقامة في إيران لمدّة أسبوع قابلة للتجديد».

وقدم سعادة القنصل في ختام كلمته المقتضبة شكره للشيخ الصفار على الحفاوة وحسن الضيافة.

وجاءت زيارة سعادة القنصل للشيخ الصفّار تلبية لدعوة سماحته، ضمن جولة زار خلالها القنصل محافظة الأحساء.

وحضر استقبال سعادة القنصل عدد من وجهاء المنطقة وعلماء الدين، وكان في مقدّمهم رئيس محكمة الأوقاف والمواريث بالقطيف سماحة الشيخ محمد العبيدان، سماحة الشيخ فوزي السيف، وسماحة الشيخ محمود السيف، وسماحة الشيخ يوسف المهدي، والأستاذ علي الحي عضو مجلس البلدي بالقطيف، والأستاذ علي الملا عضو مجلس المنطقة، والأستاذ سلمان الجشي عضو غرفة تجارة وصناعة المنطقة، والأستاذ فالح زيد المليحي عضو المجلس البلدي بالقطيف، والأستاذ سطام الخالدي من وجهاء مدينة (عنك)، والأستاذ مخلف دهام الشمري رئيس مجلس قبيلة شمّر في الخبر، والوجيه السيد حسن العوّامي، ورجل الأعمال الأستاذ عبد الجبار بومرة، والأستاذ محمد باقر النمر رئيس تحرير مجلّة الواحة، والدكتور توفيق السيف، والحاج محمد الخرس من وجهاء الأحساء، والأستاذ عبد العلي السيف، والمحامي عبد الحميد البريكي، والأستاذ عبدالمحسن الخنيزي، ولفيف من المثقفين وأعيان المنطقة.

الشيخ الصفار: علينا محاصرة الفتنة.. لا تأليب العراقيين على بعضهم [1]

حذر الشيخ حسن الصفار من تنامي حالة الاصطفاف الطائفي في المنطقة إزاء الأوضاع المتفاقمة في العراق داعياً لمساعدة العراقيين جميعا «لتجاوز البلاء.. لا أن تتعاطف كل فئة منا مع فئة منهم».

وطالب الصفار في تصريح صحفي صادر الأحد حكومات المنطقة والشعوب المجاورة للعراق أن «تمد يد العون والمساعدة للعراقيين لانتشالهم من محنتهم.. دون انحياز لطرف ضد آخر».

ورأى الصفار بأنّ «تعاطف كل فئة منا مع فئة منهم.. يصب الزيت على نار الفتنة ويزيد اشتعالها» .

---

(١) راصد: شبكة الكترونية إخبارية، ٢٦/ ١١/ ١٤٢٧هـ.

كما طالب العراقيين بالالتزام بحرمة الاحتراب الطائفي ورعاية حرمة المساجد والمقدسات الدينية تبعاً لفتاوى المراجع الدينية وما جاء في وثيقة مكة «التي وقع عليها علماؤكم من السنة والشيعة».

مضيفا القول «لن يربح من هذا الاقتتال إلا أعداء العراق والأمة».

الصفار الذي اعتبر في تصريحه بأن وحدة العراق في خطر طالب من جهة أخرى «الواعين من أبناء الأمة» بالعمل على «محاصرة الفتنة في العراق وإخمادها وعدم إتاحة الفرصة لانتشار لهيبها على سائر المناطق والمجتمعات».

محذراً من خطورة «بعض وسائل الإعلام وبعض الخطابات الدينية التي تعزف على الوتر الطائفي».

وحمّل في معرض تصريحه جميع العراقيين سنة وشيعة وعرباً وأكراداً مسؤولية استمرار الاحتلال الأجنبي وبروز الاتجاهات التكفيرية وميلشيات فرق الموت.

وختم الصفار تصريحه بالمطالبة بـ «إدانة الإرهاب والإجرام من أي جهة صدر على حدٍّ سواء ودفع العراقيين للاقتراب من بعضهم لا تأليب بعضهم على بعض، وإذكاء حالة الصراع فيما بينهم..».

الشيخ الصفار يعزي بالشيخ الجمري

فور إعلان خبر وفاة العلّامة الشيخ عبد الأمير الجمري في البحرين صباح الإثنين ٢٨/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٦م توجه سماحة الشيخ حسن الصفار إلى منزل الشيخ الفقيد في بني جمرة لتقديم العزاء لأبنائه وأسرته.

وتحدث لمراسل قناة الأنوار الفضائية معرباً عن عميق ألمه وحزنه لهذه المصيبة، مشيداً بدور الراحل الفقيد السياسي والاجتماعي، حيث كان رحمه الله نموذجاً لعالم الدين الرسالي الذي يتصدى لحمل هموم مجتمعه ويؤدي مختلف المهام العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية، فهو إمام محراب وخطيب منبر ومؤلف كتب، ومؤسس حوزة علمية، ورائد في النضال السياسي، ومهتم برعاية الفقراء والضعفاء.

وأضاف الشيخ الصفار: تمتاز شخصية الفقيد الراحل الشيخ الجمري ﷺ بالانفتاح الفكري والسياسي، حيث كان يتواصل مع أبناء وطنه على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم،

لذلك حظي بمحبة الجميع واحترامهم.

ومع صلابة موقفه السياسي لكنه حين اقتضت ظروف المصلحة الوطنية أن ينفتح على الدولة فإنه سلك طريق الحوار والتواصل وأرسى نهج الاعتدال مما ساعد على إنجاح خطوات الإصلاح والتغيير السياسي في ملكة البحرين الغالية.

وقال الشيخ الصفار: إن هذه الحشود الغفيرة التي اجتمعت لتشييع جنازة الفقيد الراحل، وإن مظاهر العزاء والأسى التي عمت أرجاء البحرين، دليل واضح على عمق مكانته في النفوس، وإن أفضل وفاء هو التزام نهجه في الاستقامة والانفتاح وأخذ المواقف الحكيمة الواعية التي تخدم تطلعات الشعب وتحمي وحدة الوطن واستقراره.

ندوات وخطابات ومحاضرات

تخليد العظماء والمعطيات الحضارية

القطيف: تركي مكي علي

طالب سماحة الشيخ حسن موسى الصفار المسلمين بالتأمل في الأحاديث الواردة حول اهتمام رسول الله ﷺ بمقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام عند ولادته وأيام رضاعته وطفولته، وهي في المصادر المعتمدة عند جميع المسلمين. واستشهد سماحته بنماذج من هذه الروايات الموثوقة في مصادر المسلمين.

جاء ذلك في محاضرة الليلة الأولى من المحرم ١٤٢٧هـ، التي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم العدواني) بدبي. وكان عنوان المحاضرة: تخليد العظماء والمعطيات الحضارية.

واشتملت على أربعة محاور:

- من هم العظماء؟

- الاستفادة من العظماء.
- منهج القرآن في تخليد العظماء.
- موقعية إحياء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

المحور الأول: من هم العظماء؟

في بداية محاضرته سلّط سماحة الشيخ الصفار الضوء على تعريف العظماء، وقال: العظماء هم العناصر الكفوءة المتميزة من بني البشر، الذين يكون لهم تأثير في الحياة الإنسانية. مؤكداً أن نسبة العظماء إذا قورنت بالمليارات من البشر الذين عاشوا على الأرض، قليلةٌ جداً، والسبب أن القلة من البشر هم الذي يتوجهون إلى كفاءاتهم ويفجرونها.

وأضاف: أصل اشتقاق كلمة العظماء من العظم، لأن العظم هو أقوى عنصر في جسم الإنسان ويتميز بصلابته، فالعظيم إذن هو الإنسان القوي الذي يتميز بصلابته وقوته في المحيط الذي يعيش فيه.

وقسّم سماحته عظمة الأشخاص إلى قسمين: فبعضهم تكون عظمتهم في ذاتهم دون أن تعكس على الواقع الاجتماعي، بينما آخرون يُفعّلون تلك العظمة اجتماعياً، مشيراً إلى أن الروايات تؤكد أهمية الشخص الذي يكون له تأثيرٌ في مجتمعه أكثر من الشخص الذي تكون عظمته ومكانته مقتصرةٌ عليه، جاء في الرواية: «عالم يُنتفع بعلمه خيرٌ من عبادة سبعين ألف عابد»، وفي رواية أخرى: «عالم واحد أفضل من ألف عابد وألف زاهد»، كما أن هناك روايات تميز بين الغني الشاكر والفقير الصابر، جاء في الرواية: «الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر»، لأن الغني الشاكر ينتفع المجتمع بغناه، أكثر من الفقير الصابر الذي تكون فائدة صبره له شخصياً.

وأنهى سماحته حديثه في هذا المحور بتأكيده على أن بعض الأشخاص تنحصر

عظمتهم في المجال الدنيوي فقط كالمخترعين، والمكتشفين، وآخرون تنحصر عظمتهم في الجانب الروحي فقط، بينما يجمع أناسٌ بين العظمة في الجانب الدنيوي والروحي معاً وهم بالطبع من النوادر في العالم الإنساني.

المحور الثاني: الاستفادة من العظماء

لا شك أن الإنسان ذا الكفاءة هو ثروة عظيمة في الحياة، ولذلك عند الحديث عن التنمية البشرية يأتي التأكيد على أن أهم مواردها هو تنمية الكفاءة عند الإنسان، ولذلك المجتمع الذي يمتلك كفاءات وعظماء فهو يمتلك أهم وأعظم ثروة.

وأضاف: ليس كل المجتمعات تستفيد من كفاءاتها وعظمائها، إنما ذلك يتأتى للمجتمعات التي ينتشر فيها الوعي والمعرفة، بينما المجتمعات الجاهلة تموت فيها الكفاءات، ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ: «ثلاثة يشكون إلى الله: القرآن المهجور، والمسجد المهجور، وعالمٌ ضاع بين جهّال»، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا»، وفي شعر يُنسب له عليه السلام: والجاهلون لأهل العلم أعداء.

وأكد أن من أهم الأمراض النفسية التي تحول دون أن يأخذ العظماء وأصحاب الكفاءة موقعيتهم في المجتمع هو الحسد، ذلك لأن الإنسان الذي لا يمتلك الكفاءة ومصاب بعقدة نفسية ينزعج من بروز الكفاءات وخصوصاً مَن يعملون عمله. ويقول الشاعر في مدحه للإمام علي عليه السلام:

إن يحسدوك على علاك فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا

وأعطى سماحته نموذجاً بالمجتمعات المتقدمة كأمريكا وأوروبا لاهتمامها بالكفاءات وتنميتها، بل واستقطاب الكفاءات من مختلف أنحاء العالم، حتى باتت بعض الشعوب تُعاني من (هجرة الأدمغة).

وأضاف: الاستفادة من العظماء لا تقتصر على فترة حياتهم، وإنما ينبغي استمرار

الاستفادة منهم بعد رحيلهم أيضاً، موضحاً أن السبب يكمن في وجود شيئين:

الأول: التراث الذي يتركه العظماء (الأفكار، المعارف، العلوم، والسيرة)، ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام في مقارنته بين العلم والمال: «العلم خير من المال» إلى أن يقول: «هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة».

الثاني: ألَق شخصياتهم ليكونوا نماذج تقتدي البشرية بها في مسيرة حياتهم.

وأشار إلى مشكلةٍ تعيشها الكثير من المجتمعات، وهي أنهم في حياة العظماء لا يهتمون بهم، ولكن بعد رحيلهم تسود حالة من الاهتمام الواضح بهم، ويُمثل هذه الحالة قول الشاعر العربي:

لألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودّتني زادا

وآخر يقول:

ترى الفتى يُنكر فضل الفتى ما دام حياً فإذا ما ذهب
لجّ به الشوق على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

المحور الثالث: منهج القرآن في تخليد العظماء.

أوضح سماحة الشيخ الصفار أن القرآن الكريم وجه البشرية للاهتمام بالعظماء، وتمثل ذلك في عدة جوانب:

أولاً: تحدث القرآن الكريم عن العظماء، ولذلك تحدث عن الأنبياء والأولياء، لتخليد ذكرهم، فتجد أن هناك مجموعة كبيرة من سور القرآن الكريم بأسماء العظماء، والسبب الذي يؤكده القرآن الكريم في تخليد هؤلاء العظماء: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ﴾ [سورة الأنعام:الآية ٩٠].

ثانياً: القرآن الكريم يذكر صفات هؤلاء العظماء التي ميزتهم عن غيرهم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ

وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [سورة مريم: الآيات ٥٤-٥٨].

ثالثاً: القرآن الكريم يذكر المواقف المشرقة للعظماء التي يريد الله تعالى من البشرية أن تأخذ منها الدرس والعبرة، فيتحدث القرآن عن معاناة الأنبياء والابتلاءات التي واجهتهم، ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٤].

رابعاً: القرآن الكريم يشد الأجيال الإنسانية إلى مواقع وآثار حياة هؤلاء العظماء، ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٥]، وكل مشاعر الحج إنما هي تخليد لسيرة والمواقف التي سار عليها نبي الله إبراهيم عليه السلام. وأضاف: وفي تخليد قصة أصحاب الكهف يقول تعالى في نهاية عرض القصة: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ [سورة الكهف: الآية ٢١]، بيان على تقرير القرآن وموافقته على تخليد المكان الذي يكون فيه قبر النبي أو الولي.

خامساً: القرآن الكريم يأمر بتخليد العظماء، ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ [سورة ص: الآيات ٤٥-٤٧].

وأشار إلى النقطة الفارقة بين العظماء على مستوى الماديين والإلهيين، فالماديون إنجازهم لا يتعدى الحياة الدنيا وهم يأخذون نصيبهم وثوابهم فيها، أما الإلهيون فأنظارهم متوجهة نحو الآخرة، ولذلك يوجهون كفاءتهم بالاتجاه الصحيح، ويخدمون الناس بأكبر خدمة، ويقرر القرآن الكريم عظم مكانتهم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: الآية ٨٣].

المحور الرابع: موقعية إحياء ذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

أكد سماحة الشيخ الصفار أننا مدعوون لتخليد ذكر العظماء ضمن المنهج القرآني الذي يريد أن يُربي البشرية على تخليد العظماء لترسم طريقهم وإتباع سيرتهم، وكذلك من خلال النصوص الواردة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الكرام عليهم السلام وهي كذلك تدعونا للاهتمام بتخليد ذكر العظماء.

وأضاف أن المنصف حينما يقرأ سيرة أهل البيت عليهم السلام لا يملك إلا أن يُقرّ بعظمتهم وسمو مكانتهم من بين بني البشر كافة، مشيراً إلى كتاب الباحث الأمريكي (مايكل هارت) حول أهم مئة شخصية في تاريخ البشر، وطبع عام ١٩٧٨م في أمريكا وترجم إلى مختلف اللغات، وباعتباره كان منصفاً فإنه جعل أعظم شخصية هو النبي محمد صلى الله عليه وآله. وكذلك ما كتبه (جورج جرداق) حول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، وهو مسيحي. وأيضاً ملحمة الغدير للأديب المسيحي (بولس سلامة) التي يقول فيها:

جلجل الحبّ في المسيحيِّ حتى عدَّ من فرط حبه علويًّا
لا تقل شيعةٌ هواة عليٍّ إن في كلِّ منصفٍ شيعيًّا
يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي واخشعي إنني ذكرت عليًّا

وأضاف: ضمن هذا السياق تأتي أهمية إحياء وتخليد ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وتأثير ثورته في مسيرة الأمة الإسلامية، فلو لا ثورة الإمام الحسين لكان للإسلام مسارٌ آخر، ولأصبحت السلطات الأموية والعباسية هي مصدر الإسلام، ومصدر التشريع الإسلامي. لكن هذه الثورة نبّهت الأمة والأجيال إلى أن هناك قيماً ومبادئ، وحينما يكون هناك انحرافٌ عنها فإن على الأمة مواجهة هذا الانحراف، لا أن تقبل به حتى يكون الانحراف مشروعاً ويكون الفساد مقبولاً.

وأكد سماحة الشيخ الصفار أن لتخليد هذه الذكرى أصلاً من الشرع والعقل،

وتأكيداً من النصوص النبوية بخصوص إحياء وتخليد ذكرى أبي عبد الله عليه السلام، ومن ذلك ما تنقله السيرة التاريخية لرسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان يُبدي اهتماماً بالغاً بقضية الإمام الحسين عليه السلام قبل حدوثها بأكثر من نصف قرن من الزمان، وفي ردٍّ على مَن يتعجب مِن التعاطف الاستثنائي للشيعة مع هذه القضية العظيمة.

وطالب كل المسلمين أن يتأملوا في الأحاديث الواردة حول اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام عند ولادته وأيام رضاعته وطفولته، وهي في المصادر المعتمدة عند جميع المسلمين. واستشهد سماحته بنماذج من هذه الروايات الموثوقة في مصادر المسلمين.

الإمامة الدينية لأهل البيت عليهم السلام

القطيف: تركي مكي علي

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار أتباع أهل البيت عليهم السلام لإيصال رسالة أهل البيت للبشرية جمعاء، فأهل البيت ليسوا احتكاراً لأتباعهم فقط، فهم خيرٌ ونور لجميع المسلمين وللبشرية جمعاء. مشيراً أن الفرص في الماضي كانت محدودة أمام الآباء والأجداد، أما الآن فقد أصبحت الظروف أفضل.

وتحدث في الليلة الثانية من هذا الموسم (محرم ١٤٢٧هـ) والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم الحاج ناصر) بدبي عن الإمامة الدينية لأهل البيت عليهم السلام، في محاضرة تضمنت ثلاثة محاور:

- معنى الإمامة الدينية وضرورتها.
- مؤهلات الإمامة لأهل البيت عليهم السلام

- مدى استجابة الأمة لإمامة أهل البيت عليهم السلام

المحور الأول: معنى الإمامة الدينية وضرورتها.

أوضح الشيخ الصفار في بداية حديثه أن في حياة الأمة الإسلامية مهمتين:

الأولى: مهمة التبيين لمعالم الدين وأحكام الشريعة، وهي المهمة الدينية بالمعنى الخاص للدين.

الثانية: مهمة القيادة لهذه الأمة، وتسيير أمورها.

وأضاف: الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في حياته كان يجمع بين المهمتين، فكان صلى الله عليه وآله يتلقى الوحي ثم يُبين للناس ما أنزل، يقول تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: الآية ٤٤]. وبذلك تتحقق مهمة التبليغ وتبيين الرسالة، وفي الوقت ذاته كان صلى الله عليه وآله القائد الأعلى للأمة. فهو صلى الله عليه وآله حسب المصطلح الدارج اليوم يمثل القوة التشريعية والقوة التنفيذية للأمة إضافة لدور القضاء.

وفي إجابته عن سؤال: ماذا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: لا شك أن فراغاً كبيراً حصل للأمة بغياب رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن يملأ هذا الفراغ؟ مبيناً أن هناك مدرستين حصلت في الأمة:

الأولى: ترى الفصل بين المهمتين، في مجال القيادة تختار الأمة لها حاكماً يحكمها، أو بأيّ طريقة يصل شخص للحكم ويدير شؤون الأمة دون أن تكون هناك منهجية واضحة ومحددة، (من تولى عليكم فاسمعوا له وأطيعوا). وفي مجال التشريع ترى هذه المدرسة أن هناك صحابة عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعوا حديثه وتعلموا على يديه، فهم ينقلون للأمة والأمة تستفيد منهم، فليس هناك منهجية واضحة ومحددة. هذه المدرسة هي المدرسة التي سارت عليها الأمة طوال حقبها المتعاقبة.

الثانية: مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وترى أن القيادة ينبغي أن يكون لها نهجٌ محددٌ

وضوابط واضحة، وبالتالي لا تكون إلا بالنص، من قبل رسول الله ﷺ بأمرِ الله تعالى.

وركّز سماحة الشيخ الصفار حديثه على البعد الثاني وهو: من أين تأخذ الأمة معالم دينها؟ مؤكداً حقيقة لا ينكرها أحد، وهي أن رسول الله ﷺ عاش في الأمة فترة محدودة، فهناك آثار من مرحلة الجاهلية، وهناك الكثير من القضايا والأحكام لا تزال الأمة في حاجة إلى أن تستوضحها أكثر، كما أن هناك مستجدات قد تطرأ على الأمة. فلا بدّ من وجود جهةٍ ترجع إليها الأمة في أمور دينها (الإمامة الدينية)، مؤكداً أن الإمامة الدينية هي المقوم الأساس للإمامة، في حين أن الإمامة السياسية مقوم ثانوي، وهذا هو الفارق بين الإمامة والخلافة، فالخلافة مقومها الأساس استلام السلطة، بينما الإمامة لا تتقوم على أساس استلام الحكم والسلطة: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وتساءل: هل هناك ضرورة لكي تتحدد هذه الإمامة الدينية؟ وقال في إجابته: نعم، لأن الصحابة الذي عاشوا مع رسول الله ﷺ قد لا يتفق فهمهم، وآراؤهم، وهذا ما حصل بالفعل. وإذا اختلفت الاجتهادات فبرأي من تأخذ الأمة؟

وأضاف: من ناحية أخرى، كيف نضمن أن هذا الرأي يكون صحيحاً وصائباً، ويكون مطابقاً لما أراده الله سبحانه وتعالى، لذا يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧]، والمحكمات هي الآيات الواضحة التي لا تحتمل أكثر من معنى، كقوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾، وهذه الآيات هي الأصل والأساس في القرآن الكريم، ولكن المتشابهات هي تلك الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، وأرجع البعض السبب في وجود الآيات المتشابهات كابتلاء وامتحان للناس فهل يُتعامل معها بشكلٍ موضوعي أو يكون هناك استرسال خلف الأهواء والشهوات. وذكر آخرون أن السبب في وجودها أن تشعر الأمة بالحاجة إلى من يُبين لها هذه الآيات.

فماذا تصنع الأمة أمام هذه الآيات المتشابهات؟

وخاصةً في هذا العصر نجد أن الأمة عانت كثيراً من الآراء المسيئة للدين، كما يحصل من قبل الجهات المتطرفة الإرهابية التي تُمارس أعمالها الشنيعة معتبرة ذلك جهاداً وتضحيةً، وأنه الدين الصحيح.

مؤكداً أن صورة الإسلام بسبب ذلك تشوّهت في العالم، خاصةً وأن هناك جهات تنتظر الفرص في هذا الدين، وأشار إلى ما حصل في بعض الصحف الدنماركية والنرويجية من إساءة لمقام رسول الله صلى الله عليه وآله، مؤكداً أن هذه الجهات استغلت التصرفات المتطرفة لبعض الجهات المتشددة والإرهابية التي تمارس أعمالها باسم الإسلام.

وهذا يؤكد ضرورة وجود مرجعية دينية، والسبب في ذلك:

أولاً: الوصول إلى الرأي الصائب والحق.

ثانياً: لمنع التمزق والاختلاف.

ولذلك قالت سيدتنا الصديقة الزهراء عليها السلام في خطبتها: (جعل الله إمامتنا أماناً من الفرقة).

المحور الثاني: مؤهلات الإمامة لأهل البيت عليهم السلام

قسم سماحة الشيخ الصفار مؤهلات أهل البيت عليهم السلام للإمام إلى قسمين: مؤهلات ذاتية من خلال المستوى العلمي والإطلاع الحقيقي على معارف وأحكام الدين التي لا يُنافسهم فيها أحد، ومؤهلات عبر النص الذي يكشف عن هذه المؤهلات الذاتية، فالنص يعني تأهيل أهل البيت عليهم السلام للإمامة.

المؤهل الأول: النصوص الواردة في دعوة الأمة للرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام.

أكد سماحة الشيخ الصفار أن هذه النصوص كثيرة ولم ترد في مصادر الشيعة فقط، وإنما وردت في المصادر المعتمدة عند جميع المسلمين، ومنها: الحديث الوارد عن رسول

الله ﷺ بعد حجة الوداع وفي منطقة (غدير خم)، حيث قال: «إنما أنا بشر يُوشك أن أدعى فأجيب، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي». فالكتاب وحده لا يكفي ليعصم الأمة من الضلال لأن هناك من يأتي فيتبع ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧]، وبالتالي فإن خطر الضلال والانحراف وارد على الأمة.

واستطرد سماحة الشيخ الصفار في ذكر نماذج من هذه الأحاديث التي تؤكد أحقية أهل البيت عليهم السلام بموقع الإمامة، وفيها دعوة صريحة لتعود الأمة في أمور دينها إلى أهل البيت. وذكر منها:

- حديث الثقلين: «إني مخلفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».
- حديث سفينة نوح: «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

المؤهل الثاني: سيرة أهل البيت وحياتهم التي تكشف عن مكانة في العلم والمعرفة بالقرآن والدين، ولا ينافسهم في ذلك أحد.

أكد سماحة الشيخ الصفار عمق المكانة العلمية للإمام علي عليه السلام التي تكشفها سيرته العطرة من خلال كلماته وتوجيهات رسول الله ﷺ، وكذلك المواقف التي خلّدها التاريخ من سيرة الإمام المباركة، فقد كان عليه السلام يقول: (أنا أعلم الناس بكتاب الله وتأويله)، ذكر النسائي في خصائصه هذا الحديث: «عن أبي سعيد الخدري قال: كنا ننظر رسول الله ﷺ إذ خرج علينا وشسع نعله كان منقطعاً، فرمى به لعلي يخصفه، ثم جلس وقال: أما إن فيكم رجلاً يُقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتهم على تنزيله) قال أبو بكر: أنا يا رسول الله. قال ﷺ: لا. قال عمر: أنا يا رسول الله. قال ﷺ: لا. قيل له: من؟ قال ﷺ: ذاك خاصف النعل» وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأضاف سماحته: إن مكانة الإمام علي عليه السلام وفضله لا يخفى على أحد ولا يستطيع أحد أن يُنكر ذلك، وتطرق إلى نصٍ في كتاب (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) للحافظ الجوزي: أن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل يقول: سألت أبي أحمد عن التفاضل بين الصحابة ومن أفضلهم، قال: في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، قلت: أبه، فعلي! قال: يا بني عليٌّ من أهل بيت لا يُقاس بهم أحد.

وينقل الشيخ محمد أبو زهرة عن الإمام الشافعي في كتابه (حياة الإمام الشافعي) قوله: عليٌّ كان أعلم الصحابة بالقرآن والفقه، وقد كان يقضي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فتؤخذ قضاياه لرسول الله صلى الله عليه وآله فيُمضيها.

وأضاف: ويكفي في توضيح مكانة الإمام علي عليه السلام العلمية المتميزة أن الآخرين من الخلفاء والصحابة كانوا يعودون إليه فيما أشكل عليهم من أمور الدين، وهذا أمر واضح. وجمع الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (عليٌّ والخلفاء) القضايا والمسائل التي عاد فيها الخلفاء للإمام علي عليه السلام و المذكورة في كتب المسلمين السنة، ففي عهد الخليفة أبي بكر أحصى (عشر) قضايا رجع فيها الخليفة للإمام علي عليه السلام، وفي عهد الخليفة عمر (إحدى وتسعين) قضية وموقفاً! وفي عهد الخليفة عثمان (عشر) قضايا. وحتى معاوية بن أبي سفيان مع ما كان بينه وبين الإمام علي عليه السلام من النزاع والصراع فعندما أتته مسائل من ملك الروم ولم يستطع الإجابة عنها، بعث رسلاً للإمام علي عليه السلام حتى يُجيب عنها.

ويقول الدكتور ظافر القاسمي في كتابه (نظام الحكم في الإسلام) : إن الخلفاء والصحابة كانوا يرجعون إلى عليٍّ في مسائلهم، ولم ينقل التاريخ ولا كتب السير أن عليّاً استشار أحداً في مسألة من المسائل.

وينقل التاريخ عن الخليفة عمر قولته المشهور: لو لا عليٌّ لهلك عمر. لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها أبو الحسن علي.

وأوضح سماحته أن كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام في عصره كانت كفاءته

وعلميته واضحة، ولا يُقاس بها أحد.

المحور الثالث: مدى استجابة الأمة لإمامة أهل البيت عليهم السلام

عبر سماحة الشيخ الصفار عن أسفه لما حصل في العصور الغابرة وبسبب الطمع في السلطة والحكم من قبل الأمويين والعباسيين فلم يتركوا المجال أمام أئمة أهل البيت عليهم السلام لكي تستفيد الأمة من علومهم، فحاولوا أن يفصلوا الأمة عن أهل البيت ويحجبون أهل البيت عن الأمة بمختلف الطرق.

فالوعي لم يكن بالمستوى الذي يؤهل الأمة للاستفادة من أهل البيت عليهم السلام، وكانت العوائق التي صنعها الأمويون والعباسيون تحول دون ذلك أيضاً.

وأضاف: إن العهود الغابرة ألقت بظلالها على مستقبل الأمة، ولذلك تجد أحاديث وعلوم وتراث أهل البيت لم تأخذ موقعها المناسب في تراث المسلمين. وضرب سماحته لذلك مثالاً بصحيح البخاري، حيث ينقل ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه (فتح الباري في شرح أحاديث البخاري) أرقام الأحاديث الواردة عن الصحابة التي رواها البخاري في صحيحه، فمثلاً:

- عن أنس بن مالك: ٢٦٨ حديث.
- عن عبد الله بن عمر: ٢٧٠ حديث.
- عن أبي هريرة: ٤٤٦ حديث.
- عن أم المؤمنين عائشة: ٢٢٤ حديث.

ولكن:

- عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٩ حديث فقط.
- عن فاطمة الزهراء عليها السلام: حديث واحد فقط.

وهذا يكشف عن أن تاريخ الأمة لم يحفظ لأهل البيت عليهم السلام موقعيتهم الحقيقية على

مختلف الصُّعد والجوانب، والخسارة تتحملها الأمة.

وأضاف سماحته: من هنا، فإن مسؤولية الأمة وخاصة في هذا العصر مسؤولية كبيرة، ونحن الآن في عصر العلم والانفتاح والموضوعية، ولذلك فإن الأمة مطالبة بالبحث في هذه المعارف الدينية بموضوعية لتأخذ الأمة العلوم والمعرف من أهلها ومنابعها بالطرق السليمة الصحيحة وهذا في مصلحة الأمة والدين.

وعلى أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يتحملوا مسؤوليتهم في مساعدة الأمة على اكتشاف تراث الأئمة، فأهل البيت ليسوا احتكاراً لأتباعهم فقط، فهم خيرٌ ونور لجميع المسلمين وللبشرية جمعاء.

مشيراً إلى أن الفرص في الماضي كانت محدودة أمام الآباء والأجداد، وكانت الظروف لا تتسع لأكثر من أن يُحافظوا هم على انتمائهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام، أما الآن فقد أصبحت الظروف أفضل.

مؤكداً أن موسم عاشوراء ينبغي أن يُستثمر لتفعيل الولاء لأهل البيت عليهم السلام في داخلنا، ولإيصال رسالة أهل البيت عليهم السلام للآخرين من خلال مختلف البرامج والأنشطة.

المشروع الحضاري لأهل البيت عليهم السلام

القطيف: تركي مكي علي

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة الثالثة من محرم ١٤٢٧هـ والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم العدواني) بدبي عن: المشروع الحضاري لأهل البيت عليهم السلام، في محاضرةٍ تضمنت ثلاثة محاور:

- أهل البيت عليهم السلام يحملون أهداف الإسلام.
- الأصالة الإسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- ماذا يعرف العالم عن أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يلي مقتطفات من هذه المحاضرة:

المحور الأول: أهل البيت عليهم السلام يحملون أهداف الإسلام.

يجب أن نعرف أن الإسلام برنامج متكامل لإسعاد الإنسان في هذه الحياة، ولإعمار

الكون، ولكي يصل الإنسان إلى أرفع درجة من التكامل الإنساني. الإسلام ليس مجرد طقوسٍ وعبادات وبرامج روحية، فالإسلام ليس من أجل الآخرة فقط، وإنما هو في الأساس من أجل إصلاح الدنيا. ويُقرر ذلك الدعاء الذي ينقله القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٠١]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].

لهذا فإن الإسلام يُوجّه الإنسان لإعمار الحياة، والتفكر في الطبيعة: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة يونس: الآية ١٠١]، ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية: الآيات ١٧-٢٠]. وورد في الحديث: «من كان في دنياه عاجزاً، فهو عن آخرته أعجز».

وأهل البيت عليهم السلام يحملون هذه الأهداف، ويبشرون بالمشروع الإسلامي الحضاري الذي يُريد إعمار الكون وبناء الحياة الكريمة.

ونجد في واقعنا بعض الصور التي تُرسم لأهل البيت تختزل حياتهم في بعض الجوانب الضيقة، فأهل البيت ليسوا عناصر وشخصيات طموحة للمواقع السياسية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ولا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ونُظْهِرَ الإِصْلاحَ فِي بِلادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ».

وأهل البيت لم يكونوا مجرد عبّاد زهّاد، ولم يكونوا رؤساء لطرق صوفية، بل إنهم ليسوا مجرد أئمة مذهب لهم آراء فقهية.

أهل البيت عليهم السلام فوق كل ذلك، فهم حملة المشروع الحضاري للإسلام، لذلك ترى تراث أهل البيت يطفح بمشروع الإسلام الحضاري. ومن أمثلة ذلك:

- عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، فهو يُمثل أهم وثيقة سياسية.
- رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.
- توحيد المفضل الذي أملاه الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي يحوي الكثير من أسرار الخلق والطبيعة وعلم التشريح.
- جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام التي تضم أكثر من (٤٠٠٠) طالب، أحدهم: جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء.
- الرسالة الذهبية للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في الطب.

المحور الثاني: الأصالة الإسلامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام لم تكن مجرد نظريات شخصية، ولم تكن اجتهادات قابلة للخطأ والصواب، وإنما كانت من عمق الوحي والرسالة الإسلامية، وهذا هو الفارق بين حديث أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، ولذلك يقول الشاعر:

فدع عنك قول الشافعي ومالك وأحمدوالمروي عن كعب أحباري
ووالي أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

لذلك هنا الأصالة والعمق الديني وجادة الهدى والصواب، وهذا هو التطبيق لما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مخلفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فعلوم أهل البيت عليهم السلام متصلةٌ بالوحي، وذلك بسبب:

أولاً: هناك جانب الإلهام الإلهي، والقرآن تحدث عن ذلك بالنسبة للأولياء كالخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ [سورة الكهف: الآية ٦٥]. والله تعالى قد ألهم أهل البيت عليهم السلام من العلوم والمعارف بصفة خاصة، تماماً كما كان ذلك عند الأنبياء والأولياء السابقين.

ثانياً: توارث أهل البيت عليهم السلام للعلم، ومن ذلك بعض المغيبات التي أخبر عنها الإمام علي عليه السلام، وحين تعجّب البعض من ذلك بقولهم: يا أمير المؤمنين، هل هذا علم غيب؟ قال عليه السلام: كلا، وإنما هو تعلّم من ذي علم، علّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله. وتنقل أم المؤمنين أم سلمة: كان لعليٍّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مدخلان، مدخل بالليل و مدخل بالنهار.

وقد أورد النسائي في خصائص عليٍّ عليه السلام هذا الحديث: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وأنا شابٌ صغير السن لأقضي بينهم، قلت: يا رسول الله تبعثني إليهم وهم أكبر مني سناً حتى أقضي بينهم ولا عهد لي بالقضاء، يقول الإمام علي عليه السلام : فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على صدري ثم قال: اللهم أهد قلبه وسدد لسانه. قال عليٌّ عليه السلام : فما شككت بعدها في قضاءٍ بين اثنين قط.

يقول عطاء المكي، وهو من المعاصرين للإمام محمد الباقر عليه السلام : ما رأيت العلماء أصغر عند أحد كما هم بين يدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر.

ويتحدث الإمام مالك عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيقول: ما رأت عينٌ ولا سمعت أذنٌ ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد علماً وعبادةً وورعاً.

هذه الحالة تُلفت إلى أن العلم الذي كان عند أهل البيت عليهم السلام يُمثل عمق الدين، وهو انتهال من منبع الوحي الأساس، ويُمثل الأصالة الإسلامية.

المحور الثالث: ماذا يعرف العالم عن أهل البيت عليهم السلام.

تراث أهل البيت عليهم السلام ليس ملكاً محتكراً لأتباعهم، بل قد تكون هناك جوانب من تراث أهل البيت لا يستطيع أتباعهم الاستفادة منها كما يستفيد منها غيرهم، كتراثهم في علوم الكون والطبيعة، لا شك أن العلماء في العالم أكثر قدرة على الاستفادة من هذا القسم من التراث.

من المؤسف جداً أن أهل البيت لا يزالون مجهولين، ومغمورين، لا يعرف العالم عن سيرتهم وعن تراثهم ومعارفهم إلا النزر الضئيل جداً.

وأمامك الجامعات العلمية في العالم، هل يوجد في جامعة منها كرسيٌّ باسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكذلك أين حضور أهل البيت وكلامهم في مراكز الدراسات والأبحاث العلمية في مختلف أنحاء العالم.

(مايكل هارت) حينما كتب كتابه (المائة الأوائل) واعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله على رأس هذه القائمة، لكنه لم يذكر ولا واحداً من أئمة أهل البيت عليهم السلام ضمن هذه القائمة!

وأيضاً: أين تجد ذكر أهل البيت عليهم السلام في وسائل الإعلام، وفي مواقع الثقافة العالمية.

مع الأسف لا تجد شيئاً بالمستوى المطلوب الذي يليق بمكانة أهل البيت عليهم السلام.

لماذا لم يصل تراث أهل البيت عليهم السلام إلى هؤلاء؟ فلو اطلع العالم على تراث أهل البيت، لعرف مكانتهم، وهذا ما يؤكده الإمام الرضا عليه السلام في قوله: (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا)، فيسأل: كيف يُحيى أمركم؟ قال عليه السلام: «يتعلم علومنا ويُعلّمها الناس، فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا».

وفي العالم الآن الكثير من الإنصاف والموضوعية والبحث عن العلم والمعرفة، ولكن كيف يصل هذا التراث للعالم؟ ينبغي أن يُنشر هذا التراث ويُترجم إلى مختلف لغات العالم حتى يطلع العالم على تراث أهل البيت عليهم السلام.

مع الأسف فإن تراث أهل البيت عليهم السلام لا يزال مجهولاً حتى على المستوى الإسلامي، فهل تُدرّس آراء أهل البيت عليهم السلام على مستوى الجامعات الإسلامية الموجودة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي؟ وهل تُطرح فيها سيرة أهل البيت عليهم السلام؟ بكل أسف لا تجد ذلك حاصلاً.

وهذا ليس عيباً ولا نقصاً ولا خساراً على أهل البيت عليهم السلام، وإنما هو خسارة للمسلمين.

وعلى مستوى أتباع أهل البيت عليهم السلام أيضاً لا تزال معارفهم عن أهل البيت

محدودة وضئيلة.

فمن هو المسؤول عن نشر تراث أهل البيت عليهم السلام للعالم؟

أتباع أهل البيت عليهم السلام يتحملون القسط الأكبر من هذه المسؤولية، لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام أمروا أتباعهم بإحياء أمرهم، فعلينا أن نُحيي أمرهم.

مخجلٌ جداً حينما نرى شخصيات على مستوى معين لا تُقاس أبداً بأهل البيت عليهم السلام ولكنك تجد الاهتمام بهم على مستوى الجامعات ومراكز الأبحاث يفوق الاهتمام بأهل البيت عليهم السلام بكثير.

ومثاله:

الشاعر المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦م) الذي أنتج في حياته ٣٧ مسرحية إلى جانب مجموعة من القصائد، تنشر عنه في كل سنة أكثر من ٥٤٧٥ بحثاً ومقالة، كما يتواصل إصدار الطبعات الجديدة من مسرحياته من قبل أعرق الجامعات البريطانية، حيث بدأت منذ مطلع الثمانينيات جامعتا كمبردج وأكسفورد في إصدار طبعات جديدة لأعمال شكسبير، تظهر آخر ما توصلت إليه الدراسات النصيّة التي يدعمها استخدام الحاسوب.

وفي عام ١٩٣٠م تأسست في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية مكتبة فولجر الخاصة بشكسبير، وتضم أهم مجموعة من الكتب عن شكسبير، وأهم مجموعة من الكتب عن الحضارة البريطانية بين عامي ١٤٨٥ و١٧١٥م. وفي المكتبة أكثر من ٢٢٥٠٠٠ مجلد، أسسها هنري كلاي فولجر وهو رئيس سابق لشركة ستاندارد أويل بنيويورك، ترك ثروته وقفاً على إنشاء المكتبة، التي يفد إليها دارسون من معظم أرجاء العالم.

أما الشاعر الإنجليزي الآخر اللورد بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤م) فقد ظهر عنه لحدّ الآن أكثر من ٣٠٠ كتاب في سيرة حياته وعلاقاته الخاصة، منها كتاب سلي مارجانت الذي صدر في الخمسينيات بثلاثة مجلدات، وقد ولد اللورد بايرون في لندن وتوفي في

اليونان، وكانت حياته العائلية والسلوكية مضطربة جداً، حيث لم تدم علاقته مع زوجته أكثر من سنة واحدة، وارتبط بعلاقة غير شرعية مع أخته غير الشقيقة (أوغستاليف) إلى جانب علاقات أخرى منحرفة.

ولكن، ماذا كتب عن أئمة أهل البيت عليهم السلام؟

لقد أنجز الباحث العراقي الشيخ عبد الجبار الرفاعي، موسوعة استقصى فيها عناوين المؤلفات والبحوث التي كتبت عن أهل البيت عليهم السلام، عبر أربعة عشر قرناً، (بيلوغرافيا) تحت عنوان (معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت) طبعت في اثني عشر مجلداً. وكشفت عن الأرقام التالية بالنسبة لعدد الكتب والمقالات عن كل واحد منهم:

عن فاطمة الزهراء عليها السلام	٥٤٦
عن الإمام علي عليه السلام	٤٩٥٦
عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام	٢٠٥
عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام	٣٢١٥
عن الإمام السجاد عليه السلام	٣٩٩
عن الإمام الباقر عليه السلام	٦٩
عن الإمام الصادق عليه السلام	٣٣١
عن الإمام الكاظم عليه السلام	٢١١
عن الإمام الرضا عليه السلام	٦٥١
عن الإمام الجواد عليه السلام	٦٢
عن الإمام الهادي عليه السلام	٧٩
عن الإمام العسكري عليه السلام	٦٦
عن الإمام المهدي عليه السلام	١١٤٥

إنها أرقام متواضعة جداً، أليس هذا تقصيراً وتهاوناً في القيام بالمسؤولية؟

والآن أصبحت الظروف مناسبة والمجال مفتوح، للقنوات الفضائية، ومراكز الدراسات والأبحاث، والكتب والمجلات، ومختلف الأنشطة العلمية والثقافية.

ونحن نعيش موسم عاشوراء، نتساءل: ما مدى انعكاس هذا الموسم على مستوى الإعلام الإسلامي والعالمي؟ يجب أن نتحمل مسؤوليتنا، فلا يكفي مجرد الحضور والمشاركة في مآتم العزاء، إذ إن المطلوب منا إيصال صوت الإمام الحسين عليه السلام للبشرية جمعاء، وإيصال صوت الإمام الحسين عليه السلام مهمة ضخمة جداً، ولذلك فإن الإمام الحسين عليه السلام من أجل هذه المهمة عرّض عائلته للسبي.

حق الحياة وحمايته في الإسلام

القطيف: حسين الشيخ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة الرابعة من محرم ١٤٢٧ هـ والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم الحاج ناصر) بدبي عن: حق الحياة وحمايته في الإسلام، في محاضرة تضمن محورين:

المحور الأول: نعمة الوجود وقدسية الحياة.

المحور الثاني: سفك الدماء جرم أكبر.

وهذه مقتطفات من تلك المحاضرة:

المحور الأول: نعمة الوجود وقدسية الحياة

إن الله سبحانه وتعالى هو من يهب الحياة للإنسان، وهو بيده أن يبقي الإنسان متمتعًا بهذه الحياة، لذا فحياة الإنسان بدأت بقرار إلهي، وتستمر ـ كذلك ـ بقرار إلهي،

فلا يجوز ـ في التشريعات والأديان ـ أن يزهق الإنسان روحه بأيّ سبب وحجة.

فالفقهاء المسلمون ـ ويشاركهم أتباع الديانات السماوية ـ يفتون بحرمة إجهاض الجنين، لأنه إزهاق للنفس البشرية التي أوجدها الله سبحانه، وليس للإنسان تقرير المصير فيها.

والأمر ذاته بالنسبة للميت سريريًّا، حيث يحرم نزع الأجهزة عن المريض الذي حكم بموته سريريًّا، بل يطبق على من يقوم بنزع الأجهزة الطبية عن المريض ويتسبب بتسريع موته أنه قاتل، حسب فتوى الفقهاء.

بل حتى الأحكام الشرعية إذا كانت تتسبب في ضرر يؤثر على حياة الإنسان، فالإسلام يأمر بعدم القيام بها، وذلك مثل الصوم إذا كان يضر بصحة الإنسان.

ومن الأحكام الفقهية: أنه يحرم على الإنسان أن يُقْدِم على قتل نفسه (أن ينتحر)، بل حتى مجرّد تمني الموت مكروه في الإسلام. فقد ورد أن الرسول ﷺ دخل على عمّه العباس، وهو في مرض شديد تمنى بسببه الموت، فقال له الرسول ﷺ : «يا عباس، يا عمَّ رسول الله، لا تتمنَّ الموت، فإن كنت محسنًا فتزداد بحياتك إحسانًا، وإن كنت مسيئًا فتؤخر حتى تستعتب».

ثقافة الموت

إن الإسلام ينشر ثقافة الحياة وقدسيتها، ولكن قد تظهر جماعات تتبنى فكرًا مغايرًا لروح التشريع الإسلامي، فتتبنى ثقافة معاكسة هي أقرب لما يمكن تسميته بثقافة الموت، وربما يعود ذلك إلى عاملين:

الأول: لشبهة فكرية، ناتجة عن فهم منقوص للنصوص الإسلامية، فبعضهم قد يفهم من الروايات التي تتحدث عن فضيلة الموت في الحج أو في مكة فَضّلَ الإقدام على الموت ـ اختيارًا ـ في مكة ـ مثلاً ـ، كما تحدثت في ذلك بعض الصحف السعودية عن شاب

إندونيسي ألقى بنفسه من الطابق التاسع في موسم الحج عندما قرأ حديثًا يتحدث عن فضيلة الموت في الحج.

الآخر: ثقافة الاستهتار، وهي ثقافة شريحة كبيرة من الجيل الشاب، الذي لا يعطي قيمة للحياة، وذلك من خلال استهتاره بالأنظمة المرورية وعدم مراعاته لقواعد السلامة والنظام العام، وهي ثقافة فاقدة لروح المسؤولية ومتجاهلة لما لهذه الأنظمة من دور في حفظ الأرواح والممتلكات.

وكذلك القيام ببعض التصرفات الطائشة كالتفحيط بالسيارات الذي يعرض الأرواح للخطر.

المحور الثاني: سفك الدماء جرم أكبر

لو تأملنا النصوص الإسلامية لما وجدنا أن هناك ذنبا وجرمًا أعظم في الإسلام من إزهاق النفوس، فالدماء خط أحمر، يقول تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: الآية ٣٢]، فهذه الآية الكريمة توضح أن إزهاق النفس خط لا يجوز تجاوزه إلا في حدود القصاص، بل حتى القصاص لا يجب إزهاق النفس فيه إذا عفا ولي الدم، يقول تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٣].

وهناك روايات كثيرة تشير إلى خطورة وحرمة إزهاق النفس، ورد عن الرسول ﷺ «لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا».

«أول ما يقضي الله سبحانه وتعالى بين الناس يوم القيامة سيقضي في الدماء».

«من أعان على دم حرام بشطر كلمة لقي الله تعالى يوم القيامة مكتوبًا على جبينه آيس من رحمة الله».

«لَزَوالُ الدنيا وأهلها أهون عند الله من دم إنسان يسفك من دون حق».

وفي فقهنا الإسلامي يفتي الفقهاء أنه في حال أقدم إنسان على قتل آخر، وكان ذلك بمرأى من ثالث بينهما وكان يقدر على دفع جريمة القتل ولم يفعل فحكم هذا الثالث أن تسمل عينه.

إن الدراسة الواعية للنصوص الإسلامية ومواقف الرسول ﷺ في سيرته تبين وبوضوح القيمة الكبيرة التي يوليها الإسلام للحياة.

ولذلك فما تقوم به بعض الجماعات التكفيرية والإرهابية من إزهاق للنفس ونسب هذا العمل للإسلام هو أكبر تشويه لديننا الإسلامي الحنيف، وأكبر تشويه لسيرة الرسول ﷺ الداعية إلى السلام وحفظ النفوس والأرواح، بل هذه الجماعات هي من تتحمل العبء والمسؤولية الكبرى فيما نشاهده اليوم من تهم للإسلام والرسول الأكرم ﷺ حمل بعض المتعصبين إلى الإقدام على رسم كاريكاتورات مسيئة لرسولنا الكريم ﷺ.

إن المؤرخين حينما يدرسون سيرة الرسول ﷺ ويحصون عدد غزواته وسراياه يصلون بها إلى ٨٣ غزوة وسرية، يجدون أن مجموع قتلى الحروب التي خاضها الرسول ﷺ من جميع الأطراف: المسلمين واليهود والمشركين لا يتجاوز في أعلى رقم على ١٤٠٠ إنسان، وهو رقم قليل بالمقارنة مع قتلى حروب ذلك الوقت.

وما ذلك إلا من حرص الرسول ﷺ على عدم اللجوء إلى سفك الدماء.

ولكن ما جرى بعد رحيل الرسول ﷺ ووصول بني أمية للحكم غير كثيرًا من الصورة الإسلامية المشرقة، فالأمويون لم تكن للحياة عندهم قيمة في مقابل الوصول للسلطة أو المحافظة على البقاء فيها، فهذا مسلم بن عقبة الذي يرسله يزيد على رأس جيش إلى المدينة يقتل في واقعة الحرة أكثر من عشرة آلاف إنسان.

ويبلغ من قتلهم الحجاج بن يوسف صبرًا وتعذيبًا أكثر من ١٢٠ ألف إنسان.

ولذلك فإن أهل البيت عليهم السلام عندما اتخذوا موقف المعارضة لهذه السلطات كان بدافع الحفاظ على روح وتعاليم الإسلام من الاندثار والضياع بسبب هذه السياسات البعيدة كل البعد عن الروح الإسلامية.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، لإصلاح هذا الواقع الفاسد، ومنه الحفاظ على قدسية الحياة وقيمتها التي أهدرتها سياسات بني أمية الظالمة.

المعرفة وتقدم المجتمع

القطيف: حسين منصور الشيخ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة الخامسة من محرم ١٤٢٧ هـ والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم العدواني) بدبي عن: المعرفة وتقدّم المجتمع، في محاضرة شملت ثلاثة محاور:

- **المحور الأول**: أولوية المعرفة في الإسلام.
- **المحور الثاني**: بين المعرفة الدينية والمعرفة الدنيوية.
- **المحور الثالث**: مسؤولية النهوض المعرفي.

وهذه مقتطفات من تلك المحاضرة:

المحور الأول: أولوية المعرفة في الإسلام

ليس هناك دين من الأديان أو مبدأ من المبادئ أعطى تلك القيمة التي أولاها

الإسلام للعلم والمعرفة.

بل إن أكثر الأديان -التي حرفت في كثير من مضامينها- لا تتوافق مع العلم والمعرفة، وتقصر اهتماماتها في الأخلاق والأحوال الشخصية وترسخ في كثير من الأحيان الخرافة والغيبيات البعيدة كل البعد عن العقل والحقائق العلمية.

بينما الدين الإسلامي يولي أهمية كبيرة للعلم، ويكفي للتدليل على ذلك أن أول آية نزلت من القرآن تأمر بالقراءة، يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: الآيات ١ - ٥].

ففي هذه الآيات بعد الحديث عن خلق الإنسان يتحدث الله سبحانه عن العلم والتعلّم.

ولم تكن هذه الآية الوحيدة التي تتحدث عن العلم، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: الآية ٩]، وآيات أخرى غيرها.

وورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علمًا، وأقل الناس قيمة أقلهم علمًا»، والإمام علي عليه السلام يقول: «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

وعند المقارنة ـ في الإسلام ـ بين العلم والعبادة يقدّم العلم على العبادة، كما ورد ذلك في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، يقول ﷺ: «العلم خير من العبادة»، وعنه ﷺ: «عالم ينتفع بعلمه خير من عبادة سبعين ألف عابد»، و«ركعتان يصليهما العالم خير من سبعين ألف ركعة يصليها الجاهل».

بل إن الشيخ عباس القمي عندما يتحدث عن أعمال ليلة القدر الكثيرة يشير في النهاية إلى أن مذاكرة العلم خير من جميع هذه الأعمال.

المحور الثاني: بين المعرفة الدينية والمعرفة الدنيوية

قد يتصوّر البعض عندما تطلق لفظة العلم في هذه النصوص أن المقصود بها العلم في المجال الديني فقط، من علوم الشريعة والأخلاق والعقيدة، ولكن هذا أمر لا ينطبق والإطلاق الموجود في هذه النصوص، فهي لم تحصر العلم وأفضليته في الجانب الديني فقط، وهذا أمر يمكن إدراكه من خلال فتاوى الفقهاء، ففقهاؤنا كما يفتون بوجوب الاجتهاد وجوبًا كفائيا لتغطية حاجة الأمة في الحصول على الأحكام الشرعية يوجبون سدّ احتياجات المسلمين في شتى العلوم الصناعية والطبية وجميع ما تحتاجه الأمة من علوم.

وهناك من النصوص الشرعية ما يؤيد هذا المعنى أيضًا، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان»، والإمام علي عليه السلام يقول: «اكسبوا العلم يكسبكم الحياة».

وهناك من الآيات القرآنية الكثير التي تحث على التأمل في الطبيعة وأسرار الكون، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية: الآيات ١٧ – ٢٠]، وآيات غيرها.

والأئمة من أهل البيت عليهم السلام لم ينحصر اهتمامهم بالعلم الديني فقط، فالإمام الصادق عليه السلام كما كان يوجه أصحابه للعلوم الدينية كان يوجههم إلى دراسة العلوم الطبيعية، منهم ملهم الكيمياء جابر بن حيان، والمفضل بن عمر في مجال تشريح الجسم البشري، وغيرهما.

بل إن الحضارة الإسلامية عندما بزغت لم تترك مجالاً علميًّا إلا ودخلته، وكتبوا في شتى المجالات العلمية، التي استفاد منها الغربيون وبنوا على أساسها حضارتهم.

العالم الإسلامي والتقدم المعرفي

ومن المؤسف أن تكون لنا تلك الحضارة العلمية العظيمة ونجد أنفسنا ـ كمسلمين ـ اليوم متخلفين في هذا الجانب، فليس لنا أي موقع وأي دور في التقدم التكنولوجي والمعرفي، وهذا ما جعلنا مستضعفين ومحطًّا لنفوذ الآخرين.

بل الأسوأ من ذلك أننا أصبحنا نتهيّب ونتحذّر من دخول أي منتج وأي اختراع جديد، فهذا الشاعر المصري ينشئ قصيدة عن الهاتف عندما دخل مصر، فيقول:

على الإسلام والدنيا السلام إذا في السلك قد صار الكلام

ولو تحدثنا بلغة الإحصائيات لزاد الأمر سوءًا، ففي حين يبلغ العرب ٥ ٪ من سكان العالم، لا يشكل إنتاجهم من المطبوعات أكثر من ١ , ١ ٪ من الإنتاج العالمي.

وفي مجال الترجمة يترجم العرب بمجموعهم سنويًّا ٣٣٠ كتابًا إلى اللغة العربية، في حين تترجم دولة صغيرة مثل اليونان سنويًّا ١٦٠٠ كتاب إلى اللغة اليونانية.

وقبل فترة وجيزة نشر في وسائل الإعلام عن أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم، لم تكن بينها أي جامعة عربية، في حين كانت من بينها خمس جامعات إسرائيلية.

وتخلف المسلمين المعرفي ليس في المعرفة الدنيوية فقط، بل حتى في التعاليم الإسلامية البحتة هناك حالة تخلف معرفي أيضًا، في المبادئ الإسلامية والأحكام الشرعية، خصوصًا في المسائل الحديثة والمستجدات العالمية، التي لم تبحث من الناحية الفقهية بالمستوى المطلوب.

المحور الثالث: مسؤولية النهوض المعرفي

إن حكومات الدول الإسلامية هي من تتحمل العبء الأكبر في مسألة النهوض المعرفي، وذلك عن طريق وزاراتها: التربية والتعليم العالي والثقافة والإعلام وغيرها من الوزارات، ولكننا يجب أن لا نلقي العبء كله على الحكومات، فنحن كأفراد ومجتمعات

نتحمل جزءًا من المسؤولية.

على المستوى الفردي

بعد انتشار التعليم، وانتشار وسائل الاتصال والمعرفة من المفترض أنه لا يوجد عذر لأحد منّا أن لا يثقف نفسه معرفيًّا وعلميًّا.

ففي المجتمعات الغربية أصبحت مسألة الاطلاع والقراءة ممارسةً يومية ولا علاقة لها بالمكان، يقرؤون في القطارات والطائرات ومحطات المترو والأنفاق، وفي كل مكان، بينما في مجتمعاتنا لا زالت القراءة أمرًا هامشيًّا.

ومما يؤسف له أننا في زياراتنا لمقامات الأئمة ﷺ لا نتعب أنفسنا بالقراءة والمعرفة حول الإمام الذي نزوره، وهذا خلاف ما وصّانا به أهل البيت ﷺ ففي زيارة الإمام الحسين ﷺ نقرأ في فضلها: «من زار الحسين ﷺ عارفًا بحقه».

على المستوى الاجتماعي

وعلى هذا المستوى يجب أن نعي دورنا كمجتمع، بحيث يوفر المجتمع لأفراده إمكانية الحصول على الكتاب الديني ويوفر ويدعم البرامج الدينية، فنحن مسئولون أن نوصل أمانة نقل الدين والشرع إلى أبنائنا والأجيال التي تعقبنا، ولا يكفي أن ننقله كعادات وتقاليد متوارثة، بل يجب أن يصاحب ذلك وعي ومعرفة، خصوصًا أن هذه الأجيال ستواجه تحديات ثقافية وشبهات وتساؤلات ولا تستطيع أن تواجهها إلا بالمعرفة الدينية السليمة والواعية.

ومن جهة أخرى يجب أن نوجّه أبناءنا إلى تحصيل المعرفة الدنيوية، لأن الحياة لا تحترم إلا الكفاءات والقدرات العلمية والطاقات المعرفية.

وأهل البيت ﷺ نموذج وقدوة لنا في هذا المجال، حيث كانوا يوجهون أصحابهم للإبداع في شتى المجالات العلمية، فهاهي الدولة العباسية على عظمتها عندما أراد

هارون الرشيد أن يستوزر أحدًا ذا كفاءات وقدرات عالية لم يجد أمامه إلا علي بن يقطين، ليعينه وزيره الأول، وهو من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك المتوكل العباسي عندما أراد أن يؤدب ولديه لم يجد مؤدبًا خيرًا من ابن السكيت الكوفي من أصحاب أهل البيت عليهم السلام أيضًا.

وكذلك هم أصحاب الأئمة عليهم السلام يكونون دائمًا من النخبة والطليعة في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت.

احترام المقدسات الدينية بين الشعوب

القطيف: حسين منصور الشيخ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة السادسة من محرم ١٤٢٧ هـ والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم الحاج ناصر) بدبي عن: «احترام المقدسات الدينية بين الشعوب»، وذلك في محورين انطلق فيهما من خلال الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٨].

وهذه مقتطفات من المحاضرة:

في البدء

نعيش هذه الأيام أجواء صاخبة بسبب الإساءة التي ارتكبتها بعض وسائل الإعلام في الغرب تجاه شخصية الرسول الكريم ﷺ، حيث نشرت بعض الرسوم الساخرة تنال

من مكانة الرسول ﷺ، رسولنا الذي يمثل أعلى درجات الفضل والكمال والقرب من الله تعالى، فهو خاتم الأنبياء ﷺ وأفضلهم، وبالتالي هو أفضل البشر ﷺ.

ومن المؤسف أن هذا الأمر لم يقتصر على صحيفة واحدة وبلد واحد، بل بدأت صحف أوروبية تتضامن مع هذه الصحيفة تحت عنوان حماية حرية التعبير. وبسبب هذا فإنه من الطبيعي أن تظهر ردّات فعل من جماهير الأمة الإسلامية ومؤسساتها تجاه هذه الممارسات، وهذا أقل ما يمكن أن يفعله المسلمون للدفاع عن مقام الرسول الأعظم ﷺ.

لذلك وجدنا من المناسب التطرق إلى مسألة الدين ومكانته في حياة الإنسان، ومسألة احترام الخصوصيات والمقدسات الدينية.

المحور الأول: أصالة الدين وقداسته في حياة الإنسان

كل إنسان ـ في الغالب ـ له انتماؤه الديني والمذهبي، فالدين حالة فطرية لدى الإنسان، يقول المؤرخ الإغريقي (بلوتاك) : «قد تجد في التاريخ مدنًا بلا أسوار ومدنًا بلا ملوك ومدنًا بلا ثروات ومدنًا بلا مسارح، ولكنك لن تجد مدينة بلا معبد أو بلا ديانة».

والدين مهم في حياة الإنسان، وذلك أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي زوّده الله بنعمة العقل، فهو الوحيد الذي يتساءل حول ما يحيط به من شؤون الطبيعة والوجود: كيف وجد؟ ومن أوجده؟ ولماذا أوجده؟ وإلى أين يمضي؟ وما هو مصيره؟ وما هي العلاقة بينه وبين خالقه؟

إن هذه التساؤلات تلحّ وتسكن داخل كل إنسان، وما يتمسّك به الإنسان من إجابات عن هذه الأسئلة هو ما نسميه «الدين».

ولكي لا يظل الإنسان حائرًا في هذه الأسئلة وأجوبتها بعث له من يقدّم الأجوبة الصحيحة، وهم الأنبياء والرسل، ولكن ليس بالضرورة أن يتبع الجميع هؤلاء الأنبياء، فهناك من الناس من يتشبث بإجاباته الموروثة وإن كانت خطأً.

كيف يصل الإنسان إلى دين؟

إن الله قد بعث الأنبياء لإبلاغ الدين الصحيح للناس، ولكن غالبًا ما يكون الدين أمرًا متوارثًا، يأخذه من البيئة التي يعيش فيها، وهذا مفاد الحديث النبوي الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه».

وذلك لأن كل إنسان يتربّى في وسط عائلة، تحاول هذه العائلة من البداية تقديم إجابات عن أسئلته، وتحاول أن تكسب هذه الإجابات صفة القداسة. ومن خلال هذه الأجواء يتوارث الناس أديانهم ويحتفظون بها، ما لم يحدث أمران:

الأول: ظهور دعوات واتجاهات جديدة تقوم على رفض المعتقدات الموروثة في المجتمع، بحيث تستقطب هذه الدعوات بعض أفراد المجتمع، فيعتنقونها. وبالطبع سيكون في كل مجتمع مَنْ سيعارض هذه الدعوات، ولو كانت حقًّا، ويتمسكون بالقديم.

الثاني: أن الإنسان يكون على درجة من الوعي وحرية التفكير بحيث يتجاوز البيئة التي يعيش فيها، فيبحث إلى أن يقتنع بما تربى ونشأ عليه أو أن يجد ما هو أصحّ منه، فالعقائد لا تقليد فيها.

والدين سواءً كان متوارثًا أو مُعتَنَقًا حديثًا من الطبيعي أن يدافع عنه أصحابه ويقدسونه، مهما كان هذا الدين ومعتقداته وطقوسه محملة بالأساطير والغيبيات والخرافات التي ربما لا تتوافق مع العقل ومكتشفات العلم.

المحور الثاني: الاحترام المتبادل للمقدسات

مع تطور الحياة أصبح التواصل والتداخل بين البشر مع بعضهم البعض أمرًا قائماً، خصوصًا مع تطور وسائل الاتصال الحديثة، كالفضائيات وشبكة الإنترنت، التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، يجتمع فيها البشر بشتى أنواعهم وانتماءاتهم واعتقاداتهم المختلفة. فكيف ينبغي أن تكون العلاقة بين أبناء البشر؟

لاشكّ أن المؤمن بدين معيّن يرى أحقية ما يدين به، وبطلان دين الآخرين ومعتقداتهم المخالفة، ولكن ليس معنى هذا أن يلغي كل منا الآخر، بل لا بدّ لنا من التعايش، فمسألة التصارع واللجوء إلى وسيلة السباب والشتائم بسبب الانتماء الديني أمر مرفوض، يرفضه العقل و الشرع، فالله تعالى يقول في الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، فهذه الآية تشير إلى منطق عقلائي، فعندما تتعرض لمقدسات الآخرين سيستثيرهم هذا الأمر، فيسبوا مقدساتك بجهل منهم.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : «اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك»، وورد في الحديث: «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به».

واللجوء إلى أسلوب السب والشتم للمخالف أمر يرفضه الإسلام، لأنه:

أولاً: سيولّد ردّة فعل تكون سببًا في التعرّض لمقدسات ومعتقدات المسلمين.

وثانيًا: لأنه لا يوصل إلى نتيجة غير التباغض والتشاحن، ويجعل الطرف الآخر أكثر تعصبًا لمذهبه ومعتقده، وأكثر تعصبًا ضد المسلم.

خصوصًا أن السباب والشتم هي وسيلة العاجز، ومن لا يملك دليلاً وحجة على معتقداته، والإسلام قائم على البرهان والإقناع، وليس على مجرّد الشعارات.

وفي هذه النقطة يروى أنه عندما دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة فاتحًا، كان فيها عكرمة بن أبي جهل، فعندما علم عكرمة بدخول الرسول هرب خوفًا من أن يمسه المسلمون بسوء، لأنه ابن أبي جهل عدو الرسول صلى الله عليه وآله. ولكن زوجته أتت الرسول صلى الله عليه وآله تستأمنه على حياة زوجها، فأعطاها الرسول صلى الله عليه وآله الأمان، فذهبت تطلبه، فأتى معها إلى مكة. وقبل أن يصلا إلى مكة التفت الرسول صلى الله عليه وآله إلى أصحابه وقال لهم: «سيأتيكم عكرمة مهاجرًا، فلا تسبوا أباه، فإن السبَّ يُؤْذِي الْحَيَّ ولاَ يَبْلُغ».

اختلاف الرأي والعلاقات الإنسانية

القطيف: حسين منصور الشيخ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة السابعة من محرم ١٤٢٧ هـ التي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم العدواني) بدبي عن: «اختلاف الرأي والعلاقات الإنسانية»، وذلك في محورين انطلق فيهما من خلال الآيتين القرآنيتين: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الممتحنة: الآيتان ٨ - ٩].

وهذا بعض ما طرحه سماحته في المحاضرة:

المحور الأول: واقع الاختلاف ومشروعيته

كل إنسان يحمل فكرة فإنه يعتقد أنها الأصوب والأصح، دينية كانت أو سياسية

أو في المجال الاجتماعي أو في المجال المعرفي، ويتمنى لو أن الناس على فكرته ومعتقده، ولكن طبيعة البشر تقتضي الاختلاف والتنوع حتى في مجال الأذواق والأمزجة، فكلٌّ له مزاجه وذوقه الذي يتميز به عن الآخرين.

أسباب الاختلاف بين البشر

ويرجع اختلاف الناس فيما بينهم إلى عدة أسباب، منها:

عامل المدارك والأفهام والمستوى المعرفي لدى الإنسان الذي يختلف من إنسان لآخر، فإن نتاج تفكير كل إنسان قد يختلف عن نتاج تفكير الآخرين، ولذلك لا نجد اختلافًا في سلوك قطيع من الحيوانات، وذلك لعدم تمتعهم بالقدرة الفكرية والعقلية.

بينما الإنسان بسبب اختلاف مستويات الفهم والإدراك بينه وبين الآخرين ينشأ الاختلاف والتنوع بينهم، فهذا القرآن الكريم يحدثنا عن نبيين من الأنبياء يختلفان في الموقف بسبب اختلاف المستوى المعرفي لدى كل منهما، وذلك في قصة نبي الله موسى والخضر ﷺ الواردة في سورة الكهف.

المصالح الخاصة فردية أو فئوية، ففي كثير من الأحيان تتبنى بعض المجموعات رفع بعض الشعارات والأفكار وتحافظ عليها لأنها تحفظ مصالحها، بينما الأفكار المغايرة تهدد هذه المصالح، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: الآية ١٤].

اختلاف البيئات، فكل بيئة لها عاداتها وتقاليدها ومناخاتها وتاريخها وثقافتها التي تؤثر على فكر واعتقاد الإنسان، ولذلك فإن أبناء كل بيئة قد تختلف معتقداتهم وأفكارهم عن أبناء البيئة المغايرة.

المحور الثاني: احترام العلاقات الإنسانية

في خصوص مسألة العلاقات الإنسانية هناك من يحمل عقلية منغلقة، بحيث يطلب

من الجميع أن يحمل نفس فكره ومعتقده في كل ما يؤمن ويعتقد، ويُسْقِطُ من الاعتبار كل من يختلف معه في الرأي أو في المعتقد والديانة، وينسب هذا إلى الدين والملة.

بينما يحدثنا تاريخنا الإسلامي أن الإسلام لا يرفض التعايش مع أبناء الديانات المخالفة، بل التعايش هو الأمر الطبيعي. والصراع أو النزاع لا يحدث بين أصحاب الديانات إلا في حالات غير طبيعية وعدوانية تمارسها طائفة ضد أخرى، أما في الحالات العادية لا مسوّغ شرعي للمشاحنة والتباغض، يقول تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، فالآية تعبر عن العلاقة بين المسلم ومن يخالفه بِ «البر»، وهي نفس اللفظة التي يستعملها القرآن الكريم في العلاقة التي يجب أن تقوم بين الإنسان ووالديه.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ [سورة الأعراف:الآية]، سواء أشياءهم المادية أو المعنوية.

فالقيمة الأساس التي يوليها الإسلام للإنسان عمومًا وبِغَضِّ النظر عن معتقده هي: الكرامة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠].

والرسول ﷺ كان يرشد المسلمين إلى هذه النقطة من خلال توجيهاته الشريفة، يروى عنه ﷺ أنه قال:

«من ظلم معاهدًا أو كلَّفه فوق طاقته أو انتقصه شيئًا من حقه كنتُ أنا حجيجه يوم القيامة».

«من آذى ذمياً فقد آذاني».

ويروى أن جنازة مرت والرسول ﷺ جالس بين أصحابه، فوقف النبي لها، فاستغرب المسلمون منه ذلك قائلين: إنه يهودي يا رسول الله؟! فقال ﷺ : أو ليست نَفْسا؟!

والتعاليم الأخلاقية الخاصة بالتعامل مع الآخرين لم تكن تفرق بين مسلم وغير مسلم، فالبر بالوالدين واجب وإن كانا مشركين. والتعامل بالحسنى مع الجار والتواصي به مطلوب وإن كان غير مسلم، وكذلك الرحم، والمصاحب في السفر، والإحسان إلى الضعفاء من الناس، كل ذلك لا يميز الإسلام فيه بين المسلم وغير المسلم.

بل إن القرآن الكريم يمدح أهل البيت عليهم السلام في سورة الإنسان بأنهم يطعمون من بين من يطعمون: الأسير، والأسير في ذلك الوقت هو أسير حرب مع غير المسلمين، ومع ذلك كان أهل البيت عليهم السلام يحسنون إليه.

ثقافة الاجتهاد في العمل

القطيف: تركي مكي علي

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة الثامنة من موسم المحرم ١٤٢٧هـ والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم الحاج ناصر) بدبي عن ثقافة الاجتهاد في العمل، في محاضرة شملت ثلاثة محاور:

المحور الأول: مهمة الإنسان في الحياة.

المحور الثاني: بين العقيدة والعمل.

المحور الثالث: الاجتهاد وإتقان العمل.

وهذه مقتطفاتٌ من تلك المحاضرة:

المحور الأول: مهمة الإنسان في الحياة.

يجب أن يتساءل الإنسان عن مهمته في الحياة، وعن سبب وجوده فيها، فهل أن

وجوده وجود عبثي؟ فحاشا الله تعالى عن ذلك، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١١٥].

فما هو دور الإنسان في الحياة، وما هي مهمته؟

البعض من الناس يتصور أنه جاء للحياة حتى يستلذ، فكأنما اللذة والاستمتاع هو هدف الحياة، وهذا خطأ كبير. فالله تعالى إنما خلق الإنسان في هذه الحياة ليكون خاضعاً لإرادته تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: الآية ٥٦]. ويتجلى هذا الخضوع في سلوك الإنسان وعمله، ولذلك يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك: الآية ٢].

فمهمة الإنسان في الحياة العمل، وأن يصل إلى اختيار أفضل العمل، وأما باقي متع الحياة من اللذة والأكل والشراب فإنما هي وسائل لاستمرار الإنسان في الحياة، وفي ذلك يكمن الفارق بين الإنسان وسائر المخلوقات، فالإنسان الذي يعيش حياةً استهلاكية، يأخذ دون أن يُعطي، إنما يعيش حياة كحياة الحيوانات، يقول تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [سورة الفرقان: الآية ٤٤].

على الإنسان أن يُدرك أن مهمته في الحياة هي الإنجاز والعمل، وليس مجرد الراحة والاستمتاع: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق: الآية ٦].

لماذا؟

أولاً: لإعمار الكون.

باعتبار أن العمل مهمة ووظيفة الإنسان في هذه الحياة، لذلك سخر الله تعالى الكون للإنسان، حتى يعمر الإنسان الكون من خلال عمله، ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ

الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: الآيات ٣٢-٣٤]. ويقول تعالى في تأكيد الهدف من ذلك: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: الآية ٦١].

فالله تعالى يُريد من الإنسان إحياء الأرض لا أن تبقى الأرض ميتة، ولذلك هناك قاعدة فقهية: الأرض لله ولمن أحياها.

ولهذا ورد الحث الكثير على إعمار الكون، وعلى أن الإنسان عليه أن لا يتوانى عن القيام بأي عمل يستطيعه لإعمار الكون وإعمار الحياة، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ، أو بهيمةٌ، إلا كتب الله له به صدقة». وفي حديث آخر، يقول فيه ﷺ: «إذا قامت القيامة على أحدكم وفي يده فسيلة يُريد أن يغرسها، فليغرسها ولا يقول قد قامت القيامة»، وهذا يُشجعنا على العمل، وعلى إعمار الكون والاستفادة من ثرواته.

ثانياً: لكي تتبلور طاقات الإنسان وكفاءاته من خلال العمل.

لأن الكفاءات والطاقات لا تتبلور بالنوم والكسل، وإنما يتحقق ذلك بالعمل، لذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من يعمل يزدد قوة». البعض يميل إلى الدعة والراحة، وغافلاً عن أن الفراغ هو التعب، لأن الإنسان الذي يعيش الفراغ والبطالة يعيش حياةً سلبية، ويُبتلى بالأمراض، والطب الحديث يؤكد هذا المعنى، لأن من أهم أسباب أمرض السكري والكلسترول وأمراض الدم أنها ناتجة لطبيعة الحياة التي سادها السكون والركون للدعة. يقول أحد الشعراء:

إن الحقيقة قالت وهي صادقة فيما تقول بأن الراحة التعب

ثالثاً: لتحقيق الثواب والجزاء عند الله تعالى في الدنيا والآخرة.

المحور الثاني: بين العقيدة والعمل.

البعض من الناش يشعرون بارتياح وبثقة واطمئنان لأنهم يؤمنون بالدين الصحيح

والعقيدة الصحيحة، وهذا أمرٌ سليم، فهذه نعمة الهداية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٤٣].

لكن هناك خطأ واشتباه يحصل عند بعض هؤلاء الناس إذ يتصورون أن العقيدة بديلٌ عن العمل، ولكن الحقيقة هي أن العقيدة دافع للعمل، ويُفترض أن الإنسان كلما كانت عقيدته أصح كان عمله أفضل.

فإذا ما رأينا أناساً يؤمنون بالدين الصحيح والعقيدة الصحيحة، ولكن ينقصهم العمل، هنا يجب أن نعلم أن هناك خللاً يكمن في أنهم لم يفهموا العقيدة بالشكل الصحيح، أو أنهم لم يلتزموا بها الالتزام الصحيح. وأكبر دليل على ذلك أن آيات القرآن الكريم دائماً تقرن بين الإيمان والعمل الصالح، والقرآن يضم أكثر من سبعين آية في هذا الاتجاه: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، والصالحات: مفهوم عام يشمل كل شيءٍ يخدم الحياة والناس، ويؤدي بالإنسان إلى إعمار الكون. وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾ [سورة النور: الآية ٥٥]، والاستخلاف في الأرض يعني أن يكون المؤمنون هم الجهة البارزة والمسيطرة في العالم، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الإيمان والعمل الصالح، أما إذا لم يكن هناك عمل مقترنٌ بالإيمان فالاستخلاف لا يتحقق، بل يكون وضع المؤمنين على العكس من ذلك تماماً.

ولذلك الآيات الكريمة تُحرض المؤمنين وتُشجعهم وتستثيرهم بأن يكونوا متفوقين على الآخرين في عملهم: ﴿وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٣٩]. ويقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠].

فعلى الإنسان المؤمن أن لا يرضى على نفسه بأن يكون متخلفاً في حياته، وواقع الأمة الإسلامية اليوم هو واقعٌ غير طبيعي، إذ إن الأمم الأخرى تتقدم وتتطور، والأمة تعيش

على إنجازات الآخرين، بينما كانت الأمة الإسلامية في الماضي رائدة الحضارة والتقدم في حين كان الغرب يعيش حياة الظلام، وهو الواقع الذي ينبغي أن تعيشه الأمة. هذه الحالة ينبغي أن تدفعنا لمراجعة أنفسنا، فهل نفهم ديننا الفهم الصحيح؟

ومشكلتنا الحقيقة تكمن في تخلينا عن الإنتاج والعمل، لا لنقص فينا، بل على العكس نمتلك من الخيرات ما يمتلك غيرنا في العالم، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: (القوم رجالٌ أمثالكم)، فلماذا يتقدمون ونحن نتخلف؟ لماذا لا نستفيد من الثروات الموجودة في بلادنا؟

تقول التقارير: على مستوى البلاد العربية (١٠٪) من الأراضي الصالحة للزراعة تُستثمر في الأراضي العربية، ثروة الأمطار في البلاد العربية تستفيد منها بمقدار (١٥٪) فقط، وتستفيد المنطقة الخليجية من المخزون السمكي بمقدار (١٤٪) فقط، والباقي يُستورد من الخارج. والسبب في عدم استفادتنا من الثروات هو أن الآخرين يعملون ونحن لا نعمل.

وفرص الحياة متساوية، فالله تعالى جعل الفرص متساوية أمام الناس، يقول تعالى: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٠].

ومع الأسف فنحن انشغلنا بأشياء جانبية وبالتالي تقدم الآخرون علينا، فالكون يسير ضمن سنن، فمن عمل بها تقدم، ومن انشغل عنها تخلف.

فالعقيدة الصحيحة يجب أن تكون دافعاً نحو العمل والعطاء، وليست بديلة عن العمل والتحرك، كما هو حال أغلب المسلمين، فأصبحنا لا نمتلك ما نسّير به حياتنا لأن كل شيءٍ بيد الآخرين.

المحور الثالث: الاجتهاد وإتقان العمل.

نرى أن النصوص والتعاليم الإسلامية تُشجع الإنسان المؤمن على العمل والعطاء،

وتؤكد النصوص في نفس الإنسان المؤمن بأن العمل هو الذي يصنع واقع الإنسان في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [سورة الأحقاف: الآية ١٩]، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [سورة النجم: الآية ٣٩]. ويقول الإمام علي عليه السلام: «إنكم إلى إعراب أعمالكم أحوج منكم من إعراب أقوالكم»، وعنه عليه السلام أنه قال: «الشرف عند الله تعالى بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال».

والنصوص تُشجع على العمل في مختلف المجالات: العبادي والاجتماعي والعلمي، فالإنسان إنما جاء للدنيا من أجل العمل، فعليه أن لا يُجمد طاقاته وكفاءاته.

وعلى الشباب أن يعرفوا أن مستقبل الأوطان والمجتمعات يعتمد على كفاءاتهم ونشاطهم، فليس صحيحاً أن يُفرّط الشاب في وقته وعمره، فأنت مسؤولٌ عن كل ساعة من ساعات العمر والحياة، فعليك أن تُطالب نفسك بالإنجاز والعمل وأن ترى سيرة الأولياء من الأنبياء والأئمة، فسيرتهم كانت مشبعةً بالإنجاز وإتقان العمل.

وفي سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله أنه بعد أن نزل عليه الوحي قلّ نومه، وقلّت راحته، حتى إن أم المؤمنين خديجة عليها السلام تقول له يا رسول الله ألا ترتاح، فأجابها: مضى وقت النوم يا خديجة. وقد تورّمت قدما رسول الله صلى الله عليه وآله من شدّة العبادة، وحينما قيل له: لماذا تُجهد نفسك في العبادة وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وآله: أولا أكون عبداً شكوراً. وسئلت أم المؤمنين عائشة: ما يصنع الرسول صلى الله عليه وآله في داره؟ قالت: يعين أهله، يحلب الشاة ويكنس البيت ويخيط الثوب.

وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت حياته ملحمة من العمل، في العبادة والشجاعة والعلم والعمل المادي وفي مختلف المجالات، فقد ورد أنه أعتق (١٠٠٠) مملوك من كدّ يمينه. وهكذا بقية الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

فمطلوبٌ من الإنسان أن يُجهد نفسه في العمل ويدع جانباً النوم والكسل، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «النوم أخو الموت»، وعنه صلى الله عليه وآله : «إياكم وكثرة النوم

فإنها تُفقركم يوم القيامة»، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كثرة النوم منقصة للدين والدنيا»؛ فالنوم بمقدار الحاجة والضرورة.

فعلينا أن نستفيد من حياتنا وأوقاتنا كما استفاد الأولياء والصالحون من حياتهم وركزوا جهودهم حتى في آخر اللحظات والساعات ما كانوا يتركون العمل والاجتهاد، وهذا كان دأب أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

العلاقة مع الله والعلاقة مع الناس

القطيف: حسين منصور الشيخ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في الليلة التاسعة من محرم ١٤٢٧ هـ والتي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم العدواني) بدبي عن: «العلاقة مع الله والعلاقة مع الناس»، وذلك في محورين انطلق فيهما من خلال الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٥٣].

وهذه مقتطفات من المحاضرة:

المحور الأول: التديّن والمعاملة مع الناس

إن الدين له مهمتان رئيستان في حياة الإنسان:

الأولى: تنظيم العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، وذلك عندما يتعرّف الإنسان إلى

خالقه ويخضع له ويتقيه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: الآية ٣٦]، ويتمثل هذا الجانب في الدين في تشريعاته العبادية من الصلاة والصوم وسائر العبادات.

المهمة الثانية: تنظيم العلاقة مع الناس، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: الآية ٢٥]، ففي هذه الآية إشارة واضحة أن من أهداف بعثة الأنبياء إقامة العدالة بين الناس.

والمتدين هو من يلتزم بهاتين المهمتين، بأن ينضبط بضوابط الشرع في تنظيم علاقته مع الخالق جلّ وعلا، وأن ينضبط بضوابط الشرع والدين في طريقة تعامله مع الناس، فالدين ليس طقوساً عبادية فقط، بل هو مزيج من الخضوع والتذلل لله سبحانه وفي نفس الوقت حسن التعامل والأدب مع الآخرين.

بل إن هناك نصوصا كثيرة تؤكد أن تأدية حقوق الناس لها أولوية، حتى على أداء حق الله سبحانه وتعالى، كما ورد في ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «فجعل حقوق عباده مقدّمة على حقوقه».

وقوله عليه السلام: «ألا وإن الظلم ثلاثة، فظلم لا يغفر وظلم لا يطلب وظلم مغفور لا يترك، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الظلم الذي لا يطلب فهو ظلم الإنسان نفسه عند الهنات، وأما الثالث فظلم العباد لبعضهم البعض».

وورد عنه عليه السلام أنه كان يقول: «والله لئن أبِيتَ على حسك السعدان مسهدًا أو أجرّ في الأغلال مصفّدًا أحبّ إليّ من أن ألقى الله يوم القيامة ظالمًا لأحدٍ من العباد».

ويحكى أن الصحابة مدحوا للرسول صلى الله عليه وآله امرأة في حسن تعبدها وأدائها للنوافل والصيام المستحب، فسألهم الرسول صلى الله عليه وآله: «وكيف هي مع جيرانها؟»، فقالوا: إنها تسب وتشتم، فقال صلى الله عليه وآله: «لا حاجة لله في صلاتها ولا في صومها».

وقد روي قديمًا في الأثر أنّ «الدين المعاملة».

المحور الثاني: حفظ الحقوق ومراعاة المشاعر

شخصية الإنسان لها صورتان: مادية ومعنوية.

المادية ما نراه من الإنسان في مظهره الخارجي، من لحم ودم، وما يتبع من مصالح وأوضاع مادية أخرى، كأمواله وممتلكاته الخاصة.

والمعنوية هي مشاعر الإنسان وعواطفه وما يتبع ذلك من قيمة معنوية واعتبارية للإنسان.

وعلى كل إنسان أن يحترم أخاه الإنسان في كلا الجانبين: المادي والمعنوي.

فكما أنه لا يجوز الاعتداء على الإنسان جسديًّا بالجرح والإيذاء الجسدي والقتل، فكذلك لا يجوز الاعتداء عليه معنويًّا بجرح مشاعره وخدش أحاسيسه وإهانة كرامته.

بل إن التعرّض للجانب المعنوي أشد عند الإنسان من الجانب المادي، فاهتمام الإنسان بالكرامة والمكانة الاجتماعية أكثر من اهتمامه بجسمه ومظهره الخارجي، ويحافظ عليها بشكل أحرص وأشد.

وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «طعن اللسان أمضى من طعن السنان».

والإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء كان يقول: «القتل أولى من ركوب العار».

وقد نبه رسولنا الكريم إلى هذه النقطة في تعريفه للمسلم، فروي عنه قوله صلى الله عليه وآله: «المسلم من سَلِمَ الناس من لسانه ويده»، فقدّم حفظ اللسان على اليد.

والآية الكريمة تأمر النبي صلى الله عليه وآله بأن يبلغ المسلمين أن يتعاملوا مع بعضهم البعض ويتخاطبوا بالأسلوب الأحسن، يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، حيث عبّرت الآية الكريمة بِـ «الأحسن»، أي يختاروا اللفظ والأسلوب الأحسن، وليس مجرّد الحسن.

وعندما نطالع السيرة النبوية الشريفة نجدها تؤكد جانب أهمية رعاية المشاعر والأحاسيس في التعامل، ننقل منها بعض المواقف:

أن النبي ﷺ كان يصلي جماعة، فأخذ يسرع في الصلاة ويقتصر على الواجبات فيها، وعندما أنهى الصلاة سأله الصحابة عن سر ذلك، فأخبرهم بأنه سمع بكاء طفل، فخفف الصلاة من أجله.

وكان ﷺ يُؤتى له بأبناء وأطفال الصحابة، فيحدث في بعض الأحيان أن يتبول الطفل في حجر الرسول، فيبقيه الرسول في حجره إلى أن يكمل تبوله، فيستغرب الصحابة، فيقول لهم ﷺ: «إن ثوبي يطهره الماء، فما الذي يطهر قلب الطفل».

ويحضر أعرابي إلى المسجد، فيحتاج لقضاء حاجته، فيقوم بالانتحاء جانبًا ويتبول في إحدى زوايا المسجد، فيغضب الصحابة لأنه ينجّس المسجد، فيقول لهم الرسول ﷺ: «لا تزعجوا الرجل، فإن دلوًا من الماء يكفي لتطهير المسجد، إنكم بعثتم ميسرين لا معسرين».

ومن الأحكام الشرعية أنه في حال نوى الإنسان الصيام المستحب، وصادف أن دعاه أحد أصحابه للإفطار فإنه يستحب له الإفطار إذا كان ذلك يدخل السرور على قلب أخيه.

وهناك أحكام فقهية كثيرة لها علاقة بتنظيم علاقة الإنسان بالآخرين بحيث يحفظ لهم حقوقهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، كحرمة الغيبة والبهتان وإهانة المؤمنين وقذفهم بالباطل.

رسالة عاشوراء

القطيف: تركي مكي علي

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار شيعة أهل البيت ﷺ للاندماج في الأمة، مؤكداً أن أئمة أهل البيت ﷺ يريدون من شيعتهم أن يكونوا جزءً من الأمة الإسلامية، يتفاعلون مع قضايا الأمة، وفي الطليعة في خدمة الإسلام والأمة، ويرتبطون بجسور المودة والمحبة والوحدة مع بقية المسلمين، جاء ذلك في المحاضرة التي ألقاها سماحته في حسينية (مأتم الحاج ناصر) بدبي، في الليلة العاشرة من محرم ١٤٢٧هـ.

وقدّم فيها سماحته ثلاث رسائل مستوحاة من ثورة الإمام الحسين ﷺ:

الرسالة الأولى: الالتزام بقيم الدين وأحكامه.

الرسالة الثانية: وحدة صف المؤمنين.

الرسالة الثالثة: الاندماج في الأمة.

بعد أن أكد أن من أهم الأسباب التي تدعو شيعة أهل البيت عليهم السلام لإحياء هذه الذكرى الأليمة على مر العصور والأزمنة هو الاقتداء بنبي الإسلام الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله الذي أسس هذا الاحتفاء منذ اليوم الأول لولادة الحسين عليه السلام، والأمر الآخر العطاء الكبير والفوائد العظيمة لهذه المناسبة التي استشعرها الموالون لأهل البيت عليهم السلام ولمسوا آثارها.

وجدد سماحة الشيخ الصفار في ليلة العاشر من المحرم لعام ١٤٢٧هـ استنكاره لتلك الرسومات المزرية التي أساءت لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله معبراً عن ارتياحه لوقفة المسلمين الرائعة، فهم في كل مكان لهم موقف واحد في الدفاع عن نبيهم محمد صلى الله عليه وآله.

وهذا نص المحاضرة:

عظم الله أجورنا وأجوركم بهذه المصيبة العظيمة

في ليلة عاشوراء ونحن نتذكر المأساة العظيمة، لابد لنا أن نأخذ الدروس والعبر من عاشوراء، والحديث سيكون ضمن عنوان: رسالة عاشوراء.

مقدمة

إننا حينما نحتفي بعاشوراء، التي قد يتساءل الكثيرون عن سبب هذا الاهتمام والاحتفاء بها، فذلك لأسباب عديدة، من أبرزها:

أولاً: التأسي والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله.

فرسول الله صلى الله عليه وآله أول من احتفى بهذه المناسبة وبهذه الفاجعة العظمى قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن. فعند ولادة الحسين عليه السلام وفي السنوات الأولى من ولادته كان رسول الله صلى الله عليه وآله بين آونة وأخرى يتحدث للأمة عن هذه المأساة قبل وقوعها. وهذا ما يجب أن يُلفت أنظار المسلمين جميعاً:

أيها المسلمون يا من تقرؤون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وتدرسون سيرته ألا تتوقفون

عند هذا الأمر، فهل وجدتم أن أباً أو جدًّا في ساعة ولادة ابنه أو حفيده يتحدث عن مقتله وعن مصيبته ويبكي ويُبدي التفجع والتأسي، وتكرر هذا الأمر منه ﷺ مرات عديدة، ونقلها عنه العديد من زوجاته: أم المؤمنين أم سلمة نقلت أنها رأت رسول الله ﷺ والحسين في حجره وعيناه تهريقان الدموع، فتسأله أم سلمة؟ فيقول لها: أبكي لولدي هذا، فقد أخبرني جبرئيل عن الله أنه يقتل في أرضٍ يُقال لها كربلاء وناولني تربةً حمراء من تربته. وكذلك نقلت عنه أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين زينب بنت جحش. وكثير من الصحابة نقلوا هذا الأمر عن رسول الله ﷺ: وفي طليعتهم أمير المؤمنين عليه السلام، وأم الفضل. وهذه الروايات موجودة في المصادر المعتبرة عند المسلمين. فيُراجع من يُريد التثبت المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري فإنه نقل هذا الحديث وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين. وكذلك مسند الإمام أحمد بن حنبل، وأيضاً سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني، وهو من المحدثين السلفيين المعاصرين؛ فالأمر غير قابلٍ للإنكار.

فإذا كان رسول الله ﷺ يتحدث عن هذه المأساة قبل وقوعها ويُبدي التأثر لها، ويبكي من أجلها، وبيده تربةٌ حمراء من أرض كربلاء، ألا يجب أن نتوقف عند هذه المسألة، فهي ليست عادية، وليست كأي حدث من الأحداث، حتى يُقال مضى (١٤٠٠) سنة وانتهى الموضوع.

لذلك وتأسياً برسول الله ﷺ، واتباعاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أمروا شيعتهم وأتباعهم بتخليد هذه المأساة، نحن نهتم بإحيائها وتخليدها.

ثانياً: تخليد هذه المناسبة فيه عطاءٌ كبير، وفوائد عظيمة.

ولا أدري لماذا البعض من الناس يلومونا أو يستنكرون علينا من عملٍ له مكاسب دينية واجتماعية كبيرة، فالمناسبة هي موسمٌ ديني وثقافي، ولا يُوجد في كل المجتمعات البشرية موسمٌ ثقافيٌ تربويٌ توجيهيٌ يُشابه موسم عاشوراء. ونلحظ أن مختلف الدول

في العالم تُعلن عن مهرجانات ثقافية، من خلال معارض الكتب، أو من خلال أنشطة ثقافية حديثة، وتُصرف عليها ميزانيات ضخمة، وتُسلّط عليها الأضواء إعلامياً لحشد الناس لذلك الموسم، ولكن لا يوجد موسمٌ يُداني موسم عاشوراء، فهو يُمثل جهداً أهليًّا، وباندفاع ذاتي من الناس، دون دعمٍ من الدول، أو مساندة من أي جهة. ويُشارك في هذا الموسم الجميع من الرجال والنساء، الصغار قبل الكبار، وفي جميع أنحاء العالم دون استثناء.

فهو موسم ثقافي ديني يشد الناس إلى دينهم، ويُعمّق ارتباطهم بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد وجدنا بركات وانعكاسات هذا الموسم العظيمة، فهو نعمة كبيرة، نسأل الله تعالى أن يُديمها علينا.

وأذكر نفسي، وأذكركم أيها المؤمنون والمؤمنات ونحن نجتمع جميعاً في رحاب عاشوراء، برسالة عاشوراء التي أوجزها في ثلاثة أمور:

الرسالة الأولى: الالتزام بقيم الدين وأحكامه.

إن محبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وإن التشيع لأهل البيت عليهم السلام في عمقه وحقيقته إنما هو الالتزام بقيم الدين وأحكامه. فالجميع في ليلة عاشوراء يتركون جميع أعمالهم وارتباطاتهم ويُشاركون في العزاء، ولا شك أن ذلك فيه ثوابٌ كبير، وأجرٌ عظيم، ولكن هذا الإحياء والاهتمام يجب أن يكون دافعاً للالتزام بالدين الذي ضحّى من أجله الحسين عليه السلام.

فلماذا الإمام الحسين ضحّى وقدّم نفسه وأهل بيته؟ إنما ذلك من أجل الدين: (إن كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتلي، يا سيوف خذيني). والعباس بن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني).

هذا الدين الذي ضحّى من أجله الحسين عليه السلام أمانة بأيدينا جميعاً. فيجب أن نخرج

من هذه المجالس ونحن أكثر تمسكاً بديننا.

أيها الإخوة، إذا أردت أن تعرف هل أنت موالٍ لأهل البيت ﷺ فعليك أن تختبر نفسك في مواطن الإغراء والشهوة، فإن وجدت في نفسك الورع والابتعاد عن الإغراءات والشهوات فاعلم بأنك شيعيٌّ حقيقي، واحمد الله على ولائك لأهل البيت ﷺ ؛ وإذا وجدت في نفسك ضعفاً أو انهزاماً واستسلاماً للشهوات والأهواء فاعلم أن هناك خللاً، فلا يخدعك الشيطان، وتتصور أن مجرد بكائك على الإمام الحسين ﷺ يكفي، ولا أن حضورك المأتم يكفي، وهذا هو كلام أهل البيت ﷺ، الإمام الصادق ﷺ يقول: «لا تذهبن بكم المذاهب فو الله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه»، وفي نصٍ آخر: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد»، ويقول الإمام علي ﷺ: «ألا وإن لكل مأمومٍ إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعفةٍ وسداد». وفي آخر لحظة من لحظات حياة الإمام الصادق ﷺ يلتفت إلى أبنائه فيقول: «أبلغوا شيعتنا لا ينال شفاعتنا مستخفٌ بصلاته».

فإذا أردنا أن نقوم بواجب الولاء تجاه أهل البيت ﷺ يجب أن علينا أن نخرج من مأتم الحسين ﷺ ونحن أكثر تصميماً على الالتزام بقيم الدين وأحكامه.

ونحن بشر، ومعرضون للخطأ، وخاصةً الشباب، الله يعينهم على مغريات هذا العصر، وقد أكد هذا رسول الله ﷺ فمرةً كان جالساً مع أصحابه، وإذا به يرفع يديه بالدعاء ويقول: «اللهم لقّني إخواني. قالوا: يا رسول الله أو لسنا إخوانك؟ قال ﷺ: أنتم أصحابي، إخواني قومٌ يأتون في آخر الزمان، يكون أجر الواحد منهم مثل أجر خمسين منكم! قالوا: كيف يا رسول الله ونحن صحبناك، وشاركنا في بدرٍ وأحد، ونزل فينا القرآن؟ فقال ﷺ: إنكم لو تواجهون ما يواجهون لما صبرتم صبرهم».

فالرسول ﷺ يعرف عمق المعاناة التي يعيشها شباب هذا اليوم، يقول ﷺ: «يأتي

على الناس زمان يكون القابض فيه على دينه، كالقابض على الجمر».

فالإغراءات التي يواجهها الشباب والفتيات كبيرة، وهنيئاً للشاب الصامد، وهنيئاً للفتاة التي تتمسك بعفافها وتصمد أمام الإغراءات.

ومما يُساعد على الصمود، والثبات على الدين تذكر سيرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فعلى الجميع (رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً) الاستفادة من مآتم الحسين عليه السلام بأن يخرجوا جميعاً أكثر تصميماً على الالتزام بالدين.

الرسالة الثانية: وحدة صف المؤمنين.

مجالس عاشوراء يجتمع فيها المؤمنون من مختلف المناطق والجنسيات والأعراق والقوميات والعوائل والمستويات: الغني والفقير، العالم والجاهل، ويجمعهم ولاية أهل البيت عليهم السلام. ولذلك يجب أن تُذكرنا هذه المآتم بوحدة صفّنا وأن لا نتفرق وأن لا نتمزق، وأن لا نختلف، وأن لا يُهمل بعضنا بعضاً، وأن لا يتنكر بعضنا لبعض. قد تكون هناك اختلافات في الآراء، ولا يوجد مجتمع من المجتمعات يتفق أبناؤه على كل التفاصيل والآراء، فالاختلاف وارد في القضايا الفقهية والاجتماعية والفكرية، ولكن تجمعنا خيمة واحدة هي خيمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

«يروي يعقوب الضحّاك عن خادم الإمام جعفر الصادق عليه السلام سراج يقول: جرى ذكر قومٍ أمام الإمام الصادق عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله إنا نبرأ منهم! فالتفت الإمام قائلاً: يتولوننا وتبرؤون منهم؟ فقلت للإمام: إنهم لا يقولون ما نقول. فقال الإمام عليه السلام: هو ذا عندنا ما ليس عندكم، أفنتبرأ منكم؟ وعند الله ما ليس عندنا أفتراه اطّرحنا؟ قلت: فما نفعل؟ قال عليه السلام: إن المسلمين درجات منهم من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة، إلى سبعة أسهم. فلا يحمل صاحب الاثنين على صاحب الواحد، ولا يحمل صاحب الثلاثة على صاحب الاثنين، وهكذا. لا تُسقط من هو دونك، فيُسقطك من

هو فوقك.»

ولذلك يجب أن نُحافظ دائماً على وحدة صفّنا، ولا نسمح لأي سبب من الأسباب لدواعي التمزق والخلاف والتفرق، أن تنبثّ في صفوفنا فإن ذلك يُزعج أئمتنا عليهم السلام، فهم يُريدون شيعتهم ضمن وحدة الإيمان والولاية.

الرسالة الثالثة: الاندماج في الأمة.

شيعة أهل البيت عليهم السلام جزءٌ من الأمة الإسلامية، وجزءٌ من شعوبها في مختلف أوطانهم، وأهل البيت عليهم السلام يؤكدون على شيعتهم بأن يكونوا منضوين ومندمجين في الأمة، فلا يُريدون لشيعتهم أن يكونوا منعزلين.

يجب أن يكون شيعة أهل البيت في خدمة أوطانهم ومجتمعاتهم ودينهم وأمتهم، فكذلك كان آباؤنا وأسلافنا، فلأنهم تربو في مدرسة أهل البيت، كانوا مخلصين لأوطانهم.

أئمة أهل البيت عليهم السلام يريدون منّا أن نكون جزءً من أمتنا الإسلامية، نتفاعل مع قضايا الأمة، وفي الطليعة في خدمة الإسلام والأمة، ونرتبط بجسور المودة والمحبة والوحدة مع بقية المسلمين.

التفرقة ليست خيارنا، فنحن نرفض التفرقة بين المسلمين، ونرفض الخلافات المذهبية، ونرفض الصراعات الطائفية. نحن نريد أن تكون الأمة كلّها يداً واحدة وخاصةً في هذا العصر والإسلام يواجه التحديات.

وآخرها الرسوم المزرية المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وآله التي نُشرت في الصحف الأوروبية وصارت مختلف الصحف تنشرها من بلدٍ إلى بلد إمعاناً في الإساءة للإسلام وإهانةً للمسلمين ولنبيهم، وهذا يدل على أننا نواجه تحديات مشتركة، ولذلك كانت وقفة المسلمين رائعة، فالمسلمون في كل مكان لهم موقف واحد في الدفاع عن نبيهم محمد صلى الله عليه وآله.

حرية الرأي وتقدم المجتمع[1]

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: الآيتان ١٧ ـ ١٨].

التقدّم والتخلف رهن العقلية الاجتماعية العامّة:

التقدم والتخلّف في المجتمعات ليس عفويًّا أو يأتي بالصدفة أو حسن وسوء الحظّ، وإنما هناك وضع يعيشه المجتمع قد ينتج هذا الوضع تخلفًا أو تقدّمًا.

ولذلك فبالإمكان التنبؤ بمستقبل أي مجتمع من خلال دراسة ما يعيشه هذا المجتمع من عقليات وسلوكيات يتطبّع بها أفراده، فإذا كانت هذه العقليات والسلوكيات منتجة للنهوض فإن مجتمعها مرشّح للتقدّم، بينما لو كانت منتجة للجمود والتحجّر فإن

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٧/ ٣/ ١٤٢٧هـ.

المجتمع الجامع لها سيعيش حالة من التخلّف.

ولذلك فإن الآية التي افتتحنا بها صدر الحديث تعبّر بِ (بشِّرْ) أي يا محمد انشر البشارة، ومن المعروف أن البشارة هي: الإخبار بما يسرّ، وعلى العكس منها الإنذار الذي يعني الإخبار بما يضر.

والآية تبشِّرُ الذين تتوفّر فيهم الصفة التالية: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

فمن تتوقّع منهم الصلاح والتقدّم هم من يتّصفون بهذه الصفة، بينما الذين يتصفون بالصفة المعاكسة متوقّع لهم التخلّف والشر.

الآية تتحدّث عن صفات إذا انتشرت في مجتمع مّا فيمكننا أن نتوقّع له الخير.

الإيمان وحرّية التعبير:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ﴾:هناك فرق بين السماع والاستماع، فالاستماع فيه تقصّد وتعمّد، ومن ذلك نستفيد أن الآية تتحدث عن المجتمع الذي يتقصّد فيه أفراده الاطلاع على الأقوال والأفكار المختلفة والمتعددة.

﴿الْقَوْلَ﴾: المفسّرون ذكروا لمعنى القول في هذه الآية معنيين، هما:

الرأي الأول: أن المقصود بالقول في الآية مطلق القول، أي الفكرة، ومجموعة الآراء.

الرأي الثاني: أن المراد بالقول هنا خصوص القرآن الكريم.

ومن قال بالرأي الثاني وقع في مشكلة تحديد الأحسن من القرآن الكريم، حيث من المفترض أن القرآن لا يوجد بين آياته ذلك التفاضل والتفاوت بحيث يكون هناك حسن وأحسن.

ولحل هذه المشكلة وجّهوا الآية بأن المراد من ذلك أن القرآن فيه تشريع للمباحات

ودعوة للمستحبات، فالمؤمن هو من يتّبع الأحسن منهما، وهو هنا المستحب، لأنه الأولى والمثاب عليه. وضربوا لذلك مثلاً بتشريع القرآن للقصاص ثم دعوته للعفو، فمع أنه يحق للمسلم أن يأخذ بالقصاص لكنه يميل إلى العفو، وهو الأحسن.

وعلى الرأي الأول ـ وهو ما قد ينصرف إليه معنى الآية ـ تعتبر الآية أن المؤمن الذي له البشارة هو من يتقصّد استماع مختلف الآراء والأفكار فيتبع أحسنها.

ومن الطبيعي أن اتباع رأي أو فكرة معينة لا يأتي إلا بعد روّية وتفكّر وتأمّل.

والآية هنا ترشدنا إلى أن يتدبّر كل منّا الآراء والأفكار ويتأمل فيها ويقارن بينها، على أن تكون مقارنته بين الحسن والأحسن، ولا يكون تأمله وتفكيره سطحيًّا ودون تعمّق، فتكون مقارنته بين ما هو سيئ وما هو حسن فقط، بل بين الحسن والأحسن.

وهذا الإرشاد من الآية الكريمة يوجهنا إلى نقطة مهمّة، هي أن الإنسان لا يستطيع أن يدّعي أنه اختار الفكرة والرأي الأحسن إلا عندما يطّلع على جميع الأفكار، ولذلك فالمجتمع الواعي من تطرح فيه جميع الآراء والأفكار دون أي حظر أو منع ليختار بنوه الأحسن منها.

وبعبارة أخرى: إن الآية تبشّر المجتمع الذي يعيش حالة من حرية الرأي والتعبير وتعتبره هو المجتمع الأقرب للهدى.

القدماء لم يكونوا يقصون الرأي الآخر:

وهذه الحالة (حرية الرأي وطرح الآراء المتعدّدة) كانت هي السائدة في تراثنا القديم، فنجد في الكتب النحوية القديمة ـ مثلاً ـ الرأي البصري بجانب الكوفي، يذكرهما المؤلف ويناقشهما.

وكذلك نجد في كتب اللغة ذكر الوجوه المتعدّدة للمفردة الواحدة، من غير إقصاء لأي وجه، ولو كان شاذًّا.

وحينما نراجع تفاسير القرآن نجد المفسرين يستعرضون مختلف الآراء في تفسير الآية، يرجّحون منها ما يتبنونه من رأي. ولذلك فكتب التفاسير القديمة تشكّل ثروة من الآراء حول تفسير القرآن وآياته.

وفي كتب الفقه وأصوله نجد علماءنا يبحثون الآراء في كل مسألة، ويرجحون منها رأيهم الذي يؤمنون به بعد نقاش علمي جادّ.

وفي كتب التراث نجد الرأي المشهور بجانب الرأي الشاذ، فالعبرة بالدليل وليس بشيوع أو شذوذ الرأي، إذ ربما يكون الشاذ يحمل في داخله من دليل ما يقوّيه.

المجتمعات الإسلامية وأحادية الفكر:

لكن حالة التخلّف أوجدت رأيًا واحدًا في مجتمعاتنا الإسلامية، وترفض أن يطرح أي رأي مخالف فيها، بينما في المجتمعات المتقدّمة تكون المعارضة السياسية ـ مثلاً ـ جزءًا من النسيج الاجتماعي والممارسة السياسية في تلك المجتمعات.

وما تعيشه مجتمعاتنا اليوم مخالف لما تطرحه الآية، فالله سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية ـ يطلب منّا أن نستمع لمختلف الآراء ونتّبع أحسنها، فكيف نبحث في الآراء إذا كنّا نقصيها ونرفضها.

إن البعض بمجرّد أن يسمع رأيا مخالفًا لما ورثه من ثقافة سائدة يعتبر من يطرح هذا الرأي «ضالاً» و«خائنًا» و«منحرفًا» فكريًا وعقائديًا، وغيرها من التّهم الجاهزة، وهذا من مظاهر التخلّف في هذه المجتمعات.

من المفترض أن تكون هناك فرصة لطرح الآراء، وعلى الناس أن يستخدموا عقولهم لمحاكمة هذه الآراء، انطلاقًا من إمكانية الاعتماد على العقل وعدم تعطيله.

وكذلك لأنه الحجّة الباطنة التي يحجنا الله بها يوم القيامة، فكما يحتجّ على الإنسان بالحجة الظاهرة وهم الرسل يحتج عليهم بالعقل.

آليات تقبّل الرأي الآخر في المجتمع:

إن المجتمعات التي تعيش أحادية الرأي والفكر لا يمكن أن تتقدّم وتتغير سلوكياتها إلا بعاملين:

الأول: وجود جرأة في طرح الرأي

وفي هذه المجتمعات المتخلّفة لا تكون الظروف مهيأة لمثل هذه الخطوة، بل تكون الجرأة مكلفة، وبالذات الجرأة في الطرح السياسي المخالف، وغالبًا ما يكون الروّاد الأوائل هم الذين يدفعون ثمن جرأتهم، وقد يكون الثمن باهظًا يصل إلى درجة القتل في بعض الأحيان، وكذلك الحال في طرح الآراء الفكرية.

ولكن لتغيير الذهنيات والسلوكيات الاجتماعية المسيطرة يجب أن يكون هناك إصرار على طرح الرأي، وذلك لكي يعلن هذا الرأي ليعرف متبنوه مدى مصداقيته، حتى تنضج حوله الفكرة من خلال الردّ والردّ المقابل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ليمهّد هذا الطرح السبيل لأن تطرح آراء أخرى من قبل الآخرين.

الثاني: احترام الرأي من قبل المجتمع

بحيث يتعوّد المجتمع تقبل أن تطرح فكرة مغايرة لمألوفه ويناقش من يطرحها نقاشًا علميًّا جادًّا، أما إذا كان هناك قمع فكري لكل من يتجرأ على طرح الرأي المخالف فلا يمكن لهذا المجتمع أن يتقدّم، فالآية تبشّر من يستمع ويناقش ويتفكّر، لا مَنْ يرفض إعطاء الفرصة لطرح الرأي الآخر.

والحمد لله رب العالمين.

الجرأة في طرح الآراء الإصلاحية[1]

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٧].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن قضية حدثت في السنة الخامسة للهجرة في المدينة المنورة، ذلك أن الرسول ﷺ كان له غلام وهبته له زوجته خديجة بنت خويلد ﵂، هو «زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي» كانت قد تملّكته بالطرق التي كان يُتملَّك بها الأرقّاء والعبيد من خلال المعارك، حيث يؤسر الأفراد ويباعون من قبل القوّة المنتصرة الغازية التي تأسرهم. وزيد كان غلامًا صغيرًا حينما أسر في إحدى المعارك، بيع فاشتراه حكيم بن

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٧هـ.

حزام لعمته خديجة، ثم وهبته ﷺ للرسول ﷺ بعد زواجها به ﷺ، وكان عمر زيد آنذاك ثماني سنوات.

وبعد فترة جاء أهله يبحثون عنه حتّى يستعيدوه بأي ثمن، فخيّر رسولُ الله ﷺ زيدًا بين أن يبقى معه أو يذهب مع أهله، فاختار زيد البقاء مع الرسول ﷺ قائلاً: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً.

فقام الرسول ﷺ بتبنيه ضمن ما هو سائد في الجاهلية.

وكان متعارفًا في الجاهلية أن الرجل إذا تبنى شخصًا يصبح هذا الولد بالنسبة له بحكم الولد الصلبي، أي تترتّب عليه ـ عندهم ـ جميع الآثار للأبوّة والبنوة.

ولذلك فإن زيدًا بعد هذه الحادثة أصبح يطلق عليه زيد بن محمد.

وقد أطلقه الرسول وحرّره من الرقّ. و زوّجه أم أيمن مولاته فولدت له أسامة بن زيد ثم طلقها، فزوجه الرسول ﷺ زينب بنت جحش الأسدي وهي ابنة عمةّ النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب.

وحصلت حالة من عدم الانسجام بين زيد وزوجته زينب، وكان زيد يشكو زوجته إلى رسول الله ﷺ ويهدّد بتطليقها، ولكنّ الرسول ﷺ كان ينصحه بأن لا يطلّقها، وأن يمسك عليه زوجته.

والآية توضّح أن الرسول ﷺ كان يعلم ـ من قبل الله تعالى ـ بأن زيداً في النهاية سيطلّق زينب، وسيتزوجها الرسول ﷺ، وذلك لحكمة تشريعية من أجل نقض العرف الاجتماعي السائد الذي يقتضي بأن الرجل إذا تبنّى رجلاً يصبح بمكانة ابنه بحيث لا يستطيع أن يتزوّج مطلقته.

إن التشريع يريد أن ينقض ذلك العرف، إضافة إلى أن زيداً كان عتيقًا، ورسول الله في مكانته وعظمته، فكان مستهجنًا في عرف الجاهلية أن يتزوج شخص بهذه المكانة طليقة عبد معتق.

ولذلك يريد الله سبحانه وتعالى أن ينقض هذا العرف الطبقي كذلك، فيتزوّج الرسول من ابنة عمته زينب بنت جحش.

مع معرفة الرسول ﷺ بهذا الأمر إلا أنه كان يشجّع زيداً على أن لا يطلّق زوجته، فكلما جاء زيد يتحدّث عن مشكلته مع زوجته كان الرسول ﷺ ينصحه بالإبقاء عليها وعدم تطليقها.

وهنا نزلت هذه الآية الكريمة تعالج هذه القضية، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، حيث أنعم الله على زيد بنعمة الإسلام والوجود وغيرها من نعم الله التي لا تحصى، وكذلك أنعم الرسول ﷺ على زيد أن أعتقه وتبنّاه وقرّبه وربّاه.

﴿وَاتَّقِ اللهَ﴾ بالصبر على زوجتك، فالطلاق أمر غير محبَّب عند الله سبحانه.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾: فالرسول ﷺ في علمه أن زيدًا سيطلّق زينب بنت جحش، لكنّه أخفى هذا الأمر ولم يتحدّث عنه، ولم يسهّل أمر تحقيقه، ترك زيداً ينفذ رغبته في الطلاق.

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾: ما كان رسول الله ﷺ يريد لزيد أن يطلّق زوجته بسرعة، فينفّذ أمر الله بأن يتزوّجها بعده، فقد كان هناك خشية عند الرسول ﷺ أن هذا سيثير بعض الاتهامات في الوسط الداخلي تجاهه، فيتّهم ـ مثلاً ـ بأنه رغب في زوجة مولاه، كما تحكي هذه الفكرة بعض المرويات المدسوسة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك احتمال أن يتهم ﷺ بأنه خالف القانون والعرف السائد اتباعًا لهواه ورغبته الشخصية.

أو يثار حوله ويعاب عليه أنه تزوّج مطلّقة مولى وهو في مكانة عالية في قومه وفي موضع الزعامة فيهم.

﴿وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾: أي لا ينبغي أن تهتم بهذه الإثارات، التي تكون في

أوساط الناس.

النبي ﷺ كان يخشى الاتهامات حفاظًا على الرسالة:

هذه الآية لو تأمل فيها الإنسان يتَّضح أن خشية المبلّغ والمصلح من الاتهامات التي تكون في وسط المجتمع كانت موجودة بنسبة ما في نفوس الأنبياء، فالنبي ﷺ ما كان يخشى على نفسه شيئًا، بأن يضرُّوه، لكن لأنه ﷺ كان يحمل رسالة فكان يخشى أن يؤثّر اتهام الناس له على إتباعهم لهذه الرسالة، و على ثقتهم بحامل الرسالة ومبلغها.

هذه الخشية كانت موجودة بدرجةٍ ما، ولذلك فالآية تتحدّث عنها.

وفي آية أخرى تتحدّث عن نفس الفكرة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٧] ففي هذه الآية يتحدّث المفسرون حسب الروايات الصادرة بخصوص هذه الآية أن الرسول ﷺ كان مأمورًا أن يبيِّنَ للناس ولاية الإمام علي عليه السلام، ولكنه ظل لفترة متوقفًا، حتى لا يكون هناك شكوك واتهامات في أوساط ضعاف النفوس، أن الرسول ﷺ إنما عيّنه في هذا الموقع لأنه صهره وابن عمّه، وبينه وبين الرسول ﷺ علاقة وثيقة، لذلك تأتي هذه الآية لتخاطب الرسول ﷺ بهذه اللهجة المشددّة.

المصلح بين الجرأة والانكفاء:

نريد أن ننطلق من الآية الكريمة إلى هذه المسألة، التي تدور حول المصلح الذي يحمل رسالة الإصلاح والتغيير في المجتمع، إذ قد يجد في بعض الأحيان نفسه في نفس الموقف الذي تعرضه الآية، وذلك حينما يتحدّث عن فكرة أو رأي أو حكم شرعي، وبعض الناس لا يتقبّلون طرحه، بحيث يشككون في هذا المصلح، فهذه مشكلة يعيشها كل المصلحين، ولذلك نجد الكثير من المصلحين يكتمون بعض آرائهم وأفكارهم خشية أن يكون ذلك سببًا لردود أفعال من قبل الناس.

وليس بالضرورة أنهم يخشون من أن تتضرر بعض مصالحهم الشخصية، ولكن لأنهم يخشون أن يؤثر ذلك على تفاعل الناس معهم.

وهذا يحصل كثيرًا في التاريخ الماضي والمعاصر، فكم من العلماء كانت لهم آراء يتحدّثون بها لخواصّهم وفي الدائرة الضيّقة والقريبة منهم فقط، ولا يجهرون بها أمام الناس، لأن عامّة الناس لو سمعوا منهم هذا الرأي المخالف للسائد عندهم فإنهم سيفقدون الثقة تجاه هذا العالم الذي طرح هذا الرأي، وفي بعض الأحيان يكون صراع وتنافس داخلي فيستفيد من هذا الموضوع بعض الأشخاص بإثارة الناس على هذا الشخص أو هذه الجهة ضمن تصفية حسابات.

لذلك ينقل الشهيد الشيخ مرتضى مطهري عن المرجع الراحل السيد البروجردي رحمه الله أنه تحدث مرة في أحد دروسه الفقهية أمام تلامذته عن معاناته الذاتية في اضطراره لإخفاء بعض آرائه تقية من المجتمع قائلاً:

(ليس ثمة ما يدعو للعجب، فالتقية من أصحابنا أهم وأعلى، أنا نفسي في أوائل بلوغي مرحلة المرجعية العامة كنت أظن أن عليّ أن أستنبط الأحكام وعلى الناس العمل بها، فما أفتي به يعمل به الناس، رأيت أن الأمر ليس كذلك) [1].

وما ذكره الشيخ المطهري عن الساحة الشيعية ذكر مثله الشيخ يوسف القرضاوي عن الساحة السنية حيث قال في جريدة الشرق الأوسط (٣٠/ ١/ ٢٠٠١م) إن كثيراً من العلماء يحملون رأيهم في صدورهم، ولا يبوحون به خشية الوقوع في الخلاف والاختلاف.

وضرب مثلاً على ذلك بقول الشيخ محمد أبو زهرة في أحد المؤتمرات: أنه عنده رأي كتمه عشرين عاماً ويريد أن يبوح به الآن وأضاف الشيخ القرضاوي: إنني كتمت

(١) المطهري: مرتضى/ محاضرات في الدين والاجتماع ص ٥٥٩/ الطبعة الأولى ٢٠٠٠م/ الدار الإسلامية ـ بيروت.

بعض الفتاوى لسنين طويلة خشية أن يهاجمني المهاجمون ثم بدأت أفصح عن هذه الفتاوى وأنشرها.

لذلك فإن بعض المصلحين يخشى أن يطرح موقفه لئلاَّ تزايد عليه بعض الجهات في دينه ومواقفه الوطنية، أو أن تستفيد من طرحه هذا لتستثير عواطف الجمهور ضده، ولذلك أصبحت مشاعر الجمهور سلطة حتى على الرأي الديني والفقهي.

العلماء وسلطة الجمهور:

في كثير من الأحيان يكون العلماء عندهم آراء لا يبدونها، ومما يذكر في هذا المجال ما يشاع في القارّة الهندية وخاصة في باكستان عند جمهور الشيعة أنه لا يجوز للعامّي أن يتزوّج من هاشمية، بل تصل إلى أن يُهدر دم من يقوم بهذا العمل. ويتحفظ العلماء ويخافون من تكذيب هذا القول وتبيين بطلانه.

وقد أخبرت عن بعض المبلغين لما أراد أن يتوجّه إلى هذه المنطقة أوصاه أحد العلماء بأنه إذا سئل عن رأيه في زواج العامي من الهامشية أن يخبرهم بأن لا فتوى للمرجع في هذا الموضوع، وذلك حتّى لا يحصل ردّ فعل يؤثر على المرجع في أوساط ذلك المجتمع.

في بعض الأحيان يحاول البعض أن يبين أن التحفظ والحساسية منحصرة في مسائل العقيدة فقط، لأنها من المسائل الحسّاسة، والناس لا يتحمّلون طرحاً مخالفاً فيها، لكننا نجد الحالة نفسها في المسائل الفقهية.

فالإمام الخميني حينما أصدر فتوى حول الشطرنج وأنه جائز ما لم يصحبه قمار، ظهرت بعض الأصوات المنددّة ولم تكن هذه المسألة عقدية. وكذلك أثيرت ضجة حينما أفتى الإمام الحكيم بطهارة أهل الكتاب وهي ليست مسألة عقدية.

والبعض الآخر يبرّر الانفعال الذي قد يحدث نتيجة طرح الآراء الناقدة الإصلاحية بأن الناس عادة لا تقبل إلا من الفقهاء، أما إذا كان المتحدث شخصًا لم يصل إلى رتبة

الاجتهاد فالناس لا تقبل منه، لأن هذه المسائل لابدّ أن يبتَّ فيها الفقهاء.

وهذا التبرير غير صحيح أيضًا، فالسيد محسن الأمين ـ الذي لا يشك أحد في فقاهته ـ صدرت ضدّه البيانات والتصريحات الشديدة لأنه تحدث عن موضوع بعض الممارسات في الشعائر الحسينية.

وكذلك الإمام الخميني ـ وهو فقيه مسلّم باجتهاده ـ حينما أصدر فتوى مخالفة للسائد بالنسبة للشطرنج، والإمام الحكيم حين أفتى بطهارة الكتابي.

إذًا المسألة لا ترتبط بالمسائل العقدية أو الفقهية، أو أن يكون المتحدّث فقيهًا أو لم يصل للفقاهة، أو أن تكون المسألة مختصة بالموضوعات أو بالأحكام.

وللتدليل على ذلك أشير إلى ما كتبه المرحوم الشيخ الدكتور الوائلي ﵀ في مذكراته «تجربتي مع المنبر»، كيف أنهم عندما أرادوا أن ينشئوا معهداً ومنتدى لتجميع الخطباء ولترشيد الخطابة المنبرية، قامت ضدّهم الأصوات في النجف وحوصروا، لدرجة أن بعضهم بقي في منزله لم يغادره خوفًا من الناس وخشية من الإثارة التي صارت عليهم، فهذه الحادثة لا تدور حول مسألة عقدية أو فقهية، وإنما هي مسألة أسلوبية عملية.

إن هذه القضية يواجهها المصلحون والعلماء، حيث إن هناك آراء ينبغي أن تطرح يؤمن بها هذا العالم أو ذلك المصلح، ولكن طرحها في المجتمع يواجه بعواطف الناس، والأشد من ذلك أن يواجه باستغلال من أطراف منافسة تثير عواطف الجمهور ومشاعرهم، ولذلك يضع المصلحون أنفسهم أمام معادلة معقّدة، هل يتجرأون في طرحهم وبالتالي يدفعون الثمن، أو يبقون منطويين على آرائهم وأفكارهم؟

والوضع هنا يختلف من مجتمع لآخر، فالأصل أن الإنسان إذا كان لديه رأي من المفترض أن يعبر عنه، وبخاصة إذا كان هذا الرأي يتوخّى منه صلاحًا وإظهارًا لفكرة مفيدة.

ميزة هذا العصر:

في بعض الأحيان تكون المضاعفات التي ستحصل أشد من المكاسب، ففي هذه الحالة قد يتردّد البعض في طرح رأيه، ولكنّ ما يبدو أننا الآن نعيش عصراً يختلف عن العصور السابقة، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: في السابق كانت حالة الجهل هي السائدة، فأكثر الناس لا يملكون مستوى تعليميًّا متقدّمًا، ولا يمتلكون انفتاحًا وثقافة، لذلك كانت العواطف والمشاعر تحركهم، أما الآن فنحن نعيش عصر الانفتاح والوعي والمعرفة، وهذا التغيّر الموجود في المجتمع ينبغي أن يستثمره المصلحون في التعبير عن آرائهم وطرح أفكارهم النقدية الإصلاحية.

الناحية الثانية: في الماضي كان من يحمل الآراء الإصلاحية هم أشخاص محدودون، والأغلبية مع الرأي السائد، أما الآن هناك تطور في الوسط العلمي والحوزوي والديني والثقافي، ولذلك أعتقد أن من يحملون الآراء التطويرية والإصلاحية ما عادوا قِلَّة، لكن المشكلة أنهم لا يعرفون بعضهم بعضًا، ولا يتعاونون مع بعضهم، ولذلك فإن كل واحد منهم يبدو كأنه يمثّل موقفًا ضعيفًا أمام الحالة العامّة، أما لو جهروا بآرائهم الإصلاحية للمجتمع والناس لأصبحت هناك شريحة واسعة تؤمن بهذه الأفكار والآراء وبالتالي تتغير المعادلة.

قد لا يكون التغير فوريًّا وحاسمًا، لكن ذلك لصالح حرّية التعبير عن الرأي والتغيير في بعض الآراء والأفكار.

إنني أعتقد أن هذين المتغيرين:

- **سعة رقعة الوعي الاجتماعي.**
- **سعة شريحة حملة الآراء التطويرية**

ينبغي أن يكون عاملاً دافعًا للمصلحين حتى يكونوا أكثر جرأة في طرح

آرائهم وأفكارهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من الباحثين عن الحق والعاملين به، ومن ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

والحمد لله ربّ العالمين.

النقد الذاتي الاجتماعي[1]

قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة: الآيتان ١-٢].

الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين الكريمتين، يُقسم بأمرين عظيمين:

الأول: القسم بيوم القيامة، ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، و ﴿لا﴾ ليست نافية للقسم، وإنما مؤكدة له. ومعروف للجميع عظمة وأهمية يوم القيامة، إنه اليوم الذي يُحشر فيه الناس ويُحاسبون، ويتقرر مصيرهم الأبدي.

الثاني: القسم بالنفس اللوامة، ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، واقتران الأمرين في القسم يُشعر بأنهما على درجةٍ متقاربة من العظمة والمكانة.

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٤٢٧هـ.

ما هي النفس اللوامة؟

اللوامة: من اللوم، واللوم معاتبة الإنسان نفسه، ومراجعته لها، لكي يُحاسبها على الخطأ. وعندما تكون هذه الحالة دائمة عند الإنسان، يُطلق على نفسه: النفس اللوامة.

الله سبحانه وتعالى جعل في نفس الإنسان هذه الخاصية، تماماً كوجود المناعة في جسم الإنسان ضد الأمراض، وإذا اخترق نظام المناعة لدى الإنسان فإن حياته تكون معرّضة لجميع الأخطار، وهذا ما يُعبر عنه الآن بالمرض الخطير (الإيدز).

فالنفس اللوامة نظام مناعة روحي عند الإنسان، في مقابل جراثيم الذنوب والأخطاء، فمن طبيعة الإنسان أنه إذا أخطأ تحرّك ضميره وأشعره بالخطأ، وفي لحظات التأمل يُحاسب الإنسان نفسه على أخطائه. ولكن إذا فُقدت هذه الحالة، بسبب تراكم الذنوب والأخطاء، عندها لا يعود الخطأ باعثاً للمحاسبة والمراجعة. فيخرج الإنسان من دائرة (النفس اللوامة) ويبقى منحصراً في دائرة (النفس الأمارة)، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، ويكون الإنسان حينها في منطقة الخطر والهلاك، إلا أن يُنقذه الله تعالى، ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

النقد الذاتي ضرورة وصعوبة:

النفس اللوامة: تعني أن الإنسان يواجه نفسه، ويُحاسبها على الأخطاء، وهذا أمرٌ مهم، لأن محاسبة النفس والنقد الذاتي بمقدار ما هي عملية ضرورية إلا أنها عملية صعبة.

النقد الذاتي ضرورة، لأن الإنسان إذا لم يقم بنقد ذاته يسترسل في الخطأ، أما إذا انتقد ذاته وحاسب نفسه فإنه يُنقذ نفسه من ذلك الخطأ ويتجاوزه. وهي تُشبه إجراء الفحوصات الدورية على الجسم لاكتشاف أعراض الأمراض، ومعالجتها قبل استحكامها في الجسم.

فالنقد الذاتي ضرورة ولكن فيه صعوبة، سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي.

على المستوى الفردي:

أولاً: النقد الذاتي يُحمل الإنسان مسؤولية التغيير، والمواجهة مع الشهوات الأهواء.

فالخطأ إنما يحصل بسبب الهوى والغفلة، وحينما يقوم الإنسان بعملية النقد الذاتي، يكون وجهاً لوجه أمام داعي الهوى والشهوة، وأمام حالة الغفلة والاسترسال، وهذه عملية صعبة.

ففي كثير من الأحيان إذا سيطر الهوى على نفس الإنسان فإن الإنسان يبقى منشدّا لهواه وشهوته. إنه في لحظة التأمل يُدرك ضرورة تجاوز الخطأ، ولكن جاذبية الهوى والشهوة تجعل عملية الارتداع عن الخطأ عملية صعبة فيبقى الإنسان في حالة صراع مع نفسه، لذلك تجد البعض من أجل أن يُريح نفسه من هذه المعركة والصراع الداخلي، يبتعد كلياً عن محاسبة نفسه ومراجعتها.

ثانياً: النقد الذاتي يُشعر الإنسان أنه في موقف هزيمة وتراجع أمام الآخرين.

الإنسان عندما يكون له رأي معين أو موقف، فإنه عندما ينتقد ذاته، قد تكون نتيجة ذلك أن يتراجع عن رأيه وموقفه، وهذا يُشعره بأنه في حالة هزيمة أمام الآخرين، وغرور الإنسان لا يسمح له بأن يضع نفسه في هذا الموضع فيكابر ولا يعترف بخطئه حتى لا يظهر أمام الآخرين وكأنه انهزم.

على المستوى الاجتماعي:

كل مجتمع من المجتمعات معرض لأن تكون فيه أخطاء، في الأفكار وأنماط السلوك. وقد لا يكون الخطأ ذاتياً، وإنما تغير الظروف والأوضاع تجعله خطأ، فقد تكون ممارسة من الممارسات في وقت من الأوقات صحيحة، ولكن مع تغير الزمن تُصبح تلك

الممارسة خطأ وتحتاج إلى تغيير ومعالجة.

وغالباً ما يكون النقد الذاتي في المجتمعات أمراً صعباً، وخاصةً في المجتمعات التي تغيب فيها الأجواء المساعدة على النقد، مثل حرية التعبير عن الرأي وحرية الفكر. هنا يُصبح المجتمع في حالة تنزيه لذاته، ويكون هناك غفلة عن المشاكل الداخلية، وغالباً ما تكون وسيلة التغطية على المشاكل الداخلية توجيه الأنظار إلى العدو الخارجي.

فنجد أن بعض الأنظمة السياسية في العالم العربي توجه الأنظار للأعداء الخارجيين، وتحاول بين فترةٍ وأخرى أن تفتعل مشكلة خارجية، حتى تصرف أنظار الناس عن المشاكل الداخلية الموجودة.

وعلى المستوى الثقافي والاجتماعي يعيش العالم العربي والإسلامي هذه المشكلة بشكلٍ أو بآخر، فتجد أن الناس يتحركون ضد مشكلة خارجية، ولكنهم بصعوبةٍ بالغة يتحركون ضدّ خطأٍ في الداخل.

لماذا يسهل علينا الاعتراض على عدوان الآخرين علينا، لكن في المقابل نتغاضى عن الأخطاء الداخلية؟

وتجد مثل هذه الحالة قائمة بين المذاهب المختلفة أيضاً، فكل طرف يتجه نحو أخطاء الطرف الآخر، فالشيعي يبحث في الأخطاء الموجودة في كتب السنة، وهو بذلك يُحقق رصيداً إيجابياً بين جماعته، وكذلك الحال بالنسبة للسني. ولكن هل يتمكن الباحث الشيعي أو السني من مناقشة الأخطاء الموجودة في تراثه؟ كلا. لذلك أصبحت الأخطاء مغضوضاً عنها، وأصبحنا ننطوي على الأخطاء الموجودة في التراث والتقاليد.

هذه الحالة سائدة في المجتمعات المتخلفة، أما المجتمعات المتقدمة فإن حالة النقد الذاتي متوفرة، إن المعارضة فيها جزءٌ من النظام السياسي، بينما في غالب المجتمعات العربية تُعتبر المعارضة إجراماً.

ولو قرأ الإنسان مذكرات كبار العلماء عند السنة أو الشيعة يجد أن من يتوجه للنقد

الذاتي الداخلي يُنبذ ويُحاصر.

والأسوأ من ذلك أن الأجواء الدينية تواجه حتى التطوير في الوسائل بمعارضة شديدةٍ فضلاً عن نقد التراث والممارسات.

وهنا سؤال يطرح نفسه: هل نحن متأكدون أن كل الأفكار والممارسات في مجتمعنا صحيحة؟ وإذا كانت صحيحة، أليس هناك ما هو أصح منها؟ يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر: الآية ١٨].

فلماذا لا يكون هناك مجال للنقد؟ هناك عدة أسباب تعترض حرية النقد:

أولاً: شعور يسود البعض بأن انتقاد بعض الأمور وإن كانت بسيطة، يعرّض مجمل البناء للهدم. ولكن كما أنه يجب علينا أن نخاف من أن يكون هناك تفريط، فإن الحذر من الإفراط مطلوب، وكما نخاف من أن نقد غير الصحيح قد يطال الصحيح، فإنه يجب علينا أن نخاف من أن السكوت على غير الصحيح قد يقودنا إلى خطأٍ آخر، وقد يُعمّق الأخطاء الموجودة.

ومن جهةٍ أخرى فإن هذا الإشكال دليل على أن ثقتهم بالعقيدة والدين هشّة، ولكنهم لو عرفوا قوّة الإسلام وجوهره لعلموا أن هذه الجزئيات لا تؤثر على مجمل البناء.

ثانياً: القول بأن عملية النقد تُظهر ضعفنا أمام الآخرين. وهذا الكلام مضى وقته، لأنه لم يَعد هناك أمور مخفية. إضافةً لذلك فإن النقد الذاتي أصبح الآن مظهر قوة وليس مظهر ضعف، فالجهة التي تنتقد ذاتها وتُصحح أخطاءها أقرب إلى الاحترام من الجهة التي تتستر على الأخطاء. وإذا كانت المسألة ذات بعد ديني، فهناك مسؤولية دينية لأنه بأي حق نتستر على خطأ فيه ضرر على الدين ومصالح المؤمنين بهذه المبررات الواهية؟.

ثالثاً: وجود قوى منافسة في كل مجتمع تحمي الحالة السائدة، ففي المجتمع بعض الجهات تعتبر أن من مسؤوليتها حماية الحالة السائدة، فليس لديهم قضية يُدافعون عنها أو

يُبرزون قوتهم فيها، فيكون الدفاع عن السائد هو ساحتهم وميدانهم لاستقطاب الآخرين إليهم، بالتالي تجدهم يرفضون أي نقد أو تصحيح أو تطوير، وهذا يعني أمرين:

الأول: أن نقطة الضعف تبقى في المجتمع، فتضعفه أمام الآخرين.

الثاني: حصول ردود فعل داخل المجتمع عند الشباب والناشئة الذين ينفرون من الأفكار والحالات غير المقنعة.

بالطبع لا يعني هذا الكلام أن أي نقد هو مصيب وصحيح، فقد يكون هناك خطأ أو اشتباه في تشخيص ما يستحق النقد، ولكن ما نصبو إليه هو أن لا يكون النقد بذاته جريمة، وأن لا يكون الحديث عن الخطأ فيه إدانة. والمشكلة أن هذا الإرهاب الفكري يطال العلماء والمفكرين في المجتمع، فيقعد بهم عن إعلان موقفهم أو رأيهم تجاه أي قضية أو ممارسة في المجتمع. وهذا وضعٌ خطير وخاطئ على مستوى المجتمعات والطوائف، وعلى مستوى الأمة الإسلامية بشكلٍ عام. وأين نحن عن النصوص التي تدعو الإنسان المسلم لمحاسبة نفسه، يقول الإمام علي عليه السلام: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر»[1]، ويقول: «ثمرة المحاسبة صلاح النفس»[2].

وأيضاً: لماذا لا نستفيد من تجارب الآخرين، وبقية المجتمعات التي شرّعت النقد في مجتمعاتها فتقدمت، بينما مجتمعاتنا تعيش حالة ممانعة من أي نقد ذاتي. ونكرر هنا أنه ليس كل نقد مصيباً، ولكنه عامل قوة للمجتمع وإيضاح للحقيقة. من هنا تأتي أهمية النقد الذاتي والإصلاح الداخلي على مختلف الصُّعُد والمستويات.

---

(١) نهج البلاغة: قصار الكلمات/ حكمة رقم: ٢٠٨.

(٢) ميزان الحكمة:ج١ ص ٦٢٠.

الصراعات الداخلية في المجتمع[1]

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: الآيتان ٩-١٠].

مجتمع المؤمنين مجتمع بشري، والإيمان بالله تعالى وبالدين لا يُبدّل طبيعة الإنسان وإنما يُشذّبها ويُرشّدها، وبالتالي فإن الإنسان هو الإنسان بغرائزه وميوله. قد يتصور البعض أن المؤمنين لا يقع بينهم صراعٌ ولا نزاع، وهذه نظرةٌ مثالية تصلح طموحاً وتطلعاً، لكنها لا تتحقق على أرض الواقع، فماداموا بشراً فإنه من الممكن أن تحدث بينهم صراعات ونزاعات.

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٤٢٧هـ.

دوافع الصراعات:

دوافع الصراعات والنزاعات في المجتمع الإيماني هي نفسها في المجتمعات غير الإيمانية، وغالباً ما تصدر من أحد باعثين:

الأول: الاختلاف المصلحي، فحينما تتضارب المصالح يحصل الصراع، سواءً كانت المصالح مادية، أو وجاهية، أو سياسية.

الثاني: الاختلاف في الآراء والتوجهات، إذ إن تعدد الآراء والانتماءات قد يكون سبباً للصراع والنزاع في مجتمع المؤمنين كما في سائر المجتمعات.

سبب نزول الآيات الكريمة:

كتب التفاسير حينما تتحدث عن المورد الذي نزلت فيه الآيتان الكريمتان من سورة الحجرات، تنقل روايات عن نزاع حصل بين مجموعتين من قبيلتي الأوس والخزرج في عهد رسول الله ﷺ، وهما قبيلتان في المدينة المنورة كانت بينهما حروب تاريخية ولما جاء الإسلام حصل ببركته وئامٌ بينهما، ولكن هذا الوئام لا يعني أن كل آثار الفترة الماضية قد انتهت، وتُشير الروايات أن أسباب الصراعات التي تحصل بين القبيلتين بين فينةٍ وأخرى أغلبها تافهة، والأشخاص الذين يبدؤون النزاع من هذه القبيلة أو تلك هم غالباً من ذوي الأغراض، وقد استخدمت في هذا الصراع الذي نزلت الآيتان بسببه بعض مقدمات العنف كسعف النخيل والأحذية.

ضوابط وحدود:

النزاعات والصراعات حين تحصل في مجتمع المؤمنين، يجب أن تواجهها ضوابط وحدود من أهمها:

أولاً: التأكيد على الالتزام بالأخلاقيات والحدود الشرعية.

ثانياً: أن يتحمل المجتمع مسؤوليته تجاه هذا النزاع الذي يحصل في ساحته.

فموقف التفرج على الصراع خطأ، وعلى المؤمنين تحمل المسؤولية.

والله تعالى في الآيات الكريمة يُوجّه أمراً لجميع المؤمنين بأن يتخذوا الموقف الصائب تجاه الصراع الذي يحصل في ساحتهم، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾.

طبعاً الاقتتال في الاصطلاح يعني الحرب بالسيف، ولكن هذا هو الحد الأعلى، وأي نزاع يُمكن أن يُطلق عليه اقتتال، والآية تُشير إلى ذلك. وعادةً أي نزاع إذا لم يُعالج يُرشّح للتصاعد، ولذلك تؤكد الآية الكريمة ضرورة المبادرة لمعالجة الصراع: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾.

ويُشير أحد المفسرين إلى اختلاف الضمائر في الآية الكريمة، ففي بداية الآية التعبير بصيغة التثنية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾، ثم انتقل إلى الجمع: ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، وعاد إلى المثنى ثانيةً: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، فيقول: إن النزاع غالباً ما يبدأ بين شخصين أو مجموعتين، ولكنه إذا تصاعد تتوسع دائرة المشاركين في الصراع لتشمل الجميع، وإصلاح النزاع لا يتم عبر كل الأفراد المشاركة في الصراع، وإنما بين الشخصيات البارزة والزعامات، لذلك عاد التعبير في الآية الكريمة إلى الثنية.

وأمر الله تعالى بالإصلاح دليل على وجوب ذلك وأنه على المؤمنين أن لا يقفوا موقف المتفرج على الصراعات التي تحصل في ساحتهم.

المسؤولية تجاه البغي والعدوان:

ثم يقول تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾، وهذه مسألة مهمة، ففي النزاعات والصراعات غالباً ما يكون هناك تجاوز من فئةٍ على الأخرى، ومجتمع المؤمنين عليه مسؤوليتان:

المسؤولية الأولى: الدعوة إلى الصلح:

هناك نصوص وأحاديث كثيرة حول إصلاح ذات البين، يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ١]، ويقول تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة النساء: الآية ١١٤]. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قيل: ما هو؟ قال ﷺ : إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال لأبي أيوب الأنصاري ﷺ : «يا أبا أيوب ألا أخبرك وأدلك على صدقةٍ يُحبها الله ورسوله؟ قال نعم، ما هي؟ قال ﷺ : تُصلح بين الناس إذا تقاتلوا وتباعدوا».

فالإسلام يأمرنا بإصلاح ذات البين، وهو واجبٌ كفائي إذا قام به وحققه البعض سقط عن الكل وإلا فالجميع آثمون.

وإصلاح ذات البين يعني السعي على مختلف المستويات والصُّعُد، على المستوى العائلي، وعلى المستوى الاجتماعي.

وموقف التفرج غير صحيح، لأن الإنسان المؤمن مطلوبٌ منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأي معروف أفضل من الوئام والوحدة، وأي منكرٍ أسوأ من الخصومة والنزاع.

كما أن النزاع والصراع يضرّ بالمجتمع كله، وليس المقصود بذلك وجود التنوع والاختلاف في الرأي والموقف، وإنما تحوله إلى نزاع وصراع يهدد أمن المجتمع واستقراره.

لذلك ينبغي للمجتمع أن ينتج سعياً وجهداً لأداء واجب الإصلاح، وذلك يحتاج إلى إنتاج ثقافة واعية تدفع باتجاه الإصلاح والوئام، ويحتاج إلى تظافر جهود المصلحين، وأما ما يقوم به البعض من تذمرٍ في المجالس بسبب حدوث بعض النزاعات في المجتمع وبين الشخصيات البارزة، فهذا لا يُسهم في حل المشكلة إن لم يُعقّدها أكثر. فعلى كل

شخص واع أن يُطالب نفسه بدور تجاه ما يحصل في المجتمع من النزاع والصراع.

المسؤولية الثانية: إدانة البغي ومواجهة الاعتداء

حينما يكون هناك عدوان من فئة على أخرى، فأبناء المجتمع لا يصح لهم أن يكونوا محايدين، بل يجب أن يكون هناك موقف ضدَّ الجهة المعتدية، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾، أما موقف الحياد لا يصح، وذلك لأمرين:

الأول: موقف الحياد يُعتبر نوعاً من الخذلان للطرف المظلوم. وقد وردت نصوص عن لزوم إعانة المظلوم، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أحسن العدل إعانة المظلوم»، وقال عليه السلام في وصيته الأخيرة لولديه الحسنين عليهما السلام: «كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً». والإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق يعتبر عدم مساعدة المظلوم ذنباً يستغفر الله تعالى منه، يقول عليه السلام: «اللهم إني أعتذر إليك من مظلومٍ ظُلم بحضرتي فلم أنصره». فلا يصح للمجتمع أن يتفرج حينما يكون هناك اعتداءٌ من فئةٍ على أخرى.

الثاني: حينما يُسكت عن الظلم فإنه يتفشّى وينتشر.

ولذلك يجب أن يكون هناك موقف تجاه الطرف المعتدي، فالاختلاف في الرأي مشروع، ولكن الاعتداء ظلم ولا يصح السكوت عنه.

الاعتداءات المعنوية:

وليس هناك فرق بين أن يكون العدوان مادياً أو معنوياً، فوجوب رفض العدوان يشمل الجانبين.

كثير من الناس يسكتون أمام الاعتداءات المعنوية من هذا الطرف على ذاك، وهذا لا يصح شرعاً. فحينما يكون حديث على أي فئةٍ أو شخصيةٍ في المجتمع، فعلى من يستمع إلى ذلك الحديث أن يُشخِّص الموقف، فإذا كان الحديث في إطار توضيح نقاط الاختلاف

في الرأي ووجهات النظر بين الأطراف أو الشخصيات المختلفة في المجتمع، فهذا بحث ونقاش علمي وصراع ثقافي مقبول، ولكن إذا كان في الحديث اعتداء وإسقاط للفئة الأخرى أو تشكيك في دينها أو اعتداء على أعراضها، فهنا لا يصح السكوت وإنما ينبغي أن يكون هناك رفض واعتراض.

فعلى المؤمنين أن يكون لهم موقف واضح تجاه أي اعتداء، بمختلف الوسائل والطرق: كاللسان والقلم، لأن الجهة المعتدية إذا رأت أن هناك رفضاً من المجتمع لممارساتها فإن أقل نتيجة مرجوة هي وضع حد لمثل هذه الممارسات.

من المؤسف أن بعض الجهات تلقى تشجيعاً من بعض الدائرين في فلكها فتظن أن هذا يُعبّر عن رأي المجتمع، وقد يكون أكثرية المجتمع غير راضين، ولكنها أكثرية صامتة، فعلى الأكثرية الصامتة أن تخرج من صمتها لتدين وترفض البغي والعدوان على الأطراف الأخرى.

وإذا لم ترفض فئةً ما البغي والعدوان على الفئات الأخرى فلتنتظر دورها من العدوان والبغي عليها، وقد رأينا ذلك عياناً.

فينبغي أن تُؤسس حالة اجتماعية لإدانة ورفض البغي والعدوان حتى تكون هناك حصانة للمجتمع ككل من الإصابة بهذه الآفة.

وتختم الآيات الكريمة بالتأكيد على أخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، والمؤمنون تعني جميع من آمن بالله تعالى ورسوله واليوم الآخر فهم أخوة، ونهج الإصلاح ينبغي أن يسود بينهم جميعاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله الطاهرين.

الآلام والآمال بين الأقوال والأعمال[1]

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف الآيتان ٢-٣].

مدخل:

احتكاك الإنسان بهذه الحياة يُنشأ لديه رغبات وتطلعات، كما أن طبيعة الحياة فيها عوائق أمام ما يطمح إليه الإنسان ويرغب فيه. وهنا ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو من يلتزم الصمت؛ يرغب في شيء ما ولكن تبقى هذه الرغبة حبيسة في نفسه لا يظهرها لأحد. يواجه كذلك عوائق تعترض طريق تقدمه فيتألم منها، ولكن يبقى ألمه حبيساً في نفسه، لا يشرك أحداً بما يحس.

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٥/ ٤/ ١٤٢٧هـ.

القسم الثاني: هو من يحترف الحديث والتعبير عما بداخله؛ يتحدث عن آلامه التي يعاني منها، وعن آماله التي يتطلع إليها ويريد تحقيقها، يفصح عما بداخله في أي فرصة تتاح له. وهذا القسم يعتبر درجة متقدمة عن القسم السابق.

القسم الثالث: هو من يسعى ويجتهد لتحقيق تطلعاته ولإزالة العوائق من طريقه، وهذا هو الأفضل. لا يُبقي الرغبة حبيسة في نفسه، ولا يكتفي بالتحدث عما بداخله، وإنما يجتهد لتحقيق تلك الرغبة، ويفكر كيف يحققها، ويخطط، ويكثف جهده العملي حتى يحقق ما يريد.

العوائق ليست حتمية، حتى يقف الإنسان أمامها مكتوف الأيدي. والمؤمن في صورته الحقيقية الصحيحة هو من الصنف الثالث.

الآية الكريمة تقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ لماذا تكون التطلعات أمامكم مجرد حديث وكلام، لماذا لا تسعون وتجتهدون لتحقيق ما تصبون إليه؟ ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ﴾ والمقت هو الغضب الشديد.

هذا من حيث الأفراد، وبما أن الأفراد في مجموعهم يشكلون المجتمع، فالأصناف الثلاثة ذاتها تنطبق على المجتمعات، وهو ما نريد الحديث عنه.

مجتمع الصمت:

بعض المجتمعات تبقى أمالهم وآلامهم حبيسة في نفوسهم، لا يصرحون بها إما لسبب سياسي أو اجتماعي، أو لأي سبب آخر، وفي بعض الأحيان ينكرونها، فإذا ما سئلوا عن أوضاعهم أجابوا بعكس ما يريدون وما يشكون، بأن أوضاعهم طيبة ولا ينقصهم شيء، فيبدو للسائل أن حالهم على ما يرام.

مجتمع الكلام:

هي مجتمعات تحترف الحديث عما بداخلها، في أي مجلس تجد حديثاً واسعاً ومفصلاً

عما يريدون ويتطلعون إليه، وعن المشاكل التي يواجهونها، ولكن كل ذلك يبقى مجرد أحاديث في المجالس ومنتديات الإنترنت واللقاءات، ليس هناك خطة عملية يتحركون من خلالها. وقد أصبحت بعض منتديات الإنترنت مجلساً عامراً للتحدث والكتابة وبلا مسؤولية غالباً عندما يكون الاسم مستعاراً، حتى إنك تحسّ أن من يكتب لن يرضى إلا بحل المشكلة وقمعها من جذورها، ولكن بمجرد أن ينهي حديثه يحسّ بأن دوره انتهى، ويمضي لينام قرير العين.

مجرد الحديث من دون عمل لن يحقق لنا شيئاً. جاء في الرواية عن رسول الله ﷺ يوصي الإمام علياً عليه السلام: «يا علي! لا خير في قول إلا مع الفعل» [1] تتحدث عن مشكلة ما، إذاً لا بد أن تضع لها برنامجاً عمليًا لحلها.

مجتمع الفعل:

هي المجتمعات ذات الفاعلية والنشاط. مجتمعات تجتهد لتحقيق آمالها، وتعمل المستحيل لمعالجة آلامها. وهي المجتمعات التي تريد التقدم وتحسين أوضاعها، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «زيادة الفعل على القول أحسن فضيلة، ونقص الفعل عن القول أقبح رذيلة» [2]. أي إن المجتمعات التي يكون فعلها أكثر من قولها تعيش حالاً حسناً، بخلاف من يكون قولها أكثر من فعلها.

مجتمعاتنا والمجتمعات الغربية:

الآية الكريمة تريد أن تنقل مجتمع المؤمنين إلى المرحلة الصحيحة، مرحلة العمل والسعي الحثيث، أيها المؤمنون! لا تحترفوا الحديث عن آلامكم وآمالكم، وإنما يجب أن

---

(١) الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج٣، ص٢٣٤، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ - قم.

(٢) التميمي: عبدالواحد الآمدي/غرر الحكم والكلم، ج١، ص٣٨٥، ط١، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الأعلمي- بيروت.

تباشروا العمل من أجل تحقيق تلك الآمال، وتجاوز تلك الآلام.

إذا نظرنا في ضوء هذه الفكرة إلى واقع مجتمعاتنا الإسلامية وقارناها بواقع المجتمعات الغربية المتقدمة، سنجد الفرق بيننا كبيراً جداً.

لو كُلف باحث بإعداد قائمة يرصد فيها آلام وآمال بلد ما من بلاد المجتمعات الإسلامية فلا شك أنه سيحصل على قائمة طويلة لتلك الرغبات والمشاكل. لكنه لو أراد أن يحصي المشاريع العملية فيما يخص الآمال والآلام فلن يجد إلا شيئاً متواضعاً لا يستحق الذكر.

بينما حين يطّلع الإنسان على واقع المجتمعات المتقدمة ذات الفاعلية والنشاط، فلن يرى هناك مسافة كبيرة بين الآمال والأعمال، لأنها مجتمعات تتحرك فور نضوج أي فكرة لأي أمل أو ألم.

في مجتمعاتنا هناك مشاكل مزمنة لها سنين ولم يتم السعي بعد لحلها. وأقرب مثل واضح؛ الأمراض. نحن نعاني من الأمراض، والآخرون يعانون كذلك كما نعاني ولربما أكثر منا. ولكن في المجتمعات الغربية تجد سعياً حثيثاً لإيجاد العلاج، أما نحن فننتظر أن يأتينا هذا العلاج!

في المجتمعات الغربية ترصد مبالغ كبيرة لعلاج الأمراض الخطيرة كالأيدز، والسرطان، فضلاً عن الأمراض البسيطة، أما نحن فنبكي منتظرين رحمة الله تعالى وفرجه، منبهرين بما وصل إليه الغرب من تقدم ناظرين إلى وقت يجودون علينا بما توصلوا إليه!

تلك المجتمعات لا تكتفي بايجاد العلاج فقط، بل بعمل بحوث ودراسات لتطوير العلاج ذاته، ونحن نبقى هكذا، لا نقدم ولا نؤخر!

لو اقتربنا إلى مشاكلنا الاجتماعية والسياسية، نرى أن مجتمعاتنا احترفت فن الحديث حول المشاكل، ولو سألَنا أحد عن مدى معاناتنا لهذه المشكلة؟ سنقول بملئ

الفم: من زمن بعيد!

ظواهر سلبية:

يمكننا أن نرصد الظواهر التالية التي تبرز في مجتمعاتنا:

الاستغراق في وصف المشكلة وفضفضتها:

حينما تتحدث عن مشكلة ما تجد من يزيدك من الشعر أبياتاً، ومن الرواية فصولاً. تفاصيل كثيرة ولكن دون أن نستثمرها للوصول إلى حلّ. كل أحاديثنا تنصب ضمن قائمة المشاكل وتوصيفها، ولكن قوائم الحلول مغيبة، أو بالأصح ملغية، لا تفكير، ولا بذل، ولا تخطيط، ولا تطوير، هذا ما يكون في الغالب الأعم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ لماذا تجترون الكلام فقط، ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ إن غضب الله يشتد على من يكون قوله خلاف عمله.

الخطباء مثلاً ـ وهذا نقد ذاتي ـ يصفون المشكلة بحذافيرها وفي بعض الأحيان يضفون عليها بعض المحسنات البديعية لشدّ انتباه المستمع، والناس ينبهرون مما يسمعون ويتشكرون من الخطيب لحسن عرضه للمشكلة، ولتلمسه ما يحسون به. ونستمر هكذا في كل سنة نتفنن في عرض المشكلة ذاتها أو مشاكل أخر، ولكن هل نطرح حلولاً لهذه المشاكل؟

هناك إشباع في توصيف المشاكل والمبالغة في الوصف وهذه حالة سلبية، فهي تستهلك طاقة الإنسان النفسية، ورد عن الإمام الباقر عن أبيه زين العابدين عليهما السلام يقول: «ما أكثر الوصف وأقل الفعل إن أهل الفعل قليل، إن أهل الفعل قليل»[1].

ما دام الإنسان مندفعاً متحمساً فعليه أن يتحرك، لا أن يفرغ طاقة الحماس هذه في الكلام وإخراج ما في النفس من هم، فذاك يوحي له بأن دوره قد انتهى، ويشعر

(١) الكافي، ج٨، ص١٩٠.

براحة بعدما يفصح عما بداخله، وهذا أسلوب مستخدم في العلاج النفسي لحل المشاكل الشخصية.

السعي أمر ضروري لحل المشكلات: (يا عبدي منك الحركة ومني البركة) اجترار الكلام هكذا من دون عمل لن يقدم ولن يؤخر. صفة المؤمن كثرة العمل وقلة الكلام، وإذا ما انعكست هذه الصفة صار في عداد المنافقين كما روي عن الإمام الكاظم في وصيته لتلميذه هشام بن الحكم: «يا هشام! قال رسول الله ... المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل» [١].

إلقاء المسؤوليات على الآخرين:

في كثير من الأحيان نقف مكتوفي الأيدي متوقعين الحل من جهة ما سواء كانت خارجية أو داخلية، وأحياناً نعلّق آمالنا على شخص معيّن أو تيار معيّن، تارة لحسن ظن، وتارة فقط لنلقي المسؤوليات على غيرنا بقصد الإحراج والتشويش، أو لكي نخلي أنفسنا من المسؤولية وهذا غير صحيح، رسول الله ﷺ كان يوصي الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: «يا ابن مسعود! فلا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف على نفسه، يقول تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [٢] » لا تلزم الناس بمسؤوليات وتنسى نفسك.

المتصدي لحل مشاكل مجتمعه في تلك المجتمعات المتقدمه يلقى زخماً من التشجيع والشكر والعطاء، وكأنهم بلسان الحال يقولون: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، خلاف من تعيبهم الآية الكريمة التي تنطبق على مجتمعاتنا الاتكالية: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢٤]. من يتصدى لحل المشاكل في مجتمعاتنا يلقى الويلات، فعند حدوث أي مشكلة يحمّلونه المسؤولية وكأنه السبب فيها، وعندما يسعى لحلها وينجح في ذلك فلن تجد من يشكره ويبذل معه، إلا القليل! وويله

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٠٩/ باب مواعظ النبي ﷺ لابن مسعود.

إذا لم ينجح سعيه!!

المجتمع الطبيعي الفاعل لا يتلخص في شخص ما، أو جهة ما، أفراد المجتمع كلهم مسؤولون ومطالبون بالتحرك والعمل.

في الختام أقول: إن مجتمعاتنا بحاجة إلى الانتقال للدائرة الثالثة، يكفينا حديثاً عن الآمال والآلام، نريد عملاً، نريد حلاً لما نشكو منه. لو استخدمنا ٢٠٪ من الطاقة المبذولة في حديثنا عما نريد، وصرفناها في التفكير وإيجاد الحلول المناسبة والعمل والتحرك، لحققنا الشيء الكثير، ولأمير المؤمنين رواية جميلة نختم بها حديثنا يقول: «غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله» [1].

نأمل أن تتحرك مجتمعاتنا لتحقيق ما تتطلع إليه، وحلّ ما تعاني منه. هذا، ونسأل الله أن يجعلنا من الذين يقولون ما يفعلون، وألا يجعلنا من الذين يقولون ما لا يفعلون. وأن يوفقنا للعلم والعمل به، إنه سميع الدعاء قريب مجيب. هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) بحار الأنوار، ج١، ص١٦٠ حديث ٤٣.

لا يسخر قوم من قوم[1]

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ * وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١١].

تبدأ العلاقات الإنسانية من أول نظرة. فإذا ما نظر الشخص للآخرين وأخذ عنهم انطباعات جيدة، فلا شك في أن العلاقة ستكون سوية وطيبة.

أما إذا أخذ من نظرته هذه انطباعات سيئة وعدم ارتياح فالعلاقة ستأخذ منحى غير سليم، وكما يقول المناطقة: النتيجة تتبع أخس المقدمات.

التعامل مع الآخرين يعتمد على هذه النظرة الأولية، فإذا أقبل عليك شخص ونظرت إليه نظرة احترام وتقدير، أو كانت لك سابق علاقة طيبة معه، فإن شعورك

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن، لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٤/ ٥/ ١٤٢٧هـ.

تجاهه سيدفعك إلى حسن التعامل معه. على العكس فيما لو أخذت عنه انطباعاً سيئاً فإن تعاملك معه سيكون على أساس شعورك النفسي تجاهه.

العلاج يبدأ من الأساس:

الإسلام القويم وتعاليمه السمحة تريد أن تربي الإنسان على حسن المعاشرة والخلق مع الآخرين فذاك أدعى لترسيخ حالة الألفة والوئام في المجتمعات البشرية، لذلك فالإسلام يسعى لعلاج هذه الحالة النفسية من الأساس، يسعى لتوجيه النظرة الأولى والأحاسيس والمشاعر التي ستبنى عليها العلاقة بالآخرين من الأساس والقاعدة، فإذا ما قوي الأساس رسخ البنيان.

الآية الكريمة التي افتتحنا بها حديثنا تتحدث عن مفردة من مفردات الأحاسيس النفسية ـ إن صح التعبير ـ في العلاقة مع الآخرين وهي مفردة السخرية.

السخرية: تعني الـهُزء بالآخرين، والحالة النفسية للسخرية هي أن ينظر الإنسان إلى الآخرين نظرة دونية، نظرة احتقار وازدراء، وهذه النظرة تنعكس على ألفاظه معهم و إشاراته إليهم.

والقرآن الكريم ينهى نهياً قطعياً عن هذه الحالة السيئة لما يترتب عليها من آثار عكسية.

الإنسان السوي بطبعه فضلاً عن المؤمن ينبغي أن ينظر للآخرين نظرة احترام وتقدير كما يحب هو أن ينظروا إليه.

النظرة الدونية:

ولكن لماذا ينظر البعض للآخرين نظرة دونية؟

الآية الكريم تجيب عن هذا التساؤل إجابة موضوعية، وترى أحد سببين:

السبب الأول: أن يرى الشخص في نفسه الأفضلية على غيره.

الآية الكريمة توجه الإنسان إلى أن يتفكر في نفسه وأن يجيب عن هذا السؤال: هل تستطيع أن تقطع بأنك أفضل من هذا الذي تزدريه؟

قد يكون لهذا الشخص نقاط قوة لم تظهر لك، ولعله يصل في مستقبله إلى رتبة عالية ـ إن لم يكن في حاضره ـ أنت لا تصل إليها.

ثم هل يقبل الإنسان المؤمن أن يكون في موقع تحدٍّ مع الله تعالى؟ هناك مراتب ومنازل إلهية، ولربما نظر الإنسان إلى شخص نظرة ازدراء واحتقار، وكان هذا الشخص عند الله عظيم القدر والمنزلة، فكيف سيبرر موقفه هذا أمام الله وهو قد أهان واحتقر وليًّا من أوليائه؟

السبب الثاني: أن تتضخم عنده نقاط ضعف الآخرين.

وهل يستطيع شخص أن يقطع بأن ليس له نقاط ضعف؟ قد تنظر إلى شخص نظرة دونية بسبب نقاط ضعف تراها فيه ولعلّ عندك من نقاط الضعف ما هو أكثر وأفظع منه! وقد تكون نقاط ضعف غيرك لها ما يبررها، وكما قال الشاعر: (لعلّ لها عذراً وأنت تلومها). قد ترى شخصاً مسلماً يأكل في نهار رمضان فتعتبره عاصياً مذنباً، ولكنك لو بحثت عن السبب فقد تجده مريضاً أو مسافراً أو لأي عذر شرعي.

النساء والسخرية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ لا تسخر من شخص فلعله كان في موقعية ومرتبة أفضل منك وأنت لا تدري. ﴿وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ وهنا يُطرح سؤال: لماذا أفردت الآية كلمة نساء وخصتهن بهذا الأمر؟

هناك أحد احتمالين: الأول، أن تكون كلمة قوم عند العرب تطلق على جماعة الرجال وفي أشعار العرب ما يدل على ذلك، فتكون الآية بذلك قد خصت الرجال

والنساء. فـ ﴿ لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ أي لا يسخر رجال من رجال، كما ﴿ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ﴾.

الاحتمال الثاني، أن لفظة قوم تشمل الرجال والنساء، ولكن ورد تخصيص النساء فيما بعد لوجود هذه الظاهرة أكثر في أوساطهن سيما في تلك العصور، ولعلها لا تزال في أكثر أوساطهن إلى عصرنا هذا.

ولكن لماذا تشيع هذه الظاهرة أكثر في الأوساط النسائية؟

بعض البحوث الاجتماعية الميدانية تشير إلى أن غالب الأوساط النسائية يشتغلن ببعضهن البعض فتبرز حالة السخرية عندهن، ولعلّ من أسباب ذلك هو اهتمامات المرأة الاجتماعية والسياسية والفكرية المحدودة في أغلب المجتمعات، وهذا ما يؤدي إلى اهتمامهن بالجزئيات كما هو الحال عند الرجال الذين لا تكون عندهم اهتمامات عالية.

حتى على صعيد المجتمعات، فالمجتمع إذا كان له فكر سياسي أو ثقافي ستكون اهتماماته ضمن هذا التوجه.

السجناء مثلاً وبسبب انعزالهم عن العالم الآخر لا يحصل لهم أن ينشغلوا بالقضايا السياسية أو الفكرية فينصرفوا إلى اهتمامات أخرى كالتنافس على مكان النوم، أو الطعام، أو النقاش حول كلمة صدرت من هذا وذاك.

المجتمع النسائي سيما في مجتمعاتنا العربية غالباً لا تكون عندهن اهتمامات كبيرة فينصرفن إلى خلافات تافهة مع نظرائهن.

مشروع الزواج الجماعي عندنا يكون للرجال فقط، وقد اقترحت مرة على بعض اللجان أن يخصصوا حفلاً جماعياً موحداً للعرائس، فذكروا بأن ذلك يصعب مع المجتمع النسائي لانشغالهن بالمقارنة بين هذه وتلك من حيث الفستان والشكل، وغيرها من الأمور وقد يوقعنا هذا الأمر في إشكالات وحرج.

ربما يكون الأمر مضخماً ولكني أقول مؤكداً إنه حتى لو كان هذا الأمر موجوداً

عند نسائنا فإنه ليس لنقص ذاتي في المرأة، وإنما بسبب الظرف التي تعيش فيه، حيث لا تكون آفاق الاهتمامات العالية مفتوحة للمرأة. وبسبب تضييق المجالات المهمة التي ترقى بالمرأة تكون حالة السخرية عندهن أكثر من الرجال، ولذلك خصصن في الآية الكريمة ﴿ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ﴾.

أسباب النزول:

هناك روايات عدة يذكرها المفسرون في أسباب نزول هذه الآية الكريمة، نذكر منها:

الرواية الأولى: تقول بأنها نزلت في قوم كانوا يستهزئون بفقراء الصحابة مثل عمار، وخباب، وبلال، وسلمان، وصهيب، فهؤلاء كانوا موالي من غير القبائل القرشية، وبعض أبناء القبائل القرشية كانوا يرون أنفسهم أكفأ وأفضل منهم ولذلك يسخرون منهم ويعيرونهم فنزلت هذه الآية تنهاهم عن ذلك.

الرواية الثانية: يُذكر بأنها نزلت في عكرمة ابن أبي جهل. وأبو جهل معروف بموقفه العدائي للإسلام والدعوة وصاحبها، حتى أطلقوا عليه فرعون هذه الأمة. أما عكرمة فهو مسلم مجاهد ضد أعداء الإسلام ولكن بعض المسلمين كانوا يعيرونه بأبيه فإذا ما أقبل عليهم قالوا: جاء ابن فرعون هذه الأمة.

وهذا بالطبع فيه جرح لمشاعره، وكأنه يتحمل وزر أبيه، وهذا لا يجوز، ولذلك نزلت هذه الآية.

الرواية الثالثة: تقول بأنها نزلت في بعض أزواج رسول الله ﷺ، كانت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب وهي من أصل يهودي ثم أسلمت وصارت زوجاً لرسول الله ﷺ فكان بعض النسوة يعيرنها بأنها يهودية الأصل، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: هلا قلتي لهن إن أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد. وهناك من يذكر بأن

أم المؤمنين عائشة كانت تعيرها بقصر القامة فنزلت هذه الآية.

من هدي الأئمة:

يروى عن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام رواية جميلة في سياق هذا الهدي القرآني لعلاج هذه الحالة النفسية يقول: «اجعل من هو أكبر منك بمنزلة الوالد» ولا أحد يقبل أن يهين والده، «والصغير بمنزلة الولد» والإنسان السوي لا تسمح له نفسه بتحقير ولده، «والترب بمنزلة الأخ» أي من هو في سنك.

«فأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟ وإن عرض لك الشيطان أن لك فضلاً على غيرك فانظر إن كان أكبر منك فقل سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني»، من عنده خبرة عملية ثلاثون سنة لا يستوي هو ومن عنده عشر سنين في الوضع الطبيعي، وكذلك المؤمنون كلما تقدم بهم العمر زاد صلاحهم وعملهم الإيماني، «وإن كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فما لي أن أدع يقيني لشكي» لا أحد يرى في نفسه العصمة ولكن ليس من الصحيح أن ترمي غيرك بالخطيئة وأنت لا تعلم باطنهم، فما يعلم ذاك إلا علام الغيوب.

«وإن رأيت الناس يعظمونك فقل هذا لفضل أخذوا به» تعظيم الناس لك تفضل منهم عليك، لا يصبك الغرور والتعالي، وكما في دعاء كميل (وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته) ثم يكمل عليه السلام «وإن رأيت منهم جفاء فقل هذا لذنب أحدثته، فإنك إن قلت ذلك سهل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاؤك، وقلّ أعداؤك»، يعلمنا كيف نحسن الظن بالآخرين ونحمّل أنفسنا المسؤولية، لا أن نتهم غيرنا ونبرأ أنفسنا.

السخرية بين المجتمعات:

السخرية بين شخص وآخر أمر سيء، ولكن الأسوأ منه أن تكون بين الجماعات، جماعة تسخر من جماعة، والحال هنا تكون أشنع وأفظع لأن آثارها أشمل وأعم، ولذا

يركز القرآن على النهي عن هذه الحالة ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾.

هذه الظاهرة السلبية مع الأسف تتفشى في المجتمعات المتخلفة حيث تعتقد بعض المجاميع أنها أفضل من المجموعات الأخرى، إما لنسب أو جاه أو مال، وهذا أمر يحاربه الإسلام، ولو راجعنا كتب الفقه باب النكاح مثلاً نرى أن الإسلام يشجع الناس على أن ينظروا إلى الشخص المتقدم للزواج بذاته وليس لأنه من القبيلة الفلانية، وإن كان النسب له دور لانعكاسه على سلوك الإنسان، ولكن إذا تجاوز الإنسان هذه الانعكاسات فلا يبقى هناك مبرر. وهذه نقطة تغيب عن ذهن الكثيرين. الحسب والنسب يكون معياراً للتصور الأولي، فإذا ما ذكر لك شخص لا تعرفه وقيل أنه من العائلة الفلانية المشتهرة بالتقوى والصلاح فسيتبادر إلى ذهنك صلاحه، بعكس ما لو كنت تعرفه فالاحتمال هنا يتوقف ويتحول إلى يقين.

بعض الأحيان تكون السخرية على مستوى المناطق فتجد من يسخر من أهل هذه المنطقة وتلك وهذه حالة سيئة موجودة في كثير من المجتمعات.

أحياناً تكون السخرية على أساس المستوى الاقتصادي، فالأغنياء ينظرون إلى الفقراء نظرة ازدراء واحتقار. وفي بعض الأحيان تكون الانتماءات الاجتماعية وحتى الدينية سبباً للازدراء، وهذا من أسوأ أشكال السخرية. فتسمع كثيراً عبارات تدل على السخرية عندما يذكر شخص لا ينتمي إلى نفس الجهة، هذا من المذهب الفلاني، وهذا من الحزب الكذائي، وهذا تابع للمرجع ... وهكذا كأن القائل بهذا يرى نفسه ومن معه في الدرجة الأعلى وغيرهم في الدرك الأسفل. ومع الأسف فقد دخلت هذه الأمور في عباداتنا فجعلنا الانتماء المرجعي شرطاً لصحة الصلاة! والانتماء المناطقي مثلاً لشرط قبول شهادة الشاهد برؤية الهلال!

هذه أمور سيئة ولا ينبغي أن نقبل بها.

وقد أثبتت التجارب بأن الجماعات التي تنظر إلى نفسها نظرة نرجسية، ويرون

الآخرين أقل منهم دائماً ما يكونون أقل فاعلية وعملاً ونشاطاً، يعيشون على حرير الأمجاد السابقة. وهذه الظاهرة، بالإضافة إلى مقتها من قبل الله عز وجل، تجعل أصحابها أمام موقف محرج في ساعة الجد، سيرون أن الآخرين هم الأكفأ وهم الفاعلين، أما هم فليس لهم إلا أمجاد الماضي، وكما يقول الشاعر:

أغنى بني تغلب عن كل مكرمةٍ قصيدة قالها عمر بن كلثوم

نأمل أن تتجاوز مجتمعاتنا هذه الظواهر السيئة، وأن نتحلى بأخلاق القرآن، وأخلاق رسول الله وآل بيته الطاهرين.

وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

اللمز والتنابز من مساوئ الأخلاق[1]

قال الله العظيم في كتابه الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [سورة الحجرات:الآية ١١].

حتى تكون الأجواء في المجتمع الإسلامي صافية نقية تساعد الإنسان على التآخي والتعايش مع الآخرين، فإن الإسلام يؤكد مجموعة من الأخلاقيات التي تحفظ لكل إنسان في المجتمع مكانته واحترامه.

احترام الإنسان من قبل الآخرين يدخل على نفسه السرور، وينمي فيه احترام الناس فتصبح حالة الاحترام في المجتمع متبادلة.

أما إذا أسيء لشخص، وهذا الشخص رد الإساءة بالإساءة عندها تكون الأجواء معكرة وتنتشر فيها هذه السمة السيئة. وهنا تجد دقة القرآن الكريم في ألفاظه وعباراته

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ١١/ ٥/ ١٤٢٧هـ.

﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾!

وهل يلمز الإنسان نفسه؟

نعم يلمز الإنسان نفسه بطريق غير مباشر، فإذا لمز الإنسان غيره فهو يشجع على أن يُعامل بنفس المعاملة، ويشجع على انتشار هذه العادة في المجتمع، وبلا شك أن هذا الأسلوب سوف يستخدم معه عاجلاً أم آجلاً، من الشخص الذي أساء له أو من غيره.

الآية الكريمة تتحدث عن مفردتين من المفردات السيئة السلبية التي تسقط حالة الاحترام بين الناس، وهما (اللمز) و (التنابز).

اللمز:

واللمز هو إعابة الشخص بمحضره، وقد يكون إشارة بالرأس والعين والشفة مع كلام خفي. وهو ممارسة سيئة وعدوان وقح في التعامل مع الآخرين.

أن تعيب شخصاً بوجهه وبمحضر من الآخرين وتنتقده بكل قسوة وبلا مبالاة بمشاعره وأحاسيسه، وهي حالة تسقط شخصيته، وتهز معنوياته، وتجرح عواطفه ومشاعره وبالتالي تدفعه إلى التفكير في الانتقام، وتؤجج في نفسه غضباً وسخطاً على من وجه إليه هذه الإساءة وعلى المجتمع الذي كان شاهداً صامتاً على الاعتداء عليه.

لا يخلو إنسان من العيوب ونقاط ضعف، فكل إنسان في هذه الحياة معرض لذلك، يقول الإمام الشافعي في الشعر المنسوب إليه:

لسانك لاتذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك معايباً فصنها وقل ياعين للناس أعينُ

كما أن للآخر نقاط ضعف، فلك مثل الذي له ولربما أكثر، فلا تنظر وتذكر عيوب غيرك ناسياً أن لك عيوباً وللناس أعيناً ينظرون بها إلى عيوبك، ولهم ألسن يتحدثون بها عنك.

تعاملك مع الناس سوف ينعكس عليك، فتعامل معهم بالحسنى.

إذا رأيت عيباً من أحد فحاول أن تنصحه وتوجهه بمفرده لا أمام الناس حتى لا يظن بأنك تريد الإنقاص من شأنه وتحقيره، فذاك يؤجج نيران العداوات ويوقظ الفتنة.

التنابز:

والنبز هو إطلاق الألقاب السيئة المستهجنة على الآخرين، وهو أمر سيء لا يرتضيه أحد، والأسوأ إذا كان الأمر بين الجماعات ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا يلقب بعضكم بعضاً بلقب سيء يغضب ويؤجج الطرف الآخر، وفي بعض الأحيان قد يؤدي ذلك إلى نشوب حالة من القطيعة والاحتراب.

التنابز بين الأفراد:

كثيراً ما كنا نرى كيف يطلق شخصٌ مَّا لقباً على شخص آخر بسبب شجار أو سخرية أو لأي سبب، ويبقى هذا اللقب سمة له يلاحقه أينما حلّ، ولربما حتى بعد موته!

اعتاد الناس على هذا الأمر دون أن يتنبهوا إلى آثاره السلبية على النفس وعلى المجتمع، دون أن يدركوا أن هذا الأمر يدخل في التنابز بالألقاب الذي ينهى عنه القرآن الكريم.

يلقبون شخصاً لعلّة فيه، كالعرج فيدعونه بالأعرج ولا يعرف بعدها إلا بهذه التسمية، وهناك شواهد كثيرة ولها شهرة كانت سبب تسميتهم إما لمرض أو لعاهة في المظهر كالأعرجي، والأصمعي، والجاحظ، أو لحادث معيّن كالمبّرد العالم النحوي الكبير.

أطلقت على بعض الأشخاص ألقاب أصبحوا يعرفون بها، وصارت أسماء عوائل، يتجرع مرارتها الأبناء حتى اليوم.

التنابز بين القبائل والجماعات:

يبدو أن هذه العادة كانت منتشرة في الجاهلية حيث كانت بعض القبائل تحاول أن تفتعل لقباً للقبيلة الأخرى سيما إذا كان بينهما تنافس أو نزاع بمناسبة أو بدون مناسبة، ويثيرون غضبهم بذلك اللقب، وفي بعض الأحيان كانت تثور حروب بسبب تلك الألقاب كما هو الحال للقبيلة التي أطلق عليها لقب (أنف الناقة) لسبب أو لآخر، فكانوا يغضبون وينزعجون وحصلت من جرّاء ذلك مشاكل ونزاعات إلى أن تنبّه أحد شعراء هذه القبيلة فقال لهم: إلى متى ونحن نعيش هذه المشكلة؟ فلنتقبل هذا اللقب بنفس راضية ونحوله إلى نقطة إيجابية فأنشأ قصيدة قال فيها عن قبيلته:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم وهل يساوى بأنف الناقة الذنب

ولا شك أن الأنف أشرف من الذنب.

هذه الحالة كانت متداولة في المجتمعات الجاهلية وبقيت آثارها في المجتمع الإسلامي، ونجد هذه الحالة موجودة في مختلف المجتمعات التي يتحفّز بعضها للإساءة لبعض ويطلقون على بعضهم ألفاظاً إما ذات إيحاءات دينية أو سياسية أو اجتماعية من أجل أن تبقى هذه الصفة ويعاب بها أهلها كلما ذكروا.

هذه الحالة السلبية، ويا للأسف، متجذرة في بعض مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وكثيراً ما تسببت في خلق نزاعات وخلافات بين أهل بلد وآخر وجماعة وأخرى.

في الأوساط الدينية:

الإنسان المسلم المتدين عنده كتاب قيّم يعلّمه التحلي بالخلق الكريم، وعنده من التعاليم الإسلامية الكثير التي تجعل منه إنساناً في أعلى مراتب الكمال لو اتبعها ونفذها. فكيف يكون عذره إذا ساء خلقه مع الآخرين، والأمر الأشد ضراوة أن يكون ذلك باسم الدين والدفاع عنه!

كان يطلق مثلاً على أتباع أهل البيت لقب (الرافضة، أو الروافض) من قبل

مناوئيهم وذلك للإنقاص من شأنهم واستثارتهم، وقد كان ذلك يؤذيهم ويزعجهم حتى إن الإمام جعفر بن محمد الصادق، ومن باب التخفيف عنهم ومواساتهم وتهدئتهم حتى لا يستدرجون لمثل هذا الأمر، كان يقول: «ما لهم ولكم؟ وما يريدون منكم، وما يعيبونكم؟ يقولون الرافضة، نعم، والله رفضتم الكذب واتبعتم الحق...»[1].

ولكن يبقى هذا اللقب نبزاً للشيعة من قبل الآخرين وهو لا يجوز ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، ولكن مع الأسف لا يزال هذا اللقب رائجاً عند الأطراف الأخرى نسمعه في الإذاعات ووسائل الإعلام، ونقرأه في بعض الفتاوى والكتب الدينية!

يطلق مثلاً على أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب لقب (الوهابيون) وهم ينزعجون من هذا اللقب ويعترضون عليه ويعتبرون أنفسهم سلفيين أو أهل السنة والجماعة، كما أن غيرهم ينزعج من إطلاق تلك الألقاب عليهم، فليكن الاحترام متبادلاً.

وفي داخل المذهب الواحد تجد الأمر قائماً حيث تطلق فئة على فئة أخرى من نفس المذهب لقباً تريد أن تنقص من قدرهم وتحقرهم، هؤلاء الناس أتباع فلان من الناس، وهؤلاء الكذائيون أتباع الحزب والتوجه الكذائي.

أن تنسب جماعة إلى مرجع معيّن أو قائد لهم، أو إلى توجههم هذا لا يعيب، بل إن كل إنسان يفتخر بما هو تابع له، ولكن أن يكون قصدك الإنقاص والتحقير فهذا لا يجوز، ولا يقبل من إنسان مؤمن، وعيب أن يسود في أوساطنا الدينية.

ينبغي أن نكف عن هذا الأمر، وأن نتنبه إلى آثاره السلبية التي تجرّ لنا الويلات.

الأثر السيئ:

هذه الحالة السلبية ينبغي مكافحتها في المجتمع حتى يعيش الناس حالة احترام متبادل فيما بينهم وهو أهم ما ينبغي أن يشعر به الإنسان، فإذا لم يحترم المجتمع أفراده فأين

(١) بحار الأنوار: ج٢٦، ص٣٦ حديث٦٦.

يجدونه حينئذ؟

ومن هنا إذا درسنا عمق المشكلة النفسية عند الإنسان الشرقي الذي يعيش حالة من الضعف والذلّ والهوان سنجد أن السبب في ذلك أنه اعتاد على الأمر بشكل طبيعي، وصار يواجه إذلالاً مفروضاً عليه، وبلا مبالاة! حتى اسمه وفي صغره يصغّر وفي ذلك انتقاص من شأنه، فمن اسمه علي مثلاً يسمى (علووه) حسن (حسنوه)، وهكذا!

حتى عندما يكبر ويدخل المدرسة يعامل بالذلّ من حيث أساليب التربية الخاطئة، كالضرب والإهانة والتوبيخ القاسي، كان الأب في السابق يذهب بابنه إلى المعلم ويوصيه: خذه لحماً وأرجعه لي عظماً!

أي ربّيه كيف تشاء، المهم أن يتعلم!

وفي المجتمع يواجه الطفل هذا الأمر مع من يخالطهم، فكيف نتوقع منه أن يكون قوي الشخصية وأن يكون ذا معنويات رفيعة وثقة عالية! بينما نجد في المجتمعات المتقدمة عكس ذلك، بل قبل ذلك في تعاليم الإسلام وآدابه، حيث كان الأئمة يكنون أطفالهم وينادونهم بكناهم، ويأمرون الناس بذلك ففي الحديث: «كنّوا أطفالكم حتى لا يسبقكم أصحاب السوء إلى تسميتهم».

ينشأ الطفل وهو يرى من حوله ينتقصون منه ولا يعطونه أهمية تذكر، ولذلك عندما يبلغ تجده يتذمر ويتمرد ليثبت أن له شخصية ورأياً ولا يقبل الإقصاء، وتلك نزعة نفسية. وقد تكون ثورته هذه متأخرة بعد أن أخذت أساليب التربية في طفولته مأخذها منه.

حتى تسمية الأطفال عندنا تنم عن الانتقاص من شأنهم كما يقول أحد الكتاب والباحثين فالبعض يسمون الطفل (عَيّل)، والبعض (وِرع)، وأفدح الأسماء كما هو عندنا (جاهل) ! وكلها أسماء تقترب من نفس التعريف الضعف والقصور والجهل.

من المهم جداً أن نشعر بالمسؤولية تجاه بعضنا البعض، فاحترام أبناء المجتمع

لبعضهم هو تعزيز لقيمتهم في ذاتهم حتى الصغار، أما إذا أهان كل واحد الآخر فبالتالي يعيش الجميع وضع الإذلال والهوان، فهذه الآيات الكريمة تنبهنا إلى هذه الحقيقة ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

نسأل الله أن يلبسنا أثواب العزّ والكرامة، وأن يجمّلنا بحسن الخلق ومحبة الناس.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله الطاهرين.

حسن الظن وأثره في العلاقات الاجتماعية[1]

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية١٢].

يحكم الإنسان على الأشخاص والأحداث التي تمر عليه بحكم معيّن، إما بالإيجاب، أو بالسلب، وهو في ذلك ينطلق من إحدى حالتين: إما بالعلم، أي أن عنده من الأدلة والشواهد ما يثبت به رأيه. وإما بالظن، أي إنه يبني حكمه على التخيلات، والاحتمالات التي قد تكون صحيحة أو غير صحيحة.

الأصل في الإنسان العاقل أن يبني أحكامه ومواقفه على العلم، كما يقول تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ حينما تريد أن تحكم على شخص معيّن، أو أمر ما، فعليك التأكد والتثبت من صحة الأدلة والبراهين، القاضي مثلاً لا يصدر حكماً إلا إذا توفرت

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٤٢٧هـ.

له الأدلة والبراهين التي يدّعم بها حكمه. والعالم الفقيه لا يعطي فتواه إلا بعد مراجعة الأدلة التي يحتاجها لاستنباط الحكم الفقهي للمسألة. وهذا يعطينا منهجية واضحة بيّنة لما ينبغي أن يمارسه الإنسان المسلم في كل تفاصيل وجزئيات حياته عندما يريد أن يحكم على شيء معيّن. الأحكام ينبغي أن تبنى على أسس علمية.

أما أن يحكم الإنسان على شيء بغير علم، معتمداً على الأوهام والاحتمالات فهو منهج خاطئ، غالباً ما يؤدي بالإنسان إلى الانحراف عن جادة الصواب، فيضر نفسه وغيره.

الظن:

فالظن هو ما يختلج في النفس من تصور تجاه شخص أو حدث معيّن، وليست هناك أدلة وبراهين تثبته، وهو مثل الوهم والشك، ومتى ما وجدت الدلائل والبراهين تحول الظن إلى علم ويقين.

ولأن الظن يبقى متأرجحاً بين النفي والإثبات، بين الصحة وعدمها، لذا ينهى القرآن الكريم عن اتباع الظن والتعويل عليه في الحكم على الآخرين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾. ولكن ما معنى قوله تعالى بعض الظن إثم؟ هل يعني أن بعضه الآخر ليس إثماً؟

المفسرون هنا يقولون إن كثيراً من الظن هنا ليست في مقابل قليل من الظن، فالآية هنا لا تقول خذوا فقط بعشرين بالمائة من الظن واجتنبوا الثمانين مثلاً، فهذا لا يتناسب مع توجيه الآية.

كثير من الظن هنا تعني الظنون السيئة، فكلها ينبغي اجتنابها، وكأن مضمون الآية الكريمة يفصح عن أن الظنون التي تساور الإنسان تجاه الآخرين إما أن تكون حسنة وإما سيئة، ولكن أكثرها سيئة لذا ينبغي اجتنابها، أي اجتناب الظنون السيئة وكلها داخلة في

دائرة الإثم، أما الظنون الحسنة فلا إشكال فيها بل لا ينبغي اجتنابها لأنها توطد العلاقة بالآخرين.

الإثم:

أكثر الظنون سيئة، وكل ظن سيء إثم، فماذا يعني الإثم؟

بعض العلماء يرى أن الإثم هو العقوبة، ولكن الإشكال هنا؛ كيف يعاقب الإنسان على ما حصل له بغير اختيار، فالظن ليس حالة اختيارية؟

ثم قالوا بأن العقوبة تقع مع ترتيب الأثر، فالظن بحدّ ذاته، وإن كان سيئاً، ما لم يصاحبه أثر يدل عليه فلا عقاب فيه، أما إذا أساء شخص ما ظناً بآخر فسبّه أو ضربه أو أساء إليه فهنا يكون مأثوماً.

وبعض العلماء المحققين أشاروا إلى أن الإثم هنا يعني المفسدة والسوء، وليس العقوبة، وهكذا يندفع الإشكال الذي أثير حول هذه الآية الكريمة.

الظنون السيئة:

يمكننا تقسيم الظنون السيئة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الظن بوقوع ما هو سيء بدون دليل وبرهان، بل بناء على احتمالات وأوهام، فيطلق حكماً على هذا أو ذاك بدون دليل قاطع. يضيع مني شيئ مثلاً فأتهم شخصاً لهاجس خطر ببالي دون أن أثبت ذلك بدليل قاطع، وهذا أمر لا يجوز فأصل التصور فيه ظلم لمن اتهمته، وترتيب الأثر عليه هو ظلم آخر.

القسم الثاني:

إساءة الظن من مقصد فعل هو في حدّ ذاته ليس سيئاً: كأن أرى إنساناً يعمل عملاً ظاهره الحسن إلا أنه قابل للتفسير حسب مقصده ولكني وبدون دليل أسيء الظن في

غايته. كأن أتهم إنساناً يصلي بأنه يرائي دون أن يكون عندي دليل وكأنني شققت عن قلبه، أو اطلعت على نيته.

التشكيك في غايات الناس أمر سيء ولا يجوز، وهو ظلم وادعاء بغير علم.

القسم الثالث:

إساءة الظن من مقصد فعل هو في حدّ ذاته سيئاً ولكنه يحتمل التبرير: كأن ترى شخصاً يعمل عملاً ظاهره السوء ولكن يحتمل أن يكون له مبرر شرعي وبدون أن تضع هذا الاحتمال تشكك في أمره وتسيء الظن فيه.

ترى شخصاً مسلماً يأكل في نهار شهر رمضان وهذا بلا شك عمل محرم، ولكن هناك احتمال أن يكون هذا الشخص مريضاً أو مسافراً، أو له عذر ما، فلا يجوز أن تتهمه جزافاً بدون دليل.

من أجل أن تكون علاقتنا مع بعضنا حسنة، فلا بد أن نحمل بعضنا على حسن الظن.

كما هو الحال في القضاء مثلاً، فإذا كانت هناك دعوة أمام القضاء فإن وجود احتمال معيّن يلغي وجود الدليل وكما يقول العلماء (وجود الاحتمال يسقط الاستدلال).

من وصايا أهل البيت:

هناك نصوص كثيرة تؤكد أهمية حسن الظن بين الناس وتحذّر من إساءة الظن بالآخرين وذلك بأصالة الصحة والإباحة وحمل عمل المسلم على الصحة، مثال ذلك أن تذهب إلى القصاب لتشتري منه لحماً فهناك احتمال بأن يكون الذبح غير شرعي ولكن لا يصح أن تحمله على هذا المحمل.

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله حرم على المسلم دمه وماله وعرضه

وأن يظن به السوء» [١] إساءة الظن بالآخرين كالاعتداء عليهم وسرقة أموالهم وهتك أعراضهم، فكلها أمور منهي عنها شرعاً. إلا أن سوء الظن اعتداء معنوي، والاعتداء على دماء الناس وسرقة أموالهم وهتك أعراضهم اعتداء مادي.

والأسف كل الأسف أن الاعتداء على سمعة الناس وخدش شخصياتهم أصبح أمراً طبيعياً عندنا، وهو خطأ كبير!

يروى عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كلمة يحذّر فيها من سوء الظن، وأن الشخص الذي يحمل هذه الصفة لا يستطيع أن يصنع علاقات سليمة مع الناس: «من لم يحسن ظنه استوحش من كل أحد» [٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث يقول: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبه» فأنت مطالب بتفسير أي عمل بأحسن تفسير إلا أن تكون هناك أدلة قاطعة أو ما يرجح الاحتمال السيئ بشكل واضح فلا ينبغي أن يكون الإنسان ساذجاً أيضاً.

ثم يكمل: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا»[٤] إذا سمعت كلمة من أحد وهي تحتمل السوء بنسبة أكبر من الخير، فأنت مطالب بحملها المحمل الحسن.

وقال ذات مرة وهو يجيب سائلاً عن المسافة بين الحق والباطل وكما يروى أنه وضع أصابعه الأربعة بين عينه وأذنه ثم قال: «ما رأته عيناك فهو الحق وما سمعته أذناك فأكثره

---

(١) المولى الكاشاني: محمد بن المرتضى/ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، ج٥، ص٢٦٨/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

(٢) ميزان الحكمة، ج٥، ص٦٢٨.

(٣) صحيح البخاري، ج٤، كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، ح ٦٧٢٤.

(٤) بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٩٦ حديث١١.

باطل» [١] فقد يكون هناك شهود عدول أو بينة لكن في غير هذه الحالة فأكثره باطل.

وعنه عليه السلام: «اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً» [٢].

وينقل عن أحد العلماء هذه المقولة: (لو رأيت شخصاً وبيده قدح به خمر وهو على فمه يرتشف منه فإنك يمكن أن تحمله على أنه مجرد مضمضة أو أنه لم يعلم أنه خمر).

هكذا يربي الإسلام الإنسان على أن يكون حسن الظن بالآخرين، ولا شك أن هذا يتعلق بالشخص الذي ظاهره الصلاح لكن من يضع نفسه في موضع التهمة أو أنه معروف بذلك فهنا الخواطر تتوارد بشكل طبيعي في نفوس الناس وسيرته السابقة هي التي تؤكدها.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء وسلامة صدره» [٣].

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «حسن الظن راحة القلب وسلامة الدين» [٤]، فالإنسان ينبغي أن ينظر إلى الناس نظرة إيجابية سليمة، وهناك روايات أخرى وكثيرة على هذا الصعيد.

حسن الظن وحاجتنا إليه:

ما أحوج مجتمعاتنا إلى الأخذ بحسن الظن، سواءً على المستوى الفردي أو بين الجماعات، فنحن نواجه مشكلة في العلاقة بين الجماعات، كل جماعة تسيء تفسير تصرف الجماعة الأخرى، ولعلّ تصرفاً فردياً يصدر من أحد الأفراد فيحسب على الجماعة بأكملها وهذا غير صحيح، من أخطأ هو من يتحمل المسؤولية.

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٦ حديث٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٤ حديث٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٩٦ حديث١٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، ص٣٣٨.

ترى من يحكم على عمل ما بأنه حسن ويدعمه بكل قوة ما دام من قام به شخص من دائرته، ولكن متى ما قام شخص ما بنفس العمل ولكنه من دائرة غير التي ينتمي إليها فالحكم هنا يكون بالعكس.

ينبغي لكل إنسان مؤمن عاقل أن يتجاوز هذه الحالة وينظر إلى الآخرين نظرة إيجابية، ولو جال في خاطره تصور خاطئ على شخص ما فعليه أن لا يبنيَ عليه موقفاً قد يضر أو يسيء به إلى الآخر، فذاك إثم وظلم نهى عنه الشرع القويم، ويرفضه العقل السليم.

نأمل من الله العظيم أن يوفقنا للتحلي بمكارم الأخلاق، التي ترقى بنا نحو الكمال، حتى نظهر بالوجه المشرق للإسلام.

وصلى الله على محمد نبينا الحبيب وآله الميامين وسلم تسليماً كثيراً.

التجسس وهتك أسرار الآخرين[1]

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢].

من أجل بناء علاقات اجتماعية يكون أساسها الألفة والانسجام بين الناس، لا بد من بناء قاعدة أخلاقية صلبة تحفظ الاحترام المتبادل بين أبناء المجتمع، وتحمي حقوق الأفراد والجماعات من أي إساءة أو عدوان.

تقول الآية الكريمة: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ نهي صريح واضح عن التجسس.

والتجسس هو البحث بوسيلة خفية، وهو مشتق من الجس، ومن يقوم بهذا العمل يطلق عليه جاسوس. أي إن مهمة الجاسوس أن يبحث عن الأخبار الخاصة للآخرين.

إن كل إنسان له كيانه الخاص ومنه تكون له آراء خاصة، وتصرفات وممارسات

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٤٢٧هـ.

خاصة، لا يحب أن يطلع عليها أحد، ولا يحق لأحد أن يهتك عليه حرمته سعياً وراء معرفة أسراره وما يريد إخفاءه، هذا ما تنهى عنه الآية الكريمة.

كتمان الأسرار لماذا؟

إنما يتقصد الإنسان إخفاء أشياء وجوانب من حياته لأحد الأسباب التالية:

إما لأنها تمثل نقاط ضعف، ولا أحد يرغب في اطلاع الآخرين على عيوبه.

قد تكون نقاط قوة، ولكن يخشى أن يطلع عليها أحد فيفسدها أو يضرها. قد يفكر الإنسان في مشروع اقتصادي، وإذا ما أذاعه أو أُذيع من قبل غيره أُخذت فكرته وسبقه للعمل بها غيره، وكذلك الحال في المجال السياسي، والاجتماعي، أو أي مجال آخر، وعندنا نصوص تشجع الإنسان على كتمان أموره الخاصة.

قد يرى الإنسان في إخفاء أموره الخاصة راحة له، كعلاقاته مع زوجته، مع أولاده، تماماً كمظهره أمام الناس، فهو يظهر أمامهم بكامل زينته، ولكنه في بيته قد يتخفف من كثير من ملابسه. وهذا حق مشروع لكل إنسان.

التنقيب في الأسرار لماذا؟

قد يسعى الإنسان بوسائل البحث الخفية لمعرفة أسرار وخواص شخص ما من باب التطفل والفضول، وهي عادة سيئة.

التلصص على الآراء والأفكار وهو ما يطلق عليه التفتيش العقائدي أو الفكري، يسعى لمعرفة فلان من الناس في ماذا يفكر؟ وما رأيه في القضية الفلانية؟ من أجل تصنيفه من أي توجّه هو ليتخذ منه موقفاً. يقول رسول الله ﷺ: «إني لم أُأمر أن أنقّب عن قلوب الناس»[1].

التفتيش في نيات الناس لا يجوز، وهو يجر إلى عداوات، كما يقول الإمام

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص٤٢.

الصادق عليه السلام : «لا تفتش الناس عن أديانهم فتبقى بلا صديق» [١] .

وقد يكون السبب وراء معرفة خاصّيات الآخرين هو معرفة نقاط ضعفهم وعيوبهم، وهو من أشد أنواع التجسّس حرمة.

وسائل التجسّس:

مع تطور العلم تتطور وسائل التجسس، وقد أصبحت في متناول الجميع، وأصبحت مصدر إدانة. ذات مرة كنت أحل قضية اجتماعية بين زوجين، الزوجة كانت تقول بأن عندها شريط تسجيل يدين زوجها، والزوج كذلك يدعي تسجيلها وإدانتها، كل واحد منهما عمل فيها مخبراً على الآخر! وهذا من أسوء العلاقات الزوجية، علاقة تبدأ بسوء الظن، وتندفع إلى التجسس، وهذا حرام شرعاً.

لا يحق لأحد كائناً من كان أن يتجسس على غيره، لا الأب على أولاده، ولا الزوج على زوجته أو العكس، قد يستثنى جانب التربية، ولكن أيضاً هناك تحذير فقد يؤدي الشك واستخدام الوسائل الملتوية إلى نتائج عكسية، وردود فعل سيئة.

الجوال الذي هو في أيدي الكثير حتى الصغار، فيه آلة تسجيل سمعية ومرئية، ولكن استخدام هذه الوسائل من أجل إدانة الآخرين ونشر نقاط ضعفهم وعيوبهم لا يجوز. كل إنسان له الحق في إخفاء ما يريد إخفاءه وواجبك الشرعي أن تحترم هذا القرار.

من هدي الرسالة:

نصوص كثيرة وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين تنهى عن التجسس وتؤكد حرمة الناس، وحرمة التعدي عليها، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «لا تتبعوا عثرات المسلمين، فإنه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله

(١) المصدر السابق، ص٤٤.

عثرته يفضحه» [١] .

تتبعي لنقاط ضعف الآخرين، وتتبع الآخرين لنقاط ضعفي يؤدي إلى تفشي هذا الأمر السيئ، أو أن الله تعالى وعن طريق الغيب يسلط على الجاسوس من يفضح عوراته ونقاط ضعفه كما فعل بغيره، وفي ذلك رادع له ولغيره.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام : «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما» [٢] ، في بعض الأحيان قد يكون عندك صديق، وبحكم هذه العلاقة يطلعك على بعض أسراره وخصائصه، ولكن البعض يسيء استخدام هذا الثقة ويفتح له سجلات لحفظ هذه الأسرار حتى إذا ما نشبت بينه وبين صديقه عداوة فتح سجله السري وأفشى ما فيه. وهذا من أقبح الممارسات، والإمام الباقر عليه السلام يعتبره على درجة قريبة من الكفر.

عن عبدالله بن سنان قال: قلت للإمام جعفر الصادق عليه السلام : «عورة المؤمن على المؤمن حرام؟

قال: نعم.

قلت: تعني سفلية؟ أي عورته الجسدية.

قال: ليس حيث تذهب إنما هي إذاعة سره.»

وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام يقول: «تتبع العيوب من أقبح العيوب، وشر السيئات». وقال: «من بحث عن أسرار غيره أظهر الله أسراره».

ومن الأساليب السيئة في هذا المجال أن ترى شخصين يتحدثان ولا يريدان أن يسمع أحد حديثهما، فتوجّه سمعك لتسمع ما يهمسون به. إنك كما تحب أن تحترم أسرارك فعليك باحترام أسرار غيرك، جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «من استمع إلى حديث

(١) المصدر السابق، ص٤٣.

(٢) المصدر السابق، ج٨، ص٤٠٣.

قوم وهم له كارهون يصب الله في أذنيه الآنك».

استثناءات في حرمة التجسس:

النصوص السابقة وغيرها الكثير تؤكد حرمة الناس واحترام أمورهم الخاصة، ولكن السؤال هنا: هل التجسس بمطلقه حرام؟

هناك استثناءات لحرمة التجسس وأبرزها:

تجسس الدولة على موظفيها في مجال عملهم: من حق الدولة بل من واجبها أن تراقب أداء الموظفين لأعمالهم كديوان المراقبة مثلاً هذا أمر مشروع، وكان رسول الله ﷺ عندما يبعث جيشاً يعيّن عليه أميراً، ويعيّن مراقباً يتتبع أخبار هذا الأمير وطريقة إدارته ويوافي رسول الله ﷺ بالخبر. أمير المؤمنين كذلك كان يأمر مالك الأشتر أن يراقب أداء الموظفين ويتجسس عليهم في مجال أدائهم لوظيفتهم، شريطة ألا يتعدى الأمر إلى الأمور الخاصة.

التجسس على الأعداء: في أي عصر من العصور لا بدّ أن يكون للدولة الإسلامية جهاز رقابي وظيفته متابعة ما يحاك للأمة الإسلامية من مؤامرات من قبل الأعداء، سواء العدو الداخلي أو الخارجي. من الخطأ أن تتعامل الأمة مع الآخرين ببساطة وسذاجة، فذلك يضعف قوتها.

التجسس على الأشرار ومن يسيئون لأمن الناس: إذا علمت الدولة أن هناك لصوصاً وعصابات تفسد وتعتدي على أمن الناس وأعراضهم، هنا يجب على الدولة أن تسعى لكشف هذه العصابات عبر نظام معيّن بحيث لا تنتهك فيه الخصوصيات إلا بمقدار الحاجة.

والمقصود بالأعداء هنا هم من يريدون السوء بالناس والوطن، لا من يكون عندهم رأي مخالف للدولة، المعارضة السلمية لا يجوز للدولة أن تتجسس عليهم. هناك

نصوص كثيرة مضمونها أن على الوالي أن يحفظ أسرار الناس ولا يتطلب معايبهم، في عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر: «وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإن للناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك». وهذا يعني أن ليس من حق الدولة التجسس على المعايب الشخصية للرعية. إنسان يمارس ذنباً بينه وبين نفسه لا يتعدى به على حق الغير فليس من حق الدولة مراقبته ولا أي جهة من الجهات، وإن كانت جهة دينية.

وقد كتب الفقهاء بحوثاً حول هذه الأمور وخاصة في هذه السنوات بعد أن وصل الإسلاميون إلى مناصب في السلطة أصبحوا معنيين بدراسة موضوع الاستخبارات من قبل الدولة ما يجوز منه وما لا يجوز.

الفقيه الشيخ المنتظري حفظه الله في كتابه دراسات في ولاية الفقيه، كتب بحثاً مستفيضاً في هذا المجال، وكذلك الشيخ الفقيه جعفر السبحاني حفظه الله في كتابه معالم الحكومة الإسلامية، والمرجع الراحل السيد الشيرازي رحمه الله في كتبه عن الدولة الإسلامية وسياستها أشار إلى هذا الموضوع وأن التجسس على أسرار الناس في أصله حرام، ولكن ما يستلزمه حفظ النظام وحفظ مصلحة الدين والمجتمع والأمة فهو جائز ضمن الضوابط الشرعية.

ما يهمنا أكثر هو التجسس في العلاقات الفردية والاجتماعية، وقد بينا أنه أمر سيء وقبيح وحرام شراعاً وكما أكدت ذلك الآية ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ وهو نهي صريح عن فعل هذا الأمر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم للالتزام بتعاليم دينه، والأخذ بمكارم الأخلاق، إنه ولي التوفيق والحمد لله ربّ العالمين.

الغيبة وآثارها على المجتمع[1]

قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢].

لا شيء أهم من أن يعيش الإنسان في مجتمعه آمناً على نفسه وماله وعرضه، ذلك لأن الإنسان شخصٌ وشخصية. وإذا كانت سلامته الجسمية والمالية هي قوام شخصه ووجوده المادي، فإن سلامته المعنوية وحفظ سمعته هي قوام شخصيته المعنوية والاجتماعية، لذلك فإن الإسلام بقدر ما يشدد على حرمة الإنسان فيما يرتبط بجسمه وماله فإنه أكثر تشدداً بالنسبة لما يرتبط بحرمة مكانته وجاهه وسمعته.

إن الإنسان إذا كان يعيش في مجتمع يواجه فيه اعتداء جسمياً فإنه بالتأكيد لا يحس

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي: من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس سماحته بالقطيف بتاريخ ٣/ ٦/ ١٤٢٧هـ.

بالأمن والاستقرار، وكذلك لو تعرض إلى اعتداء على مكاسبه المادية كنهب منزله، أو سلب أرضه، أو سرقة أمواله فلن يحس بالأمن والاستقرار، وكذلك الحال لو انتهكت كرامته وسمعته، بمعنى أنه يتعرض للتجريح والتشهير فهذا أيضاً لا يحس بالأمن في ذلك المجتمع، ومجتمعات كهذه لا تجذب من يعيش فيها ولا ترغبهم في حبها والانتماء إليها.

المجتمعات الغربية بالرغم من أن الفلسفة السائدة فيها هي فلسفة مادية لكنها وضعت قوانين تحفظ حقوق الناس في بعديها المادي والمعنوي، فكما أنه لا يستطيع أن يعتدي على مال الآخر لأنه سيكون تحت طائلة القانون، كذلك فإنه لا يستطيع أن يعتدي على سمعة الآخر، لأنه سوف يكون تحت طائلة القانون أيضاً، ولذلك عندما ترفع دعوى على شخص ما، ويثبت بعدها أن الحق معه، فإنه يقوم برفع دعوى يطالب فيها بالتعويض وإعادة الاعتبار عن الأذى المعنوي الذي تعرض له.

الغِيبة:

تؤكد تعاليم الإسلام هذا الجانب بصورة كبيرة، فاحترام أموال الناس وممتلكاتهم وأعراضهم وسمعتهم على حدٍّ سواء، تقول الآية الكريمة ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ نهي صريح عن الاعتداء على شخصية الآخر بالتحدث عنه بما يسوء إليه ويشوه سمعته وهو ما يسمى بالغيبة.

من ضروريات الدين كما يتفق على ذلك جميع المسلمين حرمة الغيبة، والقول بأنها عمل محرم، وأنها من كبائر الذنوب التي ورد التشديد على تركها، وتوعّد من يقوم بها ويفعلها بالنار والعذاب الشديد، فالآية الكريمة تؤكد ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي لا يمارس بعضكم هذا العدوان على الآخر، فالغيبة حرام في المجتمع المسلم، بل يمكن القول في المجتمع الإنساني بشكل عام، ثم تأتي الآية الكريمة بمثال يوضح بشاعة الغيبة،

وهي تشبيه من يغتاب غيره بأكل لحم أخيه ميتاً، أرأيت الإنسان الذي يجلس أمام جنازة أخيه ثم يتناول منه لحماً ويأكله! هل تحس وتشعر ببشاعة هذا المنظر؟ هكذا هو حال من يذكر غيره بسوء في ظهر الغيب، والصورة واضحة لأن أكل لحم الميت هو اعتداء على من لا يقدر الدفاع عن نفسه، وذكر الغير بسوء في غير محضرهم حيث لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، يشبه ذلك تماماً. فالغيبة – باعتبار أنها مأخوذة من الغياب – هي التحدث عن عيوب الشخص في غيابه، وهنا لن يستطيع الدفاع عن نفسه. أي كأنها حالة انتهاز غياب الغير بالتحدث عنه بما يكره دون أن يدافع عن نفسه، كانتهاز جسد الميت وأكله وهو لا يستطيع المقاومة.

الآثار السيئة للغيبة:

يعرف العلماء والفقهاء الغيبة بتعريفات عديدة، لعلّ أرجحها: ذكر عيوب مستورة لإنسان غائب. أحياناً يتجاهر الإنسان ببعض الصفات السيئة فذكره بها لا يعد غيبة، لأنه لم يستر عيبه. وأحياناً يكون للإنسان عيب وبالرغم من ممارسته له، إلا أنه لا يحب أن يظهره، ولا يحب أن يذكره أحد به، فإذا ما أعبته بما يكره في ظهر الغيب فقد اغتبته، وهذا لا يجوز لما يترتب على ذلك من أمور:

- إن هذا الأمر يعد عدواناً على سمعة وشخصية المذكور.
- تعود الإنسان على هذا الأمر، إذا ذكرت شخصاً ما بسوء، ستذكر آخر، وهكذا سيكون الأمر مستساغاً عندك، وكما في تشبيه الآية الكريمة، لو أكلت لحم ميت مرة، سيكون أكله مستساغاً في غيرهن من المرات، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تعود نفسك على الغيبة فإن معتادها عظيم الجرم» [1].
- تلويث أجواء المجتمع بما هو سلبي، والمساعدة على انتشاره، فعندما تتحدث

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ج٢، ص٣٢٧.

عن عيب فلان من الناس فإن حديثك عن عيبه يرسخ العيب في أسماع الناس فيتطبعوا به، حتى تسمع عمن يغتابك، كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تَغتب فتُغتب» [١].

- التسبب في رد فعل الآخر، فمن يُغتب قد يصله الكلام بشكل أو بآخر، فيسعى للانتقام، أو الدفاع عن نفسه، مما يجعل المجتمع ساحة للصراع والعداوات وانتشار البغضاء.
- معصية الله، وحرق الحسنات بالسيئات، والتنازل عن أعمالك الحسنة لغيرك في يوم أنت بأشد الحاجة إلى تلك الأعمال لتثقل بها ميزان أعمالك، فقد ورد حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى بأحد يوم القيامة، يوقف بين يدي الله، ويُدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته! فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإني لا أرى فيه طاعتي! فيُقال له: إن ربك لا يضِل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يُؤتى بآخر ويُدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هذا كتابي فإني ما عملت هذه الطاعات! فيُقال: لإن فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك» [٢]، وهذا ما يهون الأمر عند المستغاب، لأن حقه محفوظ عند الله. ولذلك إذا قيل لشخص أن فلاناً من الناس قال عنك كذا وكذا فإنه إن كان شخصاً عادياً يغضب، ولربما عامل بالمثل، ولكنه إذا كان مؤمناً لا يهتم بالأمر، ولربما صفح عمن أساء إليه.

حديثهم نور:

يتعجب الإنسان من تشديد النصوص الدينية على مسألة الغيبة، وهنا يدرك اهتمام الشرع بحفظ سمعة الآخرين ومكانتهم المعنوية في المجتمع، ولذلك نجد روايات كثيرة

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٤٩ حديث١٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٥٩ حديث٥٣.

عن النبي وأهل البيت تنهى عن الغيبة وبكل شدة:

رسول الله ﷺ في خطبة الوداع، ونحن نعلم ما لهذه الخطبة من أهمية حيث ركز فيها رسول الله ﷺ على القضايا الأساس التي تهم الأمة، يقول: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا وبلدكم هذا» [١] والأعراض تعني المكانة المعنوية للأشخاص.

ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أبغض الخلائق إلى الله المغتاب» [٢] .ويروي الصحابي الجليل أبو ذر الغفار عن النبي ﷺ في وصية له أنه قال: «يا أبا ذر، إياك والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا. قلت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأن الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تُغفر حتى يغفرها صاحبها» [٣] فالغيبة جريمة من بُعدين فهي معصية لله تعالى، وعدوان على شخص ما. وهناك روايات أخرى على هذا الصعيد منها: «أن الله تعالى قال لموسى: من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار » [٤] ، وحديث آخر عن الرسول ﷺ أنه قال: «ترك الغيبة أحب إلى الله من عشرة آلاف ركعة تطوعاً» [٥] .

مجالس الغيبة:

ما هو واجب المؤمن عندما يحضر مجلساً يسمع فيه غيبة للآخرين؟

هناك مجالس سِمَتُها غيبة الآخرين، كأن شغلهم الشاغل تتبع عثرات الغير، ومع الأسف أنك تجد مثل هذا الأمر في الأوساط الدينية وذلك بسبب اختلافاتهم في الرأي،

---

(١) المصدر السابق، ج٢٣، ص١٦٥ حديث ١١٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ج١، ص١٩٥.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٨١.
(٤) مستدرك الوسائل ج٩ ص ١٢٦ حديث١٠٤٣٨..
(٥) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٦١ حديث٦٦.

أو تضارب مصالحهم، فيقوم البعض بذكر معايب الآخرين وكأنما غاب عن بالهم أن هذا الأمر من أعظم المحرمات.

بعض المتدينين يرى في نفسه زهواً لأنه لا يشرب الخمر، ولا يزني، ولا يمارس أياً من الكبائر، وعندما يرى أو يسمع عن غيره أنه ابتلى بمثل هذه المعاصي، يحمد الله أن نجاه منها، ولكنه يذكر مساوئ الآخرين ويشبعُ غيبة لهم، وما كأن هذا الأمر من الكبائر، وأنه لا يقل عن الذنوب الأخرى، بل كما يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي ذكرناه سابقاً: «الغيبة أشد من الزنا».

إذا حضرت مجلساً كهذا فما هو واجبك؟

قد تكون منزهاً عن ممارسة الغيبة، ولكنك الآن تعرضت لاستماع الغيبة من الغير، فما يكون موقفك؟

الفقهاء يؤكدون أن استماع الغيبة إثم كقولها، إذا استمعت إلى من يستغيب شخصاً ما، وسكت على ذلك، ولم تدافع عن أخيك المؤمن، كنت شريكاً في هذه الغيبة.

ولذا يتوجب عليك أن ترد الغيبة، وأن لا تقبل بها، البعض يتعذر بالحياء، وهو عذر غير مقبول، إذا دعيت على شرب كأس من الخمر، فهل يكون الحياء مبرراً لك لشربه؟ وإذا ما رأيت من يأكل لحم ميت ودعاك لمشاركته، فهل يكون الحياء مبرراً لك لتشاركه، أو تسكت عنه؟

البعض إذا نهيته عن ذكر الآخرين بسوء، ودفعت الغيبة التي يلهج بها، يقول لك: إن ما أقوله صحيح! وهذا ليس مبرراً للغيبة، فالغيبة ذكر الشخص بما هو فيه، في ظهر الغيب.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة» [1] وعنه ﷺ قال: «إذا وُقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً

(١) ميزان الحكمة، ج٧، ص٣٥٣.

وللقوم زاجراً وقم عنهم» [1] . لا ترض لنفسك أن تجلس في مجلس الغيبة، لأنه مجلس منكر.

حكى لي بعض الأصدقاء أنه كان قبل أيام في مجلس أحد العلماء الأجلاء، فتحدث أحد الحاضرين عن عالم من العلماء بسوء، فغضب ذلك العالم، ونهره عن مثل هذا الحديث، وقال له: إذا كنت تتحمل عقاب مثل هذا الأمر فأنت حر، لكنا لا نتحمل ذلك، فلا تعد إلى مثل هذا الأمر في مجلسنا. وهذا هو الموقف الصحيح.

نسأل الله تعالى أن يجملنا بالخلق الحسن، وأن يمّن علينا باحترام حقوق الآخرين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) كنز العمال، ج٣، ص٥٨٦.

سماحة الشيخ الصفار يؤكد أن الخطيب جزء من منظومة تعاني العجز والتقصير في مهرجان الجمري بالبحرين[1]

إجماع على ضرورة تطوير الخطاب الحسيني مرحلياً

مثقفون يعالجون قضايا «المنبر» في مهرجان الجمري

بوري- مالك عبدالله، عبدالله الميرزا

أجمع المنتدون في ندوة «المنبر الحسيني بين الواقع والطموح» على ضرورة تطوير أساليب المنبر الحسيني مع الحفاظ على الضوابط الشرعية، مؤكدين أن المنبر الحسيني حافظ على بقاء مفاهيم وحوادث واقعة الطف على مدى القرون الماضية وأنه بدأ في الخروج من انعزاله الذي فرض عليه إلى الانفتاح على العالم الخارجي.

---

(١) الوسط: صحيفة يومية بحرينية، العدد ١٢٢٠، الأربعاء ٢٨ فبراير ٢٠٠٦م الموافق ٣٠ محرم ١٤٢٧هـ.

يذكر أن الندوة أقيمت ضمن فعاليات مهرجان الملا عطية الحسيني الأول الذي ينظمه مأتم الإمام الباقر في بوري ويتميز بحضور لافت للكثير من الكوادر والنخب المثقفة والمفكرين من أنحاء الوطن العربي.

ويضم المهرجان فعاليات مستمرة بالإضافة إلى الندوات هي معرض الكتاب ومسرحية تتناول حياة الملا عطية ومجالس الخطابة الحسينية.

جمال: لا بدّ من حوار مباشر بين الخطيب والمستمع

أدار الندوة التي عقدت في الليلة الثالثة من عمر المهرجان النائب الكويتي عبدالهادي صالح الذي أشاد بمستوى المهرجان وفكرته.

وبدأ الحديث بعده المفكر الكويتي عبدالمحسن جمال متناولاً في ورقته محور «أفكار نحو تطوير المنبر الحسيني»، تحدث فيها عن نسب الإمام الحسين، كما تحدث عن صفاته وشجاعته. ثم قال: «لتطوير وتجديد عطاء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام علينا أن نسلك طريقين هما الاستمرار في الأسلوب التقليدي والقراءة الحسينية التي أصبحت معلما من معالم التراث الإسلامي وعطاء الثقافة والفكر والفقه مع التركيز على طرح القضايا المعاصرة، وتناول قضايا الساعة بأسلوب حديث وحوار شيق إذ لا بدّ من طرح النهضة الحسينية بواقعنا المعاصر»، مشيراً إلى أن «بعض الخطباء يقتصر على رواية الجانب التاريخي وهو على أهميته إلا أن الأكثر فائدة هو ربطها بواقع المسلمين، ومن أهم وسائل المنبر الحسيني المطلوبة هي دعوته للوحدة الوطنية في المجتمع كما أنه لا بد من تحديد فترة مخصصة أو ساعة محددة من كل ليلة للحوار الحر والمباشر بين الخطيب والحضور».

أما عن الطريق الآخر لتطوير المنبر الحسيني فاقترح جمال «التفكير في أساليب جديدة ومتطورة للاستفادة من حادثة الطف، متمنياً أن يكون هناك مؤتمر فكري سنوي عالمي يتناول الجوانب الفكرية من نهضة الإمام الحسين، مع تغيير العناوين بشكل سنوي».

الهاشمي: الثورة الحسينية ولدت كاملة منذ اللحظة الأولى.

من جانب آخر تناول عالم الدين والمفكر الإسلامي السيد كامل الهاشمي في ورقته بعنوان «خطاب المنبر في البحرين»، تاريخ المنبر وسماته وإعادة تركيبه ومتطلبات تطوير المنبر الحسيني، مشيراً إلى «أن وجود المنبر الحسيني شكل حالة متميزة وفريدة، حتى إنه يمكن اعتبار المنبر الحسيني الآلية الإعلامية الأولى والأساسية التي اعتمدتها الطائفة من أجل التذكير الدائم والمستمر بقضيتهم التي تبنوها وأعطوها أولوية استثنائية منذ لحظة حدوثها»، موضحاً «أنه من المؤكد الذي لا يختلف عليه الباحثون والمؤرخون أن خطاب المنبر الحسيني لم يوجد إلا كإفراز تالٍ للثورة الحسينية من حيث النشأة الزمنية والتاريخية، وعلى رغم حدوث بعض التغييرات الكبيرة والمهمة على مضمون الخطاب وأساليبه وتقنياته ولكن ظل الحدث المأسوي لكربلاء هو محورها».

وأضاف الهاشمي «لا تأتي فرادة القضية الحسينية في فجاعتها غير المسبوقة في التاريخ أو حجمها الرمزي والديني ولا في منهجيتها الفريدة ولكن في استمرارها حية في النفوس حتى بعد انتهائها وهي لم تكتسب هذا البعد إلا من خلال المنبر الحسيني»، مستعرضاً الصفات النمطية لخطاب المنبر الحسيني في البحرين، ومتطلبات تطويره. كما لفت الهاشمي إلى أن تنظير «الثورة الحسينية تنظير إلهي في العمق، أي إنها ولدت كاملة منذ اللحظة الأولى، وغاية ما في الأمر أنها تمشي عبر برنامج بإمكاننا أن نسرّع أو نبطئ من وتيرة حركته».

الصفار: الخطيب جزء من منظومة تعاني العجز والتقصير

أما آخر المتحدثين في الندوة فكان عالم الدين السعودي المفكر الشيخ حسن الصفار، الذي قدم له عريف الندوة عبدالهادي صالح بنبذة موجزة عن إنجازاته، فقد تحدث عن ٥ عناصر اعتبرها مهمة في مسيرة الخطاب الحسيني. وذكر الصفار في بداية حديثه البعد

العاطفي لخطاب المنبر الذي اعتبر أنه «لا بد من بقائه ليبقى انشداد الأمة نحو أهل البيت ﷺ ولكن الكلام في أسلوب هذا الخطاب العاطفي الذي لا يلجأ إلى الموضوعية و يعتمد على روايات غير منقحة بغية الإثارة العاطفية، فهذا الجانب بحاجة إلى تشذيب لأنه لا بد من ذكر المأساة على حقيقتها».

وانتقل الصفار إلى بعد آخر هو البعد المعرفي مشيراً إلى أن «المنبر هو الوسيلة المتاحة الوحيدة سابقاً، لكنه ليس كذلك اليوم، وبالتالي ينتظر منه أن يكون قوياً أمام التحدي الثقافي والمعرفي في هذا العصر، والمنبر وسيلة مهمة من أجل تصحيح أنماط السلوك غير أنه لا يقوم بهذا الدور المطلوب بالمستوى المطلوب في كثير من الأحيان».

ثم تطرق الصفار إلى بعد التوجيه والتعبئة الجماهيرية مبيناً أنه على رغم كون المنبر يخاطب الجمهور فإنه ليست هناك رسالة واضحة للجمهور والمنبر، لا بد أن يتوجه إلى الصعيد العام وليس إلى طائفة معينة.

ثم عرج الصفار إلى الدفاع عن الخطيب الحسيني قائلاً: إن الخطابة هي جزء من الحالة الدينية وليست كل شيء فيها، فهناك المرجعية والإدارات المؤسسية الدينية والحوزات العلمية والعلماء والمثقفون، كل هؤلاء يحتاجون في عصرنا هذا إلى إعادة النظر في حركتهم الإدارية وترتيب الأوراق، وبالتالي فإن الخطيب لا يتحمل كل المسؤولية في الخلل الذي يعيشه المجتمع. لأنه جزء من المنظومة التي تعاني من العجز والتقصير ولا يصح لوم الخطباء وحدهم. كما بين أن الخطباء تنقصهم الرعاية العامة فهم يعتمدون على جهودهم الذاتية من دون وجود بيئة مساندة كالجامعات أو المعاهد أو غيرها.

وختم الصفار حديثه بالإشارة إلى انعدام الضمان الاجتماعي للخطيب واعتماده الكلي على صاحب المأتم الذي يبقى مرتهناً لرغبته فيه. ثم ألمح إلى أن عاطفية الجمهور هي التي تحدد هوية الخطيب في كثير من الأحيان وذلك يحتاج إلى نظر.

خلال محاضرته بالرميلة... الشيخ حسن الصفار[1]

عناصر الفساد تعددت وتنوعت في وقتنا الحاضر

حمزة بوفهيد - العمران

استهل الشيخ حسن بن موسى الصفار محاضرته التربوية التي ألقاها ببلدة الرميلة[2] بمدينة العمران مؤخراً أمام حشد كبير من الشباب، بالآية القرآنية: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [سورة مريم: الآية ٥٩].

وبعد الآية الكريمة بدأ المحاضرة حيث قال: يود الإنسان المؤمن أن يكون أولاده صالحين، والمجتمع المسلم يرغب أن يكون الجيل الجديد من الناشئة سائرين على طريق الدين لكن المسألة لا تتحقق بمجرد التمني والرغبة وحدها لا تكفي، لأن هناك ظروفاً يعيشها الأبناء والشباب والبنات تؤثر على حياتهم وتوجيههم، فإذا لم تتهيأ الأجواء

(١) اليوم: صحيفة يومية سعودية، العدد رقم ١١٩٨١ بتاريخ ٦/ ٣/ ١٤٢٧هـ الموافق ٤/ ٤/ ٢٠٠٦م.

(٢) ألقيت المحاضرة في حسينية الإمام الخوئي ببلدة الرميلة ليلة الخميس الموافق ٣٠/ ٢/ ١٤٢٧هـ.

المناسبة للصلاح والإصلاح فلا يتحقق للأبناء ما نتمناه لهم.

وقارن الصفار بين عناصر الفساد في الماضي التي وصفها بالبساطة عنها في وقتنا الحاضر التي تعددت وتنوعت، وقال: بدأنا نرى توجهات غربية لأولادنا على مستوى الوطن كله.

وأبدى دهشته من وجود ظواهر سلوكية سيئة متنوعة في المملكة وهي التي يدرس أبناؤها المنهج الديني في جميع مراحل التعليم، بشكل كبير وهو أوسع منهج على مستوى العالم الإسلامي، و تساءل الصفار: كيف تنتج هذه الظواهر السلوكية السيئة من الشباب؟

كذلك تطرق الصفار في محاضرته إلى عدد من الإحصائيات حيث قال: قرأت إحصائية عن المحاكم الشرعية في المملكة، هذه الإحصائية لحوادث القتل حيث إنها في الماضي كانت الحوادث التي تصل إلى المحاكم تعد بالعشرات فقط ولكن في عام ١٩٩٨م أي قبل سبع سنوات وصلت إلى ٦٤٠ حالة في السنة الواحدة، وامتدت أعمال العنف للعمالة الأجنبية وتعرضهم للضرب والسرقة على أيدي الشباب.

وبيّن الصفار أن انتشار المخدرات، هذا المرض الفتاك كان في السابق نادراً ما تجد شاباً متورطاً في المخدرات أما الآن بتاريخ ٢٢ محرم في إحدى الصحف المحلية قال مدير مستشفى الأمل بالدمام يراجعنا يومياً ١٦٠ مدمن مخدرات، وأضاف الصفار: هذا ما يخص المخدرات غير حالات المعاكسات والممارسات السيئة بين شباب المجتمع.

وأرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها: غياب دور الأسرة والتفكك العائلي وذلك بانشغال الأبوين عن رعاية الأبناء مما نتج عنه توجه الشباب والفتيات للفضائيات الهابطة ورفقاء السوء ومواقع الإنترنت المشبوهة.

أما مناهج التعليم فقد قال عنها: مناهج التعليم والتثقيف الديني مفيد وشيء نافع ولكن لا بدّ من دراسة التجربة ونتائجها، والمناهج بحاجة إلى إعادة نظر وتطوير ولا

ينفعنا حشو أبنائنا بالمعلومات الدينية، وقال: إن التربية الدينية تركز على الحفظ أكثر مما تركز على الفهم وبناء السلوك القويم، وقال: الحمد لله فيه توجه لإعادة النظر في المناهج لتكون قادرة على تربية المواطن الصالح و الإنسان المستقيم.

أيضاً تحدث عن الإعلام بأنه النافذة الكبيرة وما تنقله وسائل الإعلام من أنماط السلوك الغربي يشجع على الانحراف، وأوضح الصفار: بأن هناك مؤسسات ضخمة في العالم تشجع على تعاطي المخدرات التي هي أربح ثاني تجارة في العالم بعد تجارة الأسلحة حيث تصل أرباحها إلى ٥٠٠ بليون دولار، وأشار إلى أن الفساد والدعارة والانحراف الجنسي هناك مؤسسات كبيرة تدعمها لبث سمومها.

وفي الجزء الأخير من محاضرته شدد على حاجة الشباب لخطاب جديد يهتم بتثقيف الشباب حول همومهم وإيجاد برامج لاحتواء الفتيات والشباب وقال: لا بد من وضع برامج عمل حقيقية لمواجهة المخدرات وحوادث العنف والإجرام والسلوك الأخلاقي الذي يبث من خلال الفضائيات والإنترنت.

الشيخ الصفّار يستضيف متعافين من الإدمان على المخدرات

القديح: حسين الشيخ

استضاف سماحة الشيخ حسن الصفّار في مكتبه مساء يوم الخميس ليلة الجمعة الموافق ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ عدداً من أعضاء برنامج زمالة المدمنين المجهولين، وهي عبارة عن «مجتمع عالمي قائم على أساس تجمّع من مدمني مخدرات متعافين، ولدى هذا التجمّع ما يزيد عن ٣٣٥٠٠ اجتماع في أكثر من ١١٦ دولة على مستوى العالم».

وقد تأسس برنامج زمالة المدمنين المجهولين في السعودية عام ١٩٩٣م، وذلك عندما قام خمسة من المدمنين المتعافين بالاجتماع على طريقة زمالة المدمنين المجهولين، وكانت أول مجموعة للزمالة قد قامت في مدينة الظهران بالمنطقة الشرقية من السعودية. وقد أصبح لها فرع في محافظة القطيف في مدينة الأمير نايف الرياضية.

بعد ذلك توسع عمل المجموعة وأصبحت المجموعات المسجلة رسميًّا في المكتب

العالمي بشكل مستمر ومنتظم ١٠ مجموعات موزّعة في عدد من مدن المملكة، وتعقد هذه المجموعات حوالي ٥٠ اجتماعًا أسبوعيًا لحوالي خمسمائة مدمن متعافٍ.

وقد بدأ الشيخ حسن الصفّار الجلسة بكلمة ترحيبية بيّن فيها خطورة مشكلة تعاطي المخدرات، والدور الفعّال الذي تقوم به مثل هذه المجموعات في معالجة مرض الإدمان، ومما جاء في كلمته:

«إن المجتمع يواجه تحديات كبيرة وخطيرة، وأهمها تلك التي تستهدف عقول وسلوك ونفسيات أبناء المجتمع، وهذه التحديات لها انعكاساتها على تقدّم المجتمع، لأن أي تقدّم لأي مجتمع لا ينمو ولا يتقدّم إلا بتقدّم الإنسان فيه، ولذلك فأهم عمل يقوم به الإنسان هو بناء ذاته وأفراد مجتمعه وحمايتهم من الفساد والانحراف.

ومن أهم تلك المشكلات السلوكية ما نواجهه اليوم من خطر انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات، هذه المشكلة التي لو تجاوزنا مسألة الذنب والحرمة الشرعية فيها والتفتنا إلى مساوئها لكان ذلك كافٍ للارتداع عنها ومحاربتها، إنها تحوّل الإنسان إلى شخص أسير لهذه اللذة الوهمية، وذلك حينما تتمكّن الرغبة من نفسه وجسمه.

ومشكلة تعاطي المخدرات لا تقتصر في آثارها السلبية على المدمن فقط، بل على من يحيط به، ويصبح وبالاً على أسرته ومجتمعه، حيث تحوّله الحالة الهستيرية التي تصيبه إلى إنسان فاقد للوعي ولكل مقوّمات الإنسانية فيه، ومستعدّ لتقديم أي شيء مقابل الحصول على الجرعة المخدرة.

هذا بالإضافة إلى أنه يصبح عرضةً للعدوى لأي مرض خطير كالإيدز، أو للموت، بسبب الحقن المستعملة في محيط المدمنين.

لذلك فإننا ـ للقضاء على هذه المشكلة الخطيرة والآخذة في الانتشار ـ بحاجة إلى أن تتشكّل لجان ممن وقفوا على المشكلة وجرّبوا النضال للتخلص منها، لأنهم خير من يستطيع أن يدرك حجم وخطر هذه المشكلة، وخير من يستطيع أن يمدّ يد العون لمن لا

زال واقعًا تحت تأثير آفة الإدمان.

وقد استجاب لهذه الحاجة الاجتماعية الماسّة مجموعة من المدمنين المتعافين وشكّلوا لجان في عدّة مناطق من المملكة، ويشاركهم في هذا الهمّ إخوة لهم في مملكة البحرين وغيرها من الدول.

يحاولون في تجمّعهم هذا أن ينقلوا تجربتهم إلى الذين لا يزالون يعيشون هذه الحالة المرضية الخطيرة، فيتعاملون مع المدمن كمريض ويساعدونه من أجل الوصول إلى ساحل الشفاء».

بعد هذه الكلمة الترحيبية قام الإخوة من أعضاء برنامج زمالة المدمنين المجهولين من البحرين بالتعريف بأهداف وآلية عمل البرنامج واللقاءات التي يعقدونها مع بعضهم، وبعض العقبات التي تواجه المدمن حتى يتخلّص من مرض الإدمان، والتي من أهمها هو عدم تقبّل المجتمع للمدمن، ومعاملته كمجرم، بينما من المفترض أن يُعامل كمريض، ويوفّر له الدعم المعنوي والترحيب الاجتماعي حتى يتعافى ويرجع فردًا منتجًا في مجتمعه.

بعد ذلك تفضّل الأخ مصطفى من أعضاء جماعة الخطّ المستقيم (أحد فروع برنامج زمالة المدمنين المجهولين) بالقطيف بالتحدّث عن تجربتهم في تأسيس الجماعة بمدينة الأمير نايف بن عبد العزيز الرياضية بالقطيف.

وتحدّث عن زيارته لسجن الدمام والجلوس مع الموقوفين بسبب الإدمان على المخدرات ونَقَلَ عن السجناء ازدياد ظاهرة تعاطي المخدرات، وما يعانيه المجتمع في المنطقة من خطر توسّع هذه الظاهرة ما لم يجد حلولاً للقضاء على هذه الظاهرة أو الحدّ منها.

وممن تحدّث عن تجربته الأخ عبد المحسن من الأحساء، حيث ذكر أن بداية تعاطيه المخدّر كان بسبب إصابته بمرض الأنيميا المنجلية، فذكر أنه للتخفيف من آلام هذا المرض

يعطى المريض بعض أنواع المخدّر، التي لو أكثر المريض من تناوله فسيدمن عليه، وهذا ما حصل له، حتّى منّ الله عليه بالالتحاق ببرنامج زمالة المدمنين المجهولين وتعافى.

كما تحدث أحد من عافاهم الله من هذا البلاء عن تجربته المريرة مع الإدمان على المخدرات ومدى معاناة أمه وعائلته، وكيف أنه فقد أخاه الأصغر منه سناً بسبب تناوله لجرعة زائدة من المخدرات، وأبدى عتابه للمتدينين في قريته والذين كانوا يقابلونه بالتجهم والرفض مع أنه كان في حاجة لمن يمد له يد الإنقاذ، وكرر حمده لله تعالى على أن وفقه للتوبة والإقلاع.

وبعد أن شارك الحضور بمداخلاتهم وأسئلتهم شكر سماحة الشيخ حسن في النهاية للمشاركين حضورهم، وخصوصًا الضيوف من مملكة البحرين والاحساء.

وقد حضر اللقاء جمع من المواطنين معظمهم من فئة الشباب وكان تفاعلهم جيداً عبر الأسئلة والمداخلات.

الشيخ الصفار في مؤتمر بيروت: آليات الوحدة والتقريب ووسائل تحقيقها

نص الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر العالمي لتكريم الإمام شرف الدين في بيروت [1] يوم الخميس٢١ ربيع الآخر١٤٢٧هـ الموافق ١٨مايو٢٠٠٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

السادة العلماء

(١) أقيم المؤتمر العالمي لتكريم الإمام شرف الدين في قصر الأونسيكو ببيروت، خلال الفترة ١٧-١٩ أيار/ مايو ٢٠٠٦م.

الأخوة الأعزاء

الأخوات الكريمات

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

سأترك الورقة التي كتبتها جانباً، وهي بعنوان (الإمام شرف الدين وثقافة التسامح) لأنها مطبوعة وستصل إلى أيديكم، أرجو أن تنال شيئاً من اهتمامكم وأن أستفيد من ملاحظاتكم على ما ورد فيها.

واغتناماً لفرصة هذا الجمع الطيب وأجواء الحديث عن الوحدة والتقريب بين أبناء المذاهب الإسلامية، باعتبار أن الإمام شرف الدين في طليعة حملة هذه الرسالة، ورواد هذا النهج الوحدوي في عصرنا الحديث.

بهذه المناسبة أودّ أن أتحدث عن قضية مهمة ترتبط بهذا الموضوع، أرى أنها لم تنل حظها من البحث والتركيز.

وهي قضية آليات الوحدة والتقريب ووسائل تحقيقها.

إنه لا يوجد أمة تتحدث عن الوحدة في أدبياتها وعلى ألسنة قادتها الدينيين والسياسيين أكثر من الأمة الإسلامية، في ذات الوقت ليس هناك أمة تعاني من التمزق والخصام مقدار ما تعاني الأمة الإسلامية.

فبينما استكملت معظم الأمم بناء وحدتها الداخلية، وتجاوزتها منطلقة لإنشاء أحلاف وتكتلات إقليمية ودولية، كالاتحاد الأوربي وحلف الأطلسي، يعجز أبناء الأمة الإسلامية عن تحقيق الحد الأدنى من الوحدة والتفاهم داخل أوطانهم، و ضمن المذهب الواحد!

ترى ما هي أسباب هذه المفارقة؟

لعل من أبرز الأسباب في نظري: أننا ننشغل كثيراً بالكلام عن الوحدة كمفهوم وفكرة عامة، وكعنوان وشعار عريض، ولا نقترب من الحديث عن آليات وأدوات

الحالة الوحدوية.

إننا لا نجتهد في وضع خارطة طريق توصلنا إلى الوحدة والتقارب، ولا نبحث في الخطوات العملية التي يجب اتخاذها لإنجاز الهدف المطلوب.

وبذلك تبقى الوحدة حلماً نتطلع إليه، وأملاً ننشده، دون أن نصل إلى تحقيقه أو نقترب منه.

إن افتقاد الآليات وخارطة السير، أبقى الساحة شاغرة أمام من يعلقون الوحدة والتقارب على حلول تعجيزية، حيث يطرح بعضهم أن وحدة الأمة لا تتحقق إلا بعودة دولة الخلافة الإسلامية، التي تلغي الحدود السياسية، وتسقط كيانات الأنظمة الحاكمة، وتقيم سلطة مركزية على رأسها خليفة، يعيد للعالم عصر الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية.

وهناك من يربط الوحدة بظهور إمام أو قائد واحد تجمع عليه الأمة، بمختلف بلدانها ومذاهبها.

بينما يرى البعض أن أخذ جميع المسلمين بمذهبه والتزامهم بمنهجه هو الطريق الوحيد لاجتماع الأمة ووحدتها.

وأمثال ذلك من الطروحات التعجيزية الأسطورية التي لا يمكن تحقيقها حسب معادلات الواقع، كما أن تجارب الشعوب والأمم الأخرى تكشف عن طرق وبرامج أكثر واقعية وأقرب للتحقيق، فأمم الأرض وشعوب العالم المعاصر لم تحقق وحدتها بمثل هذه الطروحات.

أعتقد أن من أهم الآليات التي ينبغي التفكير فيها، وإقامة المؤتمرات لبحثها، وتوجه العلماء في بحوثهم الفقهية والعقدية لمعالجتها، هي أربع آليات، نلحظها من خلال تجارب سائر الأمم في تحقيق وحدتها، وهي كالتالي:

أولاً: تحقيق مفهوم المواطنة: التي تساوي بين الناس الذين يعيشون على

أرض واحدة، في ظل نظام سياسي واحد، وإن اختلفت أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم.

هذا المفهوم الجديد في هذا العصر لم يأخذ حقه من البحث في اهتماماتنا الفكرية والفقهية، وبقينا نتعامل مع الوطنية والمواطنة باعتباره مفهوماً وافداً أجنبياً دخيلاً على حياتنا، وبالتالي لم نحدد مواقفنا تجاه تفصيلاته ومستلزماته.

لا نريد أن نستشهد بالمواطنة في الدول الكبرى الغربية كأمريكا ودول أوربا التي تخوض معنا أو نخوض مع إداراتها صراعاً، وبيننا وبينها مساحات كبيرة فاصلة، ولكننا يمكن أن نستشهد ببلد آسيوي قريب منا هو الهند، الذي يزيد عدد سكانه على المليار نسمة، وفيه من تعدد الأعراق والأديان والقوميات والمذاهب واللغات ما يجعله حالة تكاد تكون مميزة في العالم، ففيه خمس عشرة لغة رسمية إلى جانب أربعة وعشرين لغة محلية أخرى، وينتمي سكانه إلى حوالي عشر ديانات، والأغلبية هم الهندوس ويشكلون ٨٢,٦٪ ثم المسلمون ١١,٤٪ ثم المسيحيون ٢,٤٪ ثم السيخ ٢٪ إن رئيس جمهورية الهند الآن شخص مسلم هو (عبدالكلام) منذ سنة ٢٠٠٢م، ورئيس الوزراء من الأقلية السيخية هو (مانموهان سينغ) منذ عام ٢٠٠٤م، ورئيس البرلمان من الحزب الشيوعي هو (تشاتيرجي)، ويعيش الهنود على تنوعهم عرقياً ودينياً في ظل نظام يساوي بينهم في حقوق المواطنة، ولا يخلو واقعهم من حدوث بعض المشاكل بين الجماعات والأقوام كأي مجتمع بشري، لكن القانون العام لديهم قائم على أساس نظام المواطنة.

إنهم يديرون حياتهم ويشقون طريقهم نحو التقدم الصناعي والتكنولوجي، وقد قامت الهند بأول تفجير نووي عام ١٩٧٤م، وفرضت نفسها عضواً في النادي النووي، وقبل مدة وجيزة وقعت مع أمريكا اتفاقية للتعاون النووي خلال زيارة الرئيس الأمريكي جورج بوش للهند مطلع مارس ٢٠٠٦م.

ومثال آخر هو سنغافورة التي يتكون شعبها من أربع مجموعات عرقية: صينيين

٧٥٪، ماليزيين ١٥٪، هنود – باكستانيين ٧٪، أوربيين ٢٪. كما تتعدد فيها الديانات إلى ست ديانات هي: البوذية والطاوية والكونفوشية ٥٤٪، الإسلام ١٨٪، المسيحية ١٣٪، الهندوسية ٤٪، وتتعدد فيها الأحزاب السياسية حيث تصل إلى عشرين حزباً مسجلاً رسمياً.

ومع هذه التعددية تعيش سنغافورة استقراراً داخلياً، ووئاماً وانسجاماً بين هذه الأعراق والديانات، وينشط الجميع في صنع تجربتهم الوطنية المتقدمة وبناء واقعهم الاقتصادي المتطور.

والسؤال الذي يفرض نفسه: لماذا تعيش هذه الأمم في ظل نظام المواطنة، الذي يحقق بينهم المساواة والمشاركة في الحقوق والواجبات، والتنمية والبناء، بينما يتعذر علينا في غالب بلداننا مثل ذلك؟ ونعيش صراعات عرقية ودينية ومذهبية وسياسية؟

إن بعض أوساطنا الدينية لا تزال تنظر بارتياب لواقع الأوطان والدول القائمة ضمن الحدود السياسية في العالم الإسلامي، وتعيش صراعاً بين المفهوم الديني للوطن الذي يتسع لكل شبر من الأراضي الإسلامية، وبين الواقع المعاش في ظل الدولة القومية.

كما أن التفاوت في بعض الحقوق والواجبات بين المسلم وغيره في الدولة الدينية الإسلامية الذي يطرحه الفقهاء ضمن أحكام أهل الذمة، لا يزال عائقاً نظرياً أمام فكرة المواطنة والمساواة.

والأسوأ من ذلك وجود حالات من التمييز الرسمي الطائفي بين المواطنين المسلمين في بعض البلدان الإسلامية، الذي يستمد تبريراته من فقه وثقافة مذهبية. وكذلك توجد حالات من التمييز العرقي والقومي بين المواطنين المسلمين في بعض الأوطان الإسلامية بسبب معادلة الأكثرية والأقلية.

إننا بحاجة لمقاربة هذه المشاكل الواقعية ومعالجتها نظرياً ضمن أبحاث العلماء

والفقهاء، وطرح الرأي الشجاع الجريء الذي يمكّن الاجتماع الإسلامي من تجاوز حالة الفرقة والصراع، ويهيئ أرضية التقارب والوحدة.

أما الدعوة إلى التقارب ورفع شعارات الوحدة في ظل واقع يعاني فيه الناس من التمييز والتفاوت، وانعدام المساواة، فلن يحقق أي إنجاز أو نتيجة، ولن يوقف الخلافات والصراعات.

ثانياً: تبني قضية حقوق الإنسان، ومناقشة وثيقة حقوق الإنسان المعتمدة دولياً، والاتفاقيات الملحقة بها، وتسليط الأضواء عليها برؤية دينية إسلامية، وإذا كان هناك تحفظ على مادة أو مادتين مثلاً، فلا يصح تجاهل كل تلك الجهود، خاصة وأن مجتمعاتنا بحاجة ماسّة لتفعيل هذه القضية، إن إغفال الاهتمام بحقوق الإنسان هو الذي يفتح المجال لتيارات التطرف والتشدد، وللتوجهات التعصبية، التي تسيء فهم الدين، وتمارس العدوان على الحقوق المادية والمعنوية للمخالفين لها في الدين أو المذهب أو الاتجاه الفكري والسياسي. إن هذه الجهات لا تعترف ولا تلتزم بالحقوق الإنسانية لمخالفيها، وقد تهدر دماءهم أو تستبيح حرماتهم المادية والمعنوية.

إن فقهاءنا في الحوزات العلمية وفي رسائلهم العملية، يصرفون جهداً كبيراً في بحث مسائل الطهارة والنجاسة والعبادات، وهو جهد مطلوب يشكرون عليه، لكن قضايا حقوق الإنسان لم تنل من جهودهم واهتمامهم بمقدار ما تحتاجه في الساحة الداخلية وعلى المستوى العالمي.

وحين يكون هناك إقرار رسمي وديني واجتماعي بحقوق الإنسان فإن ذلك يكرّس حالة الاحترام المتبادل، ويساعد على الابتعاد عن حالات الإساءة والعدوان، وذلك هو ما يصنع أجواء التقارب والوحدة.

ثالثاً: إقرار التعددية الفكرية والسياسية، فمشكلة الأوساط الدينية أنها تخلط بين اعتقادها بأحقية معتقدها، وبين الإقرار بحق الآخرين في تبني معتقداتهم، إن اعتقاد أي

جهة بأنها على الحق والصواب أمر طبيعي، لكنها يجب أن تعرف وتعترف بأن الآخرين ينظرون لأنفسهم كذلك، ويرون أنهم على الحق والصواب.

وإذا كان الله سبحانه لم يأذن لأنبيائه أن يفرضوا دينه ورسالته على الناس، وقصر مهمتهم على البلاغ والتذكير ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾. بل دعاهم للاعتراف بحرية الآخرين في أديانهم ومعتقداتهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

فكيف يحق لأي جهة أن تفرض رأيها أو وصايتها على الآخرين؟ أو تصادر حريتهم في الاعتقاد أو التعبير عن الرأي؟

إن القبول بالتعددية الفكرية مبدأ مهم، نفتقده مع الآسف في أوساطنا الدينية ليس بين المذاهب فقط، وإنما حتى بين المدارس والتيارات داخل المذهب الواحد.

وكذلك الأمر في الشأن السياسي، فلا زالت غالب أوطاننا تخضع لسياسة الرأي الواحد والحزب الواحد، ولا مجال للمعارضة ولا لتعدد الأحزاب والتوجهات السياسية.

إن القمع الفكري والسياسي لا يحقق الوحدة كما قد يتوهم البعض بل يؤسس للصراع والاحتراب، وما قد يظهر على السطح من وحدة قسرية، هو غطاء رقيق لبراكين وحمم غاضبة تستقر في أعماق المجتمع لا تلبث أن تنفجر عند أول فرصة سانحة.

بينما يوفر إقرار التعددية حالة من الاطمئنان والثقة بين الأطراف المختلفة، ويمكنها من صنع إطار جامع، تحافظ من خلاله على المصالح المشتركة. وهذه ليست فرضية علمية، ولا أطروحة نظرية، بل هي واقع قائم تعيشه سائر المجتمعات البشرية، التي يتنوع أبناؤها في أديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وأحزابهم.

إن إقرار التعددية الفكرية والسياسية يترتب عليه الاعتراف بحق مختلف الأطراف في التعبير عن آرائها وإعلان مواقفها، وممارسة شعائرها الدينية وأنشطتها السياسية،

وإقامة مؤسساتها الاجتماعية، ضمن قانون يخضع له الجميع، دون هيمنة واستعلاء من أحد، أو تهميش وإقصاء لأحد.

رابعاً: تجريم التحريض على الكراهية والإساءة، بأن يحاسب القانون ويعاقب النظام على ذلك، إن من أهم أسباب الفتن والصراعات الداخلية، وجود دعاة دينيين يصدرون فتاوى وينتجون خطابات تعبوية تتضمن الإساءة لآخرين مخالفين لهم، وتبيح هدر حقوقهم، ويتم التغاضي عن هذه الجهات، بل ويحصل التشجيع لها في بعض الأحيان، بمبرر أنها تعكس رأياً شرعياً، أو كما يقول عنها أصحابها إنها تكليف شرعي.

ولكن ذلك يعني توفير أجواء الفتنة والاحتراب، إنه لا بد من تجريم التحريض على الكراهية، كتجريم من يحرّض على الإرهاب والسرقة والفساد.

إن البحث في مثل هذه الآليات، وتأصيلها من الناحية الشرعية، وتحويلها إلى صيغ قانونية نظامية، وتوعية جمهور الأمة بالبرامج العملية المنبثقة عنها.. كل ذلك يرسم لنا خارطة طريق لتحقيق التقارب والوحدة، وينقلنا من حالة التطلع والأمل، إلى واقع الممارسة والتطبيق.

والحمد لله ربّ العالمين.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الصفار: الاختلاف يثري المجتمع والتنافس يدعم التطوير[1]

حمزة بوفهيد- الهفوف

اعتبر الشيخ حسن بن موسى الصفار أن التعددية في المجتمعات تعتبر نوعاً من التقدم الاجتماعي، وقال: إن مجتمعنا الآن يعيش هذه المرحلة، فهناك تيارات تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة من التعبير، ظهرت في مجتمعنا المحلي إما بعناوين مرجعية أو ثقافية، وأضاف الصفار أنه من المفترض أن ترشد العلاقة بين مختلف هذه التيارات والتوجهات وأن توجه باتجاه التنافس الإيجابي لخدمة المجتمع ضمن نطاق الجمعيات الخيرية والأندية الرياضية والمنتديات الثقافية وإقامة الشعائر الدينية والانتخابات البلدية وانتخابات الغرف التجارية.

جاء ذلك من خلال المحاضرة التي ألقاها الصفار تحت عنوان (التيارات الاجتماعية

---

(١) اليوم: صحيفة يومية سعودية، العدد رقم ١٢٠٧٢، بتاريخ ٨/ ٦/ ١٤٢٧هـ الموافق ٤/ ٧/ ٢٠٠٦م

والتنافس الإيجابي) في بلدة المركز شرق الأحساء التي استضافها مجلس الوجيه الاجتماعي أحمد بن علي المبارك مؤخراً، واستهل الصفار المحاضرة بتعريف التنافس على أنه حالة إيجابية لدى الإنسان، فهي التي تدفعه باتجاه تفجير طاقاته وقدراته، كما أنها التي تبعث النشاط والتطور في المجتمع حيث تتحرك قواه نحو التقدم، وتتسابق على إحراز التفوق، وبيَّن أن في كل مجتمع بشري تتكون وتظهر تيارات وتجمعات بناء على اختلاف المبادئ والأفكار أو للاختلاف في المواقف والمصالح أو بناء على التمايزات العرقية والقومية أو القبلية أو التبعية.

وأبرز الصفار المظاهر الإيجابية لتعدد التيارات الاجتماعية في عدة نقاط هي إثراء الفكر وتعدد الخيارات فتنوع التوجهات الثقافية للتيارات في المجتمع يثري الساحة الفكرية ويدفع الناس إلى المقارنة بين الآراء والأفكار، حيث يضع الناس أمام خيارات متعددة في معالجة قضاياهم من خلال تعدد البرامج والمشاريع واختلاف الأطروحات تكون فرص البحث والتمحيص للآراء والخيارات أفضل وأوسع.

ويرى الصفار التنافس لتطوير المجتمع ووجود أكثر من تيار وجماعة تعمل في الشأن الاجتماعي العام يذكي حالة التنافس ويسرّع حركة التطوير في المجتمع، بعكس ما لو كان المجتمع يخضع لجماعة وتيار واحد حيث لن يكون هناك تنافس وسينعكس ذلك سلباً على نفس الجماعة لأنها ستتجمد ولن تطور نفسها.

وأشار الصفار إلى معالجة نقاط الضعف فتتعدّد التيارات الفاعلة في المجتمع يكون بينها حالة من التنافس، فيضطر كل طرف أن يعالج نقاط ضعفه وأن يسدّ الثغرات، وبالتالي سيكون هذا دافعًا للتكامل والتطوّر عند كل جهة من الجهات، أما إذا لم يكن هناك طرف منافس فتبقى الثغرات والسلبيات دون أن يكون هناك تحفيز لمعالجتها.

ويعبر الصفار عن استيعاب طاقات المجتمع وأن كل تيار من التيارات يحاول أن يستقطب من المجتمع شريحة أكبر من المؤيدين، ومن الطبيعي ألا يستطيع استيعاب

الجميع ضمن تياره، لذلك فإن وجود تيار آخر يحوي مساحة أخرى من الجمهور يساعد على أن تكون جميع قوى المجتمع فاعلة في تياراته المختلفة، لا أن تكون بعض القوى فاعلة، بينما تظل الأخرى معطّلة دون أن تجد من يحتضنها ومن يتبنّاها.

ويقول الصفار عن العلاقة بين التيارات الاجتماعية أنها تختلف في طبيعتها من مجتمع لآخر وحددها في ثلاثة أشكال هي علاقة النزاع والخصومة وعلاقة التباعد والقطيعة وعلاقة التعاون والتكامل.

أما عن شكل العلاقات بين التيارات فأكد على أنها تعتمد على عاملين أساسيين هما مستوى الوعي عند القيادات وفسر هذه النقطة بالقول حينما يكون هناك نضج ووعي عند قيادات التيارات يكون لها دور في توجيه أتباعها وجماهيرها وتكون العلاقة بين التيارات علاقة إيجابية، أما العامل الثاني الذي تقوم عليه العلاقات فهو مستوى البيئة الثقافي والسياسي وفسره الصفار على أن التيارات والجماعات تتأثر بالحالة السياسية والثقافية السائدة في المجتمع.

وختم الصفار حديثه حول ضرورة توافر أربعة أمور لتوجيه التنافس نحو الإتجاه الإيجابي هي الاعتراف والاحترام المتبادل بين التيارات، والأمر الثاني هو الوسائل المشروعة للتنافس يجب أن تبتعد عن أسلوب التشهير والاتهام والتشكيك في النيات والأهداف، والأمر الثالث هو الانفتاح والتواصل فإذا انعدم التواصل تكثر الشائعات بين كل طرف وآخر بسبب القطيعة وتتوتر العلاقات بين التيارات المختلفة، وأخيراً عامل التعاون والتكامل وهو الأرقى في العلاقة بين التيارات والجماعات التي تعمل في مجتمع واحد لتوحيد الجهود نحو المصلحة العامة.

الشيخ حسن الصفّار يشيد بأنشطة جماعة الهدى ويكرّم متفوقيها

أقامت جماعة الهدى للتعليم حفلها الختامي لأنشطتها التعليمية والترفيهية لصيف هذا العام، وذلك مساء يوم الجمعة ١٧/ ٧/ ١٤٢٧هـ، حيث تضمّن الحفل العديد من الفقرات، كان بدايتها تلاوة القرآن الكريم، تلا ذلك كلمة الطلاب ألقاها بالنيابة عنهم أحد خريجي الجماعة لهذا العام، وأعقبها كلمة الجماعة احتوت على تلخيص لأهم أنشطة الجماعة لهذا الصيف التعليمية منها والترفيهية والثقافية، وبعد الانتهاء من الكلمة كرّمت الجماعة الداعمين لها خلال هذا العام من مؤسسات وأفراد.

وبعد هذه الفقرات توقف الحفل مع مشهد تمثيلي من أداء فرقة المسرح بالجماعة، وذلك تحت عنوان: «دقيقة تحوّل».

بعد ذلك ألقى سماحة الشيخ حسن الصفّار كلمة حث فيها الطلبة على مسألة الالتفات إلى النعم التي يحظون بها، والتي قد يحرم منها آخرون، ومحاولة نيل ما لم يستطيعوا نيله للآن. كما حثّ فيها أبناء المجتمع على دعم الأنشطة الخيرية، ومنها نشاط الجماعة الذي يدخل ضمن عنوان التعاون على البر والتقوى.

وهذا هو نص الكلمة:

يسعدني أيها الإخوة الكرام وأبنائي الأعزاء أن أكون معكم في هذا اللقاء الطيب المبارك، خصوصًا وأنا أجد أمامي هذه الزهرات المتفتّحة من أبنائنا وناشئتنا الذين ننتظر لهم مستقبلاً مشرقًا وواعيًا إن شاء الله، كما يسعدني أيضاً أن ألقي بين مسامعكم كلمتين مختصرتين أوجه أولاهما إلى أبنائي الطلاب الأعزاء، والثانية إليكم أبناء مجتمعي وإخواني.

النعمة دافع للحصول على النعمة الأخرى:

فأما ما يخص أعزائي الطلاب أتمنى عليهم أن يلتفتوا إلى ما حولهم جيدًا ويحاولوا أن يتتبعوا نعم الله عليهم، حيث إنهم سيجدونها كثيرة، وأنهم يحظون بنعم لا تتوفر لغيرهم ممن هم في مثل سنهم.

إن الإنسان ـ أي إنسان ـ لا يحصل على جميع رغباته وأمانيه، ففي كل مكان يحصل الإنسان على أشياء ويحرم من أخرى.

والعاقل هو من يحاول أن يتمسّك بما وهبه الله من النعم، ويحاول الاستفادة منها ولا يفرّط فيها، بل يستغلّها للحصول على ما لم ينله في تلك اللحظة من حياته، وعلى العكس من ذلك الأحمق والجاهل، الذي يهبه الله بعض النعم، فلا يقبل برزقه، فيرفضه بحجّة أن ما ناله غير كافٍ ولا يلبّي طموحه ومستواه، أو أن يقنع نفسه بأن هذا ما قسمه الله له دون أن يحاول السعي للحصول على الأفضل.

لذلك علينا أن نحافظ على المكتسبات التي تتوفر لنا، ونحاول أن نستثمرها للحصول على ما هو أفضل، وأن يكون حصولنا على هذه المكتسبات وسيلة ودافعًا لنا للاستمرار في الحصول على المزيد من النجاح والفرص والمكاسب.

ولنتذكّر في ذلك إخوة لنا في العراق وفلسطين ولبنان وغيرها من المناطق التي تمرّ بأزمات وفقر وحاجة، لا يحصلون بسببها على شيء قليل مما نحصل عليه ويتوفّر لنا.

كما أننا اليوم نعيش وضعًا أفضل مما كان يعيشه آباؤنا أو إخواننا الأكبر منّا، حيث توفرت لنا من الأساليب والفرص ما لم تتوفر لهم.

وفي المقابل نحن نعيش اليوم صعوبات ونواقص لم يكونوا يعيشونها في السابق، والعاقل منّا من لا يجعل هذه الصعوبات تقف عائقًا أمام تقدّمه أو أن تُشْعِرَه بالعجز واليأس وفقدان الأمل، فهناك صعوبات في التعليم وعوائق أمام الحصول على مقعد في إحدى الجامعات، وبعد ذلك في فرص العمل والتوظيف، ولكن يجب على الإنسان أن يستثمر ما هو متاح لنيل ما هو غير متاح، دون أن تثبّط من عزيمته هذه المشكلات والعوائق.

ويجب أن لا تكون هذه العوائق سببًا للتقاعس، لأن الرضوخ لها يكون في كثير من الحالات مدخلاً وسببًا للوقوع في الانحرافات السلوكية والمخاطر الاجتماعية.

لذلك أحب أن أوجّه نداءً لأعزّائي الطلبة بأن يغتنموا الفرص ويستفيدوا من الإمكانات المتوفرة لديهم، التي منها وجود هذه الجماعة الخيّرة والطيبة والمؤمنة «جماعة الهدى»، التي حملت على عاتقها مهمّة نشر الوعي والثقافة واحتضان الشباب والناشئة، فهذه من النعم التي يجب على الإنسان أن يستغلها ويستثمرها في حياته العملية.

الاحتضان والدعم الاجتماعي للأنشطة الدينية:

يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

إن التعاون أمر فطري في نفس كل إنسان، يميل وينجذب إليه.

والآية توجهنا ـ هنا ـ إلى التعاون الاجتماعي الإيجابي في وجه التعاون السلبي الذي يقوم على الإثم والاعتداء على الآخرين وعلى ممتلكاتهم وأعراضهم والانخراط في أعمال الشر عمومًا.

وهذه الآية كأنما تحث الناس على أن يغيروا من واقع المجتمعات البشرية، حيث أننا نرى أن التجمّعات الشريرة في أي مجتمع تكون أقرب إلى حالة التعاون فيما بينها في وجوه الشرّ والتخريب والاعتداء، فنرى تجمّعات التفحيط والسرقات والمخدّرات والإجرام ما أسرع أن تتجمّع وتلتئم فيما تقوم به من أعمال، وفي المقابل نرى تقاعسًا وتباطؤًا في التعاون في مجال الخير وخدمة المجتمع.

فنرى أن التعاون فيما بين الطيبين والخيرين يمر بمراحل صعبة وشائكة ومعقّدة، وفي هذا يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : «فَيَا عَجَباً عَجَباً واللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ ويَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ».

لماذا يصعب في مجتمعنا وجود جماعات متعاونة فيما بينها؟!

وإذا وجدت جماعة تثار حولها الإشكالات والشبهات والتساؤلات والاعتراضات؟!

هذا خلل في الوسط الديني والاجتماعي في منطقتنا، في الوقت الذي من المفترض أن لا يبقى أي فرد من أفراد المجتمع لا يعمل ضمن أي جماعة دينية أو اجتماعية خيرية أو ثقافية، إننا بحاجة إلى أكثر من جماعة مثل جماعة الهدى في كل مدينة وقرية ومنطقة، لأن وجود هذه الجماعة وحدها لا يكفي، فنحن نحتاج إلى مجموعات ومؤسسات تتعاون فيما بينها للنهوض بهذا المجتمع والمنطقة ككل.

إننا في هذا الحفل البهيج نُكبر ما يقوم به الإخوة في هذه الجماعة من نشاط طيب ومفيد، ولو أنهم وجدوا الدعم الأكبر والتجاوب الأوسع من هذا المجتمع لحققوا

نتاجات أفضل وأوسع، لذا آمل أن يكون مثل هذا اللقاء دافعًا لرجال الأعمال والخير ولعلماء الدين أن يدعموا مثل هذه الأنشطة، وذلك لكي نحتوي أبناءنا وناشئتنا في هذه التجمّعات الإيمانية الخيّرة، ونبعدهم قدر الإمكان عن أماكن وتجمّعات السوء، ولتكون هذه التجمّعات لبنة صالحة في بناء مجتمع صالح متماسك مبني على الأسس الدينية الصحيحة.

إن دعم هذه الأنشطة لهو أفضل مصرف من مصارف الحقوق الشرعية، وهو من أبرز مواقع الإنفاق في سبيل الله.

وأتمنى أن لا يكون الاختلاف في الرأي والتوجّه عائقًا أو مؤثرًا في سير هذه المؤسسات الخيرة والهادفة.

وفي الختام أحب أن أجدد شكري للإخوة الأعزّاء في جماعة الهدى وأرجو لهم نشاطًا أوسع وأكبر إن شاء الله، وأجدد ـ كذلك ـ مطالبتي للجان العاملة في المجتمع من الوجهاء والعلماء ورجال الأعمال أن يقدّموا دعمهم السخيّ لهذه الجماعة وأمثالها وأن يرفدوها بالدعم المادّي والتشجيع المعنوي حتّى تستطيع أن تؤدي دورها على أكمل وجه.

والحمد لله ربّ العالمين.

وبعد الكلمة قام سماحة الشيخ حسن الصفّار بتوزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين في فرق الجماعة التي وصلت هذا العام ٣٦ فرقة تعليمية.

الصفار: الحرص على الوحدة الوطنية واجب، وحب الوطن من الإيمان

شبكة راصد الإخبارية: عبدالله القنبر - الأحساء

استضافت بلدة البطالية بمحافظة الأحساء الخميس ٢٨/ ٨/ ١٤٢٧هـ الموافق ٢١/ ٩/ ٢٠٠٦م ضمن برامجها الرمضانية في الحسينية العباسية الشيخ حسن الصفار في محاضرة بعنوان «البرنامج الرسالي في شهر رمضان».

حيث شدد الشيخ الصفار على «أن حب الوطن من الإيمان» وذلك رداً عن سؤال وجه إليه حول اليوم الوطني للمملكة، وماذا تعني المواطنة الحقة؟

حيث قال «هناك حديث عن النبي ﷺ يقول: «حب الوطن من الإيمان» والإنسان المؤمن هو من يحب وطنه ويخلص له.

موضحاً كيفية حب الوطن والإخلاص إليه «حيث يتجسد ذلك بالعمل من أجل

رفعة الوطن وتقدمه، والإنتاج النوعي، والفاعلية في العمل، وأن يكون له ظهور في المواقع المرموقة.. فهؤلاء العلماء المخترعون والمكتشفون، هؤلاء الناس الذين أنجزوا.. هم خدموا وبرعوا في مجالهم وإنتاجهم، وعلينا أن نخدم وطننا بالإنجاز والعمل والعطاء».

وأضاف الصفار «أن من لا يحب إخوانه المواطنين ليس محباً لوطنه، وكذلك من يتنكر لبقية الشرائح من المواطنين...علينا أن نسعى بكل إخلاص لإنجاح الخطط التنموية لسمو ورفعة الوطن وذلك عبر خطط التنمية وخطط التقدم في البلاد على مختلف الصُّعد التعليمية والاقتصادية والصناعية، علينا أن نساعد على إنجاح هذه الخطط وتطبيقها فهذا هو حب الوطن والتجسيد الحقيقي للولاء للوطن».

كما دعا الشيخ الصفار إلى تعزيز الوحدة الوطنية قائلاً «يجب أن نحرص على الوحدة الوطنية، فنحن حينما نطرح مشروع الوحدة كنا أول المستجيبين سلماً من أنفسنا، حيث لم نقاتل، ولم ندعُ للعنف بل بالعكس رحبنا بهذا المشروع، مشروع بناء الدولة الواحدة والانضمام إلى هذا الكيان».

منوهاً بالدعوات المتكررة من خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد وبقية المسؤولين الداعية للوحدة الوطنية، مشيداً بأهل هذه المنطقة وانتمائهم الوطني الصادق.

ودعا الصفار إلى: تجاوز الخلافات بين المواطنين لأننا نعيش في بلد واحد، وضرورة تجاوز حالات القطيعة، منوّهاً بالتوجهات الرسمية التي تشجع على ذلك، بدءاً بترسيخ الحوار الوطني إلى الدعوات التي يصرح بها المسؤولين ونبذ الطائفية.

وقال الصفار «إن بعض الناس للأسف لا يطيب لهم العيش المشترك أو أن تكون هنالك وحدة وطنية، ووحدة إسلامية وهي أصوات متشددة وموجودة، لكن العقلاء الواعين في الأمة عليهم تجاوز مثل هذه الحالات الشاذة»، وقال «يكفينا ما يجري في العراق» داعياً الله سبحانه أن يخلص العراق وأهله من هذه المحنة، موضحاً بأن «للاستعمار يد أساسية فيها، كما لأطراف مختلفة من المتعصبين والحاقدين».

وشنَّ الشيخ الصفار هجوماً عنيفاً على الاحتلال بالعراق متهماً إياه بإثارة الفتن والأحقاد، وذلك من أجل أن تتمسك به كافة القوى والأطراف وتدعو إلى بقائه في العراق.

كما شنَّ الصفار هجوماً على أمريكا قائلاً «إن دموع التماسيح التي يذرفها الأمريكان على حقوق الإنسان وعلى حقوق الأقليات هنا وهناك لا يصدقها إلا مخدوع، لأنهم -الأمريكان- يغضون الطرف عما تفعله وتمارسه إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني»..

«.. وحينما ذهب الرئيس الفلسطيني إلى الرئيس الأمريكي وتحدث له عن معاناة شعبه وعن حاجات الشعب الفلسطيني، قال له الرئيس الأمريكي بكل وقاحة «لا مجال إلا بالقبول بالشروط المطروحة على الشعب الفلسطيني»، يقصد شروط الإذلال والإهانة.

«.. وفي لبنان الأمريكيون هم الذين شجعوا الإسرائيليين على ارتكاب جرائمهم، وهم الذين مدوها بالوقت والسلاح والمال والدعم السياسي والمعنوي، حيث رفضوا الموافقة على وقف إطلاق النار، وتركوا لإسرائيل أن تعربد وتسرح وتمرح في جو لبنان وبحر لبنان وبر لبنان... ثلاثة وثلاثين يوماً وهي تمارس القتل والتدمير وارتكاب المجازر على مرئ ومشهد من العالم.. وبدعم من أمريكا ولولا عزة الشرفاء والمقاومة اللبنانية لاستباحت القوات الإسرائيلية كل الحرمات ولما بقيت كرامة لكل أرض لبنان..». مؤكداً بأن «المقاومة رفعت رأس العرب والمسلمين جميعاً».

ورفض الشيخ الصفار أي تدخل أجنبي في شؤون شيعة السعودية الداخلية وقال «.. وأمريكا التي تفعل هذا بحق أهلنا في لبنان وفلسطين والعراق وفي مختلف الأماكن.. هل نصدق أنها بالفعل مخلصة لحقوق الأقليات وحقوق الإنسان في السعودية، وسائر الدول؟؟!!»

مؤكداً بأننا «كشعب وكمجتمعات نسعى ونتطلع إلى أن نعيش بكرامة وحرية وأن

نعيش بكامل حقوق المواطنة في بلادنا، ولكن هذا يكون عبر التفاهم من الداخل وعبر وحدتنا الداخلية وليس عبر تدخل الغريب والأجنبي فيما بيننا.. لأن الأجنبي لا يريد بنا خيراً أبداً، علينا أن نتجاوب مع الدعوات وأن نكون مبادرين للانفتاح على كل شرائح الوطن والمواطنين..».

وحذر الصفار في ختام محاضرته من التطرف والإرهاب بكافة أشكاله، كما حذر من العنف الأسري الذي أصبح ملاحظاً بشكل لافت قائلاً بأنه «لا يجوز التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالإساءة إلى الناس والنيل منهم ومن أعراضهم».

وفي ختام المحاضرة هنأ الشيخ الصفار الجميع بحلول شهر رمضان المبارك، وسأل الله تعالى أن يديم على وطننا وبلادنا نعمة الأمن والاستقرار، وأن يدفع شرور الحاقدين عنا وعن وطننا، مؤكداً على أهمية الاستعداد لهذا الشهر المبارك، والالتزام فيه بما جاء في شرع الله، وإخلاص الطاعة لله ولرسوله.

الصفار: المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة لدور المرأة المؤمنة لتحقيق النهضة

تاروت- محمد الصيرفي

استضافت جماعة البتول النسائية بجزيرة تاروت مساء يوم الثلاثاء الموافق ٣رمضان ١٤٢٧هـ المصادف ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٦م، إمام مسجد الفتح بالقطيف الشيخ حسن الصفار، وذلك في إطار فعاليات برنامجها الثقافي والعلمي الذي تقيمه في حسينية بنت علي شمال بلدة الربيعية بجزيرة تاروت ليالي شهر رمضان المبارك.

وقد جاءت محاضرة الشيخ الصفار بعنوان «دور المرأة في بناء المجتمع» التي تم نقلها إلى النساء عبر العارض المرئي (البروجكتر).

وقد تحدث الشيخ الصفار في محاضرته عن أبعاد دور المرأة في تقدم المجتمعات البشرية والمكانة الخاصة التي أفردها الدين الإسلامي للمرأة.

وأكد الشيخ الصفار على أن الإسلام أعز المرأة وحفظ لها مكانتها الرائدة في صياغة مستقبل البشرية جنباً إلى جنب مع الرجل مشيراً إلى أن التاريخ الإسلامي يزخر بالعديد من الشخصيات النسوية التي أسهمت بشكل فعال في صناعة التاريخ الإسلامي من خلال التضحيات والإبداعات كالسيدة خديجة بنت خويلد ﷺ وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ﷺ وعقيلة الهاشميين زينب الحوراء ﷺ.

وأهاب الشيخ الصفار بضرورة أن تبادر المرأة المسلمة إلى النهوض والعمل من أجل الرقي بالمجتمع في كافة المجالات الثقافية والعلمية والاجتماعية والدينية من خلال إبراز الكفاءات والإبداعات النسوية في شتى الميادين الحياتية خصوصاً في الأعمال الخيرية الخدمية والأنشطة التطوعية.

وقد دعا الصفار جموع المؤمنات إلى النظر بعين الاهتمام إلى مستقبل الأجيال الناشئة من البنات وما تحتاجه من عناية ورعاية فيما يتعلق بالتربية والتعليم والتدريس وذلك من أجل تخريج ثلة من الشابات الطموحات المبدعات في شتى المجالات العلمية. كما دعا المرأة المؤمنة في مجتمعنا إلى الاهتمام بخدمة تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء والانفتاح الإيجابي مع الآخرين لحل مشاكل المجتمع واحتواء مواطن الخلل الاجتماعي وتجاوز كافة المعوقات الحائلة دون تقدم المجتمع المسلم المحافظ ورقيه مؤكداً أن المرأة هي نصف المجتمع وعماد الأسرة وشريك الرجل.

وأشار فضيلته إلى أن المجتمعات الإسلامية كافة ومجتمعات شيعة آل البيت ﷺ خاصة بأمس الحاجة إلى المساندة الفعالة من قبل المرأة المؤمنة والمثقفة لتحقيق النهضة الاجتماعية والتربوية وإدراك التقدم في المجالات العلمية والدراسات الأكاديمية كالطب والهندسة والعلوم الإنسانية.

وتطرق الشيخ الصفار إلى الإساءة الأخيرة لبابا الفاتيكان الذي تهجم فيها على النبي الأكرم محمد ﷺ وانتقد تعاليم الدين الإسلامي واتهم الدين بالعنصرية ضد المرأة

مهيباً بجميع الكوادر النسائية النشطة والمثقفة للعمل من أجل إبراز صورة حسنة وطيبة عن المرأة في العالم والإسلامي من خلال فكرهن وقلمهن وصوتهن والدفاع عن الدين والحفاظ على المكتسبات التي ضحى من أجلها الماضون والمتأخرون منذ بزوغ نجم الرسالة المحمدية الهاشمية وحتى يومنا هذا.

ومن المقرر أن يتم في الليالي القادمة استضافة عضو الحوار الوطني الشيخ المهندس حسين البيات. وقد تم استضافة نخبة من الشخصيات الدينية والعلمية أبرزها الشيخ عبدالجليل الزاكي من مدينة سيهات والدكتورة الأستاذة فتحية الجامع الاستشارية في مستشفى الخليج التخصصي بالقطيف.

عالم الدين والمجتمع التأثير والتأثر

استضافت ديوانية الحاج عبد الوهاب العكراوي بالقديح مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس الرابع من شهر رمضان المبارك ١٤٢٧هـ سماحة الشيخ حسن الصفّار ـ حفظه الله ـ في محاضرة بعنوان: «عالم الدين والمجتمع .. التأثير والتأثّر».

وقد استهلّ سماحة الشيخ الصفّار محاضرته بالإشارة إلى أهمية وجود عالم الدين في أي بلدة وحي ومنطقة، وذكّر أهالي القديح بحادثة وفاة ورحيل العلاّمة الشيخ حسين القديحي ﵀ حيث عاش أهالي البلدة بعده فترة من نقص عالم الدين بينهم.

كما أشار بأن عالم الدين يحتاج إلى وجود جمهور يسمعون له يوجههم ويرشدهم.

فالحاجة متبادلة بين العالم والجمهور.

ولكن سماحة الشيخ نبّه إلى نقطة مهمّة، وهي أن كلاً من عالم الدين وأفراد المجتمع ينبغي أن لا يمارس كل منهما علاقته بالآخر وفق النمط التقليدي، فينحصر دور العالم في

إمامة الجماعة وطرح الفتاوى ومسائل الزواج والطلاق ونحوها، ودور الفرد في المجتمع في الإصغاء إلى عالم الدين وانتظار دوره الاجتماعي.

بل على الطرفين أن يكونا إيجابيين في تفاعلهما مع الآخر، وعلى كل منهما أن لا يحجّم ويقلّل من الدور الذي من الممكن أن يقوم به، فعالم الدين لا يحتاج ـ ليقوم بدوره الاجتماعي ـ إلى أن يكون مرجعًا في الفتوى، وضرب مثالاً لذلك بالسيد موسى الصدر وحركته في لبنان، حيث إن السيد الصدر لم يكن مرجعًا دينيًا في لبنان، ولم يكن صاحب مكانة كبيرة في الوقت الذي بدأ فيه التحرّك، ومع ذلك أسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وأنشأ حركة أمل، وكان له التحرّك الاجتماعي والسياسي البارزين.

وفي هذا المجال قدّم الشيخ المحاضر بعض المقترحات التي من الممكن أن يقوم بها علماء الدين، منها:

١. تأسيس مجلس علمائي في المنطقة، يضم علماء المنطقة يعقدون فيه جلسة في كل شهر يناقشون فيها بعض المشاكل الاجتماعية والسبل الكفيلة لحلها. أو على الأقل أن تشكّل في كل بلدة مجالس علمائية يقوم فيها علماء كل بلدة بالاجتماع مرة كل شهر يعالجون في هذه الاجتماعات مشاكل بلدتهم ومناقشة سبل الوصول لحلول كفيلة بحلها أو الحدّ منها. أو لا أقل الاجتماع لمناقشة بعض القضايا العلمية، حيث يشكّل وجود هذه المجالس مظهرًا من مظاهر الوحدة والتماسك الاجتماعيين اللذين نحن بأمسّ الحاجة إليهما في هذا الوقت.

٢. السعي لتطوير آلية تحرّك العلماء في خصوص صناديق الحقوق الشرعية، حيث يبادر وكلاء الحقوق الشرعية بالاستفادة من الخبرات الإدارية والاقتصادية في المنطقة، وذلك بهدف تطوير هذه الصناديق، وعدم الاقتصار فيها على قبض الحقوق وتوزيعها على مصارفها التقليدية، سعيًا من العلماء لحل بعض المشاكل والصعوبات الاقتصادية التي يعاني منها شباب المنطقة.

وكذلك على الفرد في المجتمع أن لا يحجّم من الدور الذي من الممكن أن يقوم به على هذا الصعيد. حيث بيّن سماحة الشيخ أن المجتمع عليه أن يبدي احترامه لعلماء الدين على أن لا يتجاوز ذلك إلى تقديس كل ما يصدر عن طالب العلم. كما بيّن أن المجتمع من الممكن أن يقوم بدوره الإيجابي في هذه النقطة، وذلك عن طريق:

١. تقييم علماء الدين ودعم العامل منهم: فيفرّق أبناء المجتمع بين العالم العامل والنشط منهم وبين الذي ينحصر دوره في الإطار التقليدي. ويقومون بتقديم الدعم الكافي لمن يبادر منهم في الأعمال الاجتماعية ومن له نشاطات اجتماعية وثقافية ملحوظة، وذلك من باب تشجيع العامل على عمله وتقديره على مبادرته. فهذا يدفع بعملية الإنتاج والعمل الاجتماعي للأمام.

٢. عدم الاكتفاء بالتذمّر: فالمجتمع عندما يلاحظ على بعض طلبة العلوم الدينية الاقتصار في دوره على إمامة الجماعة ولا يبادر بأي دور آخر، من المفترض به أن لا يكتفي بذمّ هذا السلوك والتذمّر أمام الآخرين من هذه الظاهرة، بل عليه أن يواجه هذه الشريحة من الطلبة بمطالبه منهم ويعطيهم الفرصة للاستجابة. فطالب العلم الذي يبدي له أفراد مجتمعه حاجتهم له ويطلبون منه القيام ببعض الأدوار قد يجد نفسه ملزمًا بتلبية هذه المطالب، ويحاول إرضاء هذا الجمهور. وهذا في النهاية يصبّ في خدمة الجميع، ويجعل هذه المجتمعات نشطة وتعمّ فيها الحركة والنشاط.

الشيعة ودورهم في الواقع المعاصر

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار على ضرورة تبني المجتمع الشيعي لقضايا الإسلام والأمة، إذ إنهم جزء من هذه الأمة لا يتجزأ، يطالهم التعسف السياسي، والاجتماعي، والثقافي، الذي يواجه الأمة الإسلامية عامة.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحته، في مسجد السيد الخوئي قدس سره يوم الخميس ٥/ ٩/ ١٤٢٧هـ وكان عنوانها «الشيعة ودورهم في الواقع المعاصر».

قال سماحته عن الإمام الصادق عليه السلام: « يا معشر الشيعة أنكم نسبتم إلينا فكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً»[1].

ثم تناول سماحته الموضوع من خلال نقاط ثلاث:

أولاً: واقع التحدي مع قوى الاستكبار: لقد عاشت الأمة الإسلامية في نهاية القرن

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٥ ص ١١٩ حديث ٨٣.

الماضي حالة من التململ من ممارسات الدول العظمى والاستكبار العالمي مما أحدث داخلها وبين أجيالها حركة نهوض وانبعاث أدت إلى وجود الصحوة الإسلامية المباركة التي قامت بإعادة إحياء جذوة الإسلام في نفوس المسلمين، بل واستطاعت اجتذاب المفكرين والمثقفين في أنحاء العالم، لتجعل من الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في أمريكا وأوربا، في المقابل فإن هذه الصحوة دفعت بالأطراف المعادية للإسلام لتنشط حركتها ضد الإسلام والمسلمين وتواجههم بكل شراسة.

وبما أن الشيعة جزء من الأمة الإسلامية فهي تعيش نفس التحدي والانطلاق الذي تعيشه الأمة.

هذا التحدي الذي نعيشه منذ زمن سواء على المستوى السياسي الواضح في تصريحات الرئيس الأمريكي بوش (الفاشية الإسلامية) أو على المستوى الديني كتصريحات بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر عن الإسلام في محاضرة له بجامعة ريغنيسبورغ.

وأوضح سماحته: أن العالم اليوم يعيش حالة من التخويف من الإسلام (فوبيا الإسلام)، وإن كان لبعض المسلمين الدور في هذا الخوف، إلا أن الجهات المستفيدة من عدم صحوة المسلمين شهرت أسلحتها في وجه هذه الصحوة للقضاء عليها وعلى نتائجها.

لقد اعترت الأمة الإسلامية أمراض داخلية جعلتها عاجزة عن مواجهة التحدي الخطير، فأكثر الدول الإسلامية تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار سواء على المستوى السياسية أو الاقتصادي أو الاجتماعي، مما يجعلها في مهب الريح، كما أن حقوق الإنسان والمساواة بين المواطنين شبه معدومة، وأعظم خطر عاشته الأمة هو إقصاء فكر وتراث أهل البيت ومدرستهم.

أما النقطة الثانية: فقد تحدث فيها سماحته عن الشيعة وسط الأمة الإسلامية

والمحاولات التي تقوم بها بعض الأطراف المشبوهة للتخويف من الشيعة والتشيع (فوبيا التشيع)، وقد ظهرت هذه العلامات أيام اشتعال الحرب في لبنان وتحقيق المقاومة الإسلامية الانتصار تلو الآخر.

فقد ظهرت الفتاوى والآراء حول حزب الله وقياداته، بل وحتى على صعيد الكتابات الصحفية فقد كتب البعض يخوف من هذا المذهب وانتشاره والعزف على الاسطوانة المشروخة والتهمة البليدة بأن الشيعة لا يوالون أوطانهم.

كل هذه الإثارات الداخلية ضد الشيعة والتشيع مع ما يقدمه الشيعة اليوم من نماذج رائعة على كافة المستويات، وقد ظهر منها جلياً للناس كافة إدارة الدولة في الجمهورية الإسلامية في إيران، وإدارة المقاومة بالنسبة للمقاومين الشجعان في جنوب لبنان، وإدارة الصراع من قبل المرجعيات الشيعية في العراق.

النقطة الثالثة: تحدث فيها سماحة الشيخ، كانت حول دور الشيعة في هذه الفترة، وقد قسمها إلى ثلاثة أدوار:

١. تحسين الواقع المعاش وتجاوز حالة الإقصاء والتهميش.
٢. المشاركة الوطنية وتجاوز إطار المذهب في المساهمة الفاعلة من أجل رقي وتطور الأوطان.
٣. تبني قضايا الإسلام والأمة، والابتعاد عن الخلافات الجانبية وعدم الانشغال بها وضرب على ذلك مثال بالشهيد الصدر الذي دافع عن الفلسفة والاقتصاد الإسلامي من وجهة نظر أهل البيت، فالأمة اليوم وعلى الصعيد الثقافي تمر بهجمات تجاه دينها ونبيها وتجاه القرآن الكريم، وهذه الهجمة الشرسة تحتاج من الشيعة لوقفة تبيّن من خلالها نظرية أهل البيت وفكر مدرستهم.

في الختام، كانت هناك مداخلات من قبل الجمهور أجاب عنها سماحته، وكان منها تساؤل أحد الحاضرين عن وجود كتابات ضد الشيعة، وأننا كلما تفاءلنا بخير، سمعنا

وقرأنا ما يكدر الصفو، ويعيد بناء الحواجز بيننا!

وقد أجاب سماحته بأنه لا ينبغي الاهتمام والانشغال بمثل هذه الأمور، ولا ينبغي لنا أن ننجرّ وراء هذه القضايا إلا بما ينفع ويعزز موقعنا ودورنا. وكما أن هناك مواقف سيئة، فهناك في المقابل مواقف إيجابية نأمل أن تكون هي الأبرز والأكثر.

الشيخ الصفار يشارك في افتتاح مسجد «حمزة بن عبد المطلب»

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار كل فرد من أفراد المجتمع للمواظبة على صلاة الجماعة، وأن يحث ويشجع أقرباءه وأصدقاءه على ذلك، ويجب ألا يسأم من دعوتهم، فإن الدال على الخير كفاعله.

مقترحاً سماحته: الاستفادة من الجوال مثلاً، بإرسال رسائل قصيرة إلى الأصدقاء والأقرباء، لدعوتهم لصلاة الجماعة، وحثهم على الالتزام بها.

كان ذلك خلال حديث سماحته مساء يوم الخميس (١١/ ٩/ ١٤٢٧هـ) بمناسبة افتتاح مسجد حمزة بن عبدالمطلب بسيهات والذكرى السنوية لرحيل مؤسس المسجد الحاج الوجيه عبدالله المطرود رحمه الله.

وقد بدأ سماحته حديثه بالتبريك لكل المواطنين الكرام بمناسبة افتتاح هذا المسجد مشيداً بالراحل الحاج المطرود رحمه الله.

وأبان سماحته أن: إقامة المساجد من الأمور التي نفرح ونحتفي بها وبالخصوص

بعد أن كانت العوائق والعقبات تقف أمام هذا الحلم الذي يراود كثيراً من المؤمنين.

وتمنى سماحته أن تزول هذه العقبات من طريق باقي المشاريع الأخرى كالحسينيات لتقوم هذه المشاريع بدورها التوعوي في وسط جموع المواطنين.

ثم انتقل سماحته للإشادة بهذا الصرح الجميل وأنه يشرح الصدر جاعلاً من هذا الكلام مدخلاً لحديثه عن صلاة الجماعة وأهميتها وضرورة الاهتمام بها والتشجيع عليها.

وتساءل سماحته: هل يكفي الاهتمام بإعمار المساجد وبنائها، أم أننا مطالبون بإعمارها بالصلاة والعبادة؟

ومن أهم العبادات التي تقام في المساجد هي صلاة الجماعة التي يجب علينا الاهتمام بها والتشجيع عليها، فقد وردت أحاديث وروايات كثيرة تؤكّد أهمية صلاة الجماعة، ومنها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن مشى إلى مسجد يطلب فيه صلاة الجماعة كان له بكل خطوة يخطوها سبعين ألف حسنة».

ومنها ما ورد عنه صلى الله عليه وآله في حديث ذكرته مصادر الفريقين: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة» أو كما في صحيح مسلم «صلاةٌ مع الإمام أفضل من خمس وعشرين صلاة يصليها وحده».

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علّة فلا صلاة له».

وكذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ لم يصلِّ جماعة فلا صلاة له بين المسلمين، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا صلاة لمن لم يصلِّ في المسجد مع المسلمين إلا من علة».

ثم أوضح سماحته حكم صلاة الجماعة عند المسلمين فهم متفقون على أهميتها وإن اختلفوا في وجوبها كما هو رأي المذهب الحنبلي وبعض الأحناف فهم يقولون بوجوب صلاة الجماعة على كل مسلم قادر على حضورها، ولا يصحّ أن يؤدي المسلم الفريضة

اليومية منفردًا ما دام قادرًا على حضور الجماعة، وإلا فإنه يأثم ويعزّر وتردّ شهادته.

وبعض المسلمين كالمذهب الشافعي يراها واجبة فرض عين: حيث يتوجّب إقامة صلاة الجماعة في كل بلد فيه مسلمون، وإن وُجد من البلاد من لا يقيم الجماعة، فعلى الحاكم الشرعي أن يأمرهم حتى يقيموها ولو استلزم ذلك منازلتهم وقتالهم.

وقسم ثالث من المسلمين كالجعفرية والمالكية وبعض فقهاء الحنفية يرون أن صلاة الجماعة سنة مؤكدة.

ثم دعا سماحته إلى القيام بحملة مكثفة من التوعية والتوجيه لحث الناس على صلاة الجماعة، بنشر الكتب والمقالات التي تتناول فضلها وأهميتها، وينبغي أن تفتح المنتديات على مواقع الانترنت باب النقاش والبحث حول أسباب العزوف عن صلاة الجماعة في المجتمع، وطرق التشجيع على المواظبة عليها، والعلماء والخطباء عليهم أن يكرروا الدعوة إليها والحث على الاهتمام بهذه الشعيرة العظيمة.

ويمكن الاستفادة من الجوال، بإرسال رسائل قصيرة إلى الأصدقاء والأقرباء، لدعوتهم لصلاة الجماعة.

ولو تشكلت في كل مسجد لجنة للدعاية والإعلام لصلاة الجماعة، وابتكار الوسائل والأساليب المؤثرة في جذب الناس لها، فإنها ستحقق نتائج جيدة.

وعلى كل فرد منا أن يحث ويشجع أقرباءه وأصدقاءه، ولا يسأم من دعوتهم لصلاة الجماعة، فإن الدال على الخير كفاعله. وذلك مصداق من مصاديق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف.

ثم تساءل سماحته: لماذا هذا العزوف عن صلاة الجماعة؟

وأجاب: لا بدّ أن هناك أسباباً لعلّ من أبرزها ما يلي:

الأول: ضعف الاهتمام الديني:

يبدو أن الكثيرين يفتقدون رغبة الإقبال على هذه الشعيرة العظيمة، بسبب ضعف

الاهتمام الديني في نفوسهم.

الثاني: ضعف التشجيع:

حيث لا نجد في المجتمع حثًّا وتشجيعاً كافياً على أداء صلاة الجماعة، فالكتابات حولها قليلة، والخطباء نادراً ما يتعرضون لفضل صلاة الجماعة ولحث الناس على المواظبة عليها.

بل إن بعض الخطباء وطلاب العلوم الدينية قلّ أن يرى الناس حضورهم في صلاة الجماعة فيما عدا تصديهم للإمامة، وكأن طالب العلم لا صلة له بهذه الشعيرة إلا إذا كان إماماً وليس مأموماً.

الثالث: الكسل

إن قسماً من الناس يستثقل الذهاب إلى صلاة الجماعة، لأنها تأخذ جزءاً من وقته، وتصرف شيئاً من جهده، فيرى صلاته منفرداً في البيت أسهل وأيسر، مع أن الوقت والجهد اللذين تستلزمهما صلاة الجماعة محدود ضئيل، وهو يصرف أضعاف ذلك الوقت والجهد على سائر شؤون حياته من الكماليات والرفاهيات.

وتأسّف سماحته من وجود حالات انقسام في صلاة الجماعة بين المؤمنين انطلاقاً من العصبيات الفئوية قائلاً: إن صلاة الجماعة يجب أن تجمعنا وتبيّن ترابط المجتمع، إن العدالة والتقوى هي من الصفات التي ينبغي مراعاتها عند اختيار إمام المسجد دون النظر إلى منطقته أو الفئة التي ينتمي إليها.

وبخصوص مؤسس المسجد الحاج عبد الله المطرود قال سماحته: كان رحمه الله يحمل هموم مجتمعه، و يبادر لخدمة الناس وقضاء حوائجهم، وكانت أياديه البيضاء لا تقتصر عل منطقته ومجتمعه، بل كان يمدّ يد العون والدعم لكل المشاريع الإسلامية والإنسانية في مختلف المناطق والمجتمعات.

الأمة في مواجهة الفتن الطائفية

الأوجام- وجدي مبارك

تساءل سماحة الشيخ حسن الصفار عن السبب الذي يجعل الفتنة الطائفية تطل برأسها كلما بدأت الأمة بالنهوض والإتحاد في مقاومة المشروع الغربي في المنطقة، وكأن من يتعمد إثارتها يقصد حماية المصالح الغربية المهددة.

كان ذلك خلال حديث سماحته مساء يوم الخميس ١٢/ ٩/ ١٤٢٧هـ في حسينية المرحوم الحاج عبدالرحيم الناصر بالأوجام وكان عنوانها (الأمة في مواجهة الفتن الطائفية).

وقد استهلت الندوة بمقدمة للسيد موسى حميد الهاشم تحدث فيها عن التنوع والاختلاف البشري في كثير من الأمور لاسيما في التنوع الديني حتى على مستوى الشرائع والأديان، وكيف وصل هذا الاختلاف في الأمة الإسلامية وهو تنوع أقرّ به

الإسلام والقرآن الكريم، ثم تطرق إلى دور الأمة ودور المجتمعات الإسلامية في مواجهة التحديات والأخطار المحدقة بها وخاصة ما يحدث في العراق وترديد البعض لمصطلح الفتنة الطائفية، وهل يمكن حدوثها؟ وكيف يمكن محاصرتها والقضاء عليها؟ وكيف يمكن في مثل هذه الظروف أن نحافظ على ثوابتنا وأن نعزز من وحدتنا وانتمائنا إلى وطننا دون المساس بوحدته؟، وكيف يمكننا أن نوقف ونحد من العبارات الطائفية التي تؤدي إلى الاحتراب الطائفي؟

هذا، وقد استهل سماحة الشيخ كلمته بالآية (٦٥) في سورة الأنعام ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

ثم قسم سماحته كلمته إلى عدة محاور بدأها بالحديث عن نوعية الكوارث والمشاكل التي تتعرض لها الأمم، وصنفها إلى نوعين:

الكوارث الطبيعية التي تحدث بسبب ظواهر طبيعية، كالفيضانات والبراكين والأعاصير وهي كوارث لا يستطيع البشر أن يمنعوا حدوثها لكن مع تقدم العلم استطاعت البشرية أن تتنبأ بها وحاولت الحدّ من آثارها وأخطارها.

ثم قارن سماحته اختلاف الأضرار الناتجة عن ظاهرة الزلازل بنفس القوة والدرجة في بلد متقدم مثل اليابان وبلد من العالم الثالث كإيران، فنجد أن اليابان أقل ضرراً من إيران كونها بلداً استطاع بتقدمه العلمي أن يتنبأ بحدوثها قبل وقوعها، واستخدام الوسائل التي تتلاءم معها كنوعية المنازل مثلاً.

ثم بين سماحته النوع الآخر من الكوارث وهو:

الكوارث الاجتماعية وهي من قبيل الاحتراب الداخلي بين أطراف المجتمع وهي نوع من أنواع النزاع وهي كارثة تحدق بالمجتمعات، وأوضح أن النزاع حالة طبيعة تفرزها الحياة البشرية وتحدث في جميع المجتمعات ولا تختص بمجتمع دون آخر أو بطائفة

أو ديانة أو مذهب معيّن.

وبيّن سماحته أن السبب في حدوث حالة الاحتراب في المجتمعات المتنوعة في انتمائهم وتوجهاتهم يعود إلى عدم وجود علاقة سليمة ووجود خلل واضح بين هذه الأطراف التي يتكون منها هذا المجتمع، ويكون سبباً في حدوث حالة الاحتراب.

وأضاف سماحته «إن كثيراً من المجتمعات الأوربية عاشت حالة من الحروب والنزاعات وذلك لعهد قريب، كالحرب العالمية الأولى والثانية، ومما يدل على أن ظاهرة النزاع والاحتراب يمكن حدوثها في أي مجتمع بغض النظر عن انتمائهم وديانتهم».

أما المحور الثاني فتطرق فيه سماحة الشيخ إلى الأسباب والظروف المساعدة في التقليل من ظاهرة النزاع والاحتراب في المجتمعات.

إن ضوابط مستوى ترشيد التنافس والاختلاف ما بين فئات المجتمع يؤدي إلى تقليل حالة النزاع والاحتراب بينما إذا قل مستوى الضمانات والصيانة والاحتراز الأمني في تلك المجتمعات فإن مستوى حالة الاحتراب والنزاع يمكن أن ترتفع داخل هذه المجتمعات.

وكأنموذج ذكر سماحته واقع أمتنا الإسلامية عبر تاريخها الطويل وكيف أن بعض الحروب والنزاعات نشأت بشكل مؤسف بين جيل تربى ونشأ على يد رسول الله ﷺ مستعرضاً عدة شواهد منها معركة صفين والجمل والنهروان والحروب في الدولة الأموية والعباسية والنزاع الذي وقع بين الأمين والمأمون.

ثم أوضح سماحته «أن هذه الأحداث والنزاعات حدثت ضمن عناوين مختلفة فكان بعضها يظهر تحت عنوان سياسي والبعض تحت عنوان ديني ولكن يمكن أن نستنتج أن بعض هذه النزاعات أخذت عناوين دينية وهي مجرد شعارات ولكنها في الحقيقة نزاعات وخلافات سياسية».

وتحدث سماحة الشيخ في المحور الثالث عن واقعنا المعاصر وكيف أن هذا الجيل

الحالي عاصر كثيراً من النزاعات والحروب بين هذه الدولة وتلك، وبين هذا الطرف وذاك، كحرب اليمن، والحرب العراقية الإيرانية، واحتلال الكويت، والصومال، والحرب الأهلية في لبنان.

وقال سماحته: «إننا نتمنى أن تتجاوز أمتنا ومجتمعاتنا العربية حالة الاحتراب والنزاع بشتى أنواعها لاسيما أننا نعيش حالة الفوضى في عدد من الدول كالعراق والصومال وضمن شعارات ومضامين سياسية مختلفة».

ثم تساءل: «كيف نتجاوز هذه الحالة؟ وكيف يمكن أن نبعد عن حالة الاحتراب والنزاع داخل مجتمعاتنا؟ وكيف نصل لحالة من الاستقرار السياسي والاجتماعي؟...».

وأجاب عن ذلك «إن الحل يكمن في أمرين أساسيين، أولهما: تطور وارتقاء الأنظمة السياسية في الأوطان العربية والإسلامية بحيث يعيش الناس نظام مواطنة موحّد يتساوى فيها المواطنون في حقوقهم وواجباتهم بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم السياسية، كما هو الحال في كثير من الدول الغربية.

أما الأمر الثاني فهو: سيادة ثقافة الاحترام والاعتراف بالطرف الآخر، وهي في كثير من الأحيان مشكلة نفسية ثقافية تبدأ بفرض الوصاية والاستعلاء سواء على مستوى الدين أو المذهب وهو خلاف ما جاء به القرآن الكريم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وكيف أن هناك توجهات حتى على مستوى التيار أو المذهب الواحد لفرض وصايته وهو أيضاً يؤدي في مجمله لحدوث حالة من الاحتراب والنزاع الداخلي».

ثم أعرب سماحته عن تفاؤله من عدم حدوث نزاعات طائفية لأن الأمة وصلت لمستوى وعي كبير بين أوساطها، وكذلك وجود المخلصين من مختلف المذاهب في التقريب بين مذاهبهم ونشر ثقافة التسامح ووحدة الأمة الإسلامية، بالرغم من وجود فئات تعصبية محدودة في الأمة وهي قليلة التأثير.

وقال سماحته: «إن فاجأ الجميع أن خروج ظواهر لإحياء النزعة الطائفية يقترن مع

صدام في المصالح الإسلامية الغربية واستدل لذلك بانتصار الثورة الإسلامية في إيران وكيف صب هؤلاء الطائفيون جام غضبهم في تحرك ضد الشيعة عبر الوسائل المختلفة، وكذلك الحال بعد سقوط نظام صدام وكيف استغل لإثارة نزعة طائفية في العراق».

وأضاف «إن ما يثير الاهتمام كيف أن انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان في الحرب الأخيرة ضد الكيان الصهيوني الذي لا يوجد خلاف بين الأمة في صدها ومحاربتها، فسمعنا للأسف أصوات ناشزة أثارت نزاعات طائفية، بدل أن نؤكد في هذا الوقت على توحدنا!».

ويرى سماحته أن كل هذا يأتي عبر وجود مصالح أجنبية لإثارة هذه النزاعات، لأنهم رأوا أن الأمة بدأت تتوحد وتقاوم فلا بد من إشغالها بنزاعات وخلافات طائفية داخلية.

في نهاية كلمته قال سماحته مؤكداً: «إننا لا نريد النزاعات الطائفية ولكن في بعض الأحيان لا نستطيع أن نكبح أنفسنا كون البعض يحكّم عاطفته قبل عقله، وكيف أن هذه النزعة تأتي من تصرف فردي أو مجموعة معينة يشعل فتيل تلك الفتنة، ولكن يجب على الواعين أن يدركوا خطورة الانجراف إليها، وأن يتحملوا مسؤوليتهم ولا يخضعوا لضغط الشارع وإن الانزلاق فيها يحقق مراد الأعداء في تمزيق شمل الأمة».

وفي نهاية الندوة أجاب سماحته عن مداخلات وأسئلة الحضور الكريم، ومنها:

ما هو رأي سماحتكم في السيمفونية التي ترددها بعض وسائل الإعلام كون أن أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام لا يملكون حساً وطنياً سواء في مجتمعنا أو في مجتمعات عربية أخرى بالرغم من أن كثيراً من المواقف أثبتت عكس ذلك؟

إن مثل هذه الدعايات هي في الأصل تهريج إعلامي ويجب تعريف ما هية الحسّ الوطني، فإذا كان الحس الوطني هو الدفاع عن الوطن فإن موقف المقاومة الإسلامية في لبنان أسمى صورة تعكس هذا الحس والانتماء فليست أرض لبنان مختصة بالشيعة بل

للبنانين بمختلف قومياتهم وانتماءاتهم، وكذلك سعيهم لتحرير جميع الأسرى اللبنانيين بالرغم أنهم ليسوا شيعة بل ينظرون لهم بمنظور وطني، وكذلك موقف الشيعة في الكويت في تحرير الكويت، لكن جوهر القضية هي دعوة لإثارة الفتنة في المجتمعات.

وتساءل سماحته «إذا كان لدى بعض الشيعة في بلد ما رأي يعترض على حالة، أو رأي سياسي يخالف النظام السياسي، فهل هذا يتعارض مع الانتماء الوطني؟ وكيف أن كثيراً من البلدان توجد بها معارضة من غير الشيعة فلماذا لا يتهمون بأنهم خارج الوطن، ويشكك في وطنيتهم؟ ويجب علينا في هذا المقام التفريق بين الوطن كأرض ونظام وشعب، وبين ممارسات سياسية يمكن الاعتراض عليها أو نقدها».

هل ممكن أن نقلل من مظاهرنا الدينية في منطقتنا للحفاظ على وحدتنا وعدم إثارة النزعة الطائفية؟

إني أرى الاعتراف بحق أي فئة من فئات المجتمع أن تمارس شعائرها الدينية دون قيد أو تضييق، وإن الوحدة الوطنية ليست على حساب الحرية الدينية والعبادية لفئة من الفئات، ولكن هناك عادات وممارسات داخلة وليست ثابتة ومناسبة في المذهب يمكننا التحفظ عليها، ليس لأنها تخالف الوحدة أو تثير هذا الطرف أو ذاك بل لكي نقومها وإعطاء نظرة فاحصة عنها، أما الممارسات الدينية الثابتة في مذهبنا فهي ممارسات يجب الحرص على ممارستها وتفعيلها وتطويرها لغرس القيم الدينية في الأجيال والنشء الجديد.

لماذا لا تنقح الكتب الموروثة لدينا التي تثير النزاع الطائفي؟

يحتاج التراث سواء في المذهب الشيعي أو السني إلى غربلة من جديد لوجود موضوعات واجتهادات تمثل أفراد وبيئة معينة أو تمثل ظرفها التاريخي، ونحن نؤمن بضرورة مراجعة هذا التراث، وأرى أن بعض ما يثير الخلاف بين أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام والمذاهب الأخرى ليس ناتجاً من أصول المذهب إنما ناتج من ممارسات

واجتهادات حصلت في عصور معينة قد لا تكون صحيحة السند، لأن مذهب ومنهج أهل البيت هو الحفاظ على الوحدة واحترام الآخرين، ولم يكن ديدن أهل البيت الشتم والسب لأن منهجهم الإسلام ﴿إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾[سورة الفرقان الآية٧٢]﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾[سورة الفرقان: الآية ٦٣].

وأن مفهوم الولاء والتبري، مفهوم واسع يتفق عليه المسلمون، وأن مفهوم الولاء الفكري أن تأخذ بفكر أهل البيت عليهم السلام وتتبرأ من الفكر الآخر، ولا يمكن أن نأخذ بحدية مفهوم الولاء والتبري في تبرير السب والشتم وهذا ما يخالف منهج أهل البيت وتعاملهم مع المواقف المختلفة كموقف الإمام علي عليه السلام مع أتباع معاوية والجمل والنهروان.

الشيخ الصفار يشارك في الملتقى الأول لدائرة بلدي صفوى

على خلفية الحوار والعمل المشترك بين مجتمعات الدوائر البلدية في محافظة القطيف، وتعزيزاً لروح التلاقي، انعقد الملتقى البلدي الأول بدائرة صفوى ليلة الأربعاء ١٧/ ٩/ ١٤٢٧هـ، بقاعة الصفا للمناسبات بمدينة صفوى، في ظل حضور حاشد ولافت من رجالات وأعيان ومثقفي صفوى وأم الساهك وتوابعها والآجام، وانقسمت فعاليات الملتقى إلى قسمين:

الأول: الحفل الخطابي، الذي تطرق فيه المجتمعون إلى مواضيع بلدية واجتماعية وثقافية، وركزت الكلمات في معظمها على الاهتمام بخدمات البلدية، وضرورة التلاقي والتعارف والحوار بين مختلف الطبقات والاتجاهات.

والثاني: فقد كان عبارة عن مداخلات شفهية أو مكتوبة من الحضور، وتطرقت هي الأخرى للشؤون نفسها، وكانت غنية بالكثير من الأفكار والمقترحات، التي تم

بحثها في الملتقى.

قدم للحفل وأدار الحوار والمداخلات فيه الأستاذ عادل آل متروك، وبدأ بآيات من القرآن الكريم، تلاها القارئ عبدالله آل فاران.

وكانت كلمة الأستاذ أحمد بن صالح آل حبيب من أهالي صفوى الأولى التي ركز فيها على أهمية العمل الاجتماعي المشترك بين أبناء دائرة صفوى، وضرورة توافر الإرادة والتصميم الحثيثين لإنجاح المشاريع والأنشطة، وتحقيق الأهداف المرجوة منها. كما أكد الأستاذ أبو رامز على أن أبناء دائرة صفوى يعيشون أجواء من الإخوة والتسامح. وشدد على أن هذا التعايش ينبغي أن يكون محل قدوة من قبل الآخرين.

وكان لصندوق المئوية فرع محافظة القطيف نصيب من الكلمات حيث عرف الأستاذ زكي أبو السعود الحضور بصندوق المئوية والأهداف التي يسعى لها وضرورة التفاعل معه كعمل يهم المحافظة بشكل كامل.

وفي كلمته قال الأستاذ علي آل عبد الحي عضو المجلس البلدي بمحافظة القطيف عن دائرة صفوى: «إننا نسعى لإيجاد مشاريع مشتركة على مختلف الصعد والاتجاهات، وقد آن الأوان لنا كي ننفذ هذه المشاريع بإعداد وتنفيذ مشترك».

وعدد أمثلة على ذلك كالاهتمام بكتاب الله الكريم، وإيجاد المؤسسات التي تعمل لأجل تلاوته وتجويده وحفظه، والأنشطة الاجتماعية الأخرى كالجمعيات الخيرية وغيرها. ودعا إلى إيجاد آلية تهيأ لمثل هذا النوع من التوجه للعمل المشترك بالتأسيس لآلية مشتركة، لتحقيق المطالب البلدية والحاجات الاجتماعية.

كما أشار إلى أن المطالبات من قبل المواطنين كانت تأتي منفردة وبمعزل عن بعضها البعض، ويتعين أن تكون مشتركة بين أبناء دائرة صفوى، ما يعزز ثقافة المطالبة، والعمل الجمعي المشترك.

ومن جانب آخر، أشار في كلمته إلى قرار حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك

عبدالله بن عبد العزيز آل سعود بضرورة توزيع الميزانية المالية للمناطق المهمة والمناطق المحرومة على حدٍّ سواء لسد الثغرات ومتابعة استكمال خطط الدولة وتوجيهاتها، لتوفير الخدمات الأساسية، والعيش الرغيد للمواطنين على النحو المرجو.

عقب ذلك ألقى فضيلة الشيخ عبد الرحمن القحطاني ـ إمام وخطيب جامع علي بن ابي طالب بحزم أم الساهك ونائب رئيس جمعية حزم أم الساهك الخيرية ـ كلمة أكد فيها أهمية خدمة المواطنين وخصوصاً من قبل من حملوا المسؤولية وعلى أهمية اللقاء وضرورة إنجاحه، وأشار إلى توافر الشروط اللازمة لإنجاح الحوار واللقاء والعمل المشترك، وركز في كلمته على أهمية الرجوع إلى كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة لإنجاح أي حوار وتحقيق أي هدف. كما رحب بالإخوة المجتمعين، ودعا إلى تكرار مثل هذه اللقاءات.

وفي كلمته أكد فضيلة الشيخ حسن الصفار أهمية هذا الملتقى باعتباره يمثل لقاء بلديًّا ولقاءً حواريًّا في الوقت نفسه، وأشار إلى المبادرات المتميزة والرائدة، التي تبناها أهالي صفوى ونفذوها، واستعرض بعضاً منها، وأشاد بجهود أهالي صفوى بتأسيس المؤسسات، وإقامة الأنشطة السباقة والفريدة من نوعها.

وفي هذا المجال اعتبر الشيخ الصفار هذا الملتقى حيويًّا للوطن، ومحطة مهمة لبناء العمل المشترك، وبلورة التعاون بين مختلف الاتجاهات والانتماءات في البلد الواحد.

وقال: «إن علينا أن ننفذ ملتقى بلديًّا عامًّا، يضم كل مدن وبلدات محافظة القطيف من سيهات والنابية وعنك جنوباً إلى دارين وتاروت شرقاً إلى سائر المدن والبلدات، ليحيى أبناء محافظة القطيف في أجواء الوطن الواحد والانتماء المشترك، وهو الأمر الذي يقدم محافظة القطيف وأهلها بوصفها أنموذجاً رائعاً للتسامح والتنوع والتعايش والتوظيف الإيجابي لكل ذلك لخدمة الوطن والمواطنين».

كما أشار الشيخ الصفار إلى أن أجواء منطقة الشرق الأوسط خيمت عليها فترة من الصراعات السياسية والمذهبية، وصار كل طرف يقدم الاختلاف والتنوع بطريقته

توظيفاً سلبياً للأمور والأحداث، إلى أن تقدم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود بمبادرته المهمة على مستوى الوطن، للحفاظ على حالة التنوع والتعايش، وإعادة اللحمة لأبناء مجتمعات المنطقة، وتجسد ذلك بدعوته إلى مشروع الحوار الوطني بين مختلف الأفكار والاتجاهات في الوطن، وهو الأمر الذي قدم وجهاً جديداً، اتسم بالتسامح واحترام مختلف الاتجاهات والأفكار، وعزّز من الوحدة الوطنية، ودعّم مشاريع التنمية بمختلف اتجاهاتها. كما شدد الشيخ الصفار على الدعوة إلى ترك الخلافات المذهبية جانباً، واحترام الخصوصيات الفقهية في المذاهب، وعدم شطب الآخر أو إلغائه أو اتهامه في دينه من كل الاتجاهات على حدٍّ سواء.

وكانت كلمة الأستاذ عبد المنعم بن أحمد آ ل ناصر منصبة على السلم الاجتماعي كوسيلة لتنمية وتعزيز العمل الاجتماعي المشترك، وقال بأننا لكي ننجز عملاً اجتماعياً مكتملاً، لا بدّ أن تتوافر شروط، من أهمها شعور العاملين والمستفيدين ـ على حدٍّ سواء ـ بالسلم الاجتماعي، وضرورة توافره بين الناس أنفسهم، واعتبر ذلك دعامة لا بد من إعادة الاعتبار لها.

ثم اتجه الجمهور إلى المداخلات، التي تجاوبت مع الأطروحات المهمة، التي قدمها المشاركون بكلماتهم وإشاداتهم وتوجيهاتهم، وركزت المداخلات في بعدين:

الأول: أعمال ونتائج المجلس البلدي على الصعد المختلفة، كالخدمات الأساس، وخدمات البنى التحتية والبيئة والتعليم، والاهتمام بالمظاهر الطبيعية، كالمسطحات الخضراء والبساتين والحدائق،لمواجهة ظاهرة التلوث وحماية الأجواء من مسببات التلوث.

الثاني: ضرورة التخاطب مع الجهات الأمنية، لتوفير عمد لأحياء دائرة صفوى في مدينة صفوى نفسها وفي أم الساهك وتوابعها وفي الآجام، وكانت مداخلة سماحة الشيخ الصفار لافتة. إذ إن الشيخ عبد الرحمن القحطاني ذكر أن هناك عدداً من المفحطين يتجمعون

في أم الساهك ويمارسون هذه العادة السيئة، وقال بأنهم شباب يتجمعون من أم الساهك وصفوى والقديح وسيهات، فعلق الشيخ الصفار على ذلك بقوله: كيف تمكن هؤلاء الشباب (المفحطون) الذين لا يحملون همًّا دينيًّا أو اجتماعيًّا من تجاوز الخلافات المذهبية لينسقوا أعمالهم سويًّا، وينفذون (مشاريع) مشتركة، والعقلاء والمتدينون لم يتقدموا بأية مبادرات في هذا الاتجاه. وقوبلت هذه المداخلة بعاصفة من التصفيق والاعجاب.

الشيخ الصفار: ليس لأيّ جهة فرض الوصاية على المجتمع[1]

شبكة راصد الإخبارية

قال الشيخ حسن الصفار بأن زمن الوصاية على آراء الناس انتهى ولا حق لأي طرف قصر المجتمع على توجهاته ولا بدّ أن تتسع الصدور لاستيعاب حالة التعددية.

جاء ذلك في محاضرة عامة ألقاها مساء الأربعاء في ساحة الشويكة بالقطيف في ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام.

وأضاف الصفار بأن الجيل المعاصر ملزم بالاجتهاد في قراءة الإمام علي عليه السلام وفقاً لظروف العصر دون الاقتصار على قراءة الأجيال الماضية.

وأضاف: إذا كان هناك من ارتضى لنفسه في السابق أن يقرأ علياً من زاوية الإعجاز المطلق لتلك الشخصية أو من زاوية المأساة المجردة فإن قراءة كتلك جاءت نتاج جيل

(١) محاضرة ألقيت في ساحة الشويكة بالقطيف، ضمن برنامج بعنوان (علي والأمة) ليلة ١٩ رمضان ١٤٢٧هـ.

منكفئ ومنطوٍ على ذاته وهي لا تتناسب مطلقا مع نهج وفكر علي ورؤيته.

المحاضرة التي جاءت بعنوان «وحدة الأمة» لم تخلُ من مضامين لافتة حول الوحدة الإسلامية التي يرى الشيخ الصفار بأنها لا تعني أبداً إلغاء الخصوصيات السياسية أو المذهبية لأي من الأطراف.

وأضاف بأن الوحدة تعني فيما تعني التمحور حول القواسم المشتركة والمصالح العامة للأمة في الوقت الذي يتاح فيه للجميع التعبير عن ذواتهم دون وصاية من طرف على آخر أيًّا كان.

ورأى الصفار أن هناك ثلاثة مسارات للوحدة، أولها الوحدة الاجتماعية والثاني الوحدة الوطنية والثالث وحدة الأمة.

وأضاف بأن الوحدة الاجتماعية لا تعني بأي حال توحد الجميع على نهج واحد وفكر واحد وتيار واحد، فذلك خلاف الطبيعة البشرية، ولقد انتهى زمن الوصاية على آراء الناس في مجتمعنا.

وأشار إلى أن من المهم بهذا الصدد إيقاف التعبئة ونشر حالة التسامح بدلاً عنها إلى جانب الالتفاف حول المؤسسات الاجتماعية واعتبار الكفاءة هي الأساس لا المحسوبيات والميول الشخصية.

أما على صعيد الوحدة الوطنية فرأى بأن الأمة مستهدفة من قوى خارجية فلا بدّ من سدّ الثغرات الداخلية بإعطاء الحقوق للجميع وإيقاف حالات التعبئة والقضاء على الفتن.

وأضاف: لا يجوز منع الناس من ممارسة حرياتهم الدينية بدعوى محاربة الطائفية ولم تكن حرية التعبير ضد الوحدة الوطنية في يوم من الأيام.

أما على صعيد الأمة فرأى الصفار أن كل من شهد الشهادتين فهو معصوم الدم والعرض والمال كما في المأثور، مذكراً بتوصيات مؤتمر مكة الاستثنائي الذي اعترف

بالمذاهب الإسلامية الثمانية.

وطالب الصفار بهذا الصدد بالاقتداء بالإمام علي، فهو في الوقت الذي لم يتنازل عن حقه في يوم من الأيام إلا أنه اجتهد بشدة في صون الأمة من الفرقة.

مضيفاً لم يكن علياً جليس الدار كما يراه البعض بل عمل بفاعلية وبالتوازي مع الخلفاء في إسداء المشورة ومحض النصيحة حتى باتت كلمة «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن» أشهر من أن تعرّف.

يذكر بأن المحاضرة تأتي ضمن برنامج «علي والأمة» الذي تشرف عليه لجنة الإمام الحسن بالشويكة ويستمر على مدى الليلتين المقبلتين.

الشيخ الصفار في أولى ليالي ذكرى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام:

الإمام علي ووحدة الأمة [1]

أديب أبو المكارم

استهل سماحة الشيخ حسن الصفار حديثه الذي ألقاه في ساحة الشويكة بالقطيف في الاحتفالية التي تقيمها لجنة الإمام الحسن عليه السلام لذكرى شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ثم قال سماحته مخاطباً الجمهور بعد أن قدم لهم العزاء بهذه الذكرى الأليمة: «ونحن في هذه الذكرى حري بنا أن نقرأ الإمام علياً ذلك الفذ الذي يقول: إنه ليس رجل أحرص على جماعة محمد صلى الله عليه وآله وألفتها مني، أبتغي بذلك حُسن الثواب، وكرم المآب».

وأضاف: «ذلك لأن علياً عليه السلام كتاب عميق المضامين، يتجدد في كل عصر، ويستطيع كل جيل أن يقرأ هذا الكتاب ويصلح به واقعه وشؤونه».

---

(١) محاضرة ألقيت في ساحة الشويكة بالقطيف، ضمن برنامج بعنوان (علي والأمة) ليلة ١٩ رمضان ١٤٢٧هـ.

ثم وجه إلى أن تكون القراءة قراءة واعية، غير مقيدة بقراءة من سبقنا، فلكل جيل فهمه وإدراكه، مشيراً إلى أن هناك من قرأ علياً عليه السلام كحالة غيبيه، له من المعجزات والكرامات الكثير، فلا يترنم إلا بهذه الروايات التي تبين فضل علي وكرامته عند الله، وهذا جميل، لكن ليس من الصحيح أن نختصر حياة علي ودوره في هذا المجال فقط.

مُلفتاً إلى أن الكرامات كانت حالة استثنائية في حياة الأنبياء والرسل، وإلا فهم بشر مثلنا. وإظهار الكرامات من قبل الله عزّ وجل على أيديهم كانت لمصلحة الرسالة، ولما تقتضيه حكمة الله تعالى.

وهناك من قرأ علياً عليه السلام كمأساة وأشجان، لا يزال صداه يدوِّي إلى يومنا، حتى إن بعضهم يرى أن فترة حياة الإمام التي عاشها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وحتى تسلمه الخلافة وهي قرابة ربع قرن، قد قضاها جليس الدار، حبيس الآلام.

ثم قال سماحته مستنكراً: «هذا لا يتناسب مع فكر الإمام علي عليه السلام الذي كان يرى الخلافة قضية هامشية، لم تكن لتوقف مسيرة حياته وهدفه الأسمى، حتى قال: والله ما خلافتكم عندي بأغلى من هذه النعل ما لم أقم حقاً أو أدحض باطلاً. ولكن البعض كان ينسب لعلي الانطواء والانكفاء حتى يهرب من لوم النفس، والناس، لاتخاذه هو هذا الدور. والحق أن علياً لم يتخلَّ عن دوره وموقعيته لحظة واحدة».

«علي رجل الوحدة، ومواقفه شاهدة على ذلك» يقول الشيخ الصفار ذلك مؤكداً، ثم يستطرد: «يلتبس في أذهان البعض مفهوم الوحدة، فيرى أنها ذوبان طرف في طرف آخر، أو أنها تنازل عن القناعات والخصوصيات، أو أنه لا بد من التطابق في كل شيء حتى تتحقق الوحدة، وهذا غير صحيح، فالوحدة تعني التمحور نحو القواسم المشتركة، وإعطاء الحرية للجميع، واحترام حقوق وآراء الآخر، وعدم إلغاء خصوصياته، أو فرض الوصايا عليه».

ثم تناول الشيخ الصفار موضوع الوحدة من ثلاثة أبعاد: على مستوى المجتمع،

والوطن، والأمة.

فمن جانب البعد الأول قال: «نحن كأتباع لمذهب أهل البيت ﷺ مثلاً نمثل مجتمعاً، فهل مطلوب منا كمجتمع أن نتفق ونتطابق في كل شيء؟ الآراء، والأفكار، والمواقف، والتوجهات...! هذا لا يكون، وهو خلاف الطبيعة، الاختلاف موجود وطبيعي، ولكن هناك مشتركات بيننا علينا أن نكتشفها لنعززها ونقويها».

وقال متفائلاً: «مجتمعنا ولله الحمد تجاوز كثيراً من المظاهر السلبية في الاختلاف، فلم يعد هناك نزاع بين المدارس، كالأصولية، والأخبارية، والشيخية، ولم يعد هناك صراع مرجعي في المجمل الغالب، وقد تقاربت آراؤنا ومواقفنا السياسية، تبقى عندنا حالة التنافس في تحقيق المناصب، سواءً كان منصباً سياسياً، أو إدارياً، أو اجتماعياً، أو حتى إمامة الجماعة، وهو أمر مشروع، وحق طبيعي، شريطة ألا يكون في التنافس إسقاط للآخرين، وتعدٍّ على كرامتهم وسمعتهم».

ولإدارة التنافس بشكل إيجابي قال: «لا بد أن تتسع نفوسنا لخلافاتنا الجزئية، لا أن نضخمها، ونحترب بسببها، لكل رأيه وقناعته. سنوياً نسمع عن اختلاف في إثبات الهلال مثلاً، وهو أمر طبيعي ولا خلاف فيه ما دام الإنسان قد أفطر أو صام على قناعة واطمئنان، ولا يصح أن تكون هذه القضية مصدر خلاف بيننا، وتشكيك في الآخرين». وحذر من فرض الوصايا على الآخرين، والهيمنة الفكرية.

واستطرد: «كما ينبغي لنا نشر ثقافة التسامح الداخلي، ووضع حدٍّ لحالات التعبئة ضد الآخرين، يقول الإمام الصادق ﷺ : (ما أنتم والبراءة؟ يبرأ بعضكم من بعض، إننا نعلم ما لا تعلمون، فهل نتبرأ منكم؟ ورسول الله ﷺ يعلم ما لا نعلم، فهل يتبرأ منا؟).

كما علينا الالتفاف حول المؤسسات الاجتماعية كالجمعيات الخيرية، والنوادي الرياضية، وأن نرتقي من العمل الفردي، إلى العمل الجمعي في كل أنشطتنا حتى المساجد

والحسينيات ينبغي إدارتها عن طريق عمل مؤسسي. كما أن اختيار المتنافسين لأي منصب ينبغي أن يبنى على مقياس الكفاءات لا على مقاييس الحسب والنسب، حتى نضمن صلاح المجتمع ورقيه».

ومن جانب الوحدة الوطنية، أكد الصفار أن هذا الأمر حساس وخطير، سيما في هذه الفترة التي تسعى الإدارة الأمريكية وحلفاؤها لتقسيم المنطقة، وشق صفنا. وما زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية الأخيرة للمنطقة إلا لتشجيع الانقسام دخل فلسطين، ولبنان، وباقي المنطقة.

وأشار الصفار: «أنا لا أريد أن أضع اللائمة كلها على الخارج، فبداخلنا أرض خصبة سهلت المهمة للغير، عندما سقط شاه إيران كحليف لأمريكا ولإسرائيل، تم اللعب بالورقة الطائفية، وعندما تحركت المقاومة اللبنانية وانتصرت واجهنا موجات من الفتن الطائفية التي تصب في مصلحة العدو. علينا أن نعي هذا الأمر، ونرفض التحريض وشق الصف، فبلدنا ـ حفظه الله من كل سوء ـ مستهدف من قبل الأعداء».

ومن ناحية مطالبة المواطنين الدولة بحقوقهم، بما يصب في مصلحة الوطن، ويراعي الوحدة الوطنية قال: «هذا أمر مطلوب، وهو ما يشجع عليه المسؤولون».

أما من جانب البعد الثالث، وهو وحدة الأمة، فأكد على أن الحفاظ عليه يعزز الدين الإسلامي، ويعلي رايته، وهناك مشتركات بيننا لا بدّ أن تكون سبيلاً لجمعنا، فمن قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فهو مسلم، يتمتع بعضوية المجتمع الإسلامي، وهو محترم الدم، والمال، والعرض.

والتعدد المذهبي والفكري أمر طبيعي، فلا يجوز انتقاص جهة معينة بسبب توجهها المذهبي أو الفكري، مشيراً إلى توصيات مؤتمر مكة الاستثنائي، الذي تم الاعتراف فيه بالمذاهب الإسلامية الثمانية.

وعن دور الإمام علي الوحدوي قال: «كان علي عليه السلام رجل الوحدة، ورائدها، كان

يرى في نفسه الأولوية لقيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ كما تنص عليه الأحاديث التي يتفق المسلمون على ورودها، ويختلفون في فهمها، كحديث الغدير والطائر المشوي مثلاً حيث يقرؤها الشيعة على أنها نص في تنصيب علي عليه السلام بينما يقرؤها أهل السنة على أنها إشادة بفضل ومكانة علي عليه السلام.

ومع هذا كان الإمام علي عليه السلام يعرض عن الاحتراب والتصدي للمطالبة بحقه، حتى لا يوهن كيان الأمة، وقد رفض بيعة أبي سفيان، ونهره عليه السلام حين عرض عليه الثأر لنفسه مبدياً استعداده لنصرته، وقال: إنما تبتغي بذلك الفتنة. وصبر، لكنه لم يتخلّ أبداً عن واجبه الشرعي حتى قال: (فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً).

لم يبق حبيس الدار، منكفئاً على نفسه، بل كان يحضر مع الخلفاء، ويشاركهم الجماعة، ويبدي لهم النصح والرأي، وهم أيضاً كانوا يستشيرونه ويأخذون برأيه، كما استشاره أبو بكر في غزو الروم، وأشار عليه الإمام بأن في ذلك الظفر. أما عمر بن الخطاب فهناك أكثر من ثمانين مورداً تبين كيف كان يرجع في كثير من أموره إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى قال: لولا علي لهلك عمر!

ولو كانوا ينظرون إليه كعدو لما رجعوا إليه، ولو كان هو ينظر إليهم كأعداء لما نصحهم.

ومع ذلك كان يعلن عن حقه المضيع، واعتراضه على بعض المواقف السياسية التي يرى أنها تخالف الحق. اعترض مثلاً على بطانة عثمان بن عفان، ولكن حين حوصر عثمان، ومنعوا عنه الماء، واستنجد بعليٍّ عليه السلام ما كان منه إلا أن أرسل ولديه الحسن والحسين ليقدموا له ومن معه الماء، وليحرسوا داره من الثائرين».

وأكد مجدداً: «إن علياً عليه السلام سجل حافل بالمواقف التي ينبغي لنا أن نتخذها مسلكاً، ومنهاجاً، وفي ذلك صلاح أمرنا».

الشيخ الصفار: إما الإصلاح الشامل أو الإنفجار من الداخل [1]

قال الشيخ حسن الصفار أن الأمة على مفترق طرق، ولا بدّ من تجاوز عقدة الممانعة للتغيير، فإما المبادرة بالإصلاح الشامل وإلا فالمزيد من الكوارث والأزمات التي قد تفجر الأمة من الداخل.

وأضاف الصفار في معرض محاضرة تناولت الإصلاح السياسي عند الإمام علي ألقاها ليلة الجمعة في ذكرى استشهاده عليه السلام أن على رموز وقادة الأمة السياسيين والدينيين تحمل مسؤولياتهم إزاء ما آلت إليه الأوضاع.

وأعاد الصفار التذكير بأهمية قراءة الإمام علي من جديد بما يعيننا على معالجة مشاكلنا القائمة وأخذ العبر لا بما يزيد من انغماسنا في إشكالات الماضي التاريخية.

وأرجع أهمية المراجعة؛ لاحتمالية وجود الخطأ باستمرار لدى الجميع أو وجود

---

(١) محاضرة ألقيت في ساحة الشويكة بالقطيف، ضمن برنامج بعنوان (علي والأمة) ليلة ٢٠ رمضان ١٤٢٧هـ.

الانحراف المقصود أو غير المقصود، وأخيراً لطبيعة التطور وما يقتضيه واقع اليوم.

وأضاف أن مكمن التخلف لدى أغلب بلداننا يعود لوجود ثقافة الممانعة للتغيير ووجود قوى مصلحية مختلفة تخشى فقدان مصالحها.

وحذر الصفار من بروز المزيد من الكوارث والأزمات إذا لم تبادر رموز الأمة السياسية والدينية للإصلاح الشامل فالإرهاب الديني والفقر والتخلف من الداخل وشبح التقسيم والغزو من الخارج وعلى الأطراف.

وحول العناصر المساعدة على الإصلاح رأى الصفار أننا بحاجة إلى الجرأة والصبر أمام الاتهامات إلى جانب بث ثقافة إصلاحية بين الجمهور وأخيراً وعي الجمهور المساند للإصلاح.

وقال إن بلدنا، كما العديد من البلاد الأخرى، يعاني الفساد الإداري وأن مسؤولية ذلك لا تعود للحاكم وحده بل تقع علينا جميعاً فالجميع معني ومسؤول عن كشف التلاعب والفساد وإيصال ذلك إلى أعلى المستويات.

وأضاف أن هذه الممارسة مطلوبة على كافة المستويات بدء من إمام الجماعة إلى رئيس النادي والجمعية والمسؤول الحكومي ووصولاً إلى مراجع التقليد.

فلا بدّ لكل منا من موقف صريح وواضح إزاء نقد الخطأ وإبداء الاعتراض بالسبل الحكيمة خدمة للمجتمع والدين والوطن أضاف الصفار.

مؤكداً على الاقتداء بسيرة الإمام علي الإصلاحية قبل ومع وصوله للحكم بدعم جماهيري واسع بعد أن رفض فيما سبق استلام الحكم تحت شرط التزام اجتهاد من سبقه من الخلفاء.

.. فقد بادر علي عليه السلام إلى الإصلاح الشامل بعزل الولاة غير المرضي عنهم وإلغاء سياسية التمييز في العطاء بين المسلمين وإلغاء الامتيازات ولذلك خرج عليه المصلحيون.

وجاءت كلمة الشيخ الصفار ضمن برنامج «علي والأمة» الذي تنظمه لجنة الإمام الحسن بالشويكة في القطيف وحضره جمهور واسع من أبناء المنطقة ويختتم هذه الليلة.

وسبق كلمة الصفار مشاركة شعرية في الإمام علي للشاعر حبيب المعاتيق الذي ألقى قصيدة شهدت تفاعل الجمهور فيما استهل الشاعر فريد النمر برنامج الليلة السابقة بقصيدة مماثلة.

الشيخ الصفار: نعم لتأسيس منظمات المجتمع المدني في بلادنا[1]

شبكة راصد الإخبارية

دعا الشيخ حسن الصفار الفاعليات الاجتماعية والثقافية وأهالي المنطقة للمباردة في تأسيس منظمات المجتمع المدني التي وصفها بأنها قادرة على بناء وتوظيف القدرات وتنظيم وتنمية شئوننا الحياتية المختلفة.

وقال الصفار في محاضرته الختامية الليلة الماضية ضمن برنامج «علي والأمة» بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام أن العمل الأهلي إذا لم يتفوق على الأداء الحكومي فهو لا يقل عنه أهمية في مجال التنمية الاجتماعية.

---

(١) محاضرة ألقيت في ساحة الشويكة بالقطيف، ضمن برنامج بعنوان (علي والأمة) ليلة ٢١ رمضان ١٤٢٧هـ.

وخاطب الجمهور الذي اكتظت به ساحة الشويكة في القطيف بأن التحرك الشعبي المنظم أساسي ومحفز مباشر للعمل الحكومي.

مضيفاً بأنه لا يجوز إلقاء المسؤولية كاملة على الحكومات والتخلي المطلق في المقابل من جانب أبناء المجتمع عن تنمية وتطوير أوضاعهم الحياتية والمعيشية.

وأشار الصفار إلى أن التنمية الاجتماعية بحاجة إلى ثلاثة عوامل مهمة: أولها إنتاج ونشر ثقافة التنمية وتحمل المسؤولية في مقابل ثقافة الخمول والتقاعس، والثاني دعم العمل الأهلي والمؤسسات الأهلية، والثالث وجود برامج للتنمية على صعيد التعليم والصحة والتوظيف..

وأضاف إننا بحاجة إلى ثقافة تدفع الناس للتطلع والطموح وتدفع باتجاه التعاون والانطلاق والمغامرة لا الجمود والتحجر.

كما رأى بأن تأسيس منظمات المجتمع المدني في أي منطقة دليل عافية ومؤشر إلى رقي ثقافة المشاركة والتعاون والعمل الجمعي.

داعياً الجميع إلى المبادرة في تأسيس تلك المنظمات الأهلية في مختلف ميادين الخدمة الاجتماعية.

وأشار الصفار إلى أن مجتمعنا وفي سبيل النهوض بحاجة إلى عشرات المنظمات الأهلية في مختلف المجالات في التدريب ورعاية الموهوبين ودعم التعليم العالي ورعاية المرضى وتوظيف العاطلين ودعم المشاريع الخاصة والعمل البلدي..

منتقداً بشدة اتجاه الكثيرين من أبناء المجتمع للانخراط في العمل في الشركات بأجور متدنية أحياناً والبعد في المقابل عن تأسيس الأعمال والمشاريع الخاصة والكبرى تحت مبررات غير مقنعة.

ودعا الصفار في ختام محاضرته إلى الإقتداء بالإمام علي عليه السلام الذي استطاع في فترة قياسية من حكمه المليء بالاضطرابات والفتن أن يقضي على الفقر والعوز وأن يحقق

العدالة في المجتمع الإسلامي وأن يوفر حرية التعبير للجميع بما فيهم مناهضيه.

معرض الكتاب القطيفي:

وعلى هامش برنامج «علي والأمة» نظمت اللجنة القائمة على مدى ثلاث ليال معرضا للكتاب القطيفي ضم أكثر من ١٢٠٠ عنوان لكتّاب وكاتبات من أبناء محافظة القطيف.

المعرض الذي نظم في ساحة الشويكة اجتذب على مدى لياليه الثلاث المئات من المثقفين والزوار وعشاق القراءة.

وقال الأستاذ أمين التاروتي مشرف عام لجنة الإمام الحسن أن تنظيم المعرض جاء تقديراً للأقلام المحلية وإبرازاً لمدى الثراء الثقافي لهذه المنقطة.

التاروتي الذي أشار إلى أن هناك عشرات أخرى من العناوين التي لم يتسنَّ عرضها هنا لظروف مختلفة تمنى بأن تتاح فرص أخرى لإقامة معارض شبيهة في المستقبل.

الشيخ حسن الصفار يشارك في افتتاح «بيت القرآن» بسيهات

شبكة راصد الإخبارية: تقرير/ حسين زين الدين

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في افتتاح المقر الجديد لبيت القرآن التابع للجنة أنوار القرآن بسيهات، وذلك مساء يوم الأربعاء الموافق ١٧ شوال١٤٢٧هـ، بحضور شخصيات دينية واجتماعية من مختلف مدن وقرى المنطقة. وكان في استقباله أعضاء لجنة أنوار القرآن وفي مقدمتهم المرشد العام للجنة السيد ماجد السادة ورئيس اللجنة الأستاذ زكريا السيهاتي والأستاذ مهدي صليل مسؤول العلاقات العامة، حيث اطلع سماحته على أقسام ومرافق بيت القرآن الجديد، كما تعرف على أهم الإنجازات التي حققتها اللجنة خلال الفترات الماضية.

وقد أشاد سماحته بالدور الكبير الذي يقوم به الإخوة القائمون في إدارة هذه المؤسسة القرآنية، كما هنأهم على افتتاح المقر الجديد لهذا المشروع القرآني المبارك، سائلاً

المولى أن يجعل هذا المشروع منار علم ومعرفة وثقافة قرآنية حيث قال في بداية لقائه: «أبارك لنفسي أولاً وأبارك لكم وللمجتمع افتتاح هذا المكان الجديد لهذا المشروع القرآني المبارك، وأسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل هذا المشروع منار ضياء وعلم ومعرفة، ضياء العلم والمعرفة والثقافة القرآنية، ونحن نعتقد أن مثل هذا البيت يهتم بعلوم القرآن وثقافة القرآن هو يضيء لأهل الأرض، لأهل الوطن، ولأهل هذه المنطقة، فليكن مشع ضياء، وليكن مشع نور».

وأضاف: «إنني أقدر الجهود التي يبذلها الإخوة في إدارة هذه المؤسسة القرآنية، أعرفهم وأعرف إخلاصهم، وأقدر اجتهادهم، وإنني متفائل بأن هذه المؤسسة ستشق طريقها إلى الأمام، وستصبح إن شاء الله نموذجاً للمؤسسات القرآنية على مستوى الوطن، وعلى مستوى العالم الإسلامي إن شاء الله».

وعن المرئيات والمقترحات لهذا المشروع القرآني، أكد سماحته ضرورة الاهتمام بتربية الجيل الناشئ من الأبناء والبنات: «نحن الآن نواجه تحدٍّ كبير، تحدي الناشئة والجيل الجديد من الأبناء الذين يقعون تحت تأثير وسائل الإعلام والاتصالات، وأيضاً يعانون شيئاً من الإهمال التربوي. هذه الحالة التي تنعكس وتظهر وتتمظهر في بعض السلوكيات التي نراها من بعض الشرائح من جيل شبابنا».

وأشار إلى أهمية هذه المرحلة وخطورتها قائلاً: «إن الكتابات التي نراها على الانترنت من أبناء هذا الجيل، تشير إلى حاجة أبنائنا إلى اهتمام ورعاية أكبر» مضيفاً: «أنا آمل من هذا البيت ومن هذه المؤسسة المنيرة المشعة إن شاء الله، أن توجه اهتمامها لتربية هذا الجيل، بحيث يصبح عندنا جيل يحفظ القرآن، ويحمل ثقافة القرآن، وهدي القرآن».

وقد أوصى سماحته القائمين ببذل المزيد من الجهود لاستيعاب شريحة الشباب والشابات قائلاً: «أوصي أن تنصرف الجهود لاستيعاب أكبر قدر من أبناء وبنات

المجتمع لتثقيفهم وتوعيتهم وشدِّهم باتجاه القيم والأخلاق ومصلحة قيمهم، ومصلحة الوطن».

وسائل الجذب:

الجانب الأول: تطوير ثقافة العرض والطرح

أشار سماحته إلى أن وسائل الجذب تبدأ من العرض الفكري والثقافي: «علينا أن نعرِّف ثقافة القرآن لهذا الجيل الشاب بما يتناسب مع طبيعة الظروف التي يعيشها، فلا يصح لنا أن نخاطب هذا الجيل بثقافة كانت للأجيال السابقة بدون تطوير».

موضحاً أن كثيراً من أبنائنا ينجذبون وينشدَّون إذا كان أسلوب العرض الفكري والثقافي أسلوبا شيقاً، أسلوباً واضحاً، يشعرهم بأن الثقافة القرآنية والمؤسسة القرآنية تساعدهم على تحقيق شخصياتهم، والتعبير عن ذواتهم، على أن يأخذوا دورهم، ويؤمّنوا مستقبلهم بشكل أفضل.

الجانب الثاني: تقدير أبناء هذا الجيل

في هذا الجانب قال سماحته: «ينبغي لنا الاهتمام بإبداء اللين والعطف والاحترام والتقدير لأبناء هذا الجيل. كلما احترمناهم، وكلما قدرناهم، كلما بذلنا الجهد لإبراز التقدير لهم،كان ذلك دافعا لشدِّهم وجذبهم».

الجانب الثالث: برامج الترفيه والترويح

وقد تطرَّق ضمن حديثه إلى تنوع البرامج والأنشطة المتضمنة آفاقاً ترفيهية وترويحية: «ينبغي أن تكون في برامج هذه المؤسسة مجالاً للترفيه، على ألا تكون البرامج كلها في نسق واحد، وفي مستوى من الجدية التامة، وإنما ينبغي أن تكون هناك بعض البرامج الترفيهية، لأن الشباب ـ وخاصة في هذه المرحلة من العمر ـ يحتاجون إلى آفاق من الترفيه والترويح عن النفس».

التركيز على الجانب السلوكي:

وفي قضية أخرى لا تقل أهمية عن القضايا الأخرى، أشار سماحة الشيخ إلى أهمية التركيز على الجانب السلوكي لهذه الناشئة، من خلال بلورة البرامج والمناهج التي تساعدهم على تبصر سلوكهم، وفي ذلك قال: «أنا أعتقد أنه يجب التركيز على الجانب السلوكي لهذه الناشئة، نحن في حاجة إلى أن نقدم لهم رؤى تعرِّفهم بهدف حياتهم، ومستقبل دورهم في هذا المجتمع، وأن يفهموا حقائق الإسلام، ومبادئ الدين.

نحن بحاجة إلى أن تكون هناك مناهج وبرامج تركز على الجانب السلوكي، لأني أعتقد أن التحدي الخطر أمام جيلنا المعاصر هو التحدي السلوكي، يجب علينا أن نبلور برامج ومناهج تساعد هؤلاء الشباب على تبصر الطريق في سلوكهم ومسلكياتهم وطريقة تعاملهم مع مجتمعاتهم وأنفسهم وعوائلهم ووطنهم».

وفي الختام، شكر سماحة الشيخ القائمين على هذا المشروع والداعمين له من أبناء المجتمع الذين تعاونوا وتجاوبوا مع هذا المشروع. ويرى أن الفضل الكبير يعود لتعاونهم وتجاوبهم: «لولا تعاونهم وتجاوبهم لما استطاع هذا المشروع أن يشق طريقه، وأن يكون له المكان المجهز بالكثير من الوسائل المساعدة».

الشيخ الصفار يلقي كلمة مجلس الآباء بمدرسة «الشرق المتوسطة» بالقطيف

أقامت مدرسة الشرق المتوسطة مجلسها السنوي لأولياء أمور طلابها مساء يوم السبت ٢٠ شوال ١٤٢٧هـ مستضيفة سماحة الشيخ حسن الصفار الذي بدأ كلمته بحديث عن رسول الله ﷺ «من حق الولد على والده أن يحسن اسمه إذا ولد، وأن يعلمه إذا كبر، وأن يعف فرجه إذا أدرك».

وقال سماحته: «إنها فرصة طيبة نلتقي فيها مع الآباء الكرام، والإخوة المدرسين، والأبناء الطلبة، لذا أود أن أذكر كلاً منهم بمسؤوليته تجاه المسألة التعليمية».

فمن حيث الآباء أكد أهمية اهتمامهم بتعليم أبنائهم، وأنها مسؤولية في أعناقهم، فهناك من النصوص ما تشير إلى واجب تعليم الدين، وبعضها لتعليم الكتابة، وبعضها لتعليم الأدب.

وقال سماحته: «في السابق كانت هناك كتاتيب يبعث الآباء أبناءهم ليتعلموا فيها القرآن الكريم، والكتابة، والحساب، وغيرها، أما الآن، وبفضل الله ومع تطور البلاد ونهضتها فقد أصبح التعليم مؤسسة ترعاها الدولة، وله أكثر من وزارة».

ثم تساءل: هل هذا يلغي دور الأب، ويعفيه من المسؤولية؟

وأجاب قائلاً: «هناك كثير من الآباء يتحدثون عن القصور في بعض جوانب المؤسسة التعليمية، وهذا أمر لا ينكر، بل تعقد لأجله المؤتمرات والندوات، وينشر عنه في الصحف المحلية، ولكن بالمقابل لا بدّ أن يتحمل الأب جزءاً من المسؤولية، فعليه أن يخصص بعض وقته لمتابعة ابنه، وأن يوجهه لتقويم سلوكه وخلقه، سيما ونحن نعيش في عصر مليء بالمغريات والمفسدات. على كل أب أن لا يكتفي بتوفير لقمة العيش والملبس والمسكن، فالتعليم له من الأهمية ما قد يفوق كل تلك الأمور».

وقال: «هناك من يحمّل المسؤولية كاملة على الأم، وهذا غير صحيح، فالأمر مشترك، وهنا نوجه رسالة شكر لكل الأمهات على تحمل هذه المسؤولية وبذل الجهد في سبيل نجاح أولادهن، مع كثرة أشغالهن المنزلية».

ومن ناحية تعلل البعض بضيق الوقت قال: «هناك من الآباء من يصرف وقتاً كبيراً في متابعة البرامج، والمباريات، وحتى البرامج الدينية، ولا يعطي من هذا الوقت جزءاً لأولاده لمتابعة تعليمهم! وهنا أستطيع أن أقول بضرس قاطع: أن تعليم الأولاد أهم من متابعة البرامج الدينية إذا لزم الأمر، وهو ما يؤكده حديث رسول الله ﷺ لجلوس أحدكم مع عياله ساعة، أحب وأفضل من عبادة في مسجدي هذا».

ثم أشار إلى ضرورة التواصل مع المدرسة لمتابعة مستوى الولد التعليمي والأخلاقي، بزيارة المدرسة ما سنحت الفرصة، أو بالاتصال، وأن لا نكتفي بحضور مجلس الآباء، وإن كان البعض لا يحضر البتة.

وقال: «إن ذلك يزيد من اهتمام الولد، كما أن إدارة المدرسة تصبح أكثر اهتماماً».

ومن جهة إدارة المدرسة والمعلمين فيها فقد وجه شكره وثناءه لهم وقال: «أود أن أذكركم بأن موقعكم حساس، وأن لا تنظروا إليه مجرد وظيفة تحصلون منها على المال، الأبناء والمجتمع أمانة في أعناقكم، مستقبلهم بيدكم، إن أحد تلاميذكم قد يكون في يوم ما مدرساً لأبنائكم، وآخر سيكون طبيباً يداويكم، أو موظفاً ينجز أعمالكم، فكيف تحبون أن يكون أولئك، عليكم أن تربوا جيلاً يحمل أمنياتكم ويحققها».

ثم وجه خطابه لأبنائه الطلاب، مشيراً إلى أن هذه المرحلة التي يدرسون فيها وهي المرحلة المتوسطة أنها مرحلة حساسة، ومهمة، وقال مؤكداً: «عليكم أن تهتموا أبنائي وأعزائي بهذه المرحلة، وأن تفكروا ملياً في بناء مستقبلكم من الآن، لم يعد النجاح كافياً، فمع كثرة التنافس وصعوبة الحصول على مقعد جامعي، أصبح الأمر يتطلب مزيداً من التفوق».

ومن جهة من يصرف الوقت في اللعب قال: «من حقكم أن تلعبوا وأن ترفهوا عن أنفسكم، ولكن أن تكون الحياة كلها لعب فهذا غير صحيح، ذلك أمر كان يصلح لسنيكم السبع الأولى كما يقول المصطفى محمد ﷺ: « دعه يلعب لسبع »، ثم إن عندكم أوقاتاً كبيرة لتلعبوا فيها كالعطل الصيفية، وإجازة نهاية الأسبوع، وغيرها من الإجازات وإن كنا نوصي دائماً بأن هذه الأوقات أيضاً ينبغي ألا تصرف كلها في اللعب واللهو. وأنتم ذوو عقول واعية فزنوا الأمر حتى تكونوا لكم شخصية محترمة يفخر بها المجتمع».

ثم وجههم إلى أن يحسنوا علاقاتهم بمدرسيهم، وأن لا تكون العلاقة قائمة على التحدي، ووضع الحواجز، فهم بمثابة الإخوان الكبار أو الآباء. كما أكد ضرورة الاهتمام بالمدرسة بنظافتها بشكلها، فهي بمثابة البيت حيث يقضي الطالب فيها وقتاً ليس بالقليل.

في الختام، وجَّه شكره للحضور على هذا اللقاء الطيب، وأكد ضرورة أن يكون هذا اللقاء باعثاً لاهتمام كل من حضر بالمسألة التعليمية وبشكل أكبر.

في ضيافة الدكتور الهرفي

استضاف الدكتور محمد علي الهرفي الأستاذ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالأحساء سماحة الشيخ حسن الصفار على مأدبة عشاء في منزله بمدينة الهفوف مساء يوم الخميس ٢٥ شوال ١٤٢٧هـ الموافق ١٦ نوفمبر ٢٠٠٦م. حضرها لفيف من علماء الدين وأساتذة الجامعات وبعض الوجهاء والأدباء.

وقد تحدث سماحة الشيخ الصفار عن تنامي ظاهرة الإجرام والعنف في مختلف مناطق البلاد، حيث لا تكاد تخلو الصحافة المحلية يومياً من ذكر عدد من حوادث السطو والبطش والاغتصاب، وقد يظن البعض أن هناك تهويلاً وتضخيماً من الصحافة للإثارة، لكن أروقة المحاكم وإدارات الشرطة والأجهزة الأمنية، تعاني من تنامي هذه الظاهرة، كما يتحدث عنها الناس في مجالسهم، بل يبدو أن ما يطفو على السطح هو جزء من حال أكثر خطورة.

وأشار سماحته إلى أنه لا تخلو المجتمعات في كل زمان ومكان من حصول حوادث الفساد والإجرام، لكن ارتفاع وتيرة هذه الحوادث بهذه الدرجة في مجتمعنا الذي كان يفخر باستتباب الأمن والاستقرار، والالتزام الديني، أمر يدعو إلى الاهتمام، ودق ناقوس الخطر.

فلا بدّ من إعلان حالة طوارئ ثقافية واجتماعية، ولا بدّ من تحرك سريع فعال للأجهزة الأمنية، ليشعر المواطنون بالأمن على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، ومصالحهم. ولا شك أن جهات التوجيه الديني تتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية إضافة إلى مسؤولية العائلة في الالتفات إلى أبنائها.

وتحدث الدكتور الأديب محمد بودي عن موضوع التعليم وما تعانيه بعض المؤسسات التعليمية من خلل واضح، ينعكس على مخرجاتها التي لا تجد لها مكاناً في سوق العمل، فتتسع رقعة البطالة وحالة الفقر التي هي أرضية للإجرام والفساد.

مشيراً إلى ما دار من حوار حول التعليم في الملتقى التمهيدي للحوار الوطني الذي انعقد في الأسبوع الماضي في الدمام.

أما الدكتور محمود المبارك أستاذ القانون الدولي بجامعة الملك فيصل، فقد نقل الحديث إلى موضوع تحصين الوحدة الوطنية في العلاقة بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم سنة وشيعة، وخاصة في المنطقة الشرقية من المملكة، على ضوء ما يجري في الساحة العراقية من انزلاق خطير نحو فتنة طائفية عمياء، وحرب أهلية طاحنة. طالباً من الشيخ الصفار تقديم رؤية حول هذا الموضوع الحساس محلياً وإقليمياً.

وبدوره تحدث الشيخ الصفار بإسهاب حول رؤيته لترسيخ الوحدة الوطنية مركزاً على النقاط التالية:

- دعم التوجهات الإصلاحية لخادم الحرمين الشريفين، بما فيها إقرار التعددية المذهبية والثقافية، وترسيخ الحوار الوطني، وتطبيق المساواة بين أبناء الشعب،

لا فرق بين منطقة وأخرى، ولا تمييز بين المواطنين على أي أساس قبلي أو طائفي.

موضحاً سماحته: أن وجود أي تمييز طائفي في الحقوق وتكافؤ الفرص، وحرية التعبد، تعطي الفرصة للمغرضين لإضعاف الوحدة الوطنية، وتتيح المجال للقوى الأجنبية باستخدام هذه الورقة.

- أن يتحمل الواعون من علماء الدين والمثقفين وشخصيات المجتمع مسؤوليتهم في نشر ثقافة التسامح، ومواجهة أساليب التعبئة الطائفية ضد هذه الطائفة أو تلك، ولغة التحريض والكراهية.
- أهمية التواصل بين أبناء الوطن الواحد، وأبناء المنطقة الواحدة، فقد كان آباؤنا في المنطقة الشرقية كالأحساء مثلاً أكثر تواصلاً فيما بينهم سنة وشيعة، يقيمون في أحياء مشتركة، ويدرس أبناؤهم في مدارس واحدة، وتربطهم مصالح اقتصادية وعلاقات اجتماعية منفتحة.
- أن نتحلى باليقظة والحذر لمنع التأثيرات السلبية لما يحدث في البلدان الأخرى كالعراق، فليس صحيحاً أن يصغي الشيعة أو السنة في بلادنا لما يقوله بعض السنة أو الشيعة المتصارعين في العراق، بحيث تتعاطف كل طائفة منّا مع نظيرها في العراق، بل علينا أن نعلم أن الصراع في العراق سياسي على المناصب والمواقع والمحاصصة في السلطة، وليس مذهبياً يرتبط بعقيدة هذا المذهب أو ذاك.

وفي العراق إرادات دولية وإقليمية تغذي الفتنة والصراع، لتبرير استمرار وجودها، ولتخدم مصالحها، ولتنشر الفوضى في المنطقة كلها، كما صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية بدفاعها عن سياسة نشر الفوضى الخلاّقة على حدّ تعبيرها.

ومؤسف أن بعض الجهات تعطي للمواقف السياسية صبغة مذهبية، فتتهم الشيعة

كمذهب وطائفة في وطنيتها على أساس بعض المواقف السياسية من الاحتلال الأمريكي للعراق، وتتجاهل موقف الأكراد، وموقف تحالف الشمال في أفغانستان، وموقف الحكومة اللبنانية التي يتحدث الأمريكيون والإسرائيليون علناً عن دعمها ومساندتها، فهل يبرر ذلك اتهام مذاهب هؤلاء وكل طائفتهم.

ثم توالت المداخلات والمشاركات من بعض السادة الحضور حول الموضوع، كالدكتور محمود المبارك، والدكتور محمد العمير عميد كلية التربية بجامعة الملك فيصل، والسيد أحمد الهاشم مدير مكتب الدعوة والإرشاد، والمحامي عدنان الصالح، والدكتور صادق الجبران، والمهندس صالح البقشي، وعضو مجلس المنطقة مهدي ياسين الرمضان.

حيث أكد الجميع ضرورة التواصل وتحصين الوحدة الوطنية، وتوجهوا بالشكر للمضيف الدكتور محمد علي الهرفي الذي أبدى ترحيبه وسروره بزيارة الشيخ الصفار، وإجابة السادة الحاضرين لدعوته.

هذا وقد قام الشيخ الصفار بزيارة السفير الأديب الشيخ أحمد آل الشيخ مبارك في مجلسه، والتقى بعدد من رجالات أسرة آل مبارك كالدكتور الشيخ عبدالحميد المبارك، ورجل الأعمال إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ مبارك.

كما زار الأستاذ الدكتور محمد صالح العلي، والعلامة الشيخ عبدرب الأمير الخرس، وألقى محاضرة ظهر يوم الخميس في حسينية الخرس بالهفوف.

المنصورة: الشيخ الصفار في حديث عن (إمامة علي ووحدة الأمة)

أ. حسين الوباري ـ المنصورة

استقبل أهالي بلدة المنصورة بالأحساء سماحة الشيخ حسن الصفار ضمن احتفالاتهم بعيد الغدير المبارك، التي خصص في برنامج الاحتفالات ليلة لكلمة سماحته والتي كانت مساء الخميس الماضي ليلة الجمعة ٢١/ ١٢/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٢/ ١/ ٢٠٠٧م، وقد بدأ الحفل الكريم بتلاوة عطرة لكتاب الله الكريم، بعدها قدم مدير الحفل الأستاذ حسين علي الوباري نبذة عن سيرة الشيخ الصفار، ومؤلفاته، وموضوع كلمته التي كانت بعنوان «إمامة علي عليه السلام ووحدة الأمة» قائلاً أنها تجمع بين أصالة المعتقد ومصلحة الأمة.

بعدها تقدم سماحة الشيخ حسن الصفار وبدأ كلمته بحمد الله والثناء عليه، وذكر النبي والصلاة عليه وعلى آله، ثم حيّا أهالي البلدة أجمل تحية، وهنأهم بعيد الغدير الأغر الذي كان محطة مهمة في تاريخ الأمة حيث، أوقف الرسول صلى الله عليه وآله تلك الجماهير من المسلمين

منادياً: «ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، ثم قسم سماحة الشيخ مهام الإمامة إلى قسمين هما: إمامة الدين، وإمامة السياسة والحكم، وأنها بقسميها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: «إن تصدي الآخرين للإمامة السياسية لا يعني أن الإمامة ارتفعت عن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد كان جميع الصحابة يرجعون إليه في أمور الدين، فهو إمام الدين والمؤتمن على حفظه وتبيينه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وإن لم يأخذ إمامة السياسة والحكم».

مستشهداً بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» قائلاً: «إن الحسنين إمامان بنص رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كانت لهم إمامة السياسة والحكم، أم لم يتمكنا منها».

ثم انطلق سماحة الشيخ الصفار في كلمته قائلاً: «إنه لا يجوز لأي فرقة من فرق المسلمين أن تسقط الفرق الأخرى أو تكفرها فالجميع يرجع إلى مصادر تشريعية واحدة وأن الاختلاف هو في فهم النصوص، فبدلاً عن لغة التكفير لا بدّ أن تسود لغة الحوار، لأننا مأمورون أن نحاور أهل الكتاب بالتي هي أحسن فكيف بنا نحن المسلمون ونحن إخوة من دين واحد تجمعنا كثير من المشتركات! فبدلاً من نظرة الفرق لما يفرقها لا بدّ أن تنظر للمشتركات التي تجمعها فمصلحة الأمة وما يحيط بها من كوارث تستدعي أن يكون المسلمين يداً واحدة إذ العدو عدو الأمة بسنتها وشيعتها لا يفرق بين أحدٍ منهم فلماذا نفرق نحن ؟!».

ثم نبّه سماحة الشيخ إلى نقطة حساسة في أيامنا هذه، وهي أن التعبئة والتشويش الإعلامي الذي زرعه أعداء الأمة جعل الناس تظن أن الاقتتال في العراق مثلاً يدور بين سنة وشيعة، وأن ما يجري في لبنان خلاف بين شيعة وسنة، قائلاً: «ليس صحيحاً ما يروجه الإعلام أن السنة يقتلون الشيعة أو العكس، كما يجري في العراق، وإنما هو اقتتال مصالح كالاقتتال الذي يجري في الصومال وكالاقتتال الذي يجري في فلسطين بين فتح

وحماس إذ ليس هناك من يدعي أنه اقتتال بين شيعة وسنة وإنما هي مصالح سياسية بحتة لا علاقة للطائفية فيها وقد استغل الأعداء هذه الخلافات ليطرحها في الإعلام كخلافات طائفية ليؤججوا نيران الفتنة».

وقد لاحظ سماحة الشيخ أن لغة التعبئة كانت قد تراجعت، ولغة الحوار والمحبة والتقارب كانت قد تقدمت وخطت خطوات كبيرة تجاه الأمام إلا أن أحداثاً كأحداث العراق وما يجري فيه من سفك للدماء جعل لغة التعبئة الطائفية تعود إلى السيادة، وأخذنا نرجع إلى الوراء مرة أخرى، منبهاً أن على المسلمين أن يتنبهوا لهذه اللغة وأن لا ينخدعوا خلف دعاة الفرقة بين الأمة.

كما نوّه سماحته خلال كلمته أن لغة الشتم واللعن ليست هي اللغة التي ينادي بها الإسلام، بل الإسلام يمقتها ويرفضها ويوجهنا إلى لغة الحوار الواعي، ودعا جميع المسلمين أن لا يكونون أسراء للكتابات القديمة التي دعت للعنف والسب والتكفير، وأن نتجاوز ذلك إلى لغة الحوار والأخوة واحترام معتقدات الآخرين واحترام مقدساتهم.

ثم أثنى سماحة الشيخ حسن الصفار على الجهود التي بذلها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله لتبنيه مشروع الحوار الوطني الذي خلق نواة تواصل بين أبناء المذاهب الإسلامية وخلق جواً من التقارب بين أبناء الوطن الواحد، كما أثنى على مؤتمر مكة الذي تم فيه الاعتراف بالمذاهب الإسلامية.

ثم استقبل سماحة الشيخ ولمدة عشرين دقيقة أسئلة وجهت له من قبل الجمهور كان من أبرزها سؤال حول قراءته لمستقبل الأمة، وكانت إجابته «أنه متفائل إن شاء الله بمستقبل هذه الأمة وتقاربها».

كما سُئل سماحته عن وجود مستند شرعي يوجهنا تجاه الوحدة، وقد استدل ببعض الأدلة النقلية مشيراً إلى أن العقل يحكم بصحة هذه الدعوى لما فيه من مصلحة وخير للمسلمين.

وأخيراً طُلب من سماحته تقديم توجيه للطلاب وأوليائهم حيث إننا على مقربة من الاختبارات الدراسية التي تصادف موعدها مع عشرة محرم الحرام، فقال موجهاً: «على الطلاب أن لا يهملوا مستقبلهم وأن يجمع الطلاب بين الاستذكار وإحياء المناسبة».

بعد ذلك قام سماحة الشيخ حبيب الهديبي حفظه الله بتقديم درع شكر مقدّم من منظمي الأمسية لسماحة الشيخ حسن الصفار، بعدها تمت ضيافة سماحة الشيخ الصفار بمعية مشايخ ووجهاء المنصورة وكذلك بعض وجهاء الأحساء وكان من أبرز الشخصيات الحاضرة: قاضي محكمة الأوقاف والمواريث الشيخ حسن الشيخ باقر أبو خمسين، وسماحة الشيخ حبيب الهديبي، وسماحة العلامة الشيخ حسين الراضي، وسماحة الشيخ حسن الراضي، والدكتور صادق الجبران، والحاج عبدالله حسن الوباري، والحاج عبدالمحسن السلطان، ورئيس اللجنة المنظمة أحمد طاهر الهديبي. ثم غادر سماحة الشيخ بلدة المنصورة متوجهاً للقطيف محفوفاً بحفظ الله ورعايته.

صدر للمؤلف

١. الصوم مدرسة الإيمان

الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، دار التراث الإسلامي ـ بيروت.

٢. ولكل أمة رسول

الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، منشورات مكتبة الإمام الصّادق ـ الكويت.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

٣. الرسول طريق إلى القمّة

الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٥م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح ـ سلطنة عمان.

٤. الحسين ومسؤولية الثورة

الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، مطابع دار السياسة، الكويت.

الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، مطابع دار السياسة ـ الكويت.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م ـ أمريكا.

الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ فرنسا.
الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، طهران ـ إيران.
الطبعة السادسة: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، دار الحوراء ـ بيروت.
الطبعة السابعة: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، دار البيان العربي ـ بيروت.
الطبعة الثامنة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٥. أئمة أهل البيت رسالة وجهاد

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

٦. الإمام المهدي أمل الشعوب

الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح ـ سلطنة عمان.
الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٢م، طهران ـ إيران.
■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام مهدى اميد ملّتها)، المترجم محمد علي مجيديان، دار آفاق، طهران، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٧. مسؤولية الشباب

الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.
الطبعة الثالثة: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.
الطبعة الرابعة: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار البيان العربي ـ بيروت.
■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان **(WAJIBU WA VIJANA)** ترجمة أبو أحمد حسين ـ دار المجد ١٤٠٥هـ.

٨. المرأة مسؤولية وموقف

الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، طهران ـ إيران.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الزهراء ـ بيروت.

٩. المرأة والثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

١٠. مسؤولية المرأة

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار البيان العربي ـ بيروت.

١١. الإمام الحسين رمز التضحية والفداء

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، مكتبة الرسول الأعظم ﷺ، مطرح ـ سلطنة عمان.

الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ـ الكويت.

١٢. رؤى الحياة في نهج البلاغة

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الصفوة ـ بيروت.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٤م ـ دمشق.

الطبعة السادسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف ـ العراق.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (تصوير زندكي در نهج البلاغه)، المترجم لطيف رشدي، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، انتشارات قدس، قم.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الطاجيكية تحت عنوان (aЙxIII Xacah Мўco Caффop)، طبعة قم ٢٠٠٥م، الناشر فاضل.

١٣. حياة الأئمة والتاريخ المزيف

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

١٤. رمضان برنامج رسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة، لندن – بريطانيا.

الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: الكويت.

الطبعة الرابعة: طهران ـ إيران.

الطبعة الخامسة: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، دار البيان العربي ـ بيروت.

١٥. قراءة في فكر الإمام الخميني

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، باريس ـ فرنسا.

١٦. أعلنا الولاء بالدم

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ١٩٨١ م، طهران ـ إيران.

الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، طهران ـ إيران.

١٧. بصائر وهدى

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

١٨. السجن أحب إليّ

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

١٩. الشعب يتحدّى السجون

الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢٠. الثورة والإرهاب

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢١. كيف نتحدّى الطغاة

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢٢. رمضان وقضايا الثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ إيران.

٢٣. النضال على جبهة الثقافة والفكر

الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢٤. فلنحطم الأغلال

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، دار البداية، القاهرة ـ مصر.

٢٥. الجماهير والثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢٦. خطر السُّقوط

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢٧. النفس منطقة الخطر

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، مركز الجواد للطباعة، الأحساء ـ السعودية.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف ـ العراق.

٢٨. القلب حرم الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٢٩. لكي لا نحتقر أنفسنا

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٣٠. رمضان دعوة إلى ضيافة الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٣١. فئات العمل الرسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٣٢. عن المثقفين وعطلة الصيف

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٣٣. رسالة المجالس الحسينية

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٣٤. الأنانية وحب الذات

الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، دار الجزيرة للنشر، لندن – بريطانيا.

٣٥. معرفة النفس

الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، دار البيان العربي ـ بيروت.

٣٦. التغيير الثقافي أولاً

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

■ تمت ترجمته الى اللغة الفرنسية تحت عنوان (**POUR UN CHANGEMENT**

CULTUREL) رابطة الأخوة الإسلامية ـ طهران ١٤٠٥هـ.

٣٧. كيف نقهر الخوف

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مركز الشباب المسلم، أميركا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ، طهران - إيران.
الطبعة الرابعة: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (غلبه بر خوف).
- تمت ترجمته إلى اللغة الأندونوسية، تحت عنوان (**TAKUT**) ترجمة الشيخ وردنا بلاثو، ٢٠٠٣م،جاكرتا - أندونيسيا.

٣٨. كيف نقاوم الإعلام المضاد

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الشهيد للثقافة والإعلام.
الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (رويار ويى تبليغاتى)، المترجم سعيد خاكرند، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، نشر بقيع، طهران.

٣٩. الثائر والسجن (دراسة في حياة الإمام الكاظم عليه السلام)

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار البصائر.
الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٤٠. يوم البقيع

الطبعة الأولى: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، الجمعية الجعفرية، استراليا.

٤١. مختصر الطفل بين الوراثة والتربية

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

٤٢. الشيخ علي البلادي القديحي

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث ـ بيروت.

٤٣. التعدّدية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، دار البيان العربي ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الصفوة ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان(چندگونگی وآزادی در إسلام)، ترجمة حميد رضا آژير، نشر بقيع.

٤٤. المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام

الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار البيان العربي ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٠م، مؤسسة الانتشار العربي ـ بيروت.

الطبعة الرابعة: ٢٠٠٢م، مؤسسة الثقلين ـ بيروت.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٧م، دار التآخي ـ دمشق ـ سوريا.

٤٥. الوطن والمواطنة: الحقوق والواجبات

الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الصفوة ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الصفوة ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٤٦. التنوع والتعايش

الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الصفوة ـ بيروت

الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار الساقي، لندن ـ بريطانيا.

الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م، دار التآخي ـ دمشق.
الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف ـ العراق.

٤٧. التطلع للوحدة وواقع التجزئة في العالم الإسلامي
الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الكنوز الأدبية ـ بيروت.

٤٨. علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام
الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٤٩. الشيخ محمد أمين زين الدين: تجربة في الإصلاح دون حضور الذات
الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد ـ بيروت.

٥٠. الكوارث ومسؤولية المجتمع: حديث في أربعين فاجعة القديح الأليمة
الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

٥١. العمل والفاعلية طريق التقدم
الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، دار الكنوز الأدبية ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار الهادي ـ بيروت.
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف – السعودية.

٥٢. شهر رمضان والانفتاح على الذات
الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر ـ السعودية.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر ـ السعودية.

٥٣. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الأول)
الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

٥٤. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثاني)
الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥٥. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثالث)
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، مؤسسة البلاغ - دار الواحة - بيروت.

٥٦. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الرابع)
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥٧. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الخامس)
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، مؤسسة البلاغ - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٥٨. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السادس)
الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٥٩. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السابع)
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٦٠. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثامن)
بين يديك.

٦١. السلم الاجتماعي- مقوماته وحمايته
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، دار الساقي - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٦٢. التسامح وثقافة الاختلاف ـ رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة ـ بيروت.

٦٣. الإمام المهدي وبشائر الأمل

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة ـ بيروت.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (**IMAM MAHDI NA MATARAJIO MEMA**) ترجمة الأستاذ خلفان كيا-كينيا-ممباسا ٢٠٠٧م.

٦٤. الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة ـ بيروت.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (**IMAM HASSAN NA MFUMO WA KUJENGA JAMII**) ترجمة الأستاذ خلفان كيا-كينيا-ممباسا ٢٠٠٧م.

٦٥. كيف نقهر الوسواس

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

٦٦. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي ـ بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٦٧. إحياء المناسبات الدينية بين الواقع والطموح

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م، دار التآخي ـ دمشق.

٦٨. الإمام الشيرازي ملامح الشخصية وسمات الفكر
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، هيئة محمد الأمين ﷺ ـ بيروت .
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ، مؤسسة عاشوراء، قم ـ إيران.

٦٩. رؤية حول السجال المذهبي
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت.

٧٠. بناء الشخصية ومواجهة التحديات
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء ـ دار الواحة ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٧١. عن اللقاء الوطني للحوار الفكري
(الذي انعقد في الرياض بتاريخ ١٥ـ ١٨/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ١٥ـ ١٨/ ٦/ ٢٠٠٣م)
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء ـ دار الواحة ـ بيروت.

٧٢. الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء ـ بيروت .
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م ـ دمشق.
■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام علي (ع) وراه برابري)، ترجمة محمد رضا ضيايى.

٧٣. الحوار والانفتاح على الآخر

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار الهادي ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م دار التآخي ـ بيروت.

٧٤. السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار الواحة ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي ـ بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (**UHUSIANO BROA KATI TA SALAFI NA SHIA**) ترجمة الأستاذ خلفان كيا ـ كينيا ـ ممباسا ٢٠٠٧م.

٧٥. فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار الهادي ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار الهادي ـ بيروت.

٧٦. النادي الرياضي والمجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر ـ السعودية.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف ـ العراق.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (**KILABU TA MICHEZO NA LAMII**) ترجمة الأستاذ خلفان كيا ـ كينيا ـ ممباسا ٢٠٠٧م.

٧٧. الزواج أغراضه وأحكامه

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (**NAOA HUKMU NA MALENGO YAKE**) ترجمة الأستاذ خلفان كيا-كينيا-ممباسا ٢٠٠٧م.

٧٨. السياسة النبوية ودولة اللاعنف

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ، مؤسسة المعارف ـ بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٧٩. العمل التطوعي في خدمة المجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٨٠. كيف نقرأ الآخر؟

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، الدار العربية للعلوم ـ بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم ـ بيروت.

٨١. الحضور في زمن الغيبة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، البحرين.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، النجف الأشرف ـ العراق.

٨٢. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب.

٨٣. سلسلة (قوانين السعادة الزوجية وأبجديات الحب)

- الحب الحقيقي(الزواج أحكامه وأغراضه).
- قوانين الزواج من الألف إلى الياء (من عقد الزواج إلى ليلة الزفاف).
- مملكة الحب (الحقوق الزوجية).

- الخطوات الذكية لاختيار النصف الجميل (اختيار الزوج).
- تزوج وكن سعيداً (قرار الزواج).
- صفاء المودة (العلاقات الزوجية).
- البوابة الذهبية (عقد الزواج).

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م ـ ٢٠٠٦م، مركز الراية للتنمية الفكرية ـ دمشق.

٨٤. الاستقرار السياسي والاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم ـ بيروت.

٨٥. الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م، مطابع الرجاء، الخبر ـ السعودية.

٨٦. الإمام الحسين الشخصية والقضية

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار المحجة البيضاء ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٨٧. المذهب والوطن: مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ حسن الصفار أجراها الأستاذ عبدالعزيز قاسم.

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.
■ تمت ترجمته الى اللغة السواحيلية تحت عنوان (**MADHEHEBU NA NCHI**) ترجمة الأستاذ خلفان كيا-كينيا-ممباسا ٢٠٠٧م.

٨٨. الشباب وتطلعات المستقبل

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ

السعودية.

٨٩. الأوقاف وتطوير الاستفادة منها

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م - أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

■ تمت ترجمته الى اللغة الفارسية تحت عنوان (وقف كا رآمد) ترجمة ونشر انتشارات أسوة ٢٠٠٨م.

٩٠. الإمام علي وقضايا الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م- أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٩١. الحوار المذهبي والمسار الصحيح (محاضرة الشيخ حسن الصفار وحفل تكريمه في اثنينية الشيخ عبدالمقصود خوجة)

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، مؤسسة الانتشار العربي ـ بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٩٢. الحسين في وجدان الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٩٣. المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٩٤. الأحادية الفكرية في الساحة الدينية

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم ـ بيروت.

٩٥. الجمعة شخصية المجتمع الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٩٦. حضور المسجد والمشاركة الاجتماعية للمرأة

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

٩٧. المشكل الطائفي والمسؤولية الوطنية

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف ـ السعودية.

الفهرس

تقديم ٧

أول الحديث ١١

احترام مقدّسات الديانات ١٩

الفتنة الطائفية .. رؤية وموقف ٣١

منطلقات الوحدة في سيرة أهل البيت عليهم السلام ٤٣

استهدافات الحوار المذهبي ٥٥

أمن المجتمع في خطر ٦٥

من توجيهات الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٧٩

مرجعية العقل ٩١

نحو مبادرات لخدمة المجتمع ١٠١

التربية على محبة الناس ١١١

صلاة الجماعة من أعظم شعائر الدين..... ١٢١

صلاة الجماعة وتجاوز العصبيات ١٣١
الإمام شرف الدين رائد الإصلاح والتقريب ١٤٣
حضور المسجد والمشاركة الاجتماعية للمرأة ١٥٩
التيارات الاجتماعية والتنافس الإيجابي ١٧٣
المرأة وصلاة الجماعة ١٨٣
صلاة الجماعة وقيم الاتِّباع والاقتداء ١٩٥
النظافة والأناقة في الاجتماع للصلاة ٢٠٥
المقاومة في فلسطين ولبنان خيار الأمة ٢١٧
المقاومة: إحياء إرادة الأمة ٢٢٥
المقاومة الباسلة والتضليل الإعلامي ٢٣٥
خطاب المقاومة ٢٤٧
علماء الدين بين التقديس والتمحيص ٢٥٩

كتابات

تقديم كتاب الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي ٢٧٣
الشيخ الصفار معقباً على مكاشفات العبيكان ٢٩٣
الإمام شرف الدين وثقافة التسامح ٣٠١
الاحتفاء بالسيدة زينب في كنيسة محردة ٣١١
تقديم لكتاب الصلاة الفاخرة على النبي وعترته الطاهرة ٣١٥
الشيخ الصفار: ما يحدث في العراق من فتنة طائفية ٣٢٣
سماحة الشيخ الصفار يُصدر بياناً يُدين فيه الاعتداء الغاشم ٣٢٧
تصريح سماحة الشيخ حسن الصفار حول تصريح الرئيس المصري ٣٣١
إلى أين يسير العراق ٣٣٣

متابعات

مقابلة سماحة الشيخ حسن الصفار في برنامج اضاءات من قناة العربية ٣٣٧
التعصب للرأي يمنع الانفتاح على الآخر ٣٧١
تصريح الرئيس مبارك هفوة نأمل تجاوزها ٣٧٣
الصفار: تشكيك مبارك بالشيعة ظلم وإجحاف ٣٧٧
الشيخ الصفار: الوحدة الإسلامية ضرورة ٣٨١
الشيخ الصفار يشارك في دورة الخطباء والدعاة في مملكة البحرين ٣٨٩
الشيخ الصفار: التطرف الإسلامي علاجه الحوار والحكمة ٣٩١
رجل الدين الشيعي الصفار يحذر من انتقال «طائفية» العراق ٣٩٥
الاعتراف الإسلامي بالمذاهب الثمانية يحتاج إلى تأصيل قانوني.. ٣٩٧
في (اثنينية) تكريم حسن الصفار: غلبت روح الحديث عن الحوار ٤٠٣
الصفار: بعض العلماء أجازوا زواجاً يشبه زواج «المتعة» عند الشيعة ٤٠٩
الصفار يبارك تخريج طلبة ثانوية النجاح بالقطيف ٤١٣
الصَّفَّار في تكريمه بإثنينية خوجه: من خلال الحوار الوطني ٤١٥
علماء ومثقفو القطيف: انعكاس تداعيات التناحر الطائفي بالعراق ٤٢١
حوار حول كتاب: الاستقرار السياسي والاجتماعي ضرورته وضماناته ٤٢٥
الشيخ الصفار يستقبل موكب الحوراء زينب عليها السلام ٤٤١
الصفار: التكافؤ في اتاحة الفرص يفعل دور التعددية ٤٤٣
أقام مأتم السكران احتفاليته السنوية بمناسبة النصف من شعبان ٤٤٧
الشيخ الصفار: الصوم دورة تدريبية وبرنامج تأهيلي للروح والفكر ٤٥٣
الشيخ الصفار يستقبل مجموعة الصم البكم ٤٦١

الشيخ الصفار يلتقي المفتي العام لسورية .. ٤٦٥
القنصل السعودي الأستاذ بندر جميل يزور الشيخ الصفار .. ٤٦٧
الشيخ الصفار: علينا محاصرة الفتنة.. لا تأليب العراقيين .. ٤٧١
الشيخ الصفار يعزي بالشيخ الجمري .. ٤٧٣

ندوات وخطابات ومحاضرات

تخليد العظماء والمعطيات الحضارية .. ٤٧٧
الإمامة الدينية لأهل البيت عليهم السلام .. ٤٨٥
المشروع الحضاري لأهل البيت عليهم السلام .. ٤٩٣
حق الحياة وحمايته في الإسلام .. ٥٠١
المعرفة وتقدم المجتمع .. ٥٠٧
احترام المقدسات الدينية بين الشعوب .. ٥١٣
اختلاف الرأي والعلاقات الإنسانية .. ٥١٧
ثقافة الاجتهاد في العمل .. ٥٢١
العلاقة مع الله والعلاقة مع الناس .. ٥٢٩
رسالة عاشوراء .. ٥٣٣
حرية الرأي وتقدم المجتمع .. ٥٤١
الجرأة في طرح الآراء الإصلاحية .. ٥٤٧
النقد الذاتي الاجتماعي .. ٥٥٧
الصراعات الداخلية في المجتمع .. ٥٦٣
الآلام والآمال بين الأقوال والأعمال .. ٥٦٩
لا يسخر قوم من قوم .. ٥٧٧
اللمز والتنابز من مساوئ الأخلاق .. ٥٨٥

حسن الظن وأثره في العلاقات الاجتماعية ٥٩٣
التجسس وهتك أسرار الآخرين ٦٠١
الغيبة وآثارها على المجتمع ٦٠٧
إجماع على ضرورة تطوير الخطاب الحسيني مرحلياً ٦١٥
عناصر الفساد تعددت و تنوعت في وقتنا الحاضر.. ..... ٦١٩
الشيخ الصفّار يستضيف متعافين من الإدمان على المخدرات ٦٢٣
الشيخ الصفار في مؤتمر بيروت: آليات الوحدة والتقريب ٦٢٧
الصفار: الاختلاف يثري المجتمع والتنافس يدعم التطوير ٦٣٥
الشيخ حسن الصفّار يشيد بأنشطة جماعة الهدى ويكرّم متفوقيها ٦٣٩
الصفار: الحرص على الوحدة الوطنية واجب، وحب الوطن من الإيمان ٦٤٥
الصفار: المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة لدور المرأة المؤمنة ٦٤٩
عالم الدين والمجتمع التأثير والتأثر ٦٥٣
الشيعة ودورهم في الواقع المعاصر ٦٥٧
الشيخ الصفار يشارك في افتتاح مسجد «حمزة بن عبد المطلب» ٦٦١
الأمة في مواجهة الفتن الطائفية ٦٦٥
الشيخ الصفار يشارك في الملتقى الأول لدائرة بلدي صفوى ٦٧٣
الشيخ الصفار: ليس لأيّ جهة فرض الوصاية على المجتمع ٦٧٩
الإمام علي ووحدة الأمة ٦٨٣
الشيخ الصفار: إما الإصلاح الشامل أو الإنفجار من الداخل ٦٨٩
الشيخ الصفار: نعم لتأسيس منظمات المجتمع المدني في بلادنا ٦٩٣
الشيخ حسن الصفار يشارك في افتتاح «بيت القرآن» بسيهات ٦٩٧
الشيخ الصفار يلقي كلمة مجلس الآباء بمدرسة «الشرق المتوسطة» ٧٠١

في ضيافة الدكتور الهرفي ٧٠٥
المنصورة: الشيخ الصفار في حديث عن (إمامة علي ووحدة الأمة) ... ٧٠٩
صدر للمؤلف ٧١٣